سلسلة مؤلفات فضيلة الشيخ (٢٨)

الضياء اللامع من الخطب الجوامع

لفضيلة الشيخ العلامة

محمد بن صالح العثيمين

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

الجزء الأول

طبع بإشراف مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية

دار الثريا

الضِّياءُ اللامع
من الخُطَبِ الجوامع

(١)

المملكة العربية السعودية
ص . ب ١٩٢٩ هاتف ٠٦٣٦٤٢١٠٧ - ٠٥٠٠٧٣٣٧٦٦
www.binothaimeen.net
info@binothaimeen.com

بعون الله وتوفيقه
طبع أصل هذا الكتاب عدة طبعات منذ نشره عام ١٣٩٢ هـ
نفع الله به وأجزل المثوبة والأجر لمؤلفه

١٤٤٠ هـ - ٢٠١٩ م



دار الثريا للنشر والتوزيع
فاكس ٤٠٢٢٦١٥ ص . ب ٩٤٣٨ الرياض ١١٤١٣

بريد إلكتروني
darthurayya@hotmail.com

سلسلة مؤلفات فضيلة الشيخ (٢٨)

الضياء اللامع من الخطب الجوامع

لفضيلة الشيخ العلامة
محمد بن صالح العثيمين
غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

الجزء الأول

طبع بإشراف مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية

دار الثريا

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فقد تفضل الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين ـ رحمه الله تعالىٰ ـ بنشر عدد من خطبه لصلاة الجمعة والعيدين والاستسقاء في كتاب أسماه «الضياء اللامع من الخطب الجوامع» عام ١٣٩٢هـ. وبعون الله وتوفيقه وتكميلاً لما ابتدأه فضيلة شيخنا رحمه الله تعالىٰ، ومن أجل تحقيق الهدف الذي كان ينشده ـ رحمه الله تعالىٰ ـ من توجيه الناس للخير بأسلوب واضح للعام والخاص، فإنه يسر مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية أن تضيف إلىٰ ما سبق نشره جميع الخطب الأولىٰ المكتوبة التي حررها وكتبها بخطه ـ رحمه الله تعالىٰ ـ والتي ألقاها في الجامع الكبير بعنيزة منذ عام ١٣٧٦هـ وحتىٰ عام ١٤٢١هـ، شاملة مواضيع كثيرة في أصول

الدين، والسيرة النبوية الشريفة، وأحكام العبادات، والمعاملات، والمواعظ، والأذكار، والآداب، وخصائص بعض الأيام، وأخرىٰ عامة متنوعة.

وقد قام بترتيبها وتقسيمها موضوعياً الشيخ فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان ـ جزاه الله خيراً ـ وذلك وفقاً للمنهج الذي رسمه فضيلة شيخنا المؤلف ـ رحمه الله تعالىٰ ـ في مقدمته المنشورة منذ عام ١٣٩٢هـ.

نسأل الله تعالىٰ أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، موافقاً لمرضاته، نافعاً لعباده، وأن يجزي فضيلة شيخنا المؤلف عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، ويضاعف له المثوبة والأجر، ويعلي درجته في المهديين إنه سميع قريب.

وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ عبده ورسوله خاتم النبيين وإمام المتقين وسيد الخلق أجمعين نبينا محمد وعلىٰ آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلىٰ يوم الدين.

اللجنة العلمية

في مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية

١٥/ ١١/ ١٤٢٤هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان وسلم تسليماً.

أما بعد:

فإن الله أرسل رسوله ﷺ برسالة خالدة صالحة لكل زمان ومكان، وأمره أن يبلغ هذه الرسالة إلىٰ أمته فقال تعالىٰ: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [المائدة: ٦٧] فقام ﷺ بعون الله وتوفيقه بتبليغ تلك الرسالة، وأداء الأمانة علىٰ أكمل وجه وأبلغه، مستعملاً في ذلك جميع وسائل التبليغ الراتبة والطارئة، وكان من وسائل التبليغ الراتبة ما يخطب به الناس كل جمعة مبيناً لهم ما تقتضيه الحال، ويتطلبه الموقف من شرح الإيمان بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله وأحكامه واليوم الآخر وصفة الجنة والنار وغير ذلك.

وسار علىٰ نهجه دعاة الحق في كل زمان ومكان من الخلفاء والولاة والوعاظ وأهل العلم إلىٰ وقتنا هذا، وكان ممن حباه الله وحمَّله هذه المهمة العظيمة مهمة الدعوة والتبليغ شيخنا أبو عبد الله عبد الرحمٰن بن ناصر بن سعدي حيث تولىٰ الخطابة يوم الجمعة في المسجد الجامع الكبير بغنيزة وخطابة العيدين، فكان مثالاً يحتذىٰ في إخلاص النية، وإصلاح العمل، وتوجيه الناس إلىٰ الخير بقدر ما يستطيع بأسلوب بيِّن واضح للعام والخاص، وبقي علىٰ ذلك حتىٰ التحق بجوار ربه في جمادىٰ الثانية عام ست وسبعين وثلثمائة وألف.

وقد منّ الله ـ وله الحمد والمنة ـ علينا بخلافته في هذا المنصب الجليل فاقتدينا به في فكرته وأُسلوبه، وهيأنا خطباً مناسبة بقدر ما نستطيع، وجمعنا من ذلك ما تيسر، وقد رأينا من المصلحة أن نقوم بطبعها ونشرها لتعم بها الفائدة، وتكون كالتكميل لما ابتدأه شيخنا رحمه الله، فانتقينا من ذلك جملة صالحة يزيد عددها علىٰ مئة وربع المئة، وضممنا إليها خطباً في العيدين والاستسقاء، وقسمناها أقساماً وفروعاً علىٰ النحو التالي:

القسم الأول: في العلم وهو فرع واحد.

القسم الثاني: في أصول الدين وهو تسعة فروع:

١ ـ في أسماء الله.

٢ ـ في آيات الله.

٣ ـ في بعثة النبي ﷺ وآياته وأخلاقه.

٤ ـ في غزوات النبي ﷺ.
٥ ـ في أشراط الساعة.
٦ ـ في أحوال القيامة والجنة والنار.
٧ ـ في الإيمان بالقدر.
٨ ـ في محاسن الإسلام.
٩ ـ في آداب إسلامية.

القسم الثالث: في العبادات وهو ستة فروع:

١ ـ في الطهارة وما يتعلق بها.
٢ ـ في الصلاة وما يتعلق بها.
٣ ـ في الزكاة.
٤ ـ في الصيام وزكاة الفطر وعيد الفطر.
٥ ـ في الحج والأضحية وعيد الأضحى.
٦ ـ في الجهاد.

القسم الرابع: في المعاملات وهو ثلاثة فروع:

١ ـ في النصيحة والأمانة.
٢ ـ في البيوع واكتساب المال.
٣ ـ في الوقف والوصية.

القسم الخامس: في النكاح وهو فرعان:

١ ـ في شروط النكاح.
٢ ـ في الصداق.

القسم السادس: في تربية الأولاد وهو فرع واحد.

القسم السابع: في الحدود والقصاص وهو فرعان:

١ ـ في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٢ ـ في القصاص والحدود.

القسم الثامن: في النفقات والأطعمة وهو فرع واحد.

القسم التاسع: في مواضيع عامة.

القسم العاشر: في خطب خاصة في أشهر معينة ووداع العام وهو فرع واحد.

نسأل الله أن يجعل عملنا خالصاً لوجهه، نافعاً لعباده، وأن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه إنه أكرم مسؤول وأقرب مجيب، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

(للطبعة المزيدة)

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين وسلم تسليماً.

أما بعد:

فقد نشرنا سابقاً عدداً من خطبنا يزيد علىٰ خمس وعشرين ومئة خطبة في مواضيع متنوعة في أصول الدين وفروعه والسيرة وغيرها في كتاب أسميناه «الضياء اللامع من الخطب الجوامع» طبع عام ١٣٩٢هـ وقد نفدت نسخه، فعزمت رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد علىٰ إعادة طبعه، نرجو الله تعالىٰ أن ييسر ما عزمت عليه.

ومن أجل إتمام الفائدة أضفنا ملحقاً إلى ما سبق نشره فيما تجدد من خطبنا أيضاً يبلغ مجموعه ثماني عشرة ومئة خطبة في المواضيع التالية:

العلم والإفتاء ـ أصول الدين ـ التفسير ـ الصلاة ـ اللباس ـ الزكاة ـ الصيام والقيام ـ الحج والأضحية ـ الأخلاق والآداب ـ المعاملات ـ النكاح ـ الجنايات والحدود ـ الأمانة ـ القضاء والشهادة ـ الفتن ـ القيامة ـ مواضيع مختلفة ـ السيرة ـ التوقيت وخصائص بعض الأيام.

هذا ونسأل الله تعالىٰ أن ينفع بهذا الملحق وسابقه، وأن يجعل عمل الجميع خالصاً لوجهه، موافقاً لمرضاته إنه جواد كريم.

المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم خطبة الجمعة الموافق ١٥ / رجب ١٣٧٦

الحمد لله الذي شرع لنا من الشرائع أوفاها وأكملها وحثنا على ما فيه صلاح أحوالنا واستقامتها. شرع لنا دينا يحثنا على مكارم الأخلاق وعلى القيام بحقوق المولى وحقوق العباد وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك الحكيم الوهاب وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أفضل الخلق بلا ارتياب صلى الله عليه وعلى جميع الآل والأصحاب وسلم تسليما كثيرا أما بعد

أيها الناس اتقوا الله تعالى فإن التقوى وصية الله في الأولين والآخرين وهي السبب الوحيد للنجاة من العذاب الأليم وهي الدين الذي بناه الله على النصيحة لله ولرسوله وللمؤمنين قال النبي صلى الله عليه وسلم الدين النصيحة الدين النصيحة الدين النصيحة قلنا لمن يا رسول الله قال لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم فجعل النبي صلى الله عليه وسلم النصيحة هي الدين لأنها تنتظم فعل المأمورات وترك المنهيات فأما النصيحة لله فهي القيام بحقوقه كلها على وجه المحبة والإخلاص والقيام بنصرة دينه في المال والبيان والسلاح وأما النصيحة لكتاب الله فهي القيام بتلاوته وتفهم معانيه وأن تفسر على ما جاء عن الله على مراد الله وتنشر بين المسلمين ومن النصيحة لكتاب الله امتثال أوامره واجتناب نواهيه والاعتقاد بأن أحكامه مشتملة على العدل والحكمة وأخباره كلها صدق لا تناقض فيها ولا اضطراب وأما النصيحة لرسول الله فهي محبته واتباعه وكثرة الصلاة عليه ونشر أخلاقه الفاضلة في أمته والتعريف بفضله وحقوقه وأنه يجب تقديم محبته على المال والنفس والأهل والناس أجمعين وأما النصيحة لأئمة المسلمين من الولاة فهي الوقوف عند أوامرهم والدعوة إلى طاعتهم ~~وعدم الخروج عليهم وإرشادهم بالحكمة~~ والدعاء لهم بالتسديد والتوفيق وحسن القصد وصلاح العمل والتغاضي عن مثالبهم وإرشادهم بالحكمة ومعاونتهم على مهماتهم وأن لا يخونهم في ما اؤتمنوا عليه من الأعمال وأما النصيحة لعامة المسلمين فهي باب واسع يدخل فيه جميع مرافق الحياة من الولايات والوظائف والأعمال والصناعات

الخطبة الأولى التي كتبها الشيخ - رحمه الله - بخط يده

قال النبي صلى الله عليه وسلم كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته فعلى من تولاه
الله امرا عاما او خاصا ان يرعى مصالح تلك الجهة التي كان واليا عليها
لا يحابي صديقا ولا قريبا ولا يعمل لمصلحة نفسه الخاصة وعلى المعلم أن
يجتهد في تلقين التلاميذ العلوم والاخلاق الفاضلة وان يتخذ
كل وسيلة تقرب الى وصول العلم الى افهامهم وان يمثل امامهم بالتحلي
بالاخلاق الفاضلة فان اقتداء الطالب بعمل المعلم وادابه ابلغ
من اقتدائه بتدريسه واقواله وعلى الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر
ان يكون حكيما في امره حليما في نهيه قاصدا انتفاع اخوانه عاملا بما يأمر به
منتهيا عما ينهى عنه وعلى العمال ان يؤدوا اعمالهم بالتمام والنشاط
والدءوب لا يتكاسلوا او يتشاغلوا عن ذلك بالاحاديث والمزاح وعلى البائع
المشتري ان لا يكتم عيوب السلعة او يظهرها بصفة جميلة ليست
فيها فان ذلك غش وخيانة ومن غشنا فليس منا وعلى الدلالين ان
لا يكذبوا في ثمن السلعة او مشتريها بان يقول احدهم اعطيت فيها
كذا وهو كاذب حتى ولو كان اشتراها بذلك الثمن فلا يحل ان يقول
سمت به فان ذلك ظلم لاخوانه ونشر للناس في ظلم الناس وعلى ذوي
الصنائع من النجارين والحدادين وغيرهم ان ينصحوا فيما يعملوا على
صنعه وان يصدقوا وعدهم لاصحابه فيسلمونه اليه في وقت ميعادهم
من غير مماطلة ولا تأخير فان في ذلك جذب الناس اليهم وارضاء رب
العالمين عباد الله من تمام النصيحة لربنا وكتابه ونبينا وبالنصيحة لولاة
امورنا وعامتنا نكفل الفوز بالجنة واستقامة امورنا وان احد
منا بحس ما ذلك فعلينا ارشاده بالتي هي احسن والله ولي التوفيق
فقد باء بالخيبة والخسران
والاحسان اعوذ بالله من الشيطان الرجيم انا عرضنا الامانة على السموات
والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان انه كان
ظلوما جهولا ليعذب ... بارك الله لي ولكم

اعيدت يوم الجمعة
الموافق ٢٨/٢/١٣٧٧هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة الجمعة الأولى التي ألقاها فضيلة الشيخ

محمد بن صالح العثيمين

رحمه الله تعالىٰ

يوم الجمعة ١٥/ رجب/ ١٣٧٦هـ

الحمد لله الذي شرع لنا من الشرائع أوفاها وأكملها، وحثنا علىٰ ما فيه من صلاح أحوالنا واستقامتها، شرع لنا ديناً يحث علىٰ مكارم الأخلاق وعلىٰ القيام بحقوق المولىٰ وحقوق العباد.

وأشهد أن لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له، الملك الحكيم الوهاب، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أفضل الخلق بلا ارتياب، صلىٰ الله عليه وعلىٰ جميع الآل والأصحاب وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: أيها الناس اتقوا الله تعالىٰ فإن التقوىٰ وصية الله في الأولين والآخرين، وهي السبب الوحيد للنجاة من العذاب الأليم، وهي الدين الذي بناه الله علىٰ النصيحة لله ولرسوله وللمؤمنين، قال النبي ﷺ: **«الدين النصيحة، الدين النصيحة، الدين النصيحة»** قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: **«لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم»** فجعل النبي ﷺ النصيحة لله ولهؤلاء هي الدين، لأنها

تنتظم بها فعل المأمورات وترك المنهيات، فأما النصيحة لله تعالى فهي القيام بحقوقه كلها علىٰ وجه المحبة والإخلاص، والقيام بنصرة دينه في المال والبيان والسلاح.

وأما النصيحة لكتاب الله فهي القيام بتلاوته، وتفهم معانيه، وأن تفسر علىٰ ما جاء عن الله علىٰ مراد الله، وتنشر بين المسلمين، ومن النصيحة لكتاب الله احترامه، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، والاعتقاد بأن أحكامه مشتملة علىٰ العدل، وأخباره كلها صدق لا تناقض فيها ولا اضطراب، والرد على من خالفه أو تعدىٰ فيه.

وأما النصيحة لرسول الله فهي محبته واتباعه، وكثرة الصلاة عليه، ونشر أخلاقه الفاضلة في أمته، والتعريف بفضله وحقوقه، وأنه يجب تقديم محبته علىٰ المال والولد والنفس والأهل والناس أجمعين.

وأما النصيحة لأئمة المسلمين فهي الوقوف عند أوامرهم، والدعوة إلىٰ طاعتهم، والدعاء لهم بالتسديد والتوفيق وحسن القصد وصلاح العمل، والتغاضي عن مثالبهم، وإرشادهم بالحكمة، ومعاونتهم علىٰ مهماتهم، وأن لا يخونهم في ما ولَّوه عليه من الأعمال.

وأما النصيحة لعامة المسلمين فهي باب واسع، يدخل فيه جميع مرافق الحياة من الولايات والوظائف والأعمال والصناعات، قال النبي ﷺ: **«كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»** فعلىٰ من

ولاه الله أمراً عاماً أو خاصاً أن يسعىٰ لمصالح تلك الجهة التي كان والياً عليها، لا يحابي صديقاً ولا قريباً، ولا يعمل لمصلحة نفسه الخاصة، وعلىٰ المعلم أن يجتهد في تلقين التلاميذ العلوم والأخلاق الفاضلة، وأن يتخذ كل وسيلة تقرب إلىٰ وصول العلم إلىٰ أفهامهم، وأن يمثل أمامهم بالتحلي بالأخلاق الفاضلة، فإن اقتداء الطالب بعمل المعلم وآدابه أبلغ من اقتدائه بتدريسه وأقواله.

وعلىٰ الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يكون حكيماً في أمره، حليماً في نهيه، قاصداً نفع إخوانه، عاملاً بما يأمر به، منتهياً عما ينهىٰ عنه، وعلىٰ العمال أن يؤدوا أعمالهم بالتمام والنشاط، وأن لا يتكاسلوا أو يتشاغلوا عن ذلك بالأحاديث والمزاح، وعلىٰ البائع للمشتري أن لا يكتم عيوب السلعة، أو يظهرها بصفة جميلة ليست فيها، فإن ذلك غش وخيانة، ومن غشنا فليس منا، وعلىٰ الدلالين أن لا يكذبوا في ثمن السلعة، أو ينجشوا فيها بأن يقول أحدهم: أعطيت فيها كذا وهو كاذب، حتىٰ ولو كان صاحبها اشتراها بذلك الثمن فلا يحل أن يقول: سيمت به فإن ذلك ظلم لإخوانه، وشر الناس من ظلم الناس. وعلىٰ ذوي الصنائع من النجارين والحدادين وغيرهم أن ينصحوا فيما عوملوا علىٰ صنعه، وأن يصدقوا في وعدهم لصاحبه، فيسلمونه إليه في وقت ميعادهم من غير مماطلة ولا تأخير، فإن في ذلك جذب الناس إليهم وإرضاء رب العالمين.

عباد الله: متىٰ قمنا بالنصيحة لربنا وكتابه ونبينا، وبالنصيحة لولاة أمورنا وعامتنا، فلنا الفوز بالجنة واستقامة أمورنا، وإن أحد منا بخس منا ذلك فقد باء بالخيبة والخسران، فعلينا إرشاده بالتي هي أحسن والله ولي التوفيق والإحسان.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ۝٧٢ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٢-٧٣].

بارك الله لي ولكم... إلخ.

محمد الصالح العثيمين

١٥/ رجب/ ١٣٧٦هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

القسم الأول

العِلمُ والإفتاء

فضلُ العِلم

الحمدُ للهِ الذي فَقّه مَنْ أراد به خيراً في الدين، ورَفَعَ منازلَ العلماءِ فوقَ العالمينَ، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، شَهِدَ لنفسِه بالوحدانيةِ وشَهِدَ بها ملائكتُه والعلماءُ من المؤمنين، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه المبعوثُ هُدًىٰ للعالمين، وقُدْوَةَ للعاملين، وحُجةً علىٰ العباد أجمعين، صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آله وأصحابِه ومَنْ تبعهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدين، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ وتَفَقَّهوا في دينكم، فَمَنْ يُرِدِ اللهُ به خيراً يُفقِّهْه في الدين.

الفقه في الدين معرفة ما أنزلَ اللهُ علىٰ رسولِه من الأحكام بأدلتِها وما يترتبُ عليها من ثوابِها وعقوبتِها، فإنه بمعرفته ذلك يكون المرءُ متعبداً لله علىٰ بصيرة، ونافعاً لعباد اللهِ في عباداتِهم ومعاملاتِهم الدقيقةِ والجليلةِ، ولا شك أنَّ هذا خيرٌ عظيمٌ وفضلٌ جسيمٌ.

في التفقهِ في الدين يرفعُ اللهُ الدرجاتِ ويُجْرِي للعبدِ عملَه في الحياةِ وبعدَ المماتِ، في التفقه في الدين يكون المرءُ وارثاً للأنبياء عليهم الصلاةُ والسلامُ.

في التفقه في الدين يُيَسَّرُ للمرءِ الطريقُ إلىٰ الجنات، والوصولُ إلىٰ ربِّ الأرض والسموات، في التفقه في الدين يكونُ المرءُ من العلماءِ، أهلِ الخشيةِ للهِ والمحسنين إلىٰ عبادِ الله. طالبُ العلمِ تَحُفُّهُ

الملائكةُ بأجنحتِها وتَضَعُها له رِضَاءً بما يطلب، فعن أبي الدرداء رضي اللهُ عنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَنْ سَلَكَ طريقاً يلتمس فيه علماً سهّل اللهُ له به طريقاً إلىٰ الجنة» و«إنَّ الملائكةَ لتَضَعُ أجنحتَها لطالبِ العلمِ رِضاً بما يصنعُ، وإنَّ العالمَ ليستغفرَ له ما في السموات والأرض حتىٰ الحيتانُ في الماءِ» و«فضلُ العالِم علىٰ العابدِ كفضلِ القمرِ علىٰ سائرِ الكواكب» و«إنَّ العلماءَ ورثةُ الأنبياء»، «إنَّ الأنبياءَ لم يُوَرِّثُوا دِرْهماً ولا ديناراً وإنما وَرَّثُوا العلمَ فمَنْ أخذَه أخذَ بحظ وافر»(١) وحتىٰ من علّم عِلْماً فله أجرُ مَنْ عَمِلَ به ولا ينقصُ من أجر العامل شيءٌ، وقال: «إذا مررتم برياضِ الجنةِ فارْتَعُوا» قالوا: يا رسولَ الله وما رياضُ الجنة، قال: «مجالسُ العلم»(٢) وفي رواية «حِلَقُ الذِّكْرِ»، وكان ابن مسعود رضي الله عنه إذا ذكر هذا الحديث، قال: أما إنّي لا أعني القُصّاص ولكن حِلَقُ الفقهِ(٣).

وفي مُسْنَدِ الإمامِ أحمد عن قَبيصةَ رضي اللهُ عنه قال: أتيت النبيَّ ﷺ فقال: «ما جاء بك»؟ فقلت: كَبُرَ سني، ورقَّ عظمي،

---

(١) أخرجه بطوله أحمد ٥/ ١٩٦، وأبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢)، وابن ماجه (٢٢٣)، عن أبي الدرداء رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد ٣/ ١٥٠، وأبو يعلى (١٨٦٥)، والطبراني في «الكبير» (١١١٥٨)، والحاكم ١/ ٤٩٤، وأخرجه الترمذي (٣٥٠٩) بلفظ: وما رياض الجنة، قال: المساجد.

(٣) انظر كتاب «الآثار» للقاضي أبي يوسف إبراهيم بن يعقوب ١/ ٢١٧.

وأتيتك لتعلمني ما ينفعني اللهُ به، قال: «ياقبيصةُ ما مَرَرْتُ بحجرٍ ولا شجرٍ ولا مَدَرٍ إلا استغفرَ لك»(١).

فهذه الأحاديثُ وأمثالُها وأضعافُها كلُّها دالةٌ علىٰ فضلِ العلمِ الشرعي، تعلُّمِهِ وتعليمِهِ، كيف لا يكونُ العلمُ بهذا الفضلِ وفيه حفظُ دينِ الرسول ﷺ، وكيف لا يكونُ بهذه المنزلةِ الرفيعةِ، وبسببه يحصلُ كلُّ خيرٍ مأمولٍ، واعلموا رَحِمَكم اللهُ أن مَنْ حضر منكم مَجْلِساً واحداً من مجالس العلمِ فاستفاد مسألةً عَمِل فيها وعلَّمَها إخوانَه، فإنه يُحَصِّلُ خيراً كثيراً ويَجْرِي له أجرُها، وأجرُ مَنْ عَمِلَ بها إلىٰ يوم القيامة، مع ما في ذلك من الأجرِ العظيمِ لمَنْ حضرَ مجالسَ العلمِ، ولا تظنوا أنّ فَضْلَ العلمِ لا يحصلُ إلا لمَنْ تَفقَّهَ كثيراً، فإن اللهَ تعالىٰ سوف يَجْزي كلَّ عاملٍ بعلمه وإنْ قَلَّ، ولا يُظلمون نَقِيراً. قال النبيُّ ﷺ: «بلِّغُوا عني ولو آية»(٢)، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) أخرجه أحمد ٥/ ٦٠.

(٢) جزء من حديث أخرجه البخاري (٣٤٦١) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

فضلُ العلم

الحمدُ للهِ الذي رَفع العلماء العاملين درجاتٍ، وأعدَّ لهم الثوابَ الجزيلَ في دارِ الكراماتِ، ورفَعَ لهم ذِكْرَهم، وأعزَّ لهم شَأْنَهم في الحياةِ وبعدَ المماتِ. ونشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له، في الألوهية والربُوبيةِ، والأسماءِ والصفاتِ. ونشهدُ أنّ محمداً عبدُه ورسولُه، المصطفىٰ من المخلوقاتِ. صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلهِ، وأصحابِه والتابعين لهم بإحسان مدىٰ الأوقاتِ، وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا الله، وابتغوا إليه الوسيلةَ، واحْرِصُوا علىٰ تلَقِّي العلومِ الشرعيةِ وتَفَهُّمِها، تَنالُوا بذلك الأجور الكثيرةَ وتَعَبَّدوا الله علىٰ علمٍ وبصيرةٍ، فإنّ الأنبياءَ صلواتُ اللهِ وسلامُه عليهم، لم يُورِّثوا دِرْهماً ولا ديناراً، وإنما وَرَّثُوا العلمَ، فمن أخذَه أخذَ بحظٍّ وافرٍ من ميراثِ الأنبياءِ، فلو سألتم: مَنْ وَرَثةُ الأنبياءِ لكان الجواب: ورثةُ الأنبياءِ هُمُ العلماءُ[(١)].

إخواني، لقد كثُرَ الجهلُ وانتشرَ انتشاراً كبيراً، حتىٰ قَلَّ العلماءُ، فصاروا يُعَدُّون بالأصابع، وهذا يُؤْذِنُ بخطرٍ عظيمٍ، فإنّ هذه الأمةَ ما دام فيها ميراثُ نبيِّها، فهي بخيرٍ، فإن فُقِدَ منها والعياذُ بالله، فسلامٌ علىٰ دينِها وإيمانِها.

---

(١) أخرجه بطوله أحمد ٥/١٩٦، وأبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢)، وابن ماجه (٢٢٣)، عن أبي الدرداء رضي الله عنه.

أيها المسلمون: تَعلّمُوا دِينَكم، واعْمَلُوا بما عَلِمْتُم، وتَتَبَّعُوا مجالسَ الذكرِ، فإنّها رِياضُ الجنةِ، قال النبي ﷺ: «إذا مَرَرْتُم برياضِ الجنةِ فارْتَعُوا» قالوا: يا رسولَ اللهِ، وما رِياضُ الجنة؟ قال: «مجالسُ العلم»(١) وقال ﷺ: «مَنْ سلك طريقاً يَلْتَمِسُ فيه عِلماً، سهَّلَ اللهُ له به طريقاً إلىٰ الجنة»(٢)، «وما اجتمعَ قَوْمٌ في بيتٍ من بيوتِ اللهِ يتلون كتابَ اللهِ ويتَدارَسُونَه بينَهم، إلا نَزلَتْ عليهم السكينةُ، وغَشِيتْهم الرحمةُ، وحَفَّتهم الملائكةُ، وذَكَرَهم اللهُ فيمَنْ عندَه»(٣). وقال النبي ﷺ: «مَنْ يُرِدِ اللهُ به خيراً يُفَقِّهْهُ في الدين»(٤).

فيا عبادَ الله: اطْلُبُوا الخيرَ، اسْلُكوا سُبُلَ الجنةِ، ارتعوا في رياضِها. اطْلُبوا العلمَ واجتهدوا في طَلَبِه، اطلبوا العلمَ الذي وَرَّثَه نبيُّكم ﷺ، قبل أن يفوتَ الزمنُ، ويَسْتَفْحِلَ الجهلُ، ويَعْظُمَ الخطرُ اطلبوا العلمَ فإنه شَرَفٌ في الدنيا وذُخْرٌ وأجْرٌ في الآخرة. وإن الإنسانَ إذا مات انقطع عملُه إلا من ثلاثٍ: صدقةٍ جاريةٍ، أو علمٍ يُنتفَعُ به مِنْ بعدِه، أو ولدٍ صالحٍ يدعو له.

---

(١) أخرجه أحمد ٣/ ١٥٠، وأبو يعلىٰ (١٨٦٥)، والطبراني في «الكبير» (١١١٥٨)، والحاكم ١/ ٤٩٤، وأخرجه الترمذي (٣٥٠٩) بلفظ: وما رياض الجنة، قال: المساجد.

(٢) أخرجه بطوله أحمد ٥/ ١٩٦، وأبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢)، وابن ماجه (٢٢٣)، عن أبي الدرداء رضي الله عنه.

(٣) جزء من حديث أخرجه مسلم (٢٦٩٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري (٧١)، ومسلم (١٠٣٧) من حديث معاوية رضي الله عنه.

لقد كان السلفُ الصالحُ رضوانُ الله عليهم يُنفقون أموالَهم، ويبذلون نفائسَ أعمارِهم، ويكدحون ليلهم ونهارَهم، ليُحصِّلوا العلمَ، وينالوه، وينفعوا به الأمةَ. ولَعَمْرُ اللهِ لقد رَبِحُوا أعْظَم رِبْحٍ، وفازوا بسعادةِ الدنيا والآخرةِ، فلقد رَحَلَ جابرُ بْنُ عبدِ اللهِ رضي اللهُ عنه، إلىٰ عبدِ اللهِ بْنِ أُنَيْسٍ، في حديثٍ واحدٍ مسيرةَ شهرٍ، وكانوا يرحلون الأيامَ والليالِيَ ذواتِ العددِ، في طلَبِ الحديثِ. وقال عمرُ ابْنُ الخطابِ رضي اللهُ عنه: كنت أنا وجارٌ لي من الأنصار، في بني أمية ابْنِ زيدٍ، وهي من عَوَالي المدينةِ، وكنا نتناوبُ النزولَ علىٰ النبي ﷺ، ينزلُ يوماً وأنزلُ يوماً، فإذا نزلتُ جئتُه بخبرِ ذلك اليومِ من الوحيِ وغيره، وإذا نزلَ فعلَ مِثْلَ ذلك، هكذا كان السلفُ الصالحُ، يرحلون ويتناوبون بينَ طلبِ العلمِ، وتحصيلِ معاشِهم، لِمَا يعلمون في العلمِ من محبَّةِ الله له، ومن الخيرِ والأجرِ الكثير في طلبه، حتىٰ جاء في الحديث أن النبيَّ ﷺ، قال: «**يا أبا ذَرّ لأَنْ تَغْدُوَ فتعلمَ آيةً من كتابِ اللهِ خَيْرٌ لك من أن تُصَلِّيَ مئة ركعةٍ، ولأنْ تَغْدُو فتعلمَ باباً من العلمِ عُمِلَ به أو لم يُعْمَلْ، خَيْرٌ لك من أنْ تُصَلِّيَ ألفَ ركعةٍ**»(١). وقال الإمام أحمدُ رحمه اللهُ: طلبُ العلمِ أفضلُ الأعمالِ لمن صحَّتْ نيتُه. وقال: العلمُ لا يَعْدِلُه شيءٌ. وقال: تَذَاكُرُ بعضِ ليلةٍ أَحَبُّ إليَّ من إحيائها.

أيها الإخوانُ: إنَّ لطلبِ العلمِ طُرُقاً عديدةً منها أن تأخذَ كتاباً من الكتبِ المعتمدةِ التي يُوثَقُ بها، فتَدْرُسَها وتتعلمَها، وتسألَ أهلَ

(١) أخرجه ابن ماجه (٢١٩) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

العلمِ، عما أشكَلَ عليك، وهذا أمرٌ يسيرٌ تستطيع إدراكَه حتىٰ في بيتِك، وأوقاتِ فراغِك، ومنها أن تَحْضُرَ إلىٰ المساجد لحضور الدروس التي تُلقىٰ فيها من إمام المسجد أو غيره، ولذلك ينبغي لأئمة المساجد أن يَحْتَسِبُوا الأجرَ والخيرَ، ويقرأوا للناس ما فيه نفعُهم وتوجيهُهم لخيرِ الدنيا والآخرةِ، فإن ذلك من نَشْرِ العلمِ، ولْيجتهدُوا في اختيار الكتب النافعة، التي تُناسِبُ حال المستمعين.

أيها المسلمون: لا أَظُنُّ مَنْ سَمِعَ ما ذكرنا في فَضْلِ العلمِ، وهو قليلٌ من كثيرٍ، إلا أن يبذلَ جُهْدَه، ويَحْرِصَ غايةَ الحِرْصِ لحضورِ مجالسِ العلم، فإن مسألةً يفهمُها وينتفعُ بها، ويُعلِّمُها غيرَه، خيرٌ من الدُّنيا وما فيها، وأجرٌ له مستمرٌ في حياته وبعدَ موتِه.

أيها المسلمون: لا يَصُدَّنَّكم الشيطانُ عن طَلَبِ العلمِ وحضورِ الذكر، لا تُضَيِّعُوا أوْقَاتَكُمْ فيما لا خَيْرَ لكم فيه، وتتركوا حُضُورَ ما هو خَيْرٌ لكم.

أيها المسلمون: استمعوا إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ٩] ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفرُ الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنَّه هو الغفور الرحيم.

فضلُ العلم

الحمدُ للهِ الذي علَّم بالقلمِ، علَّم الإنسانَ ما لم يعلمْ، فهو الرحمٰن الذي علَّم القرآنَ، خلقَ الإنسانَ علَّمـه البيانَ، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، المَلِكُ الكريـمُ المنـانُ، وأشهد أنَّ محمداً عبدُه ورسولُـه المصطفىٰ علىٰ بني الإنسـانِ صلىٰ الله عليه وعلىٰ آلهِ وأصحابِه والتابعين لهم بإحسانٍ، وسلَّم تسليماً كثيراً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا الله تعالىٰ وتفقهوا في دين الله لتعبدُوا اللهَ علىٰ بصيرةٍ، فإنَّه لا يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون، ومَنْ يُرِدِ اللهُ به خيراً يُفَقِّهْهُ في الدين فالفقهُ في الدين نورٌ يسيرُ به العبدُ إلىٰ ربِّه في عقيدتِه وعبادتِه، وأخلاقِه ومعاملته، به يَعرِفُ العبدُ ما يعتقده في ربه، وبه يعرفُ العبدُ كيف يعبدُ ربَّه، وبه يعرفُ كيف يتوضأ وكيف يغتسلُ، به يعرفُ كيف يصلي وكيف يزكي وكيف يصومُ وكيف يحجُّ، به يميزُ بين الحقِّ والباطلِ، بين الحلالِ والحرامِ، بين الواجب والمسنونِ، بين الصحيحِ والفاسدِ، به يعرفُ كيف يُخالقُ الناسَ، كيف يَبَرُّ والديه، كيف يصلُ أرحامَه (أي أقاربه)، كيف يعاملُ صديقَه وكيف يجازي عدوَّه. بالعلم يعرفُ كيف يعاملُ الناسَ في البيع والتأجير، والرهن والضمان، والقضاءِ والاقتضاء، فرَحِمَ اللهُ امرأً سَمْحاً إذا باع، سَمْحاً إذا

اشترى، سَمْحاً إذا قضىٰ، سَمْحاً إلى اقتضىٰ[1]، بالعلم يعرفُ الحقَّ الذي عليه فيعطِيه، وبه يعرفُ الحقَّ الذي له فيطلبُه أو يتسامحُ فيه، بالعلم يعرفُ كيف يوصِي وكيف يُسْبِلُ، وكيف يَنْكِحُ وكيف يُطَلِّقُ، بالعلم يسيرُ الموفَّقُ بأمتِه في نورِ العلمِ والرشادِ إذا تراكمت ظلماتُ الجهلِ والفتنِ والفسادِ، يهديهم إلىٰ الصراط المستقيم، ويبين لهم المنهجَ القويمَ، فما اكتسب كاسِبٌ مالاً ولا جاهاً ولا رئاسةً أفضلَ وأعلىٰ شأناً من العلم ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١] و«مَنْ سلَكَ طريقاً يلتمسُ فيه عِلْماً سهَّلَ اللهُ له به طريقاً إلىٰ الجنة»[2].

أيها الناس: مَن استطاع منكم أن يتفرغَ لطلب العلم وتحصيله فذلك أفضلُ، وتلك نعمةٌ كبرىٰ وغنيمة فُضلىٰ وإنَّ التفرغَ لطلبِ العلمِ ليتأكدُ في هذا الزمانِ الذي قلَّ فيه الفقهاءُ في دين الله، وكثُر فيه طَلَبُ الدنيا والإقبالُ عليها من أكثرِ الناس، ومن لم يستطع أن يتفرغَ لطلب العلمِ فليستمع إلىٰ العلمِ ولْيجلسْ إلىٰ أهلِه فيَستفيد منهم ويُفيدَ غيرَه ومن ثَمَّ ينبغي لأهلِ العلمِ أن يستغلوا فرصةَ جلوسِهم مع الناسِ فيعلموهم ويفتحوا لهم بابَ المسألةِ والمناقشةِ

---

(١) أخرجه أحمد ٣/٣٤٠، والبخاري (٢٠٧٦)، وابن ماجه (٢٢٠٣)، والترمذي (١٣٢٠) من حديث جابر رضي الله عنه وألفاظهم متقاربة.

(٢) أخرجه أحمد ٥/١٩٦، وأبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢)، وابن ماجه (٢٢٣)، عن أبي الدرداء رضي الله عنه.

لتكونَ مجالسُهم مجالسَ مفيدةً، ومن لم يستطعِ الاستماعَ إلىٰ العلمِ والجلوسَ إلىٰ أهلِه فلا أقلَّ مِن أن يسألَ عن الأمور التي لا يسعُـه جهلُهـا في دينه ودنياه. ومن استفتىٰ عالماً واثقاً بعلمه وأمانتِه فأفتاه فليأخذْ بما أفتاه به، ولا يتبع هواه في هذا، فيرفضُ ما أفتاه به إذا لم يناسبْه، ويذهبُ إلىٰ عالمٍ آخرَ وثانٍ وثالثٍ حتىٰ يُفْتَىٰ بما يهوىٰ، فإن هذا من تَتَبُّعِ الرخص والتلاعب بدين الله واتباع الهوىٰ دون الهدىٰ، لكن إنْ تبينَ له بمجالسةِ العلماءِ أن ما أفتاه به المفتي مخالفٌ لما دل عليه الكتابُ والسنةُ فله أن يعدلَ عن الفتوىٰ، بل يجبُ عليه ذلك إلىٰ ما دل عليه الكتابُ والسنةُ، وكذلك لو استفتىٰ شخصاً ليس في بلده أحدٌ أولىٰ منه، وفي نيته أنه إذا حَصَّل مَنْ هو أعلمُ منه استفتاه لكنه استفتىٰ مَنْ في بلدِه للضرورةِ فلا بأسَ حينئذٍ أن يستفتي من هو أعلم لأن استفتاءه الأولُ كان للضرورة.

أيها الناسُ: إننا في هذه الأيامِ علىٰ أبوابِ عامٍ دراسيٍّ جديدٍ أسألُ اللهَ تعالىٰ أن يجعله عامَ خيرٍ وبركةٍ وتحصيلٍ للعلمِ النافعِ، وإنني بهذه المناسبةِ أُوَجّه ما تَبَقّىٰ من خُطْبَتِي هذه إلىٰ ثلاثةِ أصنافٍ من الناس: أُوَجِّهُه إلىٰ المُعلِّمين وإلىٰ المتعلمين وإلىٰ أولياءِ أمورِ المتعلمين.

أما المُعلِّمون فإنَّ من أهم ما يتعلق بهم أن يَحْرِصُوا علىٰ إدراك العلوم التي يُلْقُونَها إلىٰ الطلبة، وأن يهضموها هضماً جيداً قبل أن

يقفوا أمامَ الطلبةِ، حتىٰ لا يقعَ الواحدُ منهم في حَيْرةٍ عندَ الشرحِ أو المناقشةِ، لأن مِنْ أعظمِ مقوماتِ شخصيةِ المدرسِ أمامَ طلبتِه أن يكون قوياً في علمِه وملاحظتِه، ولا تنقص قوتُه العلميةُ في تقويةِ شخصيتِه عن قوةِ ملاحظتِه. إنَّ المُعلِّمَ إذا قام أمامَ الطلبةِ دون أن يهضِمَ المادةَ كان ذلك نقصاً في أداءِ أمانتِه، وسبباً في ارتباكِه حينَ الشرحِ أو المناقشة، وإذا ارتبكَ أمامَ الطلبةِ فلا تسأل عن انحطاط منزلتِه بينَهم، ثم إن أجاب بالخطأ فلن يَثِقُوا به بعد ذلك، وإن تَعَسَّفَ وانتهرهم عند مناقشتِهم إياه وسؤالِه فلن ينسجمَ معهم وستضيعُ الفائدةُ بينهم، إذن فلا بُدَّ للمعلم من إعدادٍ واستعدادٍ، وتحملٍ وصَبْرٍ، وعلىٰ المعلم أيضاً أن يَحْرِصَ علىٰ حُسْنِ الإلقاء، فيسلكَ أقربَ الطرقِ في إيصال المعاني إلىٰ أفهامِ الطلبةِ، ويضربَ الأمثالَ ويناقشهم فيما ألقاه إليهم سابقاً، ليكونوا علىٰ صِلةٍ بالماضي ويَبْنُوا عليه الحاضرَ، ويعلموا أن هناك حِرْصاً ومتابعةً من المعلم، وعلىٰ المعلم أيضاً أن يكون حسنَ النية والتوجيه، فينوي بتعليمه الإحسانَ إلىٰ طلبته وإرشادهم إلىٰ ما ينفعهم في أمور دينهم ودنياهم، وليجعل نفسَه لهم بمنزلة الأب الرحيم ليكون له أثرٌ بالغ في نفوسهم ومحبةٌ في قلوبهم، وعلىٰ المعلم أيضاً أن يظهرَ أمامَ الطلبةِ بالمظهرِ اللائقِ من الأخلاقِ الفاضلةِ والآداب العاليةِ التي أساسُها التمسكُ بكتابِ الله تعالىٰ وسنةِ رسولِه ﷺ، ليكون قدوةً لتلاميذِه في العلمِ والعملِ، وينالَ الأجرَ بذلك من

اللهِ عزّ وجل، والتلميذُ يتلقىٰ من معلمه الأخلاقَ والآدابَ أكثرَ مما يتلقاه من العلم من حيثُ التأثر به، لأن أخلاقَ المعلمِ وأعمالَه صورةٌ مشهودةٌ معبرةٌ عما في نفسِه، ظاهرةٌ في سلوكِه، فتنعكس هذه الصورةُ تماماً علىٰ إرادات التلاميذ واتجاههم.

وأما المتعلمون فالمطلوبُ منهم أن يبذلُوا غايةَ جُهْدِهم في التعلُّمِ من أولِ العامِ حتىٰ يُدركوا المعلوماتِ إدراكاً حقيقياً ناضجاً ثابتاً في قلوبِهم راسخاً في نفوسِهم. أيها المتعلمون إنكم إذا حَرَصْتُم من أولِ العامِ أدركتم العلومَ شيئاً فشيئاً، فسَهُلَتْ عليكم ورسَخَتْ في نفوسِكم واسترحتم في آخرِ العام، أما إن أهملتم أولَ العامِ فسوف تتراكمُ عليكم الدروسُ ويوشك أن لا تدركوها في آخر العام فتضيعَ عليكم السنةُ بأكملها.

وإذا كان علىٰ المعلمين والتلاميذ واجباتٌ تجبُ مراعاتها فعلىٰ عمداءِ دُورِ العلمِ ومديريها ورؤسائِها أن يَرْعَوْا مَنْ تحتَ أيديهم من المعلمين والتلاميذِ وغيرِهم في تطبيقِ الواجبِ لأنهم مسؤولون عنهم.

وأما أولياءُ أمورِ المتعلمين من الآباءِ والأمهاتِ والإخوةِ وغيرهم من أهلِ الولايةِ فعليهم أن يتفقدوهم، ويراقبوا سيرَهم ونهجَهم العلميَّ والعمليَّ والفكريَّ والخُلُقيَّ، وأن لا يتركوهم هَمَلاً فيضيعوا، فإن إهمالهم ظلمٌ وضياعٌ وغفلةٌ عما أمر اللهُ به في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ

شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦]، وتخلٍّ عن المسؤوليةِ التي حَمَّلَها النبيُّ ﷺ أُمتَه في قوله: «الرجلُ راعٍ في أهلِه ومسؤولٌ عن رعيتِه»(١)، اللهم وَفِّقْنا لأداءِ الأمانةِ وأعِنَّا علىٰ القيامِ بمسؤوليتِنا في حقوقِك وحقوقِ عبادِك، واغفرْ لنا ولوالِدينا ولجميعِ المسلمين إنك أنت الغفورُ الرحيمُ.

* * *

(١) جزء من حديث أخرجه البخاري (٨٩٣)، ومسلم (١٨٢٩) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

الحثّ على طلب العلم

إنَّ الحمدَ للهِ نَحْمَدُه ونستعينه ونستغفرُه ونتوبُ إليه، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا، مَن يهدِه اللهُ فلا مضلَّ له، ومن يُضْلِلِ فلا هاديَ له، وأشهد أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأشهد أن محمداً عبدُه ورسولُه، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آلهِ وأصحابِه ومَنْ تَبِعَهم بإحسانٍ وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ وتَفقَّهُوا في دينِكم، في عقائِده وأحكامِه، فإن مَنْ يُرِدِ اللهُ به خيراً يُفقِّهْهُ في الدين، تعلموا شرائعَ اللهِ تعالىٰ لتعبدُوه علىٰ بصيرةٍ وتدعوا إليه علىٰ بصيرةٍ، فإنه لا يستوي الذين يعلمون والذين لايعلمون. اطلبوا العلمَ فإن العلمَ نورٌ وهدايةٌ، والجهلَ ظلمةٌ وضلالة. اطلبوا العلمَ فإنه مع الإيمان رِفعةٌ في الدنيا والآخرة، قال الله تعالىٰ: ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ ﴾ [المجادلة: ١١]، اطلبوا العلمَ فإنه ميراثُ الأنبياء، فإن الأنبياءَ لم يُوَرِّثوا درهماً ولا ديناراً، قال النبيُّ ﷺ: **«إنّا مَعْشَرَ الأنبياءِ لا نُورثُ»**(١). **«وإنَّما ورثوا العلمَ فمَنْ أخذَه فقد أخَذَ بحظٍّ وافرٍ من ميراثِهم»**(٢) اطلبوا العلمَ فإنه ذُخرٌ لكم في الحياةِ

---

(١) أخرجه أحمد ٢/٤٦٣ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد ٥/١٩٦، وأبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢)، وابن ماجه (٢٢٣)، عن أبي الدرداء رضي الله عنه.

وبعدَ المماتِ. قال النبي ﷺ: «**إذا مات الإنسانُ انقطعَ عملُه إلا من ثلاث إلا من صدقةٍ جاريةٍ أو علمٍ يُنتفعُ به أو ولدٍ صالحٍ يدعو له**»(١).

اطلبوا العلمَ يكن لكم لسانَ صِدْقٍ في الآخرين، فإن آثارَ العلمِ تَبقَىٰ بعد فناء أهلِه. فالعلماءُ الربانيونَ لم تزلْ آثارُهم محمودةً وطريقتُهم مأثورةً وسعيُهم مشكوراً وذِكْرُهم مرفوعاً، إنْ ذُكِرُوا في المجالس امتلأت المجالسُ بالثناء عليهم والدعاء لهم، وإن ذكرت الأعمالُ الصالحةُ والآداب العاليةُ كانوا قُدوةَ الناس فيها ﴿**أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا**﴾ [الأنعام: ١٢٢].

اطلبوا العلمَ مُبْتغِينَ به الأجْرَ من اللهِ عز وجل، لا لتنالوا عَرَضاً من الدنيا، فإن مَنْ تعلَّمَ عِلْماً مما يُبتغىٰ به وجهُ الله عز وجل لا يتعلمُه إلا لِيُصِيبَ به عَرَضاً من الدنيا لم يَجِدْ عَرفَ الجنةِ يومَ القيامة يعني: رِيحَها اطلبوا العلمَ لترفعوا به الجهلَ عن أنفسِكم، فإنَّ اللهَ أخرجكم من بطونِ أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمعَ والأبصارَ والأفئدةَ لعلكم تشكرون، ولا عِلمَ إلا بالتعلّمِ.

اطلبوا العلمَ لترفعوا به الجهلَ عن عبادِ الله فتنشروا العلمَ بينَ الخَلْق، فإن علىٰ أهلِ العلمِ حقَّ تبليغِه، قال النبي ﷺ: «**بلِّغُوا عَنِّي**

---

(١) أخرجه أحمد ٢/ ٣٧٢، ومسلم (١٦٣١)، وأبو داود (٢٨٨٠)، والترمذي (١٣٧٦)، وابن ماجه (٢٤٢)، والنسائي ٦/ ٢٥١ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ولو آيةً»[١] وقال: «ليُبلِّغِ الشاهدُ منكم الغائبَ»[٢].

اطلبوا العلمَ لتحفظوا به شريعة اللهِ تعالىٰ، فإنَّ الشريعةَ تُحْفَظُ بشيئين الكتابةِ والحفظِ في الصدور وهو العلمُ. اطلبوا العلمَ لتُدَافِعُوا به عن شريعةِ الله، فإن الدفاعَ عن الشريعةِ إنما يكون برجالِها، أرأيتم لو أن رجلاً ضالاً مبتدعاً أو مُلْحِداً أو مُحَرِّفاً قام يدعو إلىٰ ضلالةٍ بينَ قومٍ لا عِلمَ عندَهم فهل يستطيعُ أحدٌ منهم أن يُبيِّنَ ضلالتَه ويحميَ الشريعةَ من عُدْوانه؟ ولو قام هذا الضالُّ يدعو إلىٰ ضلالتِه وحولَه مِنْ كُتُبِ الحقِّ والهُدَىٰ ما لا يُحْصَىٰ، فإنَّ هذه الكتبَ لن يقفز، منها كتابٌ واحدٌ يبيِّن ضلالتَه ويَكْبَحُ عُدْوانَه، ولو قام هذا الضالُّ يدعو إلىٰ ضلالتِه في قومٍ بينهم عالِم لقام هذا العالمُ مبيناً ضلالَه داحضاً حُجَّتَه مُبْطِلاً لدعوتِه.

اطلبوا العلمَ لتدعوا به إلىٰ اللهِ تعالىٰ فإن الدعوةَ إلىٰ اللهِ لا تتمُّ بدونِ العلمِ، وكَمْ مِنْ شخصٍ نَصَّبَ نفسَه داعيةً إلىٰ اللهِ لكنه لا عِلمَ عندَه، فلا تكملُ دعوتُه ولا تتمُّ. وربما تكلمَ عن جهلٍ فأفسدَ أكثرَ مما يُصْلِحُ، قال الله تعالىٰ لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِىۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

---

(١) جزء من حديث أخرجه البخاري (٣٤٦١) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه البخاري (١٠٥)، ومسلم (١٦٧٩) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه.

أيها الناسُ: إنَّ طلبَ العلمِ مِن أفضلِ الأعمالِ لما فيه من هذه المطالبِ العالية، لا سِيَّما في وقتنا هذا الذي كَثُرَ فيه طلبُ الدنيا والتكالبُ عليها، وكثُرَ فيه القراءُ العارفون دون الفقهاءِ العاملين.
إنّ ثمرةَ العلمِ العملُ والدعوةُ إلىٰ اللهِ به، فمَنْ لم يعملْ بعلمه كان علمُه وبالاً عليه، ومَنْ لم يَدْعُ الناسَ به كان علمُه قاصراً عليه. مَنْ عَمِلَ بما عَلِمَ وَرَّثَهُ اللهُ عِلمَ ما لم يَعْلَمْ ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾ [محمد: ١٧] ومَنْ تركَ العملَ بما عَلِمَ أوشكَ أن يُنْزَعَ عنه العلمُ ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ﴾ [المائدة: ١٣]، وقد قيل: العِلْمُ يَهْتِفُ بالعملِ فإن أجابَ وإلا ارتحلَ، وقيل: قيِّدُوا العلمَ بالعملِ كما تقيدونه بالكتابة.

أيها الناسُ: إنَّ لِنَيْلِ العلمِ طريقين:

أحدَهما: أن يُتَلَقَّىٰ ذلك من الكتبِ الموثوقِ بها، والتي ألَّفها علماءُ مرضيون بعلمِهم وأمانتِهم.

والثاني: أن يُتَلَقَّىٰ ذلك من مُعلِّمٍ موثوقٍ به عِلْماً وديانةً، ولكن هذا الطريقَ أسلمُ وأسرعُ وأثبتُ للعِلْمِ، لأن الطريقَ الأولَ طريقُ التلقي من الكتبِ قد يَضِلُّ فيه الطالبُ وهو لا يَدْرِي، إما لسوءِ فهمِه أو قُصُورِ علمه أو لغير ذلك، ولأن الطريقَ الثانيَ تكون فيه المناقشةُ والأخذُ والردُّ فينفتحُ للطالبِ بذلك أبوابٌ كبيرةٌ في الفهمِ والتحقيقِ وكيفيةِ الدفاعِ عن الأقوال الصحيحةِ، وردِّ الأقوالِ

الضعيفةِ. وإذا جمع الطالبُ بين الطريقتين التلقي من الكتب ومن المعلمين كان ذلك أكملَ وأتمَّ.

ولْيبدأ الطالبُ بالأهمِّ فالأهمِّ، وبمختصراتِ العلوم قبلَ مُطَوَّلاتِها حتىٰ يكونَ مُتَرَقِّياً من درجةٍ إلىٰ ما فوقَها فلا يصعدُ إلىٰ درجةٍ إلا وقد تمكن مما تحتَها ليكونَ صعودُه سليماً.

أيها الناسُ: إن طلبَ العلمِ فَرْضُ كفايةٍ، فالقائمُ به قائمٌ بفرضٍ وما تقرَّب أحدٌ إلىٰ اللهِ تعالىٰ بشيءٍ أحبَّ إليه مما افترضَه عليه، وإذا احتاج الإنسانُ إلىٰ نوعٍ منه كان فرضَ عينٍ عليه، فعلىٰ من أرادَ الوضوءَ أن يتعلمَ كيف يتوضأ، وعلىٰ من أرادَ الصلاةَ أن يتعلمَ كيف يُصلي، وعلىٰ مَنْ عنده مالٌ أن يتعلمَ كيف يُزَكِّيه، وعلىٰ من أراد الصومَ أن يتعلمَ كيف يصومُ، وماذا يصوم عنه، وعلىٰ من أراد الحجَّ أن يتعلمَ كيف يحجُّ حتىٰ يعبدَ اللهَ علىٰ بصيرةٍ وبرهانٍ.

وفقني اللهُ وإياكم للهدىٰ والرشادِ وجنَّبنا الضلالَ والفسادَ، اللهم علِّمنا ما ينفعُنا وانفعنا بما علَّمْتَنا وزِدْنا علماً يا ربَّ العالمين.

* * *

الحثّ علىٰ العِلم والعمل به

الحمدُ للهِ الذي خلق السمواتِ والأرضَ، وجعل الظلماتِ والنورَ، والحمدُ للهِ الذي فضَّلَ العلمَ علىٰ الجهلِ، فقال: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩]، ونشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، العليمُ بمَنْ يصلحُ للعلمِ والدين. ونشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه، القائلُ: «**مَنْ يُرِدِ اللهُ به خيراً يُفقِّهه في الدين**»[١] صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله، وأصحابِه ومَنْ تَبِعَهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدين، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ، وتعلموا أحكامَ شريعتِه، بطلبِ العلمِ النافعِ، فإن العلمَ نورٌ وهُدًى، والجهلَ ظلمةٌ وضلال. تعلموا ما أنزلَ اللهُ علىٰ رسولِه من الوحي، فإن العلماءَ ورثةُ الأنبياء. الأنبياءُ ما ورَّثوا درهماً ولا ديناراً، وإنما وَرَّثُوا العلمَ، فمَنْ أخذه أخذ بحظٍّ وافرٍ من ميراثِهم. تَعلَّمُوا العلمَ، فإنه رِفعةٌ في الدنيا والآخرة، وأجرٌ مستمرٌّ إلىٰ يومِ القيامة، قال اللهُ تعالىٰ: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١]، وقال النبي ﷺ: «**إذا مات العبدُ انقطع عملُه إلا من ثلاثٍ، صدقةٍ**

---

(١) أخرجه البخاري (٧١)، ومسلم (١٠٣٧) من حديث معاوية رضي الله عنه.

جاريةٍ، أو عِلْمٍ يُنتفعُ به مَنْ بعدَه، أو ولدٍ صالحٍ يدعو له»[١]. انظروا إلىٰ آثارِ العلماءِ الربانيينَ، لم تزلْ موجودةً إلىٰ يومنا هذا، طوالَ الشهورِ والسنينَ آثارهم محمودةٌ، وطريقتُهم مأثورةٌ، وذِكرُهم مرفوعٌ، وسعيُهم مشكورٌ. إنْ ذُكِرُوا في المجالسِ، تَرَحَّمَ الناسُ عليهم، ودَعَوْا لهم، وإنْ ذُكِرَتِ الأعمالُ الصالحةُ والآدابُ العاليةُ فهم قُدْوَةُ الناس فيها.

أيها الناسُ: تعلَّمُوا العلمَ واعْمَلُوا به، فإنَّ تَعَلُّمَ العلمِ جهادٌ في سبيلِ اللهِ، والعملُ به نورٌ وبصيرةٌ من اللهِ ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢].

أيها الناسُ: إننا علىٰ أبوابِ عامٍ دراسيٍّ جديدٍ، يستقبلُ فيه المتعلمونَ ما يُلْقَىٰ إليهم من العلومِ، ويستقبلُ فيه المعلمون، مَنْ يتلَقَّىٰ عنهم العلومَ والآدابَ والأخلاقَ، فيَا لَيْتَ شِعْرِي ماذا أعدَّ كلُّ واحدٍ منهم لما يستقبله؟ إنَّ علىٰ المتعلمين أن يُعِدوا لهذا العامِ الجِدَّ والنشاطَ، وأن يَحْرِصُوا ما استطاعوا علىٰ تحصيلِ العلمِ من كلِّ طريقٍ وبابٍ، وأن يَبْذُلُوا غايةَ الجُهْدِ، لرسوخِ العلومِ في

---

(١) أخرجه أحمد ٢/ ٣٧٢، ومسلم (١٦٣١)، وأبو داود (٢٨٨٠)، والترمذي (١٣٧٦)، وابن ماجه (٢٤٢)، والنسائي ٦/ ٢٥١ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

قلوبِهم، فيجتهدوا عليها من أول العام، فإنَّ ذلك سببٌ لرسوخ العلم، وتيسيرُ حصولِه، لأنه إذا اجتهدَ من أولِ العام، أخذَ العلمَ شيئاً فشيئاً فسَهُلَ عليه، وأما إذا تَوَانَىٰ في أولِ السنة، فإنَّه يَصْعُبُ عليه بعد ذلك، وتتراكَمُ عليه العلومُ، ويكون تصوُّره لها تَصَوُّراً سطحياً، لا يَرْسَخُ في قلبه، ولا يَبْقَىٰ في ذهنِه، وإنَّ مِنْ واجبِ المتعلِّم، إذا أحاط عِلْماً بالمسألة، أن يُطَبِّقَها علىٰ نفسِه ويَعْمَلَ بها، ليكونَ علمه نافعاً له، فإنَّ العلمَ النافعَ هو ما طبَّقه الإنسان عملياً، والعملُ بالعِلْمِ هو ثمرةُ العِلْمِ. والجاهلُ خيرٌ من عالمٍ لم ينتفعْ بعلمِه، ولم يعملْ به، فإنَّ العلمَ سلاحٌ، فإما أن يكون سلاحاً لك علىٰ عَدُوِّك، وإما أن يكون سلاحاً عليك، أيها المتعلم إذا علمت مسألةً دينيةً، فاعمل بها، وإلا فما فائدةُ العلم؟ أرايتَ لو أن شخصاً تعلَّمَ الطبَّ، ولكن لم يَتَطَبَّبْ، ولم يُعَالِجْ نفسَه ولا غيرَه، فما فائدة علمه إذن؟ فهكذا العلومُ الشرعيةُ إذا لم تُطبقْها، بل هي أبلغُ. فإنك إذا عَمِلْتَ بها كانت أنفعَ العلومِ، وإن خالفتها كانت حُجَّةً عليك.

أيها المعلمون: إنَّ عليكم لأمتِكم ومَنْ يتعلمون حقوقاً عظيمةً، فقوموا بها للهِ مُخْلِصينَ، وبه مُسْتعينينَ، ولِنَفْعِ أبنائِكم ومَنْ يَتَلَقَّوْنَ العلمَ منكم قَاصِدينَ. أخلِصُوا في التعليمِ، واسْلُكُوا أسْهَلَ السُّبُلِ وأقربها للتفهيم، ونَزِّلُوا الفصولَ منازلَها، فليس تعليمُ المُنْتَهِينَ مثل المُبْتَدِئينَ. وعليكم أن تمتثلوا أمامَ الطلبةِ بكلِّ خُلُقٍ فاضلٍ كريمٍ،

وأن تَتَجَنَّبُوا كلَّ خُلُقٍ سافلٍ لئيم، فإنَّ المتعلمَ يَتَلَقَّىٰ مِنْ مُعَلِّمِه الأخلاقَ، كما يَتَلَقَّىٰ منه العلومَ. ووَجِّهُوا أبناءكم الطلبةَ في كلِّ مناسبةٍ تَرَوْنَ فيها الفرصةَ لذلك، فإن المعلمَ الناصحَ مَنْ يجمعُ بينَ التعليم والتربية الحسنةِ، والله يُحِبُّ المحسنين.

أعوذُ باللهِ من الشيطانِ الرجيم، قال اللهُ تعالىٰ: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ۝١ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾ [إبراهيم: ١-٢].

بارك اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولِي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنَّه هو الغفور الرحيم.

* * *

الحثّ علىٰ طلب العلم

الحمدُ للهِ الذي خلقَ السمواتِ والأرضَ وجعلَ الظلماتِ والنورَ، وفضَّل العلمَ علىٰ الجهلِ ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩] وفقَّه مَنْ أراد به خيراً في دينِ الله فأصبح من العالِمين المهتدين، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له يَمُنُّ بالفضْلِ ويَمْنَعُ بالعدلِ، وهو أعلمُ حَيثُ يجعلُ رسالتَه وهو أعلمُ بالمهتدين، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، رسولُ الله إلىٰ الأولينَ من هذه الأمةِ والآخرين، صلَّىٰ الله عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه ومَنْ تَبِعَهُم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدين وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ وتَفَقَّهُوا في دينِكم، فإن **«مَنْ يُرِدِ اللهُ به خيراً يُفَقِّهْهُ في الدين»**[١]، اطْلُبوا العِلمَ فإنَّ العلمَ نورٌ وهُدًى، والجهلُ ظلمةٌ وضلال وشقاءٌ، اُطْلُبوا العلمَ **«فإنَّ العلماءَ ورثةُ الأنبياءِ، فالأنبياءُ لم يُوَرِّثُوا درهماً ولا ديناراً وإنما وَرَّثُوا العِلْمَ فمَنْ أخَذَه فقد أَخَذَ بحَظٍّ وافر»**[٢] من ميراثهم، اطْلُبوا العلمَ فإن العلمَ الشرعيَّ رِفْعَةٌ في الدنيا والآخرة، وأجر مستمر لصاحبه، قال

---

(١) أخرجه البخاري (٧١)، ومسلم (١٠٣٧) من حديث معاوية رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد ١٩٦/٥، وأبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢)، وابن ماجه (٢٢٣)، عن أبي الدرداء رضي الله عنه.

الله تعالىٰ: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١]، وقال النبي ﷺ: «**إذا مات العبدُ انقطعَ عمله إلا من ثلاثٍ: صدقةٍ جاريةٍ أو علمٍ يُنتفعُ به أو ولدٍ صالحٍ يدعو له**»[١].

اطْلُبوا العلمَ يكنْ لكم لِسَانُ صِدْقٍ في الآخرينَ، فإنَّ آثارَ العلمِ تَبْقَىٰ بعدَ فَنَاءِ أهلِه، فالعلماءُ الربانيونَ لم تزلْ آثارُهم محمودةً، وطريقتُهم مأثورةً وسَعْيُهم مشكوراً، وذِكْرُهم مرفوعاً، إن ذُكِرُوا في المجالس امتلأتِ المجالسُ بالثناءِ عليهم والدعاءِ لهم، وإن ذُكِرَتِ الأعمالُ الصالحةُ والآدابُ العاليةُ كانوا قُدْوَةَ الناسِ فيها ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢].

أيها الناسُ: تعلموا العلمَ للعلمِ، لتنالوا بركتَه وتجنوا ثمرتَه، تعلموا العلمَ للعملِ، لتعملوا به وتدعو الناسَ به، لا لِتُجَادِلُوا به وتُمَارُوا به، فإنَّ مَنْ طلَبَ العلمَ ليُمَارِيَ به السفهاء أو يُجَارِيَ به العلماءَ فقد عرَّض نفسَه لعقوبةِ الله، ونزلَ بها إلىٰ الهدفِ الأسفلِ، لا تطلبوا العلمَ للمالِ فإن العلمَ أشرفُ من أن يكونَ وسيلةً إلىٰ المالِ، وإنَّ المالَ أحقُّ أن يكون وسيلةً للعلم، لأن المالَ يفنىٰ والعلمَ يبقىٰ.

---

(١) أخرجه أحمد ٢/ ٣٧٢، ومسلم (١٦٣١)، وأبو داود (٢٨٨٠)، والترمذي (١٣٧٦)، وابن ماجه (٢٤٢)، والنسائي ٦/ ٢٥١ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

أيها الناسُ: إننا على أبواب بداية الدراسة حيث يستقبلُ المعلمون والمتعلمون نشاطَهم الفكريَّ والعمليَّ، فيا لَيْتَ شِعْرِي ماذا أعددنا لهذا العام؟

إنَّ علينا أن نُشَمِّرَ عن ساعدِ الجِدِّ من أول الأمرِ حتى لا نندمَ في النهاية، إنَّ على المعلمين أن يَحْرِصُوا على هَضْمِ العلومِ التي يَلْقُونَها إلى الطلبة قبل أن يَقِفوا أمامَهم، حتى لا يقعَ الواحدُ منهم في حَيْرةٍ عندَ السؤالِ والمناقشة، لأن من أعظم مقومات الشخصية قوةَ المعلمِ في علمِه وملاحظتِه، ولا تنقُصُ قوتُه العلميةُ عن قوة ملاحظته في تكوين شخصيته، إنَّ المعلمَ إذا ارتبك أمامَ طلبته فسوف ينحط قدْرُه في أعينِهم، وإن أجاب بالخطأِ فلن يَثِقُوا بمعلوماته، وإن نَهَرَهم عن السؤالِ والمناقشة، فلن يَنْسَجِمُوا معه، إذن فلا بُدَّ للمعلمِ من إعدادٍ واستعدادٍ وتَحَمُّلٍ وصَبْرٍ، وإنّ على المتعلمين أن يَبْذُلوا غايةَ جُهْدِهم من أولِ السنةِ حتى يُدْرِكُوا العلومَ إدراكاً حقيقياً ثابتاً في قلوبهم وراسخاً في نفوسِهم، لأنهم إذا اجتهدوا من أول السنة، تَلَقَّوا العُلومَ شيئاً فشيئاً فسَهُلَتْ عليهم، وثَبَتَتْ في قلوبهم، وسيطروا عليها سيطرةً تامةً، وإذا أهملوا أولَ السنةِ وتهاونوا فإنَّ الزمنَ ينطوي عليهم فلا يُفِيقونَ إلا في آخرِ العامِ وقد تراكمتِ الدروسُ وضاقَ الزمنُ عن إدراكها فأصبحوا عاجزين عن تصوُّرها فضلاً عن تحقيقِها فيندمون حينَ لا تنفعُ الندامةُ.

أيها الناسُ: وإذا كان من نجاحِ المعلمِ أن يكونَ قويَّ المعرفةِ قويَّ الشخصيةِ فإن من نجاحِه أيضاً أن يكونَ حسنَ النيةِ والقصدِ والتوجيه، فينوي بتعليمِه الإحسانَ إلىٰ طلبتِه بإرشادِهم إلىٰ ما ينفعُهم في أمورِ دينِهم ودنياهم، ليكونَ لتعليمِه أثرٌ بالغٌ، وعليه مع ذلك أن يظهرَ أمامَهم بالمظهرِ اللائقِ من الأخلاقِ الفاضلةِ والآداب العاليةِ التي أساسها التمسكُ بشريعةِ الله، وهَدْي رسولِه محمدٍ ﷺ ليكون قدوةً في العلم والعمل، فإنَّ التلميذَ يتلقىٰ من معلِّمه الأخلاقَ والآدابَ أكثرَ مما يتلقىٰ عنه من العلوم من حيث التأثيرُ، لأن آدابَ المدرسِ وأخلاقَه صورةٌ مشهودةٌ معبرةٌ عما في نفسِه، ظاهرةٌ في سلوكه، فتنعكسُ هذه الصورةُ تماماً في سلوكِ تلميذِه، يقول الله تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

أيها المسلمون: وإذا كان علىٰ المعلمين واجبٌ يجبُ عليهم القيامُ به، فكذلك علىٰ إدارةِ المدرسةِ أن ترْعَىٰ مَنْ تحتَ رعايتِها من مدرسين ومراقبين وطلاب، لأنها مسؤولةٌ عنهم أمامَ اللهِ ثم أمامَ مجتمعِهم.

وإذا كان علىٰ المدرسة واجبٌ يلزمُها أن تقومَ به، فعلىٰ الآباءِ وأولياءِ الطلبةِ واجبٌ يلزمُهم القيامُ به، فعليهم أن يتفقّدوا أولادَهم ويَسْبُروا سَيْرَهم ونهجَهم العلميَّ والفكريَّ والعمليَّ، وأن لا يتركوهم هَمَلاً، لا يبحثون معهم ولا يسألون عن طريقتِهم ولا عن

أصحابِهم ومَنْ يُعاشرُهم، لأن تركَهم ضياعٌ لهم وظُلمٌ، فهم رعيةٌ يجبُ علىٰ آبائِهم وأوليائِهم أن يَرْعَوْها حقّ رعايتِهم، وإن أضاعوا أصبحوا نادمين خارجين عما أمرهم اللهُ به في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

وفَّقني اللهُ وإياكم لما يجبُ علينا من الدعوة إليه علىٰ بصيرةٍ، والعملِ بما علّمنا علىٰ الوجهِ الذي يَرْضَىٰ به عنا، إنه هو السميعُ العليمُ.

بارك اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.



مقامُ أهل العلم في الناس

الحمدُ لله الذي أرسلَ الرسلَ مبشِّرين ومنذرين، وأنزل معهم الكتابَ والميزانَ، ليقومَ الناسُ بالقسطِ، ويتحققَ العدلُ بين المخلوقين، وجعلَ لهم خلفاءَ يخلفونهم في أُمَمِهم علماً وعَمَلاً، ليكونوا قدوةً للعاملين، ومناراً للسالكين، وشهداءَ علىٰ العالَمِينَ، وهؤلاء الخلفاءُ هم العلماءُ الربانيونَ، الذين اكتسبوا العلمَ ابتغاءَ وجهِ ربِّهم، وربَّوْا به الأمةَ علماً وعملاً، فكانوا هُداةً مهتدين. ونشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له، إلهُ الأولينَ والآخِرينَ وجامعُ الناسِ ليَوْمٍ لا ريب فيه، ليَحْكُمَ بينَهم فيما كانوا فيه مختلفين. ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، خاتمُ النبيين وإمامُ المتقين، فليس بعدَه نبيٌّ، وإنما هُمُ العلماءُ كالأنبياءِ، في هدايةِ العالمين. صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله، وأصحابِه ومَنْ تَبِعَهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ الدين، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ، واعلموا أنَّ مِنْ أكبرِ نِعَمِهِ عليكم، أنْ حَفِظَ عليكم هذا الدينَ برجالِه المخلصين، وهُمُ العلماءُ العاملونَ، الذين كانوا أعلاماً يُهْتَدَىٰ بهم وأئمةً يُقْتَدىٰ بهم، وأقْطَاباً تدُورُ عليهم معارفُ الأمةِ وأنواراً تتجلىٰ بهم غياهبُ الظلمة، فإنَّ في وجودِ أمثالِ هؤلاءِ في الأمةِ حِفظاً لدينها، وصَوناً لعزَّتها وكرامتها. فإنهم السياجُ المتينُ الذي يَحُولُ بين الدينِ

وأعدائِه، والنورُ المبينُ الذي تستنيرُ به الأمةُ عند اشتباه الحقِّ وخفائِه، وهُمْ وَرَثَةُ الأنبياءِ في أُمَمِهم وأُمَنَاؤهم علىٰ دِينهم، فإنَّ الأنبياءَ لم يُوَرِّثُوا دِرْهَماً ولا دِيناراً، وإنما وَرَّثُوا العِلمَ فمَنْ أخذَه أخذَ بحظٍّ وافرٍ، وهُمْ شهداءُ اللهِ في الأرضِ، الذين شَهِدوا بالحق، وأعلنوها علىٰ الملأ بأنَّه لا إله إلا الله وأنَّه سبحانه هو القائمُ بالقسطِ وأن كلَّ حكمٍ يُخالفُ حكمَه فهو باطِلٌ وجور قال الله تعالىٰ: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران: ١٨]، وهُمْ شهداءُ اللهِ في أرضِه، يشهدون أنَّ رُسَلَه صادقون مُصَدَّقُونَ، وأنهم بلَّغوا الرسالةَ، وأدَّوا الأمانةَ، ونَصَحُوا الأمةَ وجاهدوا في اللهِ حقَّ جهادِه، وهُمْ شهداءُ اللهِ في أرضِه، يشهدون بأحكامه علىٰ خلْقِه، يقرأون كتابَ اللهِ وسنةَ رسولِه ويفهمونهما فيشهدون علىٰ الخلق بما فيهما من أحكامٍ عادلةٍ، وأخبارٍ صادقةٍ، فليس في الأمة كمثلهم ناصحاً مُخْلِصاً، يعلمون أحكامَ اللهِ ويعظون عبادَ الله، ويقودون الأمةَ لما فيه الخيرُ والصلاحُ فهم القادةُ حقاً، وهم الزعماءُ المُصلحون، وهم أهلُ الخشيةِ للهِ ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴾ [فاطر: ٢٨].

ولهذا تكاثرت النصوصُ، في فَضْلِ العلمِ وأهلِه، فقال ﷺ: «مَنْ يُرد اللهُ به خَيْراً يُفَقِّهْهُ في الدين»(١)، وقال: «مَنْ سلَكَ طريقاً يلتمسُ

---

(١) أخرجه البخاري (٧١)، ومسلم (١٠٣٧)، من حديث معاوية رضي الله عنه.

فيه علماً سَهَّلَ اللهُ له به طريقاً إلىٰ الجنة»، وقال: «إن الملائكةَ لتَضَعُ أجنحتَها لطالبِ العلم، رِضاً بما يصنعُ، وإن العالمَ لَيَستغفِرُ له مَنْ في السمواتِ ومَنْ في الأرض، حتىٰ الحيتان في الماء»[١]، ويروىٰ عنه أنه قال: «مَثَلُ العلماءِ في الأرض، كمَثَلِ النجوم يُهْتَدىٰ بها في ظلماتِ البرِّ والبحرِ، فإذا انطمست النجومُ أوشك أن تَضِلَّ الهداةُ»[٢].

ويروىٰ عنه، أنه قال: «فقيهٌ واحدٌ أشدُّ علىٰ الشيطانِ من ألفِ عابدٍ»[٣] وذلك لأن العابد منفعته قاصرةٌ علىٰ نفسه، أما الفقيهُ فقد حَفِظَ دِينَ اللهِ ونَفَعَ عبادَ اللهِ، فهو يقودُ الأمةَ إلىٰ الخيرِ، ويَهْدِيهم إلىٰ صراطِ العزيزِ الحميدِ، والشيطانُ يقودُهم إلىٰ الشر ﴿إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦] فدعوةُ الفقيهِ ودعوةُ الشيطانِ ضِدَّان، والشيطانُ والداعِي إلىٰ الخيرِ مُتعادِيَانِ، فلذلك كان الشيطانُ يفرحُ بموتِ العلماءِ لأنهم أعداؤُه، يُحُولونَ بينَه وبينَ ما يُريد.

أيها الناسُ: إذا كان هذا فَضْلَ العلمِ وحالَ العالمِ، أفلا يَلِيقُ بنا أن نَبذُلَ الجُهْدَ لتحصيلِ العلمِ النافعِ، بالسؤالِ والقراءةِ، والبحثِ

---

(١) أخرجه أحمد ٥/ ١٩٦، وأبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢)، وابن ماجه (٢٢٣)، عن أبي الدرداء رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد ٣/ ١٥٧ عن أنس بن مالك رضي الله عنه. وأورده الهيثمي في «المجمع» ١/ ١٢١، والمنذري في «الترغيب والترهيب» ١/ ٥٦.

(٣) أخرجه ابن ماجه (٢٢٢)، والترمذي (٢٦٨١) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

والتحقيقِ، لنَفُوزَ بإرْثِ الأنبياءِ الكرامِ، وبصحبتِهم في دارِ السلامِ، فنِعْمَ الموروثُ الأنبياءُ، ونِعْمَ الرفيقُ.

أيها الناسُ: إذا كانت هذه منزلةَ العالمِ من أمتِه ودينِه، أفلا يجدرُ بنا أن نَأسَفَ علىٰ موتِ العلماء، لأن فَقْدَ العالمِ ليس فقداً لشخصيته فَحَسْبُ، ولكنه فَقْدٌ لجزءٍ من تُرَاثِ النبوةِ، جُزْءٍ كبيرٍ بحَسَبِ ما قام به هذا العالمُ المفقود من التحقيق، فواللهِ إنَّ فَقْدَ العالِم النافع، لا يُعَوَّضُ عنه مالٌ ولا عقارٌ ولا متاعٌ، ولا ديارٌ، بل فَقْدُه مصيبةٌ علىٰ الإسلامِ والمسلمين، لا يُعَوَّضُ عنه إلا أن ييسرَ اللهُ مَنْ يخلفُه بينَ العالمينَ، فيقومُ بمثلِ ما قامَ به من الجهادِ ونُصْرةِ الحقِّ.

وإنَّ فَقْدَ العلماءِ في مِثْلِ هذا الزمان، لتتضاعف مصيبتُه؛ لأن العلماءَ العاملينَ أصبحوا ندرةً قليلةً بين الناس، وكَثُرَ الجهلُ والتشكيكُ والإلباسُ، ولكننا لن نيأسَ من رَوْحِ اللهِ، ولن نَقْنَطَ مِنْ رحمةِ الله، فلقد أخبرَ الصادقُ المصدوقُ محمدٌ ﷺ، أنه لَنْ تزَالَ طائفةٌ من أمتِه علىٰ الحقِّ ظاهرين، لا يَضُرُّهم مَنْ خَذَلَهم ولا مَنْ خَالَفَهم، حتىٰ يأتِيَ أمرُ اللهِ وهُمْ علىٰ ذلك.

نسأل اللهَ تعالىٰ أن يرزقَنا وإياكم العلمَ النافع، والعملَ الصالحَ، وأن يُيَسِّرَ لهذه الأمةِ ما يَحْفَظُ به عليها دِينَها، ويَنْصُرُ به أهلَ طاعتِه، ويُذِلُّ به أهلَ معصيتِه، إنه جوادٌ كريمٌ، رؤوفٌ رحيمٌ.

أقول قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنَّه هو الغفور الرحيم.

فضيلةُ أئمة الدِّين

الحمدُ للهِ ذي النعمِ الكثيرةِ والآلاءِ، الغني الكريم، الواسعِ العطاءِ. وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريك له، ذُو الأسماءِ الحُسْنَىٰ، والصفاتِ الكاملةِ العليا. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، المصطفىٰ وخليلُه المجتبىٰ. صلَّىٰ الله عليه وعلىٰ آله، وأصحابِه الكرامِ النجباء، وعلىٰ أتباعِهم في هَدْيِهم القويمِ، إلىٰ يومِ المعادِ والمأوىٰ، وسلَّم تسليماً.

أما بعد، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ حقَّ التقوىٰ، واستمسكوا بدينِكم الذي شرعَه نبيُّكم، فهو العروةُ الوثقىٰ. واعْرِفُوا نعمةَ اللهِ عليكم بهذا الدينِ الذي تَسعدون به في حياتِكم، وبعدَ مماتِكم، وعندَ قيامِكم لربِّ العالمينَ. أمَا تَرَوْنَ إلىٰ هذه الأممِ الكافرةِ الضالةِ، كيف كانت في جَهْلٍ عميقٍ من دينِها، وفي شُبُهَاتٍ وضَلالاتٍ تُبْعِدُها عن إيمانِها ويقينها.

أممٌ لا تُريدُ سوىٰ العُلُوِّ في الأرضِ والفسادِ والاعتداءِ علىٰ اللهِ تعالىٰ، واستعمارِ العبادِ، تَرقَّتْ في صناعاتها ومادتِها، وانحطت في دينِها وأخلاقِها وشطحت عن سعادتها. وأنتم وللهِ الحمدُ قد يَسَّرَ اللهُ لكم ديناً سليماً، وصراطاً مستقيماً. جعلكم من أمةِ محمدٍ، خَيْرِ الأممِ، وأبَرِّها، وأزكاها. وحَفِظَ لكم دِينَكم، حتىٰ وصل إليكم وللهِ الحمدُ نَقِياً من البِدَعِ والإشراكِ، وبريئاً من طُرُقِ الغَيِّ

والهلاكِ، بما أقام اللهُ لكم من أئمة الدين والجهابذةِ المرشدينَ، المخلصين.

فمِنْ أولئكَ السادةِ الأبرار، إمامُ الأئمةِ، ناصرُ السنةِ، وقامعُ البدعةِ: أحمدُ بْنُ حَنْبَلٍ، وأصحابُه من خيرِ الأصحاب. فإنهم نصروا السنة، وبيَّنوها، وقمعوا البدعةَ وهتكوها، حتىٰ صاروا يُضْرَبُ بهم المثلُ في اتباعِ السنةِ والكتابِ. وبهم يُوزَنُ السُّنِّيُّ من البِدْعِيِّ مِنْ سائرِ الطوائفِ والأضراب، ومنهم شيخُ الإسلامِ والمسلمين أحمدُ بْنُ تَيْمِيَّةَ، تَقِيُّ الدين الذي جاهد الكفارَ والمنافقينَ، وهتك أستارَ المُحرِّفين والمبتدعين، وأظهر من صريحِ السنةِ وعلومها وأعلامها ما تبين به الحقُّ للمعتبرين، وسلك طريقَه تلامذتُه من العلماءِ المحققينَ.

حتىٰ آلت النَّوْبَةُ لشيخِ الجزيرةِ العربية وإمامِها الأوَّابِ، شيخِ الإسلام محمد بْنِ عَبدِ الوهاب. فلم يزلْ مع خُصُومِه في جِلادٍ وجِهادٍ، وتَبْيينٍ للسنةِ، والتوحيدِ الخالصِ بينَ العبادِ، ويَسَّرَ اللهُ له مَنْ يقومُ بعونِه من الملوكِ المخلصين، حتىٰ صَفَتْ هذه الجزيرة وللهِ الحمدُ بمساعِيهم من الشركِ والضلالِ المبين. فلا تَجِدُ فيها والحمدُ للهِ قُبَّةً للشركِ، ولا مَشهَداً، ولا تَوَسُّلاً بالمخلوقين، ولا مولداً، ولا مَعْبَداً. ولا تَجِدُ فيها ولله الحمدُ مَنْ يُؤَوِّلُ فيها نصّاً من نُصوصِ الصفات أو يَنْفِي ما ثَبَتَ للهِ تعالىٰ من النزولِ إلىٰ السماءِ الدنيا، والاستواءِ علىٰ عرشِه فوقَ المخلوقاتِ. فكلُّ ما جاء من

صفاتِ اللهِ تعالىٰ فإنهم يُقِرُّون به، ولا يؤوِّلونه، ولا يجحدون منه حرفاً ولا معنىٰ، ولا يُكيِّفونه.

فاحْمَدُوا الله تعالىٰ علىٰ هذه النعمة واشكروه، واسألوا أن يُثبِّتكم علىٰ دينه، وسنةِ نبيه، إلىٰ أن تُلاقوه.

أعوذُ باللهِ من الشيطانِ الرجيم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٥٧ قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ﴾ [يونس: ٥٧-٥٨].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقول قولي هذا وأستغفرُ الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنَّه هو الغفور الرحيم.

* * *

تحريمُ القولِ علىٰ الله تعالىٰ بلا عِلمٍ

الحمدُ للهِ الذي خلقَ السمٰواتِ والأرضَ وجعلَ الظلماتِ والنور، والحمدُ للهِ الذي له ما في السمٰواتِ والأرضِ وله الحمدُ في الآخرةِ وهو الحكيمُ الخبيرُ، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، له الملكُ وله الحمدُ وهو علىٰ كلِّ شيءٍ قديرٌ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه البشيرُ النذيرُ والسراجُ المنيرُ، صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِهِ وأصحابِه والتابعين لهم بإحسانٍ وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ: أيها الناسُ، اتقوا اللهَ تعالىٰ واعلموا أن اللهَ وحدَه له الخلقُ وأن اللهَ وحدَه له الأمرُ والحكمُ، قال اللهُ تعالىٰ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وقال: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٨٨]، فلا خالقَ إلا اللهُ ولا مدبرَ لشؤون العالمِ العلويِّ والسفلي إلا اللهُ، ولا حاكمَ للخلق، ولا حاكمَ بينَ الخلق عند الاختلاف إلا اللهُ ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورىٰ: ١٠] فاللهُ وحدَه هو الذي يُوجبُ الشيءَ ويُحَرِّمُه، وهو الذي يَنْدُبُ إليه ويُحَلِّلُه، إما في كتابِه أو علىٰ لسانِ رسولِه ﷺ، حتىٰ النبي ﷺ قال عن نفسِه حين أكلَ الصحابةُ رضي الله عنهم من الثوم عامَ فتحِ خَيْبَر، وكانوا جِيَاعاً ثم راحوا إلىٰ المسجد، فقال النبي ﷺ: «**من أكلَ مِنْ هذه الشجرة الخبيثة شيئاً فلا يقربنَّا في المسجد**» فقال الناسُ: حُرِّمَتْ حُرِّمَتْ،

فبلغَ ذلك النبيَّ ﷺ، فقال: **«يا أيها الناسُ إنَّه ليس بي تحريمُ ما أحلَّ اللهُ لي ولكنها شجرةٌ أكرهُ ريحَها»**(١).

ولقد أنكر اللهُ علىٰ مَنْ يُحَلِّلُونَ ويُحَرِّمُونَ بأهوائِهم، فقال تعالىٰ: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ۝٥٩ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [يونس: ٥٩-٦٠]، وقال جلَّ ذِكره: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ۝١١٦ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النحل: ١١٦-١١٧]، وأنكر اللهُ علىٰ قومٍ اتخذوا من دون الله شُركاءَ في التشريع فقال تعالىٰ: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الشورىٰ: ٢١].

أيها الناس: إنَّ من أكبرِ الجناياتِ أن يقولَ الشخصُ عن شيءٍ: إنه حلالٌ وهو لا يدري عن حكمِ اللهِ فيه، أو يقولَ عن الشيءِ: إنه حرامٌ وهو لا يدري أنَّ اللهَ حَرَّمَه، أو يقولَ عن الشيء: إنه واجبٌ وهو لا يدري أنَّ الله تعالىٰ أوجبه، أو يقولَ عن الشيء: إنه ليس بواجبٍ وهو لا يدري عن حكمِ اللهِ تعالىٰ فيه. إنَّ هذا لجنايةٌ كبيرةٌ وسوءُ أدبٍ مع اللهِ عز وجل، كيف تعلمُ أنَّ الأمرَ للهِ والحكمَ إليه،

(١) أخرجه أحمد ٣/١٢، ومسلم (٥٦٥) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

ثم تُقدِّمُ بينَ يديه فتقولُ في دينه وشريعتِه ما لا تعلمُ أنه من دينِه وشريعتِه، لقد قَرَنَ اللهُ تعالىٰ القولَ عليه بلا عِلْمٍ بالشركِ به، فقال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

أيها الناس: إنَّ بعضَ العامةِ يُفْتي نفسَه أو يُفْتِي غيرَه بما لا يعلمُ أنه من شريعةِ الله عز وجل، يقول: هذا حلالٌ أو هذا حرامٌ أو هذا واجبٌ وهو لا يدري عن ذلك، أفلا يعلمُ هذا أنَّ اللهَ تعالىٰ سائلُه يومَ القيامة عما قال أفلا يعلمُ أنه إذا أضلَّ شخصاً فقد باءَ بإثمِه وإثمِ مَنْ تَبِعَه إلىٰ يوم القيامة؟

وإن بعضَ العامةِ إذا رأىٰ شخصاً يريد أن يستفتي عالماً يقول له: لا حاجة أن تستفتي؟ هذا واضحٌ هذا حرامٌ، مع أنه في الشرع حلالٌ، فيَحْرِمُه مما أحلَّ اللهُ له، أو يقولُ: هذا واجبٌ مع أنه في الشرع غيرُ واجبٍ فيُلزمُه بما لم يُلزمْهُ اللهُ به، أو يقولُ: هذا حلالٌ مع أنه في الشرع حرامٌ فيُوقعُه فيما حَرَّمَ اللهُ عليه، أو يقولُ: هذا غيرُ واجبٍ مع أنه في الشرع واجبٌ، فيَحْرِمُه من فِعْلِ ما أوجَبَ اللهُ عليه، هذا جنايةٌ علىٰ شريعةِ اللهِ تعالىٰ وظلمٌ لنفسه وخيانةٌ لأخيه، حيث غَرَّه بدون عِلْمٍ، أرأيتم لو أن أحداً سُئل عن طريقِ بلدٍ من البُلدانِ فقال: الطريقُ من هٰهنا وهو لا يعلمُ أفلا يُعَدُّ ذلك خيانةً وتغريراً، هذا مع أنَّ واضعَ الطريقِ بَشَرٌ والبلدُ من متاعِ الحياة الدنيا،

فكيف بمَنْ تكلمَ بما لا يعلمُ في شريعةِ اللهِ التي شرعَها اللهُ تعالىٰ لعباده لتوصلهم إلىٰ رضوانِه ودارِ كرامتِه؟

وإنَّ بعضَ العامةِ ينقلون عن أهلِ العلم كلاماً أو فَتْوىٰ، نعلم أنهم لا يقولون بذلك ولا يفتون به، لكن هؤلاء الناقلين وَهِمُوا في النقلِ، إما لكونهم فَهِمُوا كلامَهم علىٰ غيرِ مُرَادِهم، أو أنهم أساؤوا التعبيرَ في سؤالهم فأجابهم العالمُ بحَسَبِ ما فَهِمَ من سؤالِهم فحصل الخطأُ، وربما كان لبعض هؤلاء العامةِ قَصْدٌ سَيّىءٌ فيما نقل، يريد بذلك تشويهَ سُمعةِ العالمِ والتنفير منه لأنه أفتىٰ بِفَتْوىٰ لا تُوافق هواه، أو قال قولاً لم يُعرفْ من قبل، وهذا من أعظمِ الجناياتِ علىٰ الخلقِ، لأن التنفيرَ عن أهلِ العلمِ ليس تنفيراً شخصياً يتعلق بأشخاصِهم، بل هو تنفيرٌ مُتضمنٌ للتنفيرِ عما يقولون من الحق، فلْيحْذَرِ الإنسانُ من التقوّلِ علىٰ أهلِ العلمِ ولْيتحَرَّ الدقةَ والصحةَ فيما ينقلُه عنهم.

وإنَّ من المتعلمين مَنْ يقعُ فيما يقعُ فيه بعضُ العامةِ من الجرأةِ علىٰ شريعةِ اللهِ تعالىٰ في التحليلِ والتحريمِ والإيجاب، فيتكلمُ فيما يجهلُ، ويُجْمِلُ في الشريعةِ ويُفَصِّلُ، وليس معه من العلم إلا كفقير بيده دريهمات، إذا سمعت الواحدَ منهم يتكلمُ فكأنما ينزِلُ عليه الوحيُ لِحَزْمِهِ فيما يقولُ ومجادلتِه فيما يخالفُ المنقولَ والمعقولَ، ولقد أدهشني وساءني ما نقله لي ثقةٌ عن شخصٍ كان يجادلُه في إمامٍ صلّىٰ الظهرَ خَمْساً، والمأمومُ يعلمُ أنه قد زادَ في

صلاتِه، فقال هذا المجادلُ: إنه يجبُ علىٰ المأموم أن يُتَابِعَ الإمامَ في الزيادةِ لأن النبيَّ ﷺ قال: «إنما جُعِلَ الإمامُ ليُؤْتَمَّ به»(١). فتأملْ خَطَأَ هذا المجادلِ في الحكمِ والفهمِ، وتأملْ أنَّ طرْدَ قاعدتِه أن الإمامَ لو صلىٰ الظهرَ عَشْرَ ركعاتٍ لوجبَ علىٰ المأموم أن يتابعَه، والله إن هذا لهو الجهلُ المركبُ، بل مُرَكَّبُ المُرَكَّبِ. جَهْلٌ في الحكمِ، وجَهْلٌ في الفهمِ وجهلٌ بأدلةِ الشريعةِ. أفلا يعلمُ هذا الجاهلُ المجادلُ أنَّ النبيَّ ﷺ بيّن ائتمامَ المأمومِ بإمامِه بقوله ﷺ: «فإذا كبَّر فكبِّروا ـ إلىٰ أن قال ـ وإذا صلَّىٰ قاعداً فصلُّوا قعوداً أجمعون»(٢) والفاء في قوله ﷺ: فإذا كبر إلخ.. للتفريع فما بعدها علىٰ ما قبلها وإفصاحٌ للمراد به. تبينُ المرادَ بالائتمامِ، ولم يقلِ النبيُّ ﷺ، إذا صلىٰ خَمْساً، فصلوا خَمْساً، أفلا يعلمُ هذا الجاهلُ المجادلُ أن النبيَّ ﷺ قال: «مَنْ عَمِلَ عَمَلاً ليس عليه أمرُنا فهو رَدٌّ»(٣) فهل صلاةُ الظهرِ خَمْساً عليها أمْرُ الله ورسوله؟ وإذا لم يكن عليها أمْرُ اللهِ ورسولِه، فهي باطلةٌ مردودةٌ بمُقْتَضىٰ هذا الحديث. وإذا كانت باطلةً، فهل يجوزُ اتباعُ الغيرِ فيما هو باطلٌ؟

---

(١) أخرجه البخاري (٦٨٩)، ومسلم (٤١١) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) جزء من الحديث السابق.

(٣) أخرجه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

فاتقوا اللهَ عبادَ الله، وتَحَرَّوا القولَ الصوابَ فيما تقولون علىٰ الله، واحذروا أن تقولوا علىٰ اللهِ ما لا تعلمون. فإنَّ اللهَ تعالىٰ يقول في نبيه وهو أتقىٰ الأمةِ لله، وأعلمُهم بشريعةِ الله: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ [الحاقة: ٤٤-٤٧]. واعلموا أنه من العقلِ والدينِ والعلمِ، أن يقولَ الإنسانُ لا أعلمُ في شيءٍ لا يعلمُه ولا ينقصُه ذلك شيئاً، بل يزيدُه إيماناً وثواباً وثقةً عند الناس.

وفقني اللهُ وإياكم للهُدَىٰ والصلاح، وجعلنا قادة هُدًى وإصلاح، وأعاذنا من مُضِلَّاتِ الفتنِ ما ظهرَ منها وما بطنَ، إنه هو صاحبُ الفضلِ والمِنَنِ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمين. وصلَّىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمدٍ وعلىٰ آله، وصحبه أجمعين.



تحريمُ الإفتاءِ بغيرِ علمٍ(١)

الحمدُ لله الذي له ملكُ السمٰواتِ والأرضِ، وله الحمدُ في الآخرة، وهو الحكيمُ الخبيرُ. وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له في الملك وفي التدبير. وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه، البشيرُ النذيرُ، والسراجُ المنيرُ، صلَّىٰ الله عليه وعلىٰ آلِه وأصحابه، والتابعين لهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ الدين، وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا الله تعالىٰ، واعلموا أن اللهَ وحدَه له الخلقُ والأمرُ، فلا خالقَ إلا اللهُ، ولا مدبرَ للخلقِ إلا اللهُ، ولا شريعةَ للخلق سوىٰ شريعةِ الله، فهو الذي يُوجِبُ الشيءَ ويُحَرِّمُه، وهو الذي يَنْدُبُ إليه ويُحَلِّله. ولقد أنكر اللهُ علىٰ مَنْ يُحَلِّلون ويُحَرِّمون بأهوائهم، فقال تعالىٰ: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ۝٥٩ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [يونس: ٥٩-٦٠]. ويقول تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ۝١١٦ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النحل: ١١٦-١١٧].

---

(١) هذه الخطبة هي السابقة إلا أن فضيلة الشيخ ـ رحمه الله تعالىٰ ـ أعاد كتابتها وعدل بعض العبارات ولم يلغ الأولىٰ فأثبتناها حتىٰ يختار الخطيب أنسبهما له.

أيها الناسُ: إنَّ من أكبرِ الجناياتِ أن يقولَ الشخصُ عن شيءٍ إنه حلالٌ وهو لا يدري عن حُكْمِ الله فيه، أو يقولَ عن الشيءِ إنه حرامٌ، وهو لا يدري عن حكم الله فيه، أو يقولَ عن الشيءِ إنه واجب، وهو لا يدري أنَّ الله أوجبه، أو يقولَ عن الشيءِ إنه غيرُ واجبٍ وهو لا يدري أنَّ اللهَ لم يُوجِبْ. إنَّ هذا جنايةٌ وسوءُ أدبٍ مع اللهِ عز وجل. كيف تعلمُ أنَّ الحكمَ للهِ ثم تتقدمُ بينَ يديه فتقولُ في دينِه وشريعتِه ما لا تعلمُ؟ لقد قَرَنَ اللهُ تعالىٰ القولَ عليه بلا عِلْمٍ بالشركِ به، فقال سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

أيها الناسُ: إنَّ كثيراً من العامةِ يُفْتِي بعضُهم بعضاً بما لا يعلمون. فتجدُهم يقولون: هذا حلالٌ أو حرامٌ، أو واجبٌ أو غيرُه، وهو لا يدري عن ذلك، أفلا يعلمُ هذا الرجلُ أنَّ اللهَ سائلُه عما قال يومَ القيامة؟ أفلا يعلمُ أنه إذا أضلَّ شخصاً، فأحلَّ له ما حرَّمَ اللهُ أو حَرَمه مما أحلَّ الله له فقد باءَ بإثمِه، وكان عليه مِثْلُ وزر ما عمله من إثمٍ بسبب فتواه؟

إنَّ بعضَ العامةِ إذا رأىٰ شخصاً يريد أن يستفتىٰ عالماً يقول له ما حاجة أن تستفتي، هذا واضح، هذا حرامٌ وهو في الواقع حلالٌ، فيَحرمه ما أحلَّ الله له، أو يقول: هذا واجب، فيُلزمه بما لم يُلزمْه اللهُ به، أو يقول: هذا غيرُ واجبٍ فيُسقطُ عنه ما أوجب الله عليه،

أو يقول: هذا حلالٌ وهو في الواقع حرامٌ، فيُوقِعُه فيما حرَّم الله عليه، وهذا جنايةٌ منه علىٰ شريعةِ الله وخيانة لأخيه المسلمِ، حيث غَرَّه بدونِ علمٍ، لو أن شخصاً سأل عن طريقِ بلدٍ من البلدان، فقلت: الطريقُ من هُنا وأنت لا تعلمُ لَعَدّ الناسُ ذلك خيانةً منك وتغريراً، فكيف تتكلمُ عن طريقِ الجنةِ وهو الشريعةُ التي أنزل اللهُ وأنت لا تعلم عنها شيئاً.

وإن بعضَ المتعلمين يَقَعُونَ فيما يقع فيه العامةُ من الجرأةِ علىٰ الشريعةِ في التحليلِ والتحريم والإيجاب، فيتكلمون فيما لا يعلمون ويُجمِلون في الشريعة ويُفَصِّلُون وهم من أجهلِ الناسِ في أحكامِ الله. إذا سَمِعْتَ الواحدَ منهم كأنما ينزلُ عليه الوحيُ من جَزْمِه فيما يقولُ وعَدَمِ تورُّعِه، لا يمكنُ أن ينطقَ بلا أدرىٰ أو لا أعلمُ مع أن عدمَ العلمِ هو وَصْفُه الحقُّ الثابتُ.

وهذا أضَرُّ علىٰ الناسِ من العامةِ، لأن الناسَ ربما يَثِقُونَ بقولِه ويَغْتَرُّون به. وليت هؤلاءِ يقتصرون علىٰ نسبة الأمرِ إليهم، لا بل تراهم يَنْسُبون ذلك للإسلام، فيقول: الإسلامُ يقولُ كذا، الإسلامُ يرىٰ كذا، وهذا لا يجوزُ إلا فيما عَلِمَ القائلُ أنه من دينِ الإسلام، ولا طريقَ إلىٰ ذلك إلا بمعرفةِ كتابِ الله وسنةِ رسولِه ﷺ، أو أجماعِ المسلمين عليه.

إنَّ بعضَ الناس لجرأتِه وعَدَمِ وَرَعِه يقولُ عن الشيءِ المحرم الواضح تحريمُه: ما أظن هذا حراماً أو عن الشيءِ الواجبِ الواضح

وجوبُه: ما أظنُّ هذا واجباً، إما جهلاً منه، أو عِناداً ومكابرة أو تشكيكاً للناس في ذلك.

أيها الناسُ: إن مِنَ العقلِ وإن من الإيمان وإن من تقوىٰ الله وتعظيمِه أن يقولَ الرجلُ عمّا لا يعلمُ: لا أعلمُ، لا أدري، اسأل غيري، فإن ذلك من تمام العقل. لأن الناسَ إذا رَأَوْا تَثَبُّتَه وَثِقُوا به، ولأنه يَعْرِفُ قدْرَ نفسِه حينئذٍ، وينزلها منزلتها. وإن ذلك من تمام الإيمان بالله وتقوىٰ الله حيث لا يتقدمُ بينَ يَدَيْ ربِّه ولا يقولُ عليه ما لا يعلمُ.

ولقد كان رسولُ اللهِ ﷺ يُسْأَلُ عما لم ينزلْ عليه فيه الوحيُ، فينتظرُ حتىٰ ينزلَ عليه الوحيُ، فيجيبُ اللهُ سبحانه عما سُئِلَ عنه نبيُّه. ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾ [المائدة: ٤]، ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا﴾ [الكهف: ٨٣] ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأعراف: ١٨٧].

ولقد كان الأجلاَّءُ من الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ تُعرَضُ لهم المسألةُ فلا يدرون حُكْمَ اللهِ، فيهابونها ويتوقفون فيها، فها هو أبو بكرٍ رضي الله عنه يقول: أيُّ سماءٍ تُظلني؟ وأي أرض تُقلني إذا أنا قلتُ في كتاب الله بغيرِ علمٍ؟ وها هو عُمَرُ بْنُ الخطابِ رضي اللهُ عنه، تنزلُ به الحادثةُ فيجمعُ لها الصحابةَ ويستشيرهم فيها. وقال

ابن سِيرينَ: لم يكنْ أحدٌ أهيبَ بما لا يعلمُ من أبي بكر، ولم يكن أحدُ بعدَ أبي بكر أهيبَ بما لا يعلمُ من عُمَرَ.

وقال ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: أيها الناسُ من سُئِلَ عن عِلْمٍ يعلمُه فلْيقُلْ به، ومن لم يكنْ عنده عِلمٌ فلْيقلْ: اللهُ أعلمُ. فإن من العلم أن يقول لِما لا يعلم: اللهُ أعلمُ. وسُئِلَ الشَّعْبِيُّ عن مسألةٍ فقال: لا أُحْسِنُها، فقال له أصحابُه: لقد اسْتَحْيَيْنا لك، فقال: لكنَّ الملائكة لم تستحي حين قالت: لا عِلْمَ لنا إلا ما علمتنا. وجاء رجلٌ إلىٰ مالكِ بْنِ أنَسٍ أحدِ الأئمةِ الأربعة قال: يا أبا عبد الله، جئتك من مسافةٍ بعيدةٍ في مسألةٍ حمَّلَنِي إياها أهلُ بلدِي لأسألَكَ. قال: فَسَلْ، فسأله، فقال: لا أُحْسِنُها فبُهِتَ الرجلُ فقال: ماذا أقولُ لأهلِ بلدِي إذا رجعتُ إليهم؟ قال: تقول لهم: قال مالك: لا أُحْسِنُ. وكان الإمامُ أحمدُ يُسأَلُ عن المسألةِ فيتوقف أو يقول: لا أدري أو يقول سَلْ غيري، أو سَلِ العلماءَ، أو نحوَ ذلك.

فاتقوا اللهَ أيها المسلمون، ولا تقولوا في دينِ اللهِ ما لا تعلمون ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٤].

اللهم اعصمنا من الزَّلَلِ ووفِّقنا لصوابِ القول والعمل، واغفرْ لنا ولوالِدينا ولجميعِ المسلمين، إنك أنت الغفورُ الرحيم.

* * *

الاستفتاء

الحمدُ لله الذي علَّمَ بالقلمِ علَّمَ الإنسانَ ما لم يعلمْ، والحمدُ لله الذي منَّ علىٰ عبادِه بإنزالِ الكتبِ وإرسالِ الرسلِ فلم يَبْقَ علىٰ اللهِ للخلقِ حُجةٌ وفَتَحَ العقولَ وفهّم، ونشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، الربُّ الكريمُ الأكرمُ، علَّمَ القرآنَ وخلَقَ الإنسانَ علَّمه البيانَ، وأعْطَىٰ وتكَرَّمَ، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه المرشدُ إلىٰ السبيلِ، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آلهِ وأصحابِه ومن تبعهم بإحسانٍ وبارك وسلَّم.

أما بعد، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ وتَفقَّهُوا في دينِ الله لتعبدوا اللهَ علىٰ بصيرةٍ فإن مَنْ يُرِدِ اللهُ به خيراً يُفَقِهّه في الدين، فالفقهُ في الدين أساسُ الخير والعملِ الصالح، فبه يَعْرِفُ العبدُ كيف يَعْبدُ ربَّه، به يَعْرف كيف يتوضأُ وكيف يغتسلُ، به يَعْرِفُ كيف يُصلي وكيف يُزكّي وكيف يصومُ وكيف يحجُّ وكيف يعتمر، به يُميزُ بينَ الواجباتِ وبين السنن، به يَعْرف كيف يسيرُ إلىٰ ربِّه في نورِ العلمِ إذا انعقدت غُيُومُ الجهلِ والفتن، به يَعْرف كيف يعاملُ الناسَ بالبيعِ والشراءِ، يعطي الحقَّ الذي عليه، ويطلبُ الذي له أو يتسامحُ عنه، به يَعْرِفُ كيف يَنْكِحُ، وكيف يُنْفِقُ، وكيف يُكَفِّرُ عن آثامِه، وكيف يُعتِقُ، به يكون العبدُ سِراجاً في أمتِه يَهدِيهم الصراطَ المستقيمَ ويُبينُ لهم النهجَ القويمَ، بالعلم يستنيرُ المرءُ في حياته

وبعدَ وفاتِه فهو نورُ القلب ونورُ القبرِ ونورُ الحشرِ ونورُ الصراط، العالمُ حيٌّ بعدَ مماتِه، والجاهلُ ميتٌ في حياته ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ٩]، «إذا مات العبدُ انقطع عملُه إلا من ثلاث: صدقةٍ جاريةٍ أو علمٍ يُنتفعُ به مِنْ بعدِه، أو ولدٍ صالحٍ يدعو له»[١] وما اكْتَسبَ مُكْتَسِبٌ مثلَ فَضْلِ علمٍ يَهْدِي صاحبَه إلىٰ هُدىً، أو يَرُدُّه عن رَدَاه. ومَنْ سَلَكَ طريقاً يلتمسُ فيه عِلماً سهَّلَ اللهُ له به طريقاً إلىٰ الجنة، وإنَّ الملائكة لتَضَعُ أجنحتَها لطالبِ العلمِ رِضاً بما يصنعُ، وإنَّ العالمَ ليستغفرُ له مَنْ في السمٰوات ومَنْ في الأرض حتىٰ الحيتانُ في الماءِ، وفضلُ العالم علىٰ العابدِ كفضلِ القمرِ علىٰ سائرِ الكواكب، وإنَّ العلماءَ ورثةُ الأنبياء، إنَّ الأنبياءَ لم يُوَرِّثُوا ديناراً ولا درهماً وإنما وَرَّثُوا العلمَ فمن أَخَذَهُ أخذ بحظٍّ وافرٍ[٢].

أيها الناس: مَنِ استطاعَ منكم التفرغَ للعلمِ وتحصيلِه فذلك أفضلُ، وإنه ليتأكدُ في هذا الزمانِ الذي قَلَّ فيه الفقهاءُ في دينِ الله، وكثُرَ فيه طلبُ الدنيا بشتىٰ الوسائل والإقبال عليها، ومَنْ لم يستطعْ

---

(١) أخرجه أحمد ٢/ ٣٧٢، ومسلم (١٦٣١)، وأبو داود (٢٨٨٠)، والترمذي (١٣٧٦)، وابن ماجه (٢٤٢)، والنسائي ٦/ ٢٥١ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد ٥/ ١٩٦، وأبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢)، وابن ماجه (٢٢٣)، عن أبي الدرداء رضي الله عنه.

منكم فلْيستمِعْ إلىٰ الذكرِ ولْيجلسْ إلىٰ أهلِ الذكرِ فيَستفيدَ منهم ويُفيدَ غيرَه ومَنْ لم يستطع فلا أقلَّ من أن يسألَ عن دينه، عن طهارتِه وصلاتِه وزكاتِه وصيامِه وحجِّه وبيعِه وشرائِه وأخذِه وعطائِه ونكاحِه وغيرِ ذلك مما له صِلةٌ بدينِه إذا عَرَضَ له فيه إشكالٌ واشتباهٌ.

عبادَ الله: إنَّ بعضَ الناسِ يصنعُ أمراً مُحَرَّماً لا يجوزُ، في الاستفتاءِ تَجِدُه يأتي إلىٰ أحدٍ ليَستَفْتِيَهُ راضياً بفتواه، مُعتَقِداً أنَّ ما يقولُه فهو دينُ اللهِ وهو الحقُّ الذي يَجِبُ عليه التزامُه، فإذا أفتاه بشيءٍ ولم تُناسبْه الفتوىٰ إما لاستبعادِه لها وإما لصعوبتِها عليه في نظره، ذهب يطلبُ مُفْتِياً آخَرَ لعله يكون أنسبَ له، وهذا العملُ حرامٌ عليه فإنَّ المطلوبَ في حق المستفتِي أن يتحرَّى مَنْ يظنُّه أقربَ إلىٰ الحقِّ لكثرةِ علمِه وقوةِ ورعِه، فإذا غلب علىٰ ظنه أنه أقربُ إلىٰ الحقِّ مِنْ غيرِه فلْيسألْه ثم ليأخذْ بقولِه ولا يستفتِي غيرَه، إلا أن يتبينَ له بعد ذلك أنه مُخْطِىءٌ مخالِفٌ للكتاب والسنة، فحينئذٍ يأخذُ بما دلَّ عليه الكتابُ والسنةُ، وقد ذكرَ اللهُ تعالىٰ في كتابه وظيفةَ الإنسانِ إذا لم يكن له علمٌ، فقال: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٤٣ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ﴾ [النحل: ٤٣-٤٤]، فإذا كنت مأموراً بسؤالِ أهلِ العلمِ فإنّ العاقلَ لا بُدَّ أن يتحرىٰ لدينه مَنْ هو أعلمُ وأورعُ، الأمثلُ فالأمثلُ. فاتقوا اللهَ أيها الناسُ ولا تتلاعبوا بدينِكم، تسألون هذا وهذا وهذا فتختلفُ عليكم الأمورُ وتكونون

ممن اتبعوا أهواءهم، والإنسانُ متىٰ قام بالواجبِ فسألَ مَنْ يظنُّه أقربَ إلىٰ الحقِّ فقد بَرِئَتْ ذمتُه فيما بينَه وبينَ اللهِ، قال في المُنْتَهَىٰ وشرحِه: «ومَنْ لم يجدْ إلا مُفتياً لزمه أخذُه بقولِه، وكذا لِمُلْتَزِمِ قولِ مُفْتٍ ثَمَّ غيره أي فإنه يلزمه الأخذ بفتوىٰ من التزم بقوله، وقال في شرحِه نقلاً عن شرح مختصر التحرير: لو أفتىٰ المقلدَ مُفْتٍ واحدٌ، وعمل به المقلدُ، لَزِمَه قطعاً وليس له الرجوعُ عنه إلىٰ فتوىٰ غيره في تلك الحادثةِ بعينِها إجماعاً عنه ابن الحاجب وغيره وقد ذكر ذلك أيضاً صاحبُ الإقناعِ وشرحِه، والغايةِ وشرحِها، نعم لو سأل أمْثلَ مَنْ يجدُ مِنْ غيرِ أن تسكن إليه نفسُه ويطمئن إليه قلبُه، ولكن للضرورةِ فهذا يجوزُ أن يسألَ غيرَه فيما بعدُ مِمّنْ يظنُّ أنه أقربُ إلىٰ الحق منه. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

خطبة بمناسبةِ بدايةِ الدراسة

الحمدُ للهِ الذي علَّم بالقلم علَّمَ الإنسانَ ما لم يعلمْ، ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴾ [الرحمٰن: ١-٤] وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، ذو الفضلِ والعفوِ والإحسان، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه الذي بعثه بالهُدَىٰ ودينِ الحقِّ ليمحوَ الباطلَ بالحجةِ والبرهانِ، صلّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آله وأصحابِه ومَنْ تَبِعَهم بإحسانٍ وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: فإننا في هذه الأيام نَلِجُ أبوابَ بدايةَ دراسةٍ جديدة توافق مع العامِ الهجري الجديد، يستقبلُ فيه المعلِّمون والمتعلمون نشاطهم، فيالَيْتَ شِعْري ماذا اعدُّوا لهذا العام؟

إنني أوجه خطبتي هذه إلىٰ ثلاثةِ أصنافٍ من الناس، إلىٰ المعلمين وإلىٰ المتعلمين وإلىٰ أولياء أمور المتعلمين.

أما المعلمون، فإنَّ مِن أهم ما يتعلّق بهم أن يُدْرِكوا العلومَ التي يُلْقُونَها إلىٰ الطلبةِ إدراكاً جيداً مستقراً في نفوسِهم قبل أن يقفوا أمامَ الطلبة، حتىٰ لا يقعَ الواحدُ منهم في حَيرةٍ عند سؤالِ التلاميذِ له ومناقشتِهم إياه، فإنَّ من أعظمِ مقوماتِ الشخصيةِ لدىٰ الطلبةِ قوةَ المعلمِ في علمِه وملاحظتِه ولا تنقُصُ قوتُه العلميةُ في تقويمِ شخصيتِه عن قوةِ ملاحظته، إنَّ المعلمَ إذا لم يكن عنده علمٌ

ارتبك عند السؤالِ فينحطُ قَدْرُه في أعْيُنِ تلاميذِه، وإنْ أجابَ بالخطأ فلن يَثِقُوا به بعدَ ذلك، وإن انْتَهَرَهُمْ عند السؤالِ والمناقشةِ فلن ينسجموا معه. إذن فلا بُدَّ للمعلمِ من إعدادٍ واستعدادٍ وتَحَمُّلٍ وصَبْرٍ.

وإذا كان علىٰ المعلم أن يُدركَ العلمَ الذي سيلقيه أمامَ الطلبة، فإنَّ عليه أن يَحْرِصَ علىٰ حُسْنِ إلقائه إليهم، بأن يَسْلُكَ أسهَلَ الطُّرُقِ في إيضاحِ المعاني وضَرْبِ الأمثالِ ومناقشةِ الطلبةِ فيما ألقاه عليهم سابقاً ليكونوا علىٰ صلةٍ بالماضي ويعلموا أن هناك متابعةً من المعلمِ.

وإذا كان علىٰ المعلم أن يجتهدَ في ذلك فعليه أن يكونَ حَسَنَ النية والتوجيه، فينوي بتعليمِه الإحسانَ إلىٰ طلبتِه وإرشادِهم إلىٰ ما ينفعُهم في أمورِ دينِهم ودُنياهم، وليجعل نفسَه لهم بمنزلة الأبِ الشفيقِ الرفيقِ ليكون لتعليمِه أثرٌ بالغٌ في نفوسِهم وعليه مع ذلك أن يَظهرَ أمامَهم بالمظهر اللائقِ من الأخلاقِ الفاضلةِ والآدابِ العاليةِ التي أساسُها التمسكُ بكتابِ الله تعالىٰ وسنةِ رسولِه ﷺ ليكون قُدْوَةً لتلاميذه في العلمِ والعملِ، فإنَّ التلميذَ ربما يتلقىٰ من معلمِه من الأخلاقِ والآدابِ أكثرَ مما يتلقىٰ من العلمِ من حيثُ التأثر لأنَّ أخلاقَ المعلم وآدابَـه صورةٌ مشهودةٌ معبرةٌ عما في نفسِه، ظاهرةٌ في سلوكه، فتنعكسُ هذه الصورةُ تماماً علىٰ إرادةِ التلاميذ واتجاهِهم.

أيها المتعلمون ابذلوا غايةَ جُهْدِكم في تحصيلِ العلمِ من أولِ العامِ حتىٰ تُدركوا المعلوماتِ إدراكاً حقيقياً ثابتاً في قلوبكم راسخاً في نفوسِكم لأنكم إذا اجتهدتم من أول العام أخذتم العلومَ شيئاً فشيئاً، فسهُلَتْ عليكم ورسخَت في نفوسِكم وسيطرتم عليها سيطرةً تامةً، وإن أهملتم وتهاونتم من أولَ العامِ واستبعدتم آخره انطوىٰ عليكم الزمنُ وتراكمت عليكم الدروسُ فأصبحتم عاجزين عن تصورها فضلاً عن تحقيقِها فَنَدِمْتُم حين لا تنفعُ الندامةُ وبُؤْتُمْ بالفشلِ والمَلامة.

وإذا كان علىٰ المعلمين والمتعلمين واجباتٌ تجبُ مراعاتُها فإنَّ علىٰ إدارة المدرسةِ أو المعهدِ أو عمادةِ الكليةِ أن تَرْعَىٰ مَنْ تحتَ مسؤوليتِها من مدرسين ومراقبين وطلابٍ، لأنها مسؤولةٌ عنهم بمُقتضىٰ الأمانةِ التي تَحَمَّلَتْها نَحوَهم.

وإذا كان علىٰ المدرسةِ مُعَلِّمِيها ومُديرِيها وعُمُدها واجباتٌ فإنَّ علىٰ أولياء الطلبةِ من الآباء وغيرِهم واجباتٍ يَلزمُهم القيامُ بها، عليهم أن يتفقدوا أولادَهم وأن يُراقبوا سَيْرَهم ونهجَهم العلميَّ والفكريَّ والعمليَّ وأن لا يتركوهم هَمَلاً، لا يبحثون معهم ولا يسألونهم عن طريقتهم وأصحابهم ومَنْ يعاشرونهم ويُصَادقونهم، فإنَّ إهمالَهم ظلمٌ وضياعٌ ومعصيةٌ لما أمرَ اللهُ به في قوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَـٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦]، فاتقوا

اللهَ عبادَ الله وليقمْ كلٌّ منكم بما أوجبَ اللهُ عليه من حقوقٍ للهِ وحقوقٍ لعبادِ اللهِ لتفوزوا بالمطلوبِ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كل ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

القسم الثاني

أصول الدين

- ★ الفرع الأول : أسماء الله تعالى
- ★ الفرع الثاني : آيات الله تعالى
- ★ الفرع الثالث : كمال الإسلام
- ★ الفرع الرابع : الإيمان

الفرع الأول

أسماء الله تعالى

الحثُّ علىٰ الإيمان بأسماء الله تعالىٰ

الحمدُ للهِ الذي كتَبَ الإيمانَ في قلوبِ المؤمنين حتّىٰ شاهَدوا بعينِ البَصيرةِ ونُورِ العلمِ ما كان غائباً عن العيون، ونَشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له الحيُّ الكاملُ في حياتِه، العليمُ الكاملُ في علمِه، القديرُ الكاملُ في قدرتِه، فإنّما أمرُه إذا أرادَ شيئاً أنْ يقولَ له كُنْ فيكونُ، ونشهدُ أنَّ محمّداً عبدُه ورسولُه، إمامُ المتقين وخاتَمُ النبيين، وسيدُ الموقنين، آمَنَ فأَيْقَنَ، وعَمِلَ فأَتْقَنَ، واستمرَّ علىٰ ذلك حتىٰ أتاه اليقينُ، فصلواتُ اللهُ وسلامُه عليه، وعلىٰ آلِه وأصحابِه، ومَنْ تَبِعَهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدين.

أما بعدُ، أيّها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالى، وآمِنُوا به وحَقِّقُوا إيمانكم بمعرفةِ رَبِّكم باسمائِه وصفاتِه وأفعالِه، وبالعملِ بما يَقْتَضِيهِ وتُوجِبُه تلك الأسماءُ والصفاتُ، آمِنُوا بأنَّ اللهَ حيٌّ قيومُ حياتهُ كاملةٌ، لم يسبقْها عَدَمٌ ولا يلحقها فناءٌ، فكلُّ شيءٍ هالِكٌ إلا وَجْهُه، فهو الأوّلُ الذي ليسَ قبلَه شيءٌ، والآخَرُ الذي ليس بعدَه شيءٌ، والظاهرُ الذي ليس فوقَه شيءٌ، والباطنُ الذي ليس دونَه شيءٌ، هو قَيّومُ السمٰواتِ والأرضِ، قام بنفسِه فلم يحتجْ إلىٰ أحدٍ مِنْ خَلْقِه، وفي الحديث الصحيح إنه تبارك وتعالىٰ يقول: «**يا عِبادِي إنّكم لَنْ تَبْلُغُوا ضُرِّي فتَضرّوني، ولن تَبْلُغُوا نَفْعِي فتنفعوني**»[1]، وهو الذي قامَت السّمٰواتُ

---

(١) جزء من حديث أخرجه مسلم (٢٥٧٧) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

والأرضُ بأمرِه، ولم يَسْتَغْنِ عنه أحدٌ مِنْ خَلْقِه، فالعبادُ مُضْطَرُّونَ إليه في جَميعِ أحوالِهم وأوقاتِهم، لا غِنَىٰ لهم عن ربِّهم طرفةَ عينٍ.

آمِنُوا بأنَّ اللهَ بكلِّ شيءٍ عليمٌ، وعلىٰ كلِّ شيءٍ حَفيظٌ رقيبٌ، وأنَّه لا يَخْفَىٰ عليه شيءٌ في الأرضِ ولا في السّماءِ، ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩]. فجميعُ حركاتِكم وسَكناتِكم وأقوالِكم وأفعالِكم معلومةٌ عند ربِّكم، محفوظةٌ لكم مسجلةٌ عليكم في كتابٍ مبينٍ، فحَقِّقُوا ـ رَحِمَكم اللهُ ـ الإيمانَ بهذه الصِّفةِ، صِفةِ العِلْمِ، حَقِّقُوها تَحقيقاً عَمَلياً تطبيقياً، كما أنكُم مأمورونَ بتحقِيقها تحقيقاً علمياً، فإذا عَلِمْتُم أنَّ اللهَ يعلمُ سرَّكم وجَهْرَكم، ويحفظُ ذلك لكم، فإنَّ مقتضىٰ ذلك أن تعبدوه سِرّاً وجَهْراً، وأن تُقَدِّمُوا طاعتَه وخشيتَه علىٰ كلِّ خشيةٍ، وشريعتَه علىٰ كلِّ شريعةٍ ونظامٍ.

أيها المُسلمُ: ربما تعصي اللهَ جِهاراً عَلَناً مِن غيرِ مُبالاةٍ، وربما تعصي الله سِرّاً وخَفَاءً خَوْفاً أو حياءً من الناسِ، فاعلم أنك في كِلتا الحالتَين لا يخفىٰ علىٰ اللهِ عَمَلُك، وأن اللهَ يعلمُ ويسمعُ ما تقول، وَيَرىٰ ما تفعل، ويَحْفَظُ ذلك في كتابٍ مبينٍ، فهل يليقُ بك أن تَعْصِيَه بعدَ ذلك بمخالفةِ أمرِه أو ارتكابِ نهيِه؟

عبادَ الله: آمِنُوا بأنَّ اللهَ علىٰ كلِّ شيءٍ قديرٌ وأنه جَوادٌ كريمٌ وما كان اللهُ ليُعْجِزَه من شيءٍ في السّمواتِ ولا في الأرضِ، إنه كان

عَليماً قديراً، فهو قديرٌ علىٰ تغييرِ الأمورِ وتحويلِها، وعلىٰ منعِ الأمورِ وتسييرِها، قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ﴾ [القمر: ٥٠] وكأَيِّن من آيةٍ في السّمواتِ والأرضِ تُبَرْهِنُ علىٰ قدرتِه، وأنّ جَميعَ الأمورِ بيدِه، فإذا حقَّقْتم ذلك أوجبَ لكم أن تُعَلِّقُوا رجاءكم به عندَ الشدائدِ وأن تسألوه ما تُحِبُّون عندَ المطالب، وأن تعلموا أنَّ قدرتَه وإرادتَه فوقَ الأسبابِ، وكم من أمورٍ حدثت مع استبعادِ الناسِ حُدُوثها، وكم مِن أمورٍ عُدِمَتْ مع استبعادِ الناس عَدَمها، كلُّ ذلك دليلٌ علىٰ أن قدرةَ اللهِ فوقَ كلِّ تقديرٍ، وتدبيرُه فوقَ كلِّ تدبيرٍ.

عبادَ الله: آمِنُوا بأن اللهَ حكيمٌ يضع الأمورَ في مواضعِها، فلم يَخْلُقْ خَلْقاً عَبَثاً ولم يشرعْ شَرْعاً سَفَهاً، فكل ما قضاهُ وقدَّرَه فلحكمةٍ، وكلُّ ما شرعَه لعبادِه من أمر ونهيٍ فلحكمهِ، فإذا آمنتم بذلك حقَّ الإيمان أوجبَ لكم أن تقفوا عند أفعالِ اللهِ وأحكامِه وأنْ لا تعترضوا علىٰ شرعِه وخَلْقِه، وأن تتأدبوا بالأدبِ الواجبِ تِجاهَ حكمةِ اللهِ فإن تَبَيَّنَتْ لكم الحكمةُ فذلك من فضل اللهِ ونعمتِه، وإن لم تتبيَّن لكم الحكمةُ فَكِلُوا الأمرَ إلىٰ العليمِ الحكيمِ، واعرفوا كمالَ علمِ اللهِ وحِكمتِه ونَقْصَ علمِكم وحكمتِكم، وقولوا: رضِينا باللهِ رباً وبالإسلامِ ديناً وبمحمدٍ ﷺ نبياً، كيف يَعْترضُ علىٰ شرعِ اللهِ مَنْ كان مؤمناً باللهِ وعلمِه وحكمتِه، كيف يَعْترضُ علىٰ قَدَرِ اللهِ وقضائِه مَنْ كان مؤمناً باللهِ وعلمِه وحكمتِه.

أيها المسلمون: آمِنُوا بأن اللهَ حَكَمٌ عَدْلٌ قَهَّارٌ، فإذا حققتم الإيمانَ بذلك أوجب لكم الإنصافَ من أنفسِكم والامتناعَ عن الظلمِ، لأن فوقَ أيديكم يدُ الواحدِ القهارِ، واعلموا أنّ لكم موقفاً بين يَدَيِ اللهِ عزَّ وجلَّ يقضي فيه للمظلومِ من الظالمِ، حتّىٰ يتمنّىٰ القاضِي العادلُ أنه لم يَقْضِ بين اثنين في تَمْرةٍ، لِما يَرَىٰ مِن أَخْذِ الظلمةِ، فيخافُ أن يكونَ قد ظَلَمَ فيتمنّىٰ أن يكونَ قد سَلِم، لكن القاضيَ العادلَ الذي عَلِمَ الحقَّ فقضىٰ به ليس عليه إثمٌ ولا وَبَالٌ، بل هو في الجنةِ وَغيرُ القاضِي من الوُلاةِ مِثْلُه، فلْيحذرْ مَن ولاَّهُ اللهُ علىٰ شيءٍ أن يَظْلِمَ، ولْيتذكرْ أنَّ اللهَ حَكَمٌ عَدْلٌ قَهَّارٌ، أعوذُ باللهِ من الشّيطانِ الرّجيمِ قال اللهُ تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

بارك اللهُ لي ولكم في القرآن العَظيم، ونَفَعني وإياكم بما فيه مِن الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستَغفرُ اللهُ لي ولكُم، ولكافةِ المسلمين مِن كلِّ ذنبٍ فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.



شرح بعض أسماء الله تعالىٰ الحسنىٰ

الحَمد لله العليِّ الأعلىٰ، الكاملِ في أسمائِه وصفاتِه العليا، ونشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحده لا شريكَ له، نرجو بها النجاةَ من سُوءِ المأوىٰ، ونُؤَمِّلُ بها الفوزَ بالنعيمِ المقيمِ في الدرجاتِ العُلَىٰ، ونشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه المصطفىٰ وخليلُه المجتبىٰ، صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلهِ وأصحابِه النجباء، وعلىٰ التابعين لهم بإحسانٍ ما دامت الأرضُ والسماءُ، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ: فإنَّ للهِ تسعةً وتسعين اسماً، مَنْ أحصاها دخلَ الجنةَ، وإحصاؤها هو معرفةُ لفظِها ومعناها والتعبدُ للهِ بمقتضاها، فاتقوا اللهَ أيها المسلمون وحَقِّقُوا هذه الأسماءَ، ما تدل عليه من الصفاتِ العظيمةِ والمعانِي الجليلةِ لتعبدوا ربَّكم علىٰ بصيرةٍ، فإنه لا يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون.

أيها الناسُ: في هذه الجمعة سنتكلمُ علىٰ ثلاثةِ أسماءٍ من أسماءِ اللهِ، فمن أسماءِ اللهِ تعالىٰ العزيز فلله العزةُ جميعاً ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨] فهو العزيزُ الذي لا يُغْلَبُ، فما مِنْ جُمُوعٍ ولا أَجْنَادٍ ولا قوةٍ إلا وهي ذليلةٌ أمام عزةِ اللهِ ذَلَّتْ لعزتِه الصعابُ، ولانت لقوته الشدائدُ الصلابُ، ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٤٩] ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة: ٢١].

ومن أسماءِ اللهِ تعالىٰ الحكيمُ، فهو سبحانَه الحاكمُ والخَلْقُ محكومون، له الحُكْمُ كلُّه وإليه يُرْجَعُ الأمرُ كلُّه، يحكمُ علىٰ عبادِه بقضائِه وقَدَرِه، ويحكمُ بينهم بدينِه وشرعِه، ثم يومَ القيامة يحكمُ بينَهم بالجزاءِ بين فضلِه وعدلِه، فلا حاكمَ إلا اللهُ، ولا يجوزُ تحكيمُ قانونٍ ولا نظامٍ سوىٰ حكمِ اللهِ ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]، ﴿ذَٰلِكُمۡ حُكۡمُ ٱللَّهِ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾ [الممتحنة: ١٠]، ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا﴾ [النساء: ٦٥]، فهو سبحانَه الحاكمُ علىٰ عباده لا رادَّ لحكمِه وقضائِه، ولا حُكْمَ فوقَ حكمِه.

وللحكيم معنىً آخرُ وهو ذو الحكمةِ، والحكمةُ أيها المسلمون ضدُّ السَّفَهِ، فهي وَضْعُ الأشياءِ في مواضعِها اللائقةِ بها.

ولذلك كانت أحكامُ اللهِ الكونيةُ والشرعيةُ والجزاءُ مقرونةً بالحكمة ومربوطةً بها، فلم يَخْلُقْ سبحانَه شيئاً عبثاً، ولم يتركْ خَلْقَه سُدىً لا يُؤْمَرُونَ ولا يُنْهَوْنَ ولا يُثابونَ ولا يُعَاقَبُونَ، فما أعطىٰ اللهُ شيئاً إلا لحكمةٍ، وما مَنَعَ شيئاً إلا لحكمةٍ، ولا أنْعَمَ بنعمةٍ إلا لحكمةٍ، ولا أصَابَ بمصيبةٍ إلا لحكمةٍ، وما أمَرَ اللهُ بشيء إلا لحكمةٍ، والحكمةُ في فِعْلِه والتزامِه، ولا نَهَىٰ عن شيءٍ إلا لحكمة.

والحكمةُ في تركِه واجتنابِه، يقولُ اللهُ تعالىٰ مُقرِّراً هذه الصفةَ العظيمة صفةَ الحكمةِ: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون: ١١٥-١١٦]، ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الدخان: ٣٨-٣٩]، ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة: ٣٦]، ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ [ص: ٢٧-٢٨].

أيها المسلمون: لقد تَبيَّنَ لنا أنَّ للحكيمِ معنيين: أحدَهما: الحاكمُ الذي له الحكمُ المطلقُ الكاملُ من جميعِ الوجوهِ. والمعنىٰ الثاني: أنه ذو الحكمةِ الذي لم يَخْلُقْ شيئاً عَبَثاً، ولم يَشْرَعْ شيئاً باطلاً، ولم يَجْزِ عاملاً إلا بما عَمِلَ، المحسنَ بالإحسانِ، والمسيءَ بمثل سيئتِه، وله معنىً ثالث: وهو المُحْكِمُ الذي أحكمَ كلَّ شيءٍ خَلَقَه، فما في خلق الرحمٰنِ من تَفاوُتٍ ولا تَناقُضٍ ولا خَلَلٍ، صُنْعَ اللهِ الذي أتقنَ كلَّ شيءٍ، وليس في شرعِه من تَناقُضٍ ولا اختلافٍ ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

ومن أسماءِ الله تعالىٰ القَوِيُّ، والقوةُ ضِدُّ الضعفِ، فهو سبحانه وتعالىٰ يخلقُ المخلوقاتِ العظيمةَ من غيرِ ضَعْفٍ، فلم يزلْ ولا يزالُ قوياً، والخَلْقُ ضُعَفَاءٌ، ضُعَفَاءٌ في ذاتِهم، وضُعفَاءٌ في أعمالِهم، يقولُ اللهُ تعالىٰ مقرراً هذه الصفةَ العظيمةَ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ

﴿وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ [ق: ٣٨]، يعني من تَعَبٍ ولا ضَعْفٍ فهو القويُ ذو القوةِ الكاملةِ، والخَلْقُ ضعفاء مهما بلغت قوتُهم، ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ [الروم: ٥٤]، وهؤلاءِ عادٌ إرَمُ ذاتُ العمادِ والقوةِ، كان بعضُهم يحمل الصخرةَ العظيمةَ من غير مبالاةٍ، حتىٰ بلغَ بهم الغُرورُ أن قالوا: ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ فقال الله تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [فصلت: ١٥]، فكلُّ قوة مهما عَظُمت فهي ضعيفةٌ أمامَ قوة الخالقِ العظيمِ، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

بارك اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم. ونفعنىٰ وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم.



شرحُ بعضِ أسماء الله تعالىٰ الحسنىٰ

الحمدُ للهِ المَلكِ المعبودِ المتفَضِّلِ علىٰ عبادِه بالكَرمِ والجُود، ونشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، الذي غَمَرَ بإحسانِه وفضلِه جميعَ الوجود، ونشهدُ أنَّ محمّداً عبدُه الداعي إلىٰ دارِ النعيمِ والخلودِ، صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه القائمين بحقِّ العبادِ والمعبودِ وسلَّمَ تسليماً.

أما بعدُ، أيها النّاسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ وسارِعوا إلىٰ تجارةٍ تُنجيكُم من العذابِ الأليم، تجارةٍ مَنْ عاملَ بها فهو رابحٌ، ومَنْ أعرضَ عنها فهو الخاسِرُ، تجارةٍ يحصلُ العبدُ بها علىٰ السّعادةِ في الدّنيا والآخرة، تجارةٍ يحصلُ بها طمأنينةُ القلبِ وراحةُ البدَنِ وطيبُ الحياةِ، تجارةٍ دلَّنا اللهُ عليها وشوّقنا إليها غايةَ التشويقِ، فقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الصف: ١٠]، فيَعْرِضُها علينا ربُّنا مَعرِضَ المُشوِّقِ إليها المُرَغِّبِ فيها، ثم بيَّنها لنا، فقال: ﴿تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الصف: ١١]، والإيمانُ بالله هو الإيمان بأنه الواحدُ الأحدُ الذي لا شريكَ له في رُبُوبيَّتِهِ وأُلوُهيَّتِهِ، وأسمائِه وصفاتِه، تُؤمنُ بأنّه الخالقُ الرّازقُ الْمُحْيِي المميت المُدَبِّرُ لجميعِ الأمورِ، وتؤمن بأنّه هو الإلهُ حقّاً، وأنَّه لا يستحقُّ العبادةَ إلا هو، وأن العبادةَ مَبْناها علىٰ الحُبِّ الكاملِ والتعظيمِ فتُحِبُّ الربَّ لِما له من الصّفاتِ الكاملةِ والنِّعَمِ العامّةِ الشاملةِ، وتُعَظِّمُه لِما له من صفاتِ العظمةِ والكِبرياءِ، فتعبدُه راغباً

في فضلِه، راهِباً من عقابه، وهذه الأصنامُ التي تُعْبَدُ مِنْ دُونِ الله أو تُعَظَّمُ مِثْلَ تعظيمِ اللهِ أو تُقَدَّمُ طاعتُها علىٰ طاعةِ اللهِ، شَأْنُها كما قال اللهُ تعالىٰ عن إبراهيمَ: ﴿ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾ [العنكبوت: ٢٥]، فَكُلُّ مَنْ عَبَدَ حَجراً أو شَجراً أو حيّاً أو ميتاً أو نبيّاً أو ملكاً فهذا شأنه، غير أن المعبود إذا كان مؤمناً فقد قال الله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ۝١٠١ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِي مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٠١-١٠٢]. ومن الإيمان بالله الإيمانُ بما له من الأسماءِ والصفاتِ والأفعالِ.

أما الإيمانُ بالرسولِ ﷺ فهو الإيمانُ بأنه رسولُ ربِّ العالَمينَ إلىٰ الخَلْقِ اجْمَعِينَ، وتصديقُه فيما أخبرَ، وطاعتُه فيما أمرَ، واجتنابُ ما نهى، وتقديم محبّتِه علىٰ النفسِ والولدِ والوالدِ والنّاسِ، وتقديمُ قولِه علىٰ جميعِ الأقوالِ، وتحكيمُ شرعِه علىٰ جميعِ قوانينِ الرّجالِ، والاعتقادُ بأنَّ شريعتَه أكملُ الشرائعِ، وأتمُّها وأقومُها بمصالحِ العبادِ، ثم ذَكَرَ اللهُ فروعَ هذا الإيمانِ وهو الجهادُ في سبيلِ اللهِ بالنّفسِ والمالِ، ثم ذَكَر رِبْحَ هذه التجارةِ وفائدتَها، فذكر فيها ثلاثَ فوائدَ عظيمةٍ:

الأولىٰ: مغفرةُ الذنوب. الثانية: إدخالُ الجنّاتِ في مساكنَ طيّبةٍ وإقامةٍ دائمةٍ، مَنْ دخلَها يَنْعَمُ فلا يَبْأسُ ويَحْيَىٰ فلا يموتُ، ويَصحُّ فلا يَمْرَضُ، ويَشِبُّ فلا يَهْرَمُ. الثالثة: نَصْرٌ من اللهِ وفَتْحٌ قريبٌ.

وهذه التجارةُ لا تَمنعُ من تجارةِ الدنيا ولا تُعَرْقِلُ سَيْرَها، وإنما تجعلُها تجارةً تقومُ علىٰ العدلِ والنُّصحِ والصّدقِ والبيانِ، بعيدةً عن الغُشِّ والكذبِ والكِتمانِ، بل إنَّ تجارةَ الآخرةِ تُصَيِّرُ العاداتِ عباداتٍ، فَمَنْ نَوَىٰ بأكله التنعم بنعم الله والتقوىٰ علىٰ طاعة الله، صار أكلُه عبادةً، ومن نوىٰ ببيعه وشرائه الاستغناءَ عن الناس والقيام علىٰ عائلته والمساكين صار بيعُه وشراؤه وصناعته وعمله عبادةً وتقرباً إلىٰ الله ربِّ العالمين. قال النبيُّ ﷺ: **«السّاعِي علىٰ الأرملةِ والمسكينِ كالمجاهدِ في سبيلِ اللهِ»**[1]، وأحسبه قال: **«كالصائمِ لا يُفْطِرُ وكالقائمِ لا يَفْتُرُ»**.

بارَكَ اللهُ لي ولكُم في الأعمالِ الصّالحاتِ، وخَتَم لنا ولكم بالسّعادةِ، وأدخلَنا الجنّاتِ. أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكُم ولجميعِ المُسلمينَ من كلِّ ذَنْبٍ.

* * *

(١) أخرجه البخاري (٥٣٥٣)، ومسلم (٢٩٨٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

شرحُ بعضِ أسماء الله تعالىٰ الحُسنىٰ

الحمدُ لله العليِّ الأعلىٰ، الكاملِ في الأسماء الحُسنىٰ والصفات العُليا، ربِّ السّمٰوات وربّ الأرض، وربّ الآخرة والأولىٰ، ونشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ذو الفضل والجود الذي لا يُحصىٰ، ونشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه أفضل من تعبّد لله ودعا، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه ومن بهداهم اهتدىٰ، وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ واعلموا أن لله تسعةً وتسعينَ اسماً من أحصاها دخلَ الجنة، وإحصاؤها معرفةُ لفظِها ومعناها والتعبُّد لله بها، فمن أسمائِه تعالىٰ: الله، الحيُّ، القيّوم، العليم، القدير، السّميعُ، البصير، الرحمٰن، الرحيم، العزيز، الحَكيم، القويّ، الملِك، القُدوس، السّلام، الجبار.

ومن أسمائِه تعالىٰ: المتكبر، أي ذو الكبرياء والعظمة فالكبرياء وصفُه المُختص به، فليس لأحدٍ من المَخلوقين أن ينازعه في ذلك، ومَن نازعه في الكبرياء أذاقه الله الذلَّ والهوان، والمتكبرون يُحشرون يومَ القيامة أمثالَ الذرِّ يطؤهم الناسُ بأقدامهم، أما البارىء فإنه لكمالِ عظمَتِه وعِزّته وقهرِه وملكِه، اختصَّ سبحانه بالكبرياء والعظمة، ومن أسمائه تعالىٰ: الخالق الذي خَلق السّمٰوات والأرضَ وما فيهما من المصالح وما بينهما من المخلوقات خلقَها اللهُ تعالىٰ كلَّها في ستةِ أيامٍ وأحسَن خلْقَها وأكمَلَه ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ

ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾ [الملك: ٣]، ولا تناقض ﴿فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝٣ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ [الملك: ٣-٤]، ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ [الحج: ٥]، ﴿يُصَوِّرُكُمْ فِي ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ٦]، ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ﴾ [الزمر: ٦]، ظُلمة البطن، وظلمة الرحم، وظلمة غشاء الجنين في بطن أمه ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ [الزمر: ٦]، يقدر لكم في ذلك الموضع مِن الغِذاء ما لا يستطيعُ أحدٌ أن يوصلَه إليكم، وذلك بواسطةِ السُّرة المنغرسةِ في عُروق الرّحمِ، فتمتص منه من الدم ما يتغذىٰ به جسمُ الجنين، ولا يحتاج معه البول والغائط، فسبحان الله ربِّ العالمين.

خلق الله تعالىٰ كرسيَّه وعرشَه وهما من أعظم المخلوقات؛ فالكرسيُّ وسع السّمٰوات والأرض، وما السمٰوات السّبع والأرضون السبع بالنسبة إليه إلا كحلقةٍ أُلقيَت في فلاةٍ من الأرض، والعرشُ استوىٰ عليه الرحمٰن وهو أعظمُ المخلوقات وأعلاها، وما الكرسيُّ بالنسبةِ إليه إلا كحلقةٍ أُلقيَت في فلاة من الأرض.

أيّها المسلمون: إنَّ هذه المخلوقات العظيمة وما فيها من الإتقان والكمال ليدلُّ دلالةً ظاهرةً علىٰ عَظَمة خالقها وكماله، وأنه أتقنَ كلَّ شيءٍ وأحسَن كل شيء خلقَه، فتبارك الله أحسنُ الخالقين.

ومن أسمائه تعالىٰ الرزاق الذي عمَّ برزقه كلّ شيءٍ، فما من دابةٍ في الأرض إلا علىٰ الله رزقُها، رَزَق الله الأجنةَ في بُطون الأمهات، والحيتان في قِعار البحار، والسّباعَ في مهامة القِفار، والطيورَ في أعالي الأوكار، ورزَق كلَّ حيوانٍ وهداه لتحصيل معاشِه، فأعطىٰ كلَّ شيءٍ خلقه ثم هدىٰ. ولو توكلتم علىٰ الله حقَّ توكله لرزقكم كما يرزقُ الطيرَ تغدو في الصباح خِماصاً جائعةً ثم تَروحُ في المساءِ بطاناً ممتلئةً بما يسَرَ الله لها من الرزق والأقوات، ومِن رزق الله تعالىٰ ما يَمنُّ به علىٰ من يشاءُ من خلقِه من حُسن الخُلق وسماحةِ النفسِ. ومن رزقِه تعالىٰ ما يمنُّ به علىٰ من يشاءُ من العِلم النافع والإيمانِ الصحيح والعمل الصّالحِ الدائب، وهذا أعظمُ رزقٍ يمنُّ الله به علىٰ العبد ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَـٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: ٢-٣]، وهو سبحانه المُعطي المانع، فكم من سائلٍ أعطاه سؤله، وكم من محتاجٍ أعطاه حاجتَه ودفَع ضرورته، وإنه تعالىٰ ليستحي من عبده إذا رفع يديه أن يردَّهما صفراً، وكم منع سبحانه من بلاءٍ انعقدت أسبابُه فمنعه عن عباده ودفعه عنهم فلا مانع لما أعطىٰ ولا مُعطي لما منع، وهو سبحانه الذي بيده النفع والضر، إن جاءك نفع فمن الله، وإن حصل عليك ضرٌّ لم يكشفه سواه، ولو اجتمعت الأمة علىٰ أن ينفعوك بشيءٍ لم ينفعوك إلا بشيءٍ قد كتبه الله لك، ولو اجتمع الناس علىٰ

أن يضروك بشيءٍ لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، فربُّك هو المدبر المتصرف بخلقِهِ كما يشاء، فالجأ إليه عند الشدائد تجده قريباً، وافزع إليه بالدعاء تجده مُجيباً، وإذا عمِلتَ سوءاً أو ظلمْتَ نفسَك فاستغفره تجده غفوراً رحيماً.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

شرحُ بعضِ أسماء الله تعالىٰ الحُسنىٰ

الحمد لله العليِّ الأعلىٰ، الكاملِ في أسمائِه الحُسنىٰ وصفاتِه العُليا، ونشهدُ أن لا إلهَ إلا الله وحدَه لا شريكَ له، شهادةً نرجو بها النجاةَ من سُوءِ المأوىٰ، ونُؤَمِّلُ بها الفوزَ بالنعيمِ المقيمِ، والدرجاتِ العلىٰ، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه المصطفىٰ، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه النُّجباءِ، وعلىٰ مَنْ تَبِعَهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ المعادِ والجزاءِ، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيّها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ واعْرِفُوا ما لله تعالىٰ من الأسماءِ والصفاتِ، فإنَّ معرفةَ ذلك زيادةٌ في الإيمان وبصيرةٌ في دين اللهِ وعرفانٌ، ولله تعالىٰ تسعةٌ وتسعون اسماً، مَنْ أحصاها دخَلَ الجنةَ، ألا وإنَّ إحصاءَها أن يعرف العبدُ لفظها ومعناها، ويتعبد لله تعالىٰ بموجبِها ومقتضاها.

فمِنْ أسمائِه تعالىٰ: ﴿ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ وهو اسمُ اللهِ الأعظمُ الذي إذا دُعِيَ به أجاب، وإذا سُئِلَ به أعطىٰ، فهو الحيُّ الكاملُ في حياتِه، حياةٍ لم يسبقْها عَدَمٌ، ولا يلحقُها زوالٌ، فهو الحيُّ الذي لا يموتُ، وهو الباقي وكلُّ مَنْ عليها فانٍ، أما القيومُ فهو الذي قام بنفسِه فاستغنىٰ عن جميع خَلْقِه، وفي الحديث القدسي أن الله تعالىٰ يقول: (يا عبادي لو أنَّ أولكم وآخِرَكم وإنسَكم وجِنَّكم كانوا

علىٰ أتقىٰ قَلْبِ رجلٍ واحدٍ منكم ما زاد ذلك في مُلكي شيئاً، يا عبادي لو أنَّ أولَكم وآخِرَكم وإنسَكم وجِنَّكم كانوا علىٰ أَفْجَرِ قَلْبِ رجلٍ واحدٍ منكم ما نَقَصَ ذلك من مُلكي شيئاً، يا عبادي لو أنَّ أولكم وآخركم وانسكم وجِنَّكم قاموا في صعيدٍ واحدٍ فسألوني فأعطيتُ كلَّ إنسان مسألتَه ما نقص ذلك مما عندي إلا كما يَنْقُصُ المِخْيَط إذا غُمِسَ في البحرِ ذلك بأني جَوَادٌ ماجدٌ أفعل ما أُريدُ، عَطَائي كلامٌ وعَذَابِي كَلَامٌ إنما أمري لشيءٍ إذا أردتُه أن أقولَ له كُنْ فيكونُ)[١]، وللقيومِ معنىٰ آخَرُ وهو القائمُ علىٰ غيرِه فكلُّ ما في السمواتِ والأرضِ فإنه مضطرٌّ إلىٰ اللهِ لا قيام له ولا ثَباتَ ولا وُجُودَ له إلا بالله، ومن آياتِه أن تقومَ السماءُ والأرضُ بأمرِه.

ومن أسمائِه تعالىٰ العليمُ الذي يعلمُ كلَّ شيءٍ جُملةً وتفصيلاً، فلا يخفىٰ عليه شيءٌ في الأرضِ ولا في السماءِ، ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩]، ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ﴾ [لقمان: ٣٤].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٧٧) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

ومن أسمائه تعالىٰ القديرُ ذو القدرةِ الكاملةِ، فما كان اللهُ لِيُعْجِزَهُ من شيءٍ في السّمٰواتِ ولا في الأرضِ ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يسٓ: ٨٢]، أرأيتم كيف خَلَقَ هذا الكونَ العظيمَ في ستةِ أيامٍ ثم استوىٰ علىٰ العرش، خَلَق هذا الكونَ بأرضِه وسمائِه، وشمسِه وقمرِه، وبحره وبرِه، ووِهَادِه وجِبَالِه، وأنهارِهِ وبِحَارِه وأشجارِه، ورَطْبِه ويَابِسِه، وظاهرِه وباطِنِه، خلق هذا الكونَ علىٰ أحسنِ نظام وأتمِّه لمصالحِ عبادِهِ، خلَقه كلَّه في ستةِ أيامٍ ولو شاء لخلَقه بلحظَةٍ ولكنه حكيمٌ.

أيها المسلمون: إنَّ ما غابَ عنّا من مشاهدِ قدرتِه أعظمُ وأعظمُ بكثيرٍ مما نشاهده، فلقد جاء في الحديث: «**إنّ السمواتِ السبعَ والأرضينَ السبعَ بالنسبةِ إلىٰ الكرسيِّ الذي وَسِعَ السمواتِ والأرضَ كحَلْقَةٍ أُلْقِيَتْ في فَلاةٍ من الأرضِ**»[1]، فسبحانَ اللهِ العليِّ الكبيرِ القويِّ القديرِ.

ومِنْ أسمائه تعالىٰ السميعُ البصيرُ، يسمعُ كُلَّ شيءٍ ويرىٰ كُلَّ شيءٍ، لا يخفىٰ عليه دَبيبُ النملةِ السوداءِ علىٰ الصخرةِ الصَّمَّاءِ في الليلةِ الظلماءِ ﴿يَخۡلُقُكُمۡ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ خَلۡقٗا مِّنۢ بَعۡدِ خَلۡقٖ فِي ظُلُمَٰتٖ ثَلَٰثٖۚ﴾ [الزمر: ٦]، إن جَهَرْتَ بقولِك سَمِعَه، وإن أسْرَرْتَ به لصاحبِك سَمِعَه، وإن أَخْفَيْتَه في نفسك سمعه. وأبلغُ من ذلك أنه يعلمُ ما تُوَسْوِسُ به نفسُك، وإن لم تنطق به إن فَعَلْتَ فِعْلاً ظاهراً

(١) أخرجه ابن حبان (٣٦١) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

رآك، وإن فَعَلْتَ فِعْلاً باطناً ولو في جَوْفِ بَيْتٍ مظلمٍ رآك، إن تَحَرَّكْتَ بجميع بَدِنِك رآك، وإن حَرَّكْتَ عضواً من أعضائِك رآك وأبلغُ من ذلك أنه يعلمُ خائنةَ الأعين وما تُخفي الصدورُ.

ومِنْ أسماءِ اللهِ تعالىٰ الرحمٰنُ الرحيمُ فكلُّ ما نَحْنُ فيه من نعمةٍ فهي من آثارِ رحمتِه معاشُنا من رحمتِه، وصِحَّتُنا من رحمتِه، وأموالُنا وأولادُنا من رحمتِه، الليلُ والنهارُ والمطرُ والنباتُ من رحمتِه، ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل: ١٨]. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم. أقول قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم من كلِّ ذنبٍ ولكافة المسلمين فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.



شرحُ بعضِ أسماء الله تعالىٰ الحسنىٰ

الحمدُ للهِ الذي اختصَّ بالأسماءِ الحُسنىٰ، والصِّفات الكاملةِ العُليا، ونشهدُ أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له، له الحمدُ في الآخرة والأولىٰ، ونشهدُ أن محمّداً عبدُه ورسولُه، أبلغُ من دعا إلىٰ الله، وأرشدُ من هَدىٰ، صلى الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه النجباء، وعلىٰ التابعين لهم بإحسانٍ ما دامت الأرضُ والسماء وسلّم تسليماً.

أما بعد، أيها المؤمنونَ: اتقوا الله تعالىٰ وتعلَّموا أسماءَه وصفاته، فإنَّ لله تسعةٌ وتسعين اسماً من أحصاها دخلَ الجنَّة، وهو وترٌ يُحبُّ الوتر، واعلموا أن أسماءَه كلّها حُسنىٰ، ليس فيها نقصٌ بوجهٍ من الوجوه، وأنَّ صفاتَه كلّها كاملة عُليا، فما من صفةِ كمالٍ إلا ولله أكملُها وأعلاها، فهو الله لا إله إلا هو الحيُّ القيوم، الحيُّ الذي لا يموت، فهو الأول الذي ليس قبلَه شيءٌ، والآخر الذي ليس بعدَه شيءٌ، والظاهرُ الذي ليس فوقَه شيءٌ، والباطنُ الذي ليس دونَه شيءٌ، وهو بكلِّ شيءٍ عليمٍ، القيّوم الذي قام بنفسِه واستغنىٰ عن جميع خلقِه، القيّوم الذي قامت به جميعُ المخلوقات، فلا قِيام لها إلا به، وهي مفتقرةٌ إليه في جميع الحالات والأوقات، ومن آياته أن تقومَ السماءُ والأرضُ بأمره، ومن كمالِ حياتِه وقيامِه علىٰ خلقِه أنه لا ينامَ ولا ينبغي له أن ينام، يخفضُ القِسطَ ويرفعُه، يُرفَعُ إليه عملُ الليل قبلَ عملِ النَّهار، وعملُ النَّهار قبلَ عملِ الليل، حِجابُه النور لو كشفَه لأحرقَت

سُبحاتُ وجهِه ما انتهىٰ إليه بصرُه من خلقِه، وهو العليمُ الذي أحاط علمُه بالخفايا والبينات، فلا يخفىٰ عليه شيءٌ في الأرضِ ولا في السّموات ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩]، وما تحمِلُ من أنثىٰ ولا تضعُ إلا بعلمِه، فاللهُ تعالىٰ يعلمُ سرَّ العبد وجهرَه، بل يعلمُ ما يُحدّثُ به نفسَه، فعلىٰ العبدِ أن يراقبَه في السّرِّ والعلانية، هو الحكيمُ الذي لم يَخلُقْ شيئاً عَبثاً، ولم يتركْ خلقَه سُدىً، كلّ ما خلقَه فهو لغايةٍ محمُودةٍ، وعلىٰ الغايةِ المطلوبةِ، قد وضعَ أحكامَه مواضِعها، وأتقن مخلوقاتِه وأبدعَها، وكما أنه الحكيمُ في خلقِه وصُنعِه فهو الحكيمُ في شرعِه وأمرِه، فما أمرَ بشيءٍ إلا والعقلُ السليمُ يستحسِنُه ويرضاه، وما نهىٰ عن شيءٍ إلا والعقلُ السليم يستنكِره ويأباه، فمن شهِدَ الحِكمةَ في أمرِ الله وأفعاله، فذاك الذي رضيَ به ربّاً، واطمأن قلبُه في جميع أحوالِه، إن أصابته ضرّاء قال: إن ذلك لِحكمةٍ فرضيَ وصَبر، وإن أصابته سرّاء علِمَ أن ذلك لِحكمةٍ فسُرَّ بالنَّعماء وشَكَر، وأما من غفِلَ عن حِكمة الله فإنه يلحقُه القلقُ والاضطرابُ، ويستولي عليه الشّكُّ والارتيابُ، وهو الرحمٰن الرحيم الذي عمَّ برحمتِه جميعَ المخلوقاتِ، فكلُّ خيرٍ أوصلَه إلينا فمن آثارِ رحمتِه، وكلُّ شرٍّ دفعَه عنا فهو من آثار رحمته، ألا وإن من أعظمِ رحمتِه بنا أن بعثَ فينا رسولاً يتلو علينا آياتِه ويزكّينا

ويبيّنُ لنا مصالحَ ديننا ودُنيانا ويهدينا، ثم من رحمتهِ بنا أن هدانا لاتّباعه وجنّبنا طريقَ أعدائِه، فرحمةُ الله شاملةٌ لجميع المخلوقات، لكنَّ رحمتَه بالمؤمنين رحمةٌ خاصةٌ في هذه الدنيا وبعد الممات.

فأحصوا رحِمَكُم الله تعالىٰ ما علَّمَكم ربُّـكم من أسمائِه وصفاتِه، وأثنوا عليه بها بألسنتِكم وقلوبِكم، واعبدوهُ بها مُخلِصين له الدّين لتفوزوا بمطلوبِكم.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وفَّقَني اللهُ وإياكُم لمعرفتِه بأسمائِه وأفعالِه وصفاتِه، وجنَّبَنا الإلحادَ في أسمائِه وآياته، إنّه جوادٌ كريمٌ رؤوفٌ رحيمٌ.



شرحُ بعضِ أسماء الله تعالىٰ الحُسنىٰ

الحمدُ للهِ ذي الصفاتِ الكاملةِ العُليا، والأسماءِ الفاضلةِ الحُسنىٰ خَلَق الأرضَ والسمٰواتِ العلىٰ الرّحمٰن علىٰ العَرش استوىٰ، وأشهدُ أنْ لا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له في أُلوهيته وربوبيته وتدبيره، ولا نظيرَ له في صفاتِه، ولا رَادَّ لتقديرِه، وأشهدُ أنَّ محمّداً عبدُه ورسولُه الذي خضَعَ لربِّه واستعانَ به في صغيرِ أمرِه وجليله، صلّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلهِ وأصحابِه الذين عَرفوا الحقَّ بدليلِه وسلِّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ، واعلموا أنَّ اللهَ لا شريكَ له في جميعِ صِفاتِه، ولا مُضاهي له في أسمائِه وتقديراتِه، فهو (اللهُ) الذي تألّهه القلوبُ بالمحبةِ والودِّ والتعظيم، وهو (الرّحمٰن الرّحيم) الذي هو أرحمُ بعباده مِنَ الوالدةِ بولدِها، فما من نِعمةٍ وُجدت إلا مِن رحمتِه، وما من نَقمَةٍ دُفعتْ إلا مِن آثارِ رحمته، وهو (الملِك) مالكُ العالَم كلِّه علوّه وسفله، لا يتحركُ مُتحرِّكٌ إلا بعلمِه وأرادته، وما يسكُن من ساكنٍ إلا بعلمِه وإرادته، وهو (القُدّوس) الذي تقدَّس وتنزَّه عن النقائص والعيوب، فلقد خَلَق السمٰوات بما فيها من النُّجوم والأفلاك، وخلَقَ الأرضَ بما فيها من البحار والأشجارِ والجبال والمصالِح والأقوات، خَلَق كلَّ ذلك، وما بين السمٰوات والأرض في ستةِ أيامٍ سواءً للسائلين، وما مسّه من تَعبٍ ولا آفات، وهو (القَويّ القهار) فما من مخلوقٍ إلا وتحت قدرتِه وقهرِه، وما

من جبروتٍ إلا وقد ذلَّ لعظمتِه وسَطوتِه. وهو (العَليمُ) الذي يعلمُ السرَّ وأخفىٰ ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩]، وما تحملُ من أُنثىٰ ولا تضعُ إلا بعلمه، يعلم ما تُوسْوِسُ به نفسُ العَبد قبل أن يتكلَّم به، وهو الرقيبُ الشاهِدُ عليه في كل حالاته، وما يَغيبُ عن ربِّك من مثقالِ ذرّةٍ في الأرض، ولا في السّماء ولا أصغرَ من ذلك ولا أكبر، وهو (العَليُّ الأعلىٰ) هو العليّ في ذاتِه فوقَ عرشه، العليُّ في صِفاتِه فما يُشبهه أحدٌ مِن خلقه وهو (الجبّار) الذي يَجبرُ الكَسيرَ والضّعيفَ، ويأخذُ القوىَّ بالقهْرِ المنيف. وهو (الغَفورُ) الذي يَغفِرُ الذنوبَ وإن عَظُمتْ، ويَستُر العيوبَ وإن كثُرت، وفي الحَديث القُدسيِّ عنه تبارَك وتعالىٰ قال: «**يا ابن آدم إنّك ما دَعوتَني ورجَوتني غفرتُ لكَ علىٰ ما كان مِنك ولا أُبالي، يا ابن آدم لو أتيتَني بملءِ الأرضِ خَطايا ثم لقيتَني لا تُشرك بي شيئاً لأتيتُك بملئها مَغفرةً**»(١). وهو (الخلّاق القديرُ) الذي أمسَكَ بقدرتِه السّمٰوات والأرضَ أن تَزولا، ويُمسِكُ السّماء أن تقَعَ علىٰ الأرضِ إلا بإذنه. وهو (الحَكيمُ) في شَرعِه وقَدَره، فما خلَق شيئاً عبثاً، ولا شَرَع عِبادةً لهواً ولعبا، ومع ذلك فلهُ الحُكم آخراً وأولاً، وهو (الغَنيُّ) بذاتِه عن جَميعِ مخلوقاته. وهو (الكَريمُ) بجزيلِ عطائِه وهباته، فيدُه لا تغيضُها نفقةٌ، ملآىٰ سحّاء الليل والنهار، أرأيتُم ما أنفقَ مُنذُ

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٤٠) من حديث أنس رضي الله عنه.

خلَق السمٰوات والأرض، فإنه لم يغض ما في يمينه، حجابُه النورُ لو كشَفَه لأحرقَتْ سُبحات وجهِه ما انتهىٰ إليه بصرُه من خلقه، وفي الحديث قال الله تعالىٰ: «يا عِبادي لوْ أنَّ أوّلكُم وآخركم وإنسَكم وجنّكُم قاموا في صعيدٍ واحدٍ، فسألوني فأعطيتُ كلَّ إنسانٍ مسألته ما نَقَص ذلك مما عندي إلا كما ينقُصُ المخيط إذا أُدخِل البَحر»(١) وفي روايةٍ: «ذلك بأنّي جَوادٌ واجدٌ ماجِدٌ أفعلُ ما أُريدُ، عطائي كَلام، وعذابي كلام، إنما أمري لشيءٍ إذا أردْتُه أن أقولَ له كُنْ فيكون».

إخواني: هذا شيءٌ يَسيرٌ من أسماء الله تعالىٰ، وما لها مِن المعاني، وإنَّ أسماءَه تعالىٰ لا يُحصىٰ لها تِعداد، وله منها تسعةٌ وتسعون مَن أحصاها دخَلَ الجنةَ، وإحصاؤها هو معرفَتُها لفظاً ومعنىً، والتعبد لله بها.

أعوذ بالله مِن الشيطان الرّجيم ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، بارك الله لي ولكم.



(١) أخرجه مسلم (٢٥٧٧) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

شرحُ بعضِ أسماء الله تعالىٰ الحُسنىٰ

الحمدُ للهِ المتفَرِدِ بكمالِ الصّفاتِ، المتنزِّهِ عن العُيوبِ والنقائصِ والآفاتِ، خَلَقَ السّمٰواتِ والأرضَ وما بينَهما في ستةِ أيامٍ ولو شاء لخلقَها في لحظاتٍ، له الملك وله الحمد، وله الخَلْقُ وله الأمر في جميعِ الأوقاتِ، فسبحانَه من إلهٍ عظيم وملكٍ ربٍّ رحيمٍ ولطيفٍ بالعبادِ عليمٍ! ونشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له في الألوهيةِ والربوبيةِ والأسماء والصفات، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه المصطفىٰ علىٰ جميع البريات، صلَّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسانٍ مدىٰ الأوقات وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ واعْرِفُوا ما لَه من الأسماءِ الحسنىٰ والصفات الكاملة العليا، فإنَّ معرفةَ ذلك زيادةٌ في الإيمان وتثبيتٌ علىٰ الحق وإيقان، وعبادةٌ للهِ علىٰ بصيرةٍ وبرهانٍ، فمِنْ أسماءِ اللهِ تعالىٰ (المَلِكُ) وهو ذو السلطان الكامل والمُلك الشامل المتصرفُ بخَلْقِه كما يشاءُ مِنْ غيرِ مُمَانعٍ ولا مُدَافعٍ ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ﴾ [هود: ٥٦]، له المُلكُ المُطلَق ﴿لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣]، ﴿تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [آل عمران: ٢٦]، بيده ملكوت السمٰوات والأرض يُحيي ويميت، يُغْنِي فقيراً أو يُفْقِر غنياً، ويَضَعُ شريفاً ويَرْفَعُ وضيعاً، ويُوجِدُ معدوماً

ويُعْدِمُ موجوداً، ويَبْتَلِي بالنعمِ وَيَبْتِلي بالمصائبِ ليبلو عباده أيشكرون النعمةَ أم يكفرون، وهل يصبرون علىٰ المصائب أو يجزعون. يُقَلِّبُ اللهُ الليلَ والنهارَ بالرخاءِ والشدةِ والأمنِ والمخافة، كلّ يومٍ في شأن، ملكه ظاهر في السمٰوات وفي الأرض، ويظهر تماماً حينما يتلاشىٰ الملكُ عن كلِّ أحدٍ، حينما يُعرَضُ الخلائق عليه فُرادىٰ كما خُلقوا أول مرة ﴿يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦].

ومن أسمائه تعالىٰ (الجبار) وله ثلاثةُ معانٍ: جَبْرُ القوةِ؛ وجَبْرُ الرحمة، وجَبْرُ العُلُوِّ، فأما جَبْرُ القوةِ فهو تعالىٰ الجبارُ الذي يَقْهَرُ الجَبَابِرةَ ويَغْلِبُهم بجبروتِه وعظمتِه، فكلُّ جَبَّارٍ وإن عَظُمَ فهو تحتَ قَهْرِ اللهِ وجبروتِه، وفي يدِه وقبضتِه، وأما جَبْرُ الرحمةِ فإنه سبحانَه يَجْبُرُ الضعيفَ بالغِنىٰ والقوة، ويجبُر الكسيرَ بالسلامةِ، ويجبرُ المنكسرةَ قلوبُهم بإزالةِ كَسْرِها وإحلال الفرحِ والطمأنينةِ فيها وما يحصل لهم مِن الثواب والعاقبة الحميدةِ من كسرِ قلوبِهم إذا صَبَرُوا علىٰ ذلك من أجلِه، وأما جَبْرُ العُلُوِّ فإنه سبحانه فوقَ خَلْقِه عالٍ عليهم قريبٌ منهم يسمعُ أقوالَهم ويرىٰ أفعالَهم ويعلم ما توسوسُ به نفوسُهم.

ومن أسمائه تعالىٰ (القُدُّوسُ السلامُ) فأما القُدُّوسُ فهو الذي تَقَدَّسَ وتعالىٰ عن كلِّ نَقْصٍ وعَيْبٍ، فالنقصُ لا يجوز عليه ولا يمكن في حقِّه، لأنه تعالىٰ الربُّ الكامِلُ المستحق للعبادة، وأما السلام فهو السالمُ من كلِّ نقصٍ وعيبٍ ومِنْ مشابهةِ المخلوقين أو

مماثلتِهم ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١]، وفي الحديث أنَّ الصحابةَ رضي الله عنهم كانوا يقولون قبل أن يُفْرَضَ عليهم التشهدُ: السلامُ علىٰ اللهِ من عبادِه، السلامُ علىٰ جِبْرِيلَ السلامُ علىٰ فلانٍ وفلانٍ، فقال النبيُّ ﷺ: «**لا تقولوا السلامُ علىٰ اللهِ مِنْ عبادِه فإن اللهَ هو السلامُ**»(١).

أيها الناس: تفكروا في أسماءِ اللهِ وصفاتِه واعْرفُوا معناها وتعبدوا لله تعالىٰ بها، وانظروا في ملكوت السمٰواتِ والأرض وما خلق اللهُ فيهما من الآياتِ الدالةِ عليه التي هي مُقتضىٰ أسمائِه وصفاته فإن في كلِّ شيءٍ له آية تدلُّ علىٰ أنه واحد.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ٢٢-٢٤].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) أخرجه البخاري (٨٣٥)، ومسلم (٤٠٢) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

الفرع الثاني

آيات الله تعالى

خَلقُ السمٰوات والأرض

الحمدُ لله الذي رَفَع السمٰوات بغير عماد، ووضع الأرض وهيأها للعباد وجعلها مقرّهم أحياءً وأمواتاً، فمنها خلقَهم وفيها يعيدهم ومنها يُخرجهم تارةً أخرىٰ يومَ المعاد، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له ولا ندَّ ولا مُضاد وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسوله أفضل العباد، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسانٍ وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله وأطيعوه وصدِّقوا بما أخبركم به واعتقدوه وارفضوا ما خالَف كتابَه وسنةَ نبيه من أقوال الناس وردّوه لأن ما خالفَ الكتابَ والسنةَ فهو باطلٌ زور وبُهتان وما وافق الكتابَ والسنة فهو حقٌّ ثابتٌ لقيام الحجّةِ والبرهان، واعلموا أنَّ الله سبحانه لم يُشهد أحداً خلق السمٰوات والأرض، فلا عِلم عند أحد في ذلك إلا ما جاء عن طريق الوحي ﴿ ۞ مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا ﴾ [الكهف: ٥١]، فكل من تكلَّم عن خلق السمٰوات والأرض من أي مادةٍ هو وكيف وقع ومتىٰ وقع، كل من تكلم بذلك من غيرِ طريق الوحي فإنما يتكلّم عن أمر نظريٍّ وقياسٍ ظني قد يُصيب وقد يُخطىء وقد يرفض وقد يغير إذ ليس أحد من البشر شاهد كيف خلق السمٰوات والأرض، هذه هي الحقيقة الثابتة وعلىٰ هذا فالاعتماد في ذلك علىٰ ما جاء في كتاب الله أو صحَّ عن رسول الله ﷺ.

أيها المسلمون: لقد خَلَق الله السمٰواتِ والأرضَ في ستة أيام فجعل السمٰوات سبعاً والأرضين سبعاً جعل الله السمٰوات سبعاً طِباقاً بعضها فوق بعض ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا﴾ [نوح: ١٥]، وبناها بناءً محكماً قوياً شديداً ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ [قٓ: ٦]، ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْي۟دٍ (يعني بقوة) وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات: ٤٧]، ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾ [النبأ: ١٢]، أي قوية محكمة، جعل الله بين كلِّ واحدةٍ والأخرىٰ مسافةً فكان جبريل يعرج بالنبيِّ ﷺ من سماءٍ إلىٰ سماءٍ حتىٰ بلغ السابعةَ. رفعها الله رفعاً عظيماً ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا﴾ [الرحمٰن: ٧]، ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا﴾ [النازعات: ٢٧]، رفعها سبحانه بغير عمدٍ وأمسكها بقوته ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ [الرعد: ٢]، ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحج: ٦٥]، جعلها الله سقفاً للأرض محفوظاً من الشياطين ﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا﴾ [الأنبياء: ٣٢]، ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ﴾ [الحجر: ١٦-١٨]، جعل لها أبواباً لا تُفتح إلا بإذنه ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأعراف: ٤٠]، وفي يوم القيامة يَطوي اللهُ هذه السمٰوات بيمينه ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]،

﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧].

أيها المسلمون: إنَّ هذه الآياتِ الكريمة العظيمة لتدلُّ دلالةً قاطعةً لا تقبل الشكَّ ولا الجدال في أنَّ السمٰوات السبع أجرامٌ محسوسةٌ رفيعةٌ قويةٌ محكمةٌ محفوظةٌ لا يستطيع أحدٌ دخولَها ولا اختراقها إلا بإذن الله عز وجل ألم تعلموا أنَّ محمداً ﷺ أشرفَ البشرِ وجبريلَ أشرفَ الملائكة ما دخلا السمٰوات حين عروجهما إلا بالإذن والاستفتاح، فكيف بغيرهما من المخلوقين.

أيها الناس: أفبعد هذا يمكن لمؤمن أن يقولَ: إن السمٰوات هي المجرات أو هي الغلاف الجوي للأرض أو يقول: إن ما نشاهده فضاء لا نهاية له إن مَن يقول ذلك فهو إما جاهلٌ بوحي الله وإما مُكذِّب به مستكبر عنه مُشاقٌّ لله ورسوله ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ١٣]، ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥]، إن إنكارَ السمٰوات أو التكذيب بها أو بأنها ذات بناء وإحكام تكذيبٌ لله وكفر به سواء قالها قائِلٌ أو صدَّق من يقولَها.

أما الأرض فإنها سبع أرضين في ظاهر كلام الله تعالىٰ وصريحِ سنة رسولِ الله ﷺ يقول الله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ

﴿ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ١٢]، وهذه المثلية تقتضي المساواة في كلِّ ما تمكن فيه فالأرض مثل السمٰوات في العدد، قال رسول الله ﷺ: **«اللهم ربَّ السمٰوات السبع وما أظللن، والأرضين السبع وما أقللن»**[١] (رواه النسائي) والأرض مثل السمٰوات في التطابق فإذا كانت السمٰوات سبعاً طِباقاً فكذلك الأرضُ مثلهن يقول النبيُّ ﷺ: **«من أخذ شبراً من الأرض ظُلماً فإنه يطوقه يوم القيامة من سبع أرضين»**[٢] (رواه البخاري). وقال أيضاً: **«من اقتطع شِبراً من الأرض بغير حقِّه طوقه إلىٰ سبع أرضين»**[٣] (تفرد به أحمد وهو علىٰ شرط مسلم). والغاية تدل علىٰ أن كلَّ أرضٍ تحتَ الأرض وما أُوتيتم من العلم إلا قليلاً.

لقد خلق الله هذه السمٰوات وهذه الأرضين وقدَّر فيهن ما قدَّر من عجائبَ مخلوقاتِه وأسرارِ مُبدعاته وفصَّل لنا ما فصَّل منها في سورة فصلت حيث قال: ﴿۞ قُلۡ أَئِنَّكُمۡ لَتَكۡفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ فِي يَوۡمَيۡنِ وَتَجۡعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٩ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوۡقِهَا وَبَٰرَكَ

(١) أخرجه النسائي في «الكبرىٰ» (١٠٣٧٧) وفي «عمل اليوم والليلة» (٥٤٣) من حديث صهيب الرومي رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٣١٩٨)، ومسلم (١٦١٠) من حديث سعيد بن زيد رضي الله عنه.

(٣) أخرجه أحمد ٢/٣٧١، وبنحوه مسلم (١٦١١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [فصلت: ٩-١٢]. وحَجَبَ عن عبادِه كثيراً من ذلك فلا يحلُّ لأحدٍ أن يُثبت شيئاً من أسرار الكون إلا بدليلٍ منقولٍ أو محسوسٍ. أما مجرد النظريات التي قد تتغير وتتبدل فلا يمكن الاعتمادُ عليها وأشدُّ من ذلك وأدهىٰ أن يُحرَّف من أجلها كتابُ الله وسنة رسوله فينزل علىٰ الآراء والنظريات القابلة للنقض والإفساد. ومن قال في القرآن برأيه فليبتوأ مقعدَه من النار.

وفقني الله وإياكم لفهم كتابه والعمل به وجنَّبنا الزيغَ والزلل في القول والعمل. أقول قولي هذا.. الخ.



فيما سخَّره الله لبني آدمَ وأكرمهم به

الحمدُ لله الذي أكرم بني آدم وفضَّلهم علىٰ العالمين وسخَّر لهم ما في السمٰوات وما في الأرض جميعاً منه ليكونوا من الشاكرين، وأشهدُ أنْ لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له ذو الكَرَم والفضل المُبين، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه المصطفىٰ علىٰ العالمين صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه ومن تبعهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ الدين وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا ربّكم واشكروا نعمتَه عليكم إن كنتم إياه تعبدون، واعرفوا ما كرمكم به علىٰ العالمين وما خولكم به من الفضل في الأولين والآخرين، فلقد خلق الله أباكم آدم بيده ونفخ فيه مِن روحه وعلَّمه أسماءَ كلِّ شيءٍ وأسجد له ملائكتَه وخَلَق له من نفسِه زوجاً ليسكن إليها وينشر الأولاد من بينهما ثم اذكروا نعمةَ الله عليكم حيث خلقكم في بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلقٍ في ظُلماتٍ ثلاث، لا يعلمكم إلا الله ولا يستطيع أحد أن يُوصِل إليكم طعاماً ولا شراباً ولا نفعاً ولا ضراً، جعل غذاءكم في بطون أمهاتكم من الدم الذي يتصل بالبدن من طريق السرة وينتشر في العروق، ثم هيأ لكم بعد الخروج من بطون أمهاتكم ثديين تنهلون منها لبناً خالصاً سائغاً مناسباً في حرارته ومذاقه، لطيفاً في

نفوذه في العروق وغذائه. وتذكَّروا نعمةَ الله عليكم حيث أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً رحمةً بكم وإحساناً إليكم، فإنكم لو كنتم في تلك الحال تعلمون لما تحملتم أجسامكم الصغيرة ألم الحياة ونكباتها وفتنها، ثم أعطاكم الله الفهمَ شيئاً فشيئاً كلما ازددتم في العمر ازددتم في الفهم، حتىٰ يتم ذلك ثم اذكروا نعمةَ الله عليكم حيث خلق لكم ما في الأرض جميعاً وأباح لكم من الطيبات ما تنالوا به وطركم وأمركم بتناوله والتمتع به فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾ [البقرة: ١٦٨]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢]، ونوع لكم هذه الأرزاق في أشكالها وأحجامها ومذاقها ومنافعها لتكمل لكم اللذة في التفكه بها، ثم اذكروا نعمةَ الله عليكم فيما يسَّر لكم من الركوب ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ﴾ [الزخرف: ١٢]، ﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٨]، واذكروا نعمةَ الله عليكم حيث سخَّر لكم ما في السمٰوات وما في الأرض جميعاً منه أرسل الرياح مبشرات ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّر لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٢-٣٤]، ولقد بلغ من

عناية الله بكم أن سخَّر لكم ملائكته ﴿ ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْۖ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمۡتَهُۥۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ [غافر: ٧-٩]، ووكَّل بنيَّ آدم كراماً كاتبين يعلمون ما تفعلون لكلِّ واحدٍ ملكَان عن اليمين وعن الشمال قعيد. ما يلفظ من قول إلا لديه رقيبٌ عتيدٌ إن عملَ حسنةً كتبوها عشراً وإن عَمِل سيئةً كتبوها واحدةً وإن همَّ بحسنةٍ كتبوها حسنةً وسخَّر الله الملائكة الكرام لمصالح بني آدم، فجبريل ينزل بالوحي الذي فيه حياةُ القلوب وسعادة الأمم، وميكائيل موكَّل بالقطر والنبات الذي هو حياة الأرض ومادة غذاء الأبدان، وإسرافيل موكَّل بالصور ينفخ فيه فيقوم الناسُ أحياءً من الأجداث إلىٰ ربهم ينسلون. ومن الملائكة من وكلهم الله بحفظ بني آدم وهم المذكورون في قوله تعالىٰ: ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ ﴾ [الرعد: ١١]، وقال ﷺ الملائكة يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار. وقال إذا كان يوم الجمعة كان علىٰ كلِّ بابٍ من أبواب المسجد ملائكة يكتبون الأولَ فالأول فإذا جلس الإمامُ طووا الصحفَ وجاؤوا يستمعون الذكر، وكل هذا من عناية الله ببني آدم ومن عنايته بكم. أنه إذا مات العبد

قبضت الملائكة روحه بأمانةٍ تامة وهم لا يفرطون. ثم إذا كان يوم القيامة تلقَّت الملائكة المؤمنين بالبشارة هذا يومكم الذي كنتم توعدون، فإذا أدخلوا الجنة دخلت عليهم الملائكة من كل باب سلامٌ عليكم بما صبرتم فنِعمَ عُقبىٰ الدار.

فيا عباد الله اشكروا نعمةَ الله عليكم وما سخَّر لكم في السمٰوات والأرض وقوموا بعبادته حُباً وتعظيماً واستعانةً فله الفضل والإحسان أولاً وآخراً والحمد لله ربِّ العالمين.

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.



شيءٌ من آيات الله الدالة علىٰ قُدرته

الحمدُ لله الذي يُرسل الرياح بُشراً بين يدي رحمته وأنزل من السماء ماءً طهوراً ليُحيي به بلدةً ميتاً ويسقيه مما خلق أنعاماً وأناسيَّ كثيراً وأشهد أن لا أله إلا الله وحده لا شريك له وكان الله علىٰ كلِّ شيءٍ قديراً وأشهدُ أنَّ محمداً عبده ورسوله أرسله إلىٰ الناس كافةً بشيراً ونذيراً وداعياً إلىٰ الله بإذنه وسراجاً منيراً، «فكان مَثلُ ما بعثه الله به كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً فكان منها طائفة طيبة قبِلَت الماء فأنبتتْ الكلأ والعشبَ الكثير وكانت منها أجادب أمسكت الماءَ فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا وأصاب منها طائفة أخرىٰ إنما هي قيعان لا تمسك ماءً ولا تنبت كلأً»[١] فالأول رجل فقه في دين الله ونفعه وحي الله فعلِمَ وعلَّم. والثاني رجل حمل الوحيَ إلىٰ غيره فنفعه. والثالث رجل لم يرفع بوحي الله رأساً ولم يقبل هدىٰ الله الذي أرسل به رسولَه صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسانٍ وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا ربكم واعبدوه، اتقوا ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا

---

(١) أخرجه البخاري (٧٩)، ومسلم (٢٢٨٢) من حديث أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه.

لَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢]، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ [الأعراف: ٥٧-٥٨].

أيها الناس: إن كلَّ شيء في هذا الكون فيه لله آيةٌ تدل علىٰ وحدانيته وكمال ربوبيته وكمال قُدرته وعظمته وكمال حكمته ورحمته، تدل علىٰ أنه علىٰ كل شيءٍ قدير يخلق ما يشاء ويختار، وما كان ليعجزه من شيءٍ في السمٰوات ولا في الأرض إنه كان عليماً قديراً. إنَّ هذه الرياح اللطيفة يُرسلها الله تعالىٰ فتحمل السحبَ الثقيلةَ المحملة بالمياه الكثيرة التي تجري بها الأرض أنهاراً وتركد بحاراً ويسوق الله هذا السحاب ثم يؤلِّف بينه فيجمعه حتىٰ يتراكمَ كالجبال فيحجب نورَ الشمس لكثافته وتظلم الأرض من سواده وتراكمه وتراه يتجمع وينضم بعضُه إلىٰ بعضٍ سريعاً بإذن الله وإذا شاء الله أن يفرِّقه فرَّقه سريعاً فأصبحت السماء صحواً كأن لم يكن سحاب، قال أنس رضي الله عنه أصابت الناس سنة علىٰ عهد النبي ﷺ فبينما النبيُّ ﷺ يخطب في يوم جمعة قام أعرابي فقال: يا رسول الله هلك المال وجاع العيال وانقطعت السبل فادع اللهَ يُغيثنا فرفع يديه وما نرىٰ في السماء قزعة قطعة غيم، فوالذي نفسي بيده ما وضعها حتىٰ ثار السحاب أمثال الجبال ثم لم ينزل

عن منبره حتىٰ رأيت المطر يتحادر علىٰ لحيته ﷺ فمُطرنا يومنا ذلك ومن الغد وبعد الغد والذي يليه حتىٰ الجمعة الأخرىٰ وقام ذلك الأعرابي أو قال غيره، فقال: يا رسولَ الله تهدَّم البناءُ وغرق المال فادعُ اللهَ لنا فرفع يديه وقال: **«اللهم حوالينا ولا علينا اللهم علىٰ الآكام والضراب وبطون الأودية ومنابت الشجر»**(١) فما يشير بيده إلىٰ ناحيةٍ من السماء إلا انفجرت فتمزق السحاب فما نرىٰ منه شيئاً علىٰ المدينة وسال الوادي قناة شهراً ولم يجيء أحد من ناحية إلا حدث بالجوْد.

أيها المسلمون: إن في هذا الحديث الصحيح وفيما نشاهده نحن من هذه القدرة العظيمة لأكبر دليل علىٰ قُدرة الله سبحانه وتعالىٰ وأنه إذا أراد شيئاً فإنما يقول له كن فيكون بمرة واحدة ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ﴾ [القمر: ٥٠]. إنه لآية علىٰ أن هذا السحاب مسخَّر بأمر الله لا يتجاوز ما أمره به خالقه ومنشئه ولقد حدث رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق عن رجل في فلاة من الأرض سمع صوتاً في سحابة: اسقِ حديقةَ فلان فأفرغ السحابُ ماءَه في حرة وسال منها إلىٰ حديقة الرجل فقال له يا عبد الله ما اسمك قال: فلان للاسم الذي سمع في السحابة فلِمَ تسألني عن اسمي قال: إني سمعت صوتاً في السحاب الذي هذا ماؤه يقول:

---

(١) أخرجه البخاري (٩٣٢) و(٩٣٣)، ومسلم (٨٩٧) من حديث أنس رضي الله عنه.

اسق حديقة فلان لاسمك فماذا تصنع في حديقتك. قال: أما إذا قلت هذا فإني أنظر إلىٰ ما يخرج منها فأتصدق بثلثه وآكل أنا وعيالي ثلثاً وأرد فيها ثلثاً يعني لعمارتها وحرثها[1].

أيها المسلمون: إن هذا الغيث الذي أنزله الله علينا لمن فضل الله ورحمته فعلينا أن نقومَ بشكره وأن نستعينَ به علىٰ طاعته فإنَّ من قام بشكر الله زاده الله. ومن كَفَر بنعمة الله حرمه الله ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ [إبراهيم: ٧].

فاشكروا الله بالثناء عليه بألسنتكم والتحدث بنعمته واشكروا الله بالقيام بطاعته امتثالاً للأمر وإجتناباً للنهي، واشكروا الله بالإنابة إليه بقلوبكم واعتقاد أنَّ هذه النعم فضلٌ منه ورحمة وإحسان.

اللهم أعنا علىٰ ذكرك وشكرك وحُسنِ عبادتك، واجعل ما رزقتنا عَوناً لنا علىٰ طاعتك واغفر لنا ولجميع المسلمين.



---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٨٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

خلق السماوات والأرض

الحمدُ للهِ القويِّ القهارِ ذي العظمةِ والمَجْدِ والعِزَّةِ والاقْتِدَارِ، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، الملكُ العزيزُ الغفارُ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه المصطَفىٰ المختارُ صلىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آله وأصحابه ما تعاقَبَ الليلُ والنهارُ وسلَّمَ تسليماً.

أمَّا بَعْدُ أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ، اتقوا ربَّكم الذي خَلَقَكم والذينَ مِنْ قبلِكم لعلكم تفلحون، واعْرِفُوا آياتِ اللهِ تعالىٰ لعلكم توقنون. ألم تَرَوْا كيفَ خلقَ اللهُ سَبْعَ سمٰواتٍ طِباقاً وجعلَ القمرَ فيهن نوراً وجعلَ الشمسَ سِراجاً، كان اللهُ ولم يَكُنْ شَيءٌ قبلَه، وكان عرشُه علىٰ الماءِ، وكَتَبَ في اللوحِ المحفوظِ كُلَّ شَيْءٍ كائِنٍ إلىٰ يومِ القيامةِ، وخلقَ السمٰواتِ والأرضَ في ستة أيامٍ لا تزيدُ، ولو شاءَ لخلقَهَا في لحظةٍ، فهو الفَعَّالُ لما يُريدُ، ولكنه الرفيقُ في شَرْعِهِ وخلقِه، خلقها شيئاً فشيئاً وهو الحكيمُ الرشيدُ، ابتدأ اللهُ خلقَ الأرضِ فخلقَهَا أولاً في يوم الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء، خلقَهَا وقدَّرَ فيها أقْواتَها ومنافعَها وخلقَ فيها جِبالَها وبِحَارَها وأنهارَها ومَرَاتِعَها، وبعد أن أتمّ خلقها بقدرتِهِ وأنزل فيها مِنْ بَرَكتِهِ ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ [فصلت: ١١]، يعني امْتَثِلاَ لِأَمْرِي وَانْقَادَا لِطَاعِتِي طَائِعَتَيْنِ أو مُكْرَهَتَيْنِ

فَانْقَادَتَا لِأَمْرِ رَبِّ العالمينَ و﴿قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ۝١١ فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ﴾ [فصلت: ١١-١٢] سَبْعَ سمٰواتٍ طِبَاقاً ما تَرَىٰ فيهنَّ مِنْ تَفَاوُتٍ ولا انفطـار ﴿وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ﴾ [فصلت: ١٢]، أي رَتَّبَ ما فيها من الملائكةِ والشُّؤونِ التي لا يعلمُها إلا اللهُ، وزيَّنَ السماءَ بمصابيحَ وحِفْظاً، وهي هذه النجومُ خلقَها اللهُ زِينةً للسماءِ وعلامات للاهتداءِ، ورُجُوماً لِمَنْ يَسَّمَّعُونَ إلىٰ الملأِ الأعلىٰ، وجعلَ في هذه السمٰواتِ سِراجاً وَهَّاجاً، لِيُوالِيَ نِعْمَتَهُ علىٰ عبادِه بهما فينتفعون في دِينهِم ودُنياهم فَيَعْرِفُونَ عددَ السنينَ والحسابِ، وآجالَ دُيُونِهم وأوقاتَ عباداتِهم ولِيَحْدُثَ بهما من التخويفِ عند كُسُوفِهما ما لَعَلَّ العبادَ إليه يرجعون، ومن غضبِه وعقابِه يخافون، فالكسوفُ إنذارٌ للعبادِ وتخويفٌ، وليس مُجَرَّدَ اختلافٍ في سَيْرِ الشمسِ والقمرِ، فتأَمَّلُوا ما في تقديرِ الخبيرِ اللطيفِ، فإن الأسبابَ الطبيعيةَ لا تُنَافِي الأسبابَ الشرعيةَ، فالكلُّ من الله وبتقديره وتدبيره.

أيُّها المسلمونَ: لقد أخبَرنا اللهُ تعالىٰ في كتابه أنَّ السمٰواتِ كانت سَبْعاً واحدةً فوق الأُخْرَىٰ، وكان النبيُّ ﷺ ليلةَ المعراجِ يَسْتَفْتِحُها سماءً بَعْدَ سَمَاءٍ حتّىٰ انْتَهَىٰ إلىٰ السماءِ السابعةِ العُلْيَا، فمن أنكرَ شيئاً منها فقد كفرَ بالربِّ العظيمِ الأعلىٰ، وكذلك ثبت عن النبيِّ ﷺ أنَّ الأَرَضِينَ كانت سَبْعاً كالسمٰواتِ، وقد أشارَ اللهُ إلىٰ ذلك في مُحْكَمِ الآياتِ، قال اللهُ تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ

وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢].

بارك الله لي ولكم في القرآنِ العظيمِ، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ. أقول قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنب.

* * *

بيان أنَّ السمٰوات أجرامٌ محسوسة

الحمدُ للهِ الذي رفع السّمٰواتِ السبعَ بغيرِ عمادٍ، ووضعَ الأرضَ وهيأها للعبادِ، وجعلها مَقرَّهُم أحياءً وأمواتاً، فمنها خلقَهم وفيها يُعيدُهم ومنها يُخْرِجُهم تارةً أُخرىٰ يومَ الحشرِ والتنادِ، ونشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له ذو العزةِ والقوةِ والاقتدارِ، ونشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه المصطفىٰ المختارُ، صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه الصديقين البَرَرةِ الأطهارِ، وعلىٰ التابعين لهم بإحسانٍ ما تعاقبَ الليلُ والنهارُ، وسلَّم تسليما.

أما بعدُ، أيها المؤمنون: اتقوا اللهَ تعالىٰ وأطيعوه وصَدِّقُوا بما أخبرَ اللهُ به ورسولُه من أمورِ الغيبِ واعتقدوه، وارْفُضُوا ما خالفَ الكتابَ والسنةَ من أقوالِ الناسِ واطْرَحُوه، فإنَّ كلَّ ما خالفهما فهو باطلٌ كَذِبٌ ليس له حقيقةٌ، وكلُّ ما وافق الكتابَ والسنةَ فهو حقٌّ لقيامِ الدليلِ عليه والحجةُ الوثيقةُ، فإنَّ كلامَ اللهِ وكلامَ رسولِه هو أصدقُ الكلامِ وأبينُه وأظهرُه للأنام، واعلموا أنَّ اللهَ تعالىٰ خَلَق فوقَكم سَبْعَ سمٰواتٍ طباقاً شِدَاداً، وهذه السمٰواتُ أجسامٌ محسوسةٌ ظاهرةٌ لا تقبلُ شَكاً ولا جِدالاً ولا عِناداً، قال الله تعالىٰ وهو أصدقُ القائلين: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴾ [الملك: ٣]، ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ ﴾ [المؤمنون: ١٧]، ﴿ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴾ [النبأ: ١٢]، (أي قوة) ﴿ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴾

[النازعات: ٢٧-٢٨]، ﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا﴾ [الأنبياء: ٣٢]، ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ [ق: ٦]، (أي شُقُوقٍ) ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ [الرعد: ٢]، ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]، ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأعراف: ٤٠]، ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ﴾ [الحج: ٦٥]، فهذه الآياتُ وأمثالُها تدلُّ دلالةً قاطعةً لا تقبلُ الشكَّ علىٰ أنَّ السّمٰواتِ ذاتُ أجرامٍ محسوسةٍ حقيقة، نَعَمْ تدلُّ علىٰ ذلك دلالةً قاطعةً لا تقبلُ الشكَّ فالطرائقُ الطباقُ الرفعُ والسَّمْكُ والسَّقْفُ والطَّيُّ يعني الطوْي كلُّ ذلك نصٌّ صريحٌ قاطعٌ في أنَّ السمٰواتِ ذاتُ أجرامٍ محسوسةٍ، ثم إنَّ إثباتَ الأبوابِ لها ونَفْيَ الفرُوجِ والفطور عنها وهي الشقُوقُ، ونَفْيَ وقوعِها علىٰ الأرض كلُّ ذلك دليلٌ علىٰ أنَّ السمٰواتِ ذاتُ أجرامٍ محسوسةٍ ظاهرةٍ، والنبيُّ ﷺ حين عُرِجَ به كان يصعدُ إلىٰ السمٰواتِ سماءً سماءً، وفي كل سماءٍ يُسَلِّمُ علىٰ نبيٍّ من الأنبياءِ عليهم الصلاةُ والسلامُ، وقد تَواتَرَ ذلك بينَ المسلمين وأجمَعُوا عليه، فمَنْ أنكرَ شيئاً منها أوْ شَكَّ فيه فهو كافرٌ، لأنه مكذِّبٌ للهِ ورسولِه وإجماعِ المؤمنين ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥]،

وإنما قَرَّرْنا هذا ونبهنا عليه لأنه يُوجَدُ من زنادقةِ الفلكيين ومُلْحِديهم مَنْ يُنْكِرُ أن تكونَ السمٰواتُ أجراماً محسوسةً، فيُخْشَىٰ أن يروِّجَ هذا الباطلُ علىٰ مَنْ لا عِلْمَ له بالكتابِ والسنةِ وجميعُ الأوقايلِ التي يتكلمُ بها الفلكيون في هذه الأمورِ لا تُعْتقدُ حتىٰ تُعْرَضَ علىٰ كتابِ اللهِ وسنةِ رسولِه، فإن وُجِدَ فيهما ما يدل عليها فهي حق مقبولة، وإن وُجِدَ في الكتاب والسنة ما يُكَذِّبُها فهي باطلة مردودةٌ، وإن كان الكتابُ والسنةُ ليس فيهما ما يدل علىٰ تلك الأقاويلِ لا نفياً ولا إثباتاً وجَبَ التوقفُ فيها حتىٰ يقومَ دليلٌ علميٌّ أو عقليٌّ علىٰ صحتِها (وإنما قلنا بوجوبِ التوقفِ فيها حتىٰ يقومَ الدليلُ عليها لأننا لا يُمْكِنُنا أن نأخذَ بأقوالهم مسلمةً مع أنهم يختلفون فيما بينَهم أحياناً) لأنها قد تكونُ خطأً وقد تكونُ صواباً، وهذه السمٰواتُ لا يُمْكِنُ لأحدٍ أن يخترقَها أو يجاوزَها لا بقوة صناعةٍ ولا غيرِها إلا بإذن الله فلقد عُرِجَ بأشرفِ الخَلْقِ محمدٍ ﷺ بصحبةِ جبريلَ ﷺ الذي وصفَه اللهُ تعالىٰ بالقوةِ العظيمةِ والمكانةِ الجليلةِ فكانا لا يأتيان سماءً من السمٰواتِ إلا كانا يستفتحان حتىٰ يُفْتَحَ لهما.

أقول قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافةِ المسلمين من كل ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

خَلق السماء

الحمدُ للهِ الملكِ الحق المبينِ، أبان لعبادِه من آياتِه ما به عبرةٌ للمعتبرين، وهدايةٌ للمهتدين، وحُجةٌ علىٰ المعاندين الملحدين، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له، إلهُ الأولين والآخرين، بيده ملكوتُ السمٰواتِ والأرض، وله الحكمُ في الدنيا والآخرة وإليه تُرْجَعُون، وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه، إمامُ المتقين وخاتَمُ النبيين، بعثه اللهُ رحمةً للعالمين، وقدوةً للعاملين، وحجةً علىٰ العبادِ أجمعين، فصلواتُ اللهِ وسلامُه عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه ومَنْ تَبِعَهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ الدين.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ، واشكروه علىٰ ما أراكم من آياتِه الكونيةِ الدالةِ علىٰ وحدانيتِه وعلىٰ كمالِ ربوبيتِه، فإنَّ في كلِّ شيءٍ من مخلوقاتِه آيةً تدلُ علىٰ أنه إلهٌ واحدٌ وربٌّ عظيمٌ، ماجدٌ كاملُ العلمِ والقدرةِ والرحمةِ، والحكمةِ والعظمةِ والسلطانِ.

فمن آياته خَلْقُ السمٰواتِ والأرضِ، مَنْ نظرَ إلىٰ السماءِ في حُسْنِها وكمالِها وارتفاعِها وقوتِها، عَلِمَ بذلك تمامَ قدرةِ اللهِ تعالىٰ وحكمتِه ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَىٰهَا﴾ [النازعات: ٢٧-٢٩]، ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَـٰهَا بِأَيْي۟دٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات: ٤٧]، ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَـٰهَا وَزَيَّنَّـٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ [قٓ: ٦]، ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَـٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَـٰنِ مِن تَفَـٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن

فُطُورٍ ۝ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ۝ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾ [الملك: ٣-٥]، ﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٢]. في هذه السماءِ وفي جوِّها من آياتِ اللهِ تعالىٰ ما يبهرُ العقولَ. ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا﴾ [الفرقان: ٦١]، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٣]. فهذه الشمسُ العظيمةُ، الكبيرةُ الحجمِ، الشديدةُ الحرارةِ، جعلها اللهُ تعالىٰ سِرَاجاً وَهَّاجاً، تصلُ إلىٰ الأرضِ حرارتُها مع هذا البعدِ الكبيرِ، لتُنضِجَ الزروعَ والثمارَ، وتُدْفِىءَ الأجواءَ والبحارَ، تَسيرُ بانتظامٍ بديعٍ وسَيْرٍ سريعٍ، لو نَزَلَتْ مقدارَ شَعْرةٍ أو ارْتفعَتْ لاختلَ نظامُ الأرضِ ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [يسٓ: ٣٨].

وهذا القمر البدرُ المنيرُ آيةُ الليلِ جعله اللهُ تعالىٰ مقدراً بمنازلَ لنعلمَ بذلك عددَ السنينَ والحسابِ، وله آثارٌ علىٰ البحارِ والنباتِ والأجسام باختلافِ هذه المنازلِ: ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ۝ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يسٓ: ٣٩-٤٠]. ومن نظرَ إلىٰ الأرضِ وما فيها من آياتِ الله، عَلِمَ بذلك تمامَ قُدْرةِ اللهِ تعالىٰ وحكمتِه، مَهَّدَها اللهُ تعالىٰ لخلقِه وسَلَكَ لهم فيها سُبُلاً وجَعلَ فيها رَوَاسِيَ مِنْ فوقِها وباركَ فيها، وقَدَّرَ فيها أقواتَها وجَعلَها لعبادِه ذَلُولاً يَمْشُونَ في

مَنَاكِبِها ويأكلون من رِزقِه فيَحرثُون ويَزرَعوُن ويَصِلونَ إلىٰ المياهِ في جَوْفِها فيَسْقوُنَ ويَشْرَبُون.

جعلَها اللهُ تعالىٰ قَراراً للخلقِ لا تَمِيدُ بهم ولا تَضْطَرِبُ ولا تَزَلْزَلُ ولا تَتَصَدَّعُ إلا بإذن الله، ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ [الملك: ١٦]، في الأرضِ قطعٌ متجاوراتٌ مختلفةٌ في ذاتِها وصفاتِها ومنافعِها، هذه رمالٌ وهذه جبالٌ، هذه معادنُ من ذهب، وهذه معادنُ من فِضةٍ، هذه معادنُ من حديدٍ وهذه معادن من رصاصٍ. في الأرضِ جناتٌ من أعنابٍ وزرْعٍ ونخيلٍ صِنْوانٌ وغَيْرُ صِنْوَانٍ، يُسْقَىٰ بماءٍ واحدٍ، ويفضل الله بعضه علىٰ بعض في الأكل. ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ﴾[الشورىٰ:٢٩]، ففي السمٰوات ملائكةٌ لا يحصيهم إلا الله، ما من موضعِ أربعِ أصابعَ إلا وفيه مَلَكٌ قائمٌ للهِ أو راكعٌ أو ساجدٌ. يَطُوفُ كلَّ يومٍ بالبيتِ المعمورِ في السماءِ سبعون ألفَ مَلَكٍ لا يعودون إليه مرةً أخرىٰ إلىٰ يوم القيامة.

وفي الأرضِ من أجناسِ الدوابِّ وأنواعِها لا تُحْصَىٰ أجناسُه، فضلاً عن أنواعِه وأفرادِه، هذه الدوابُّ مختلفةٌ في أجناسِها وأشكالِها وأحوالِها، فمنها النافعُ الذي يَعْرِفُ به الإنسانُ كمالَ نعمةِ اللهِ عليه، ومنها الضار الذي يَعْرِفُ به الإنسانُ قَدْرَ نفسه وضعفه أمامَ قدرةِ اللهِ تعالىٰ وخَلْقِه. فهذه البعوضةُ الصغيرةُ الحقيرةُ تُسلَّطُ علىٰ الإنسانِ فتُقْلِقُ راحتَه وتَقَضُّ مضجعَه، يُذْكَرُ أن مَلِكاً جَبَّاراً كان

يتحدثُ مُستَهتراً يقولُ: ما الفائدةُ من خَلْقِ الذُبَابِ فقال له أحدُ الحاضرين: إن اللهَ خلقَه ليُرْغِمَ به أُنُوفَ الجَبَابِرة. يعني أنه يقع علىٰ أُنوفِ الجبابرة بأَرْجُلِه الملوثةِ بالأَنْتانِ والقاذوراتِ وهذه الدواب المنتشرةُ في الأرضِ في بحارِها وقِفَارِها ومُدُنِها وقُرَاها، كلُّها تُسبِّح بحمدِ اللهِ وتسجدُ له: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ﴾ [الإسراء: ٤٤]، ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلۡجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٞ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ﴾ [الحج: ١٨].

وكلُّ هذه الدواب المتشرةِ خُلِقَتْ بأَمْرِ اللهِ واهتَدتْ برحمةِ الله وعاشَتْ بِرِزْقِ اللهِ: ﴿۞وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ﴾ [هود: ٦]. ويُرْوىٰ عن النبي ﷺ أن سُلَيْمانَ بْنَ داودَ أحدَ الأنبياءِ عليهم الصلاة خرج ذاتَ يوم يَسْتَسْقِي - وكان سليمانُ يَعْرِفُ مَنْطِقَ النملِ - فرأىٰ نملةً مستلقيةً علىٰ ظَهْرِها رافعةً قوائِمَها إلىٰ السماءِ تقول: اللهُمَّ إنَّا خَلْقٌ من خَلْقِك ليس بنا غِنىً عن سُقْيَاك. فقال سليمان: ارجعوا فقد سُقِيتُمْ بدعوةِ غيرِكم[1].

ومن آياتِ اللهِ تعالىٰ الليلُ والنهارُ في تعاقبهما علىٰ العباد يطولُ هذا تارةً ويَقْصُرُ أخرىٰ ويتساويان. جعلَ اللهُ الليلَ سَكَناً يَسْكُنُ فيه العبادُ فينامون ويستريحون، وجعل النهارَ معاشاً للناس يبتغون فيه

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٩/٢١٩، وعبد الرزاق في «المصنف» ٣/ ٩٥، وابن أبي شيبه في «المصنف» ٦/ ٦٢.

من فضلِ اللهِ ويكسبون. ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [القصص: ٧١-٧٣].

فالكونُ كلُّه من آياتِ اللهِ تعالىٰ جُمْلةً وتفصيلاً، هو الذي خَلَقَه، وهو المُدَبِّرُ له، لم يخلقْ الكونُ نفسَه ولم يخلقْه أحدٌ غيرُ اللهِ. يقول اللهُ تعالىٰ مُبَرْهِناً علىٰ ذلك: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾ [الطور: ٣٥-٣٦].

فتدبروا أيها المسلمون آياتِ ربِّكم لتصلوا إلىٰ اليقينِ، واعتبِروا بما فيها من الرحمةِ والعظمةِ لتصلوا إلىٰ محبّةِ اللهِ تعالىٰ وتعظيمِه، وانظروا إلىٰ ما فيها من الانتظامِ والانسجامِ، لتعرفوا بها حكمةَ ربِّ العالمين.

اللهم اجعلنا من المعتبرين بآياتِك الواصلين بها إلىٰ مرضاتِك. ربنا لا تُزِغْ قلوبَنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمةً إنك إنت الوهاب. ربنا آتنا في الدنيا حسنةً وفي الآخرة حسنةً وقنا عذابَ النار. اللهم صلِّ وسلِّمْ علىٰ نبينا محمدٍ.

* * *

خَلْقُ الإنسان وما علَّمه الله تعالىٰ له

الحمدُ للهِ الذي علَّمَ بالقلمِ، علَّمَ الإنسانَ ما لم يعلمْ. ونشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له، الغنيُّ الكريمُ. ونشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه، إلىٰ العَرَبِ والعَجَمِ. صلَّىٰ اللهُ عليه، وعلىٰ آلِه وأصحابه، ومَنْ تَمَسَّكَ بهديِهم الأقومِ، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ، واعلموا أنَّ اللهَ بكلِّ شيءٍ عليمٌ، وعلىٰ كلِّ شيءٍ قديرٌ، وأنه ما من شيءٍ يَحْدُثُ في السمٰواتِ والأرضِ إلا هو عالمٌ به سُبْحانَه مُقَدِّرٌ له قبلَ خَلْقِ السمٰواتِ والأرضِ، ولقد أبدعَ اللهُ الكونَ وأتقنَه ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ [النمل: ٨٨]، وكرَّمَ اللهُ بني آدمَ، وحملَهم في البرِّ والبحرِ، ورزقَهم من الطيباتِ، وسخَّرَ لهم الليلَ والنهارَ، والشمسَ والقمرَ، بل سخَّرَ لهم ما في السمٰواتِ وما في الأرضِ، جميعاً منه.

أَخْرجَهم من بُطُونِ أُمهاتِهم، لا يعلمون شيئاً، وربَّاهم بالإدراكِ والعقلِ، فجعلَ لهم السمعَ والأبصارَ والأفئدةَ. وفتحَ لهم مَدَارِكَ العلومِ، فبحَثُوا فيما سخَّرَ اللهُ لهم من ذلك، فاسْتَخْرَجُوا منه الأمورَ الغريبةَ، ما بين ضروريٍّ وكماليٍّ، ونافعٍ وضارٍ، وكلُّ ما أُوتُوا من علمٍ، أو قدرةٍ، فإنما هو من اللهِ تعالىٰ لو شاء لسَلَبهم العلمَ، فكانوا جُهَّالاً، ولو شاء لسَلَبَهم القدرةَ، فكانوا عاجزين، ولكنه

تعالىٰ مَنّ عليهم بالعلمِ والقدرةِ علىٰ وَجْهٍ محدودٍ، فمهما أوتوا من علمٍ أو قدرةٍ فإنه يَسِيرٌ ويَسِيرٌ جداً، بالنسبة إلىٰ علمِ اللهِ وقدرتِه، ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥].

ولقد كان من الأمور التي علّم اللهُ عبادَه وأقدَرهم عليها عِلْمُ الصناعةِ الذي بلغَ في عصرِنا مبلغاً كبيراً، لا يتَصَّورُه أحدٌ من قبلُ. هذه المراكبُ البحريةُ، التي تَمْخُرُ عُبَابَ البحرِ بكل قوةٍ وأمانٍ، حاملةً ما شاء اللهُ تعالىٰ من نفوسٍ وأموالٍ، تقطعُ المسافاتِ البعيدةَ في أَمْنٍ وطمأنينةٍ، إنّما حصلت هذه المراكبُ بما فتح اللهُ علىٰ صانعيها من إدراكٍ وفَهْم، وبما يَسَّرَ اللهُ لهم من الموادِ التي تَرَكَّبَتْ منها هذه المراكبُ، وسارت بها.

وهذه المراكبُ الجويةُ التي تَجُوبُ الفضاءَ من المشرقِ إلىٰ المغربِ، علىٰ مَتْنِ الهواءِ، حاملةً ما شاء اللهُ من نفوسٍ وأموالٍ، تقطعُ المسافاتِ البعيدةَ بتلك السرعةِ الهائلةِ، والارتفاعِ الشاهقِ، هي من صُنْعِ الإنسانِ بلا شَكٍّ، ولكنها من العِلْمِ الذي مَنّ اللهُ به عليه، والأمورِ التي سَخَّرَها له، ولو شاء اللهُ تعالىٰ ما فَعلُوه.

ومَن الذي يَتَصَوَّرُ قَبْلَ ما حدث وشاهدناه بأَعْيُننا، أن هذه الطائراتِ الضخمةَ التي تَحْمِلُ الفِئَامَ من الناس، ستعلو فوق السحابِ؟ ما كان أحدٌ يتصورُ ذلك قبلَ حدوثِه.

وكلُّ ما حدث من المصنوعاتِ التي يُطِيقُها البشرُ، فإنها لا تَخرُجُ عن عِلْمِ اللهِ وقدرتِه. فعلينا أن نعتبر بها علىٰ كمالِ اللهِ

علماً، وقدرةً، ورحمةً. وأنه ما من كمالٍ في المخلوقِ في عِلْمٍ، أو قدرةٍ، أو غيرِهما إلا وهو ناقِصٌ جداً بالنسبة إلىٰ ما للهِ من ذلك.

وعلينا أن لا نُفْتَتَنَ بذلك، ونُعَظِمَّ صانعِي هذه الأمورَ، بأكثرَ مما يستحقونه. وعلينا أن نترقَّب نتيجة ما حدث من تلك الصنائع، هل تكون خيراً للبشرية؟ فتكون نِعمةً، أو تكون شراً للبشرية، فتكون نِقمةً.

كما أنَّ علينا أن نعلمَ عِلْماً يقينياً بأن القرآنَ والسنةَ الصحيحةَ كلاهما من عندِ اللهِ. وأنَّ ما كان من عندِ اللهِ، فهو حقٌّ، لا يأتيه الباطلُ من بينِ يديهِ، ولا من خلفِه. فلا يمكن أن يحدثَ شيءٌ من المحسوسِ، أو أن يُعْلَمَ شيءٌ من المعقولِ يُخَالِفُ ما جاء به الكتابُ والسنةُ أبداً.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨]. وقال تعالىٰ علىٰ لسان إبراهيم: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

شيءٌ من آياتِ الله تعالىٰ الدالة علىٰ قُدرته

الحمدُ للهِ الذي له ما في السمٰواتِ والأرضِ، وله الحمدُ في الأولىٰ والآخرةِ وهو الحكيمُ الخبيرُ، وأشهد أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، له الملك وله الحمد وهو علىٰ كلِّ شيءٍ قدير، وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه البشير النذير الداعي إلىٰ الله تعالىٰ بإذنه علىٰ بصيرة، السراج المُنير، صلَّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلىٰ يوم الدين، وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ وتفكَّروا في آياتِه الدالةِ علىٰ كمالِ قدرتِه، لتزدادوا بذلك تعظيماً للهِ تعالىٰ وعِبادَةً. فلقد خَلَقَ اللهُ تعالىٰ السمٰواتِ والأرضَ، وما بينهما بما في ذلك الشمسُ والقمرُ، والنجومُ والجبالُ، والاشجارُ والبحار، والأنهارُ. خَلَقَ ذلك كلَّه في ستةِ أيامٍ علىٰ أكملِ وَجْهٍ وأتَمِّ نظامٍ، ولو شاء لخلقَها في لحظةٍ واحدةٍ. قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠]. وقال: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ﴾ [القمر: ٥٠]. ولكنه تعالىٰ خَلَقَها في ستة أيامٍ لحكمةٍ اقتضت ذلك وربُّك يخلُق ما يشاءُ ويختارُ.

ولقد خلق اللهُ تعالىٰ الإنسانَ من سلالةٍ من طينٍ، خَلَقَ منها آدمَ ثم جعل نسلَه من سُلالةٍ من ماءٍ مَهينٍ، ماءٍ دافقٍ يخرجُ من بينِ الصُّلبِ والتَّرائِبِ، ثم يستقرُ في قرارٍ مكينٍ، لا يعتريهِ شمسٌ ولا

هواءٌ ولا حَرٌّ ولا بردٌ، يطوِّره اللهُ تعالىٰ في ظلماتٍ ثلاثٍ: ظُلْمةِ البطنِ، وظُلْمةِ الرحم، وظلمةِ الغشاءِ أربعين يوماً نُطْفة، ثم يكونُ علقةً مثل ذلك، ثم يكون مضغةً مثل ذلك. فإذا تمَّت هذه الأيام وهي أربعةُ أشهرٍ، أرسل اللهُ تعالىٰ إليه المَلَكَ المُوَكَّلَ بالأجنةِ فنفَخَ فيه الروحَ، فأصبحَ إنساناً بعد أن كان جَماداً، فتبارك اللهُ أحسنُ الخالقين.

ولقد أَرىٰ اللهُ تعالىٰ عبادَه من آياتِ قدرتِه ما يكون آيةً للموقنين، وعِبْرةً للمعتبرين.

لقد خَلَق اللهُ تعالىٰ عيسىٰ بن مريمَ من أمٍّ بلا أبٍ، وأقدَره علىٰ النطقِ في المهدِ، فتكلمَ بكلامٍ مِنْ أفصحِ كلامِ البشرِ وأَبْينِه: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ۝٣٠ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ۝٣١ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ۝٣٢ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم: ٣٠-٣٣]. فما أبلغَ هذا الكلامِ وأفصحه وأهمه موضوعاً من صبي المهد!!! ولقد أخبر الله تعالىٰ عنه أنه يَخْلُقُ من الطينِ كهيئةِ الطيرِ بإذنِ اللهِ تعالىٰ، فينفخُ فيه فيكونُ طَيْراً يَطِيرُ بإذنِ اللهِ تعالىٰ، وأخبر أنه يُبْرِىءُ الأَكْمَهَ، وهو الذي يُولَدُ مطموسَ العينِ والأبرصَ بإذنِ اللهِ تعالىٰ، وأخبر أنه يُحيي الموتىٰ ويُخْرِجُهم من قبورِهم بإذنِ اللهِ تعالىٰ.

ولقد قصَّ اللهُ تعالىٰ علينا في سورة البقرةِ خَمْسَ حوادثَ كلُّها تَتَضَمَّنُ إحياءَ الموتَىٰ في هذه الدنيا.

فأول قصة في بني إسرائيل حينَ قالوا لنبيهم موسىٰ: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البقرة: ٥٥]. فعاقبَهم اللهُ تعالىٰ فأخذتهم الصاعقة فماتوا، ثم بعثَهم اللهُ تعالىٰ من بعدِ موتِهم، وفي هذا يقولُ اللهُ تعالىٰ يُخاطِبُ بني إسرائيل: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ۝٥٥ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ٥٥-٥٦].

والقصةُ الثانيةُ: في شَأْنِ القتيلِ من بني إسرائيلَ أيضاً قتلَه ابنُ عمٍّ له فاتهموا به قبيلةً أُخرَىٰ وخاصموهم فيه، فأمرَهم موسىٰ بِوَحْيٍ من اللهِ تعالىٰ أن يذبحوا بقرةً ويَضْرِبُوا القَتِيلَ بجُزْءٍ منها. فَفَعلُوا بعدَ التعنت والمراجعاتِ، وما كادوا يفعلون، فَضَرَبُوه ببعضِها، فأحياه اللهُ تعالىٰ. وأخبر عن قاتِله وفي هذا يقول الله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَْٰٔتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ۝٧٢ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٧٢-٧٣].

والقصةُ الثالثةُ: في قومٍ نزلَ في ديارِهم وَبَاءٌ، فخَرجَوا من ديارِهم وهُمْ أُلوفٌ حَذَراً من الموتِ، فأراهم اللهُ تعالىٰ أنه لا مَفَرَّ من قَدَرِه، فأماتَهم لِيَعْلَمَ العبادُ قوةَ سلطانِه ونُفُوذَ قدرتِه، ثم أحياهم ليستكملوا آجالَهم. وفي ذلك يقول الله عز وجل: ﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٣].

والقصةُ الرابعةُ: في رجلٍ مَرَّ علىٰ قريةٍ وهي خاويةٌ علىٰ عُرُوشِها قد تَهَدَّمَ بِناؤُها ويَبِسَتْ أشجارُهنا، فاستبعدَ أن تعودَ علىٰ ما كانت عليه من العُمْرانِ والسكانِ، فأراه اللهُ تعالىٰ آيةً في نفسِه تدل علىٰ قدرةِ اللهِ تعالىٰ، فأماتَه اللهُ مِئةَ سنةٍ وكان معه حِمارٌ وطَعَامٌ وشَرَابٌ، فمات الحمارُ وتَمَزَّقَتْ أوصالُه، ولاحت عِظَامهُ، وبَقِيَ الطعامُ والشرابُ، لم يتغيرْ واحدٌ منهما بِنَقْصٍ ولا طَعْمٍ ولا لَوْنٍ ولا رَائِحَةٍ، مدَة مِئةِ سنةٍ والشمس تَصْهَرُه والرياحُ تتعاقبُ عليه. لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، له الملكُ وله الحمدُ، وهو علىٰ كلِّ شيءٍ قديرٌ، فبعثَ اللهُ تعالىٰ ذلك الرجلَ وأراه طعامَه وشرابَه لم يتغيرْ مع طُولِ هذه المدةِ، وأراه الحمارَ، فنظرَ إلىٰ عظامِه المتفرقةِ في الأرضِ يَرْكَبُ بعضُها بعضاً كلُّ عظمٍ في مَحَلِّهِ ويَكْسُوها اللهُ تعالىٰ لَحْماً، وفي هذا يقول اللهُ تعالىٰ: ﴿ أَوْ كَالَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة: ٢٥٩].

والقصةُ الخامسةُ: في إبراهيمَ الخليلِ عليه السلام حين سألَ اللهَ تعالىٰ أن يُرِيَهُ كيف يُحْيِي الموتىٰ، فأمرَه اللهُ تعالىٰ أن يأخذَ أربعةً من الطيرِ فيُقَطِّعَهُنَّ أجزاءً فيفرقُها علىٰ الجبالِ التي حولَه، علىٰ كُلِّ

جَبَلٍ جزءاً من هذه الطيورِ. ثم يُناديهن وحينئذٍ تَلْتَئِمُ هذه الأجزاءُ المفرقةُ في الجبالِ بعضُها إلىٰ بعضٍ، وَيأتِينَ إلىٰ إبراهيم مَشْياً لا طَيَراناً. وفي هذا يقول الله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٠].

فهذه النماذجُ من إحياءِ اللهِ تعالىٰ الموتىٰ في الدنيا آياتٌ علىٰ البعثِ يَوْمَ القيامةِ، وما أَهْوَنَ ذلك علىٰ الله عزّ وجلَّ. قال الله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧]، ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [لقمان: ٢٨]، ﴿فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ﴾ [النازعات: ١٣-١٤]، ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ [يسٓ: ٥٣]، ﴿وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [النحل: ٧٧].

فسُبْحانَه مِنْ إلهٍ عليمٍ قادرٍ، زَجْرَةٌ واحدةٌ يخرجُ بها الناسُ أحياءً من قُبُورِهم ذكوراً وإناثاً، كِباراً وصِغاراً، لا يتَخلَّفُ منهم أحدٌ، في مِثْلِ لَمْحِ البصرِ أو هو أقربُ ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر: ٤٤].

اللهم ارْزُقْنا التفكرَ في آياتِك، وارْزُقْنا الاتعاظَ بذلك، وارْزُقْنا الانتفاعَ بما أنزلت من وحيِك وما قَدَّرْتَه من قضائِك، واغفرْ لنا وارحمْنا، إنك أنت الغفورُ الرحيمُ.

خَلقُ الشمسِ والقمر

الحمدُ للهِ الذي خلقَ السمٰواتِ والأرضَ، وجعل الظلماتِ والنورَ. والحمدُ للهِ الذي له ما في السّمٰواتِ وما في الأرضِ، وله الحمدُ في الآخرةِ، وهو الحكيمُ الخبيرُ، نَحْمَدُه وهو بالحمدِ جديرٌ، ونشكرُه علىٰ صفاتِه الكاملةِ وإحسانِه الكثيرِ. ونشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له، له الملكُ وله الحمدُ، وهو علىٰ كلِّ شيءٍ قديرٌ. ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، البشيرُ النذيرُ، والسراجُ المنيرُ. صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه، وأصحابِه والتابعينَ لهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ المصيرِ، وسلَّم تسليماً.

أمَّا بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا الله تعالىٰ، واحْمَدُوا ربّكم أنْ فَطَرَ هذه المخلوقاتِ بقدرتِه، وأودَعَ فيها مصالحكم برحمتِه وحكمتِه، فلقد خلقَ لنا ما في الأرضِ جميعاً، وسَخَّر لنا ما في السّمٰواتِ وما في الأرضِ جميعاً منه ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۝٣٣ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٣-٣٤].

لقد سخَّر الله لنا الشمسَ والقمرَ، لمصالحِنا الدينيةِ والدنيويةِ، فرتَّبهما يجريان بأمرِ اللهِ في فَلَكَيْهما بانتظامٍ بديعٍ، وسيرٍ سريعٍ، لا يخرجان عن فلكيهما قَدْرَ أُنْمُلةٍ، لا يرتفعان، ولا ينخفضانِ، ولا

يزولانِ، حتىٰ يأذنَ اللهُ بخرابِ العالمِ، فعند ذلك تطلعُ الشمسُ من مَغْرِبِها.

كما ثبت ذلك في صحيحِ البخاريِ: عن أَبي ذَرٍّ رضي اللهُ عنه: أنَّ النبيَّ ﷺ، قال له حين غربت الشمسُ: «تدري أينَ تذهبُ؟» قلت: اللهُ ورسولُه أعلمُ. قال: «فإنها تذهبُ حتىٰ تسجدَ تحتَ العرشِ، فتستأذنُ فيُؤذنُ لها، ويُوشِكُ أن تسجدَ، فلا يقبلُ منها، وتستأذنُ فلا يؤذنُ لها، يقال لها: ارجعي من حيثُ جئتِ، فتطلعُ من مغرِبها»(١). فذلك قولُ اللهِ تعالىٰ: ﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ﴾ [يسٓ: ٣٨]، تسجد الشمسُ لربِّ العالمين سجوداً يليق بحالها فهو الربُّ العظيمُ الذي ﴿يَسۡجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلۡجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٞ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيۡهِ ٱلۡعَذَابُۗ﴾ [الحج: ١٨]، فلا يسجدُ للهِ بل يستكبرُ عن عبادتِه ومَنِ استكبرَ عن عبادة اللهِ فسيدخلون جَهَنَّمَ داخِرِينَ.

فإذا خرجتِ الشمسُ من مغرِبها ورآها الناسُ آمَنُوا أجمعونَ، لكن لا ينفع الإيمانُ في ذلك الوقتِ، إلا مَنْ آمنَ قَبْلُ أو كسبَ في إيمانِه خيراً. لقد جعل اللهُ سَيْرَ الشمسِ والقمرِ ميقاتاً للزمانِ، يعرِفُ الناسُ بهِ أوقاتَ عباداتِهم، وأوقاتَ معاملاتِهم. فإنَّ اللهَ رتَّبَ

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٩٩)، ومسلم (١٥٩) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

علىٰ سَيْرِ الشمسِ عباداتٍ، ومواسمَ وخيراتٍ، فالصلواتُ الخمسُ مرتبةٌ علىٰ طلوعِ الشمسِ وغروبِها وزوالِها وإقبالِها وإدبارِها. والصومُ كذلك مرتَّبٌ علىٰ الشمسِ والقمرِ، والحجُّ مرتبٌ علىٰ الشمسِ والقمرِ، والزكاةُ معتبرةٌ بالحَول الذي يترتبُ علىٰ سَيْرِ الشمسِ والقمرِ.

ومواسمُ العباداتِ مرتبةٌ علىٰ سَيْرِ الشمسِ والقمرِ. فإن عِدَّةَ الشهورِ عِنْدَ اللهِ اثنا عَشَرَ شهراً في كتابِ اللهِ، يوم خلقَ السمٰواتِ والأرض، منها أربعةٌ حُرُمٌ بيَّنَها النبيُّ ﷺ، حين خطب خطبتَه العظيمةَ، في حَجَّةِ الوداعِ، قَبْلَ وفاتِه بثلاثةِ أشهرٍ ويومين في ذلك الجمعِ العظيمِ من المسلمين.

فقال ﷺ: **«ألا إنَّ الزمانَ قد استدارَ كهيئتِه يَوْمَ خَلَقَ اللهُ السمٰواتِ والأرضَ، السنة اثنا عَشَرَ شهراً، منها أربعةٌ حُرُمٌ، ثلاثةٌ متوالياتٌ: ذو القَعدةِ، وذو الحجة، والمحرمُ، ورجبُ مُضَرٍ الذي بين جمادىٰ وشعبان»**.

ثم قال: **«ألاَ أَيُّ يومٍ هذا؟»** قلنا: اللهُ ورسوله أعلمُ. فسكت حتىٰ ظننا أنه سيسميه بغير اسمِه، قال: **«أليس يومَ النحرِ؟»** قلنا: بلىٰ. ثم قال: **«أيُّ شهرٍ هذا؟»** قلنا: اللهُ ورسولُه أعلمُ. فسكَتَ حتىٰ ظننا أنه سيسميه بغير اسمِه، قال: **«أليس ذو الحجة؟»** قلنا: بلىٰ. قال: **«أيُّ بلد هذا؟»** قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، فقال: **«أليست البلدةَ؟»** قلنا: بلىٰ. قال: **«فإن**

دماءَكم وأموالكم، وأعراضكم عليكم حرام، كحرمةِ يومِكم هذا، في شهرِكم هذا، في بلدِكم هذا، وسَتَلقَوْنَ ربَّكم فيسألُكم عن أعمالكم ألا لا ترجعوا بعدي ضُلاَّلاً يضربُ بعضُكم رقابَ بعضٍ، ألاَ هلْ بلَّغْتُ، ألا لِيبلغِ الشاهدُ منكم الغائبَ، فلعل مَنْ يبلغه يكونُ أوعىٰ له من بعض من سمعه»[1].

فبين النبيُّ ﷺ، هذه الأشهرَ الحُرمَ، وإن شهرَنا هذا هو أولُ الأشهرِ الثلاثةِ المتوالياتِ.

فاتقوا اللهَ عبادَ اللهِ، ولا تظلموا فيهنَّ أنفسَكم، لا تتركوا ما أوجبَ اللهُ عليكم، ولا تفعلوا ما حَرَّم اللهُ عليكم، وسارعوا في الخيراتِ ما استطعتم.

أعوذُ باللهِ من الشيطانِ الرجيمِ: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثۡنَا عَشَرَ شَهۡرًا. . . . ﴾ [التوبة: ٣٦].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا واستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافةِ المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيمُ.



(١) أخرجه البخاري (١٠٥)، ومسلم (١٦٧٩) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه.

تعاقب الليل والنهار

الحمدُ للهِ الذي أرشدَ العقولَ إلىٰ معرفتِه وهَداها، وألْهَمَ كُلَّ نفسٍ فُجُورَها وتَقْواها، ثم أَوْضَحَ وَحْدَانِيتَهُ بالبراهينِ القاطعةِ وجَلاَّها، وأقامَ الأدلةَ علىٰ حكمتِه في خلقِه وشَرَعَها، أوضحها وأجلاها، فسبحانَهُ مِنْ إله عظيمٍ لا يُماثَل ولا يُضاهي عَزَّ رباً، وجلَّ ملكاً وتعالىٰ إلهاً، نَحْمَدُه علىٰ النِّعَمِ التي لا تَتَنَاهَىٰ ونشكرُه أنْ بيّنَ للعبادِ ما به صلاحُ نفوسِهم وهُدَاها، ونشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، شهادةً تُنقِذُ مِن الجحيمِ ولَظَاهَا، وتُوصِلُ نَفْسَ مَنْ أَيْقَنَ غَايةَ مطلوبِها ومُنَاها، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه أبلغُ البرية عبادةً وأَهْدَاها، صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلهِ وأَصحابِه أبرِّ الأمة وأَتْقَاهَا، وعلىٰ التابعين لهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ الدين وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها المؤمنون: اتقوا اللهَ تعالىٰ واذكروا نعمةَ اللهِ عليكم واشكروها، وتدبروا ما في أحكامِه الكونيةِ والشرعيةِ من الحِكم والأسرارِ واعْرِفُوها، فإنَّ معرفةَ أحكام الشرعِ والقَدَرِ مما يزيدُ الإيمانَ ويُوَصِّلُ القلبَ إلىٰ كمالِ المعرفةِ باللهِ والإيقانِ، فَمِنْ آياتِ الله تعالىٰ تَعَاقُبُ الليلِ والنهارِ واختلافُهما طولاً وقِصراً علىٰ مرِّ الأيامِ، فهذه الشمسُ العظيمةُ منذ خلقها اللهُ تعالىٰ وهي تجري في فلكِها كلَّ يومٍ لها مَطْلَعٌ غيرُ مَطْلَعِ اليومِ الآخَرِ، ولها مَغِيبٌ غيرُ

مغيبِ اليومِ الآخَرِ، تجري في فلكِها لِمُسْتقرٍ لها لا تتجاوزُه صَاعِدةً ولا تنحدرُ عنه نازلةً، ذلك تقديرُ العزيزِ العليمِ، إذا غَرَبَتْ سَجَدَتْ تحتَ العرشِ واستأذنت مِنْ ربِّها فإنْ أَذِنَ لها خَرَجَتْ من المَشْرِقِ وإلا عادَت فخرجت مِنْ مَغْرِبِها، لو اجتمعَتِ الخليقةُ علىٰ أَنْ يَمْنَعُوها لَعَجزُوا، ولو اجتمعوا بكلِّ قُوَاهُم علىٰ أن يزيدوا في سَيْرِها لَنَكَصُوا علىٰ أعقابِهم وتَقَهْقَرُوا، وهذا القمرُ المنيرُ قدَّره اللهُ مَنَازِلَ، فكلُّ ليلةٍ له منزلةٌ غيرُ منزلةِ الأُخْرىٰ، كلُّ ذلك لمصالحِكم ومنافعِكم، فاشكروه علىٰ نعمِه، فذلكم أولىٰ بكم وأَحْرىٰ، قدَّرَ ذلك العزيزُ العليمُ لتعلموا عددَ السنينَ والحسابَ، وتلتزموا الصراطَ المستقيمَ. فباختلافِ منازلِ القمرِ تتعاقبُ الشهورُ، وباختلاف منازلِ الشمسِ تختلفُ الأوقاتُ والفصولُ، وقد جعل اللهُ عِدَّة الشهورِ اثْنَيْ عَشَرَ شَهْراً في كتابِ اللهِ يومَ خَلَقَ السمٰواتِ والأرضَ منها أربعةٌ حُرُمٌ، فلا تظلموا فيهنَّ أنفسَكم وهذه الأربعةُ هي: رَجَبٌ، وذُو القَعْدَةِ، وذو الحِجَّةِ، والمُحَرَّمُ، فاحترموا هذه الأَشْهُرَ وعظِّمُوها، وإيَّاكُم أنْ تتركوا فيها ما أَوْجَبَ اللهُ عليكم، أو أن تفعلوا ما حَرَّمَ اللهُ عليكم فَتُذِلُّوا أنفسَكم وتظلموها، فإنما الحازمُ مَنْ عرفَ الأوقاتَ واعتنمَها وانتهز فُرَصَ العمرِ فملأها بالطاعة وما أهملَها، ألم تَرَوْا كيفَ تمر بنا الأوقاتُ ونحن غافلون؟ وكيف تسنحُ لنا ونحن لها مُضَيِّعُونَ؟ وكيفَ تمرُّ علينا فوائدُ الطاعةِ

ونحن عنها غافلون؟ وكيف تمرُّ بنا مضارُّ الإهمالِ والغفلةِ والمعصيةِ ولكن كثيراً منا علىٰ المعاصي مُصِرُّون، فإنا للهِ وإنا إليه راجعون.

أعوذُ باللهِ من الشيطانِ الرجيمِ: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾ [التوبة: ٣٦] الآية.

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيمِ، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ. أقول قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم من كلِّ ذَنْبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفورُ الرحيمُ.

* * *

خَلْقُ السمٰوات والأرض

الحمدُ للهِ الذي خلَقَ السّمٰواتِ والأرضَ وما بينهُما في ستةِ أيامٍ، وجعلَ في ذلك من المَصالحِ العظيمةِ والحِكمِ البالغةِ ما تتقاصَرُ دونَه فهوم ذَوِي الأفهامِ، ونشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، المَلِكُ القدوسُ السّلامُ، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه سيِّد الأنام ومِصْباحُ الظلامِ، صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه، والتابعين لهم بإحسانٍ ما تعاقبتِ الليالي والأيامُ وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا ربَّكم واشكرُوه علىٰ ما هداكُم، وعلَّمَكم مالم تكونوا تعلَمون، علَّمَكم ما فيه صلاحُ دِينكم ودنياكم، وحجَبَ عنكم من العلمِ ما لا تُدْرِكُه عقولُكم، ولا تتعلقُ به مصالحُكم، رحمةً بكم ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥].

علّمكم كيف ابتدأ خَلْقَ هذا العالَم، وهو الأمرُ الذي لا يمكنُ عِلْمُه إلا من طريق الرّسلِ صلواتُ اللهِ وسلامُه عليهم، فكلُّ مَنْ ذَكَرَ شيئاً عن كيفيةِ خَلْقِ السّمٰواتِ والأرضِ فإن الواجبَ عَقْلاً وشَرْعاً أن نَعْرِضَ قولَه علىٰ ما جاءتْ به الرسلُ، فإن طابَقَه فهو مقبولٌ، وإن خالفه فهو مردودٌ، وإن كان مسكوتاً عنه فيما جاءت به الرسلُ فإننا نتوقفُ فيه حتىٰ يتبينَ لنا أمرُه من حقٍّ أو باطلٍ.

لقد علَّمنا اللهُ أنه خَلَقَ السّمٰواتِ والأرضَ وما بينهما في ستةِ أيامٍ. ابتدأ خَلْقَ الأرضِ في يومين، وجعلَ فيها رَوَاسِيَ مِنْ فوقِها

وهيأها لِما تصلحُ له من الأقواتِ في يومين آخَرَين فتلكُ أربعةُ أيامٍ، ثم استوىٰ إلىٰ السماءِ وهي دُخَان فسوّاهن سبعَ سمٰوات في يومين، وأوحىٰ في كلِّ سماءٍ أمرها فتلك سِتّةُ أيامٍ، خلق الله فيها السّمٰوات والأرض، وأودع فيهن مصالحهن، فأخرَج من الأرض ماءَها ومَرْعَاها، وقدَّر الأقواتَ فيها تقديراً يناسِبُ الزمانَ والمكان، لتكونَ الأقواتُ متنوعةً ومستمرةً أنواعُها في كل زمان، وليتبادلَ الناسُ الأقواتَ فيما بينَهم يُصَدِّرُ هذا إلىٰ هذا وهذا إلىٰ هذا، فيحصلُ بذلك من المكاسِب والاتصال بين الناس ما فيه مصلحةُ الجميع، وزيّن الله السّماءَ الدنيا بمصابيحَ وهي النجومُ، وجعلَها رُجُوماً للشياطين التي تسترق السّمعَ من السّماء، وعلاماتٍ يَهْتِدي بها الناسُ في البرِّ والبحر.

وسَخَّر لعبادِه الليلَ والنهارَ يتعاقبان علىٰ الأرض، لتقوم مصالحُ العباد في دينهم ودنياهم، وقد نوّه اللهُ تعالىٰ بفضلِه علينا في ذلك حيثُ يقول لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [القصص: ٧٢-٧٣].

واختلافُ الليلِ والنهارِ يكون بسبب دَوَران الشّمسِ علىٰ الأرض فإنَّ اللهَ سخَّرَ لنا الشمسَ والقمرَ دائبين دائمين، وجعلَهما آيتين من آياتِه الدالةِ علىٰ كمالِ قدرتهِ وسعةِ رحمتِه فمنذُ خلقَهما اللهُ تعالىٰ

وهما يسيرانِ في فلكِهما علىٰ حَسَب أمرِ اللهِ لا يرتفعان عنه صُعُوداً ولا يَنْحَدِران عنه نزولاً، ولا يميلان يميناً ولا شمالاً، وقَدَّرهما منازلَ لتعلموا عددَ السنينَ والحساب، فباختلافِ منازلِ القمر تختلفُ الأهلةُ والشّهورُ وباختلافِ منازلِ الشمسِ تختلفُ الفصولُ، فإذا حَلَّتِ الشمسُ آخرَ البروجِ الشماليةِ انتهىٰ النهارُ في الطولِ، ودخل فَصْلُ القَيْضِ ثم ترجعُ شيئاً فشيئاً حتىٰ ترجعَ إلىٰ البروجِ اليمانيةِ، فإذا حلّت آخر بُرْجٍ منها انتهىٰ الليلُ في الطولِ ودخل فصلُ الشتاءِ، وفي اختلاف الفصول من المصالحِ وتنوّعِ الأقواتِ ما يُعْرَفُ به قَدْرُ نعمةِ اللهِ ورحمتِه.

وهكذا تسيرُ الشمسُ والقمرُ في فَلَكَيْهِما بانتظامٍ باهرٍ، وسيرٍ محكمٍ كلٌّ يَجْرِي إلىٰ أجَلٍ مُسَمىٰ إلىٰ أن يأذنَ اللهُ بخرابِ هذا العالم، فتخرج الشمس من مغربها كما في صحيح البخاري عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ حين غربت الشمس: «**أتدري أين تذهب**» قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «**فإنها تذهب حتىٰ تسجدَ تحتَ العرشِ فتستأذن فيؤذن لها، ويوشك أن تسجدَ فلا يُقبل منها وتستأذن فلا يُؤذن لها، يقال لها: ارجعي من حيث جئتِ فتطلع مِن مغربها**»(١). وفي هذا الحديث دليلٌ ظاهرٌ علىٰ أنَّ الشّمسَ تسيرُ بنفسِها كما يدلُّ علىٰ ذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٩٩)، ومسلم (١٥٩) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

لَهَاۚ﴾ [يسٓ: ٣٨]، وقوله ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسۡبَحُونَ﴾ [يسٓ: ٤٠]، فهذه الأدلةُ تُكَذِّبُ ما يُقالُ من أن الشمسَ ثابتةٌ لا تدورُ علىٰ أنه قولٌ باطلٌ يجب ردُّه وتكذيبُه.

أعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ لِتَجۡرِيَ فِي ٱلۡبَحۡرِ بِأَمۡرِهِۦۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡأَنۡهَٰرَ ٣٢ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ دَآئِبَيۡنِۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ٣٣ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ﴾ [إبراهيم: ٣٢-٣٤].

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.



شيءٌ من آياتِ الله تعالىٰ

الحمدُ للهِ الذي خَلَقَ السمٰواتِ والأرضَ وجعلَ الظلماتِ والنورَ، والحمدُ للهِ الذي هَدَىٰ مَنْ شاءَ مِنْ عبادِه فوفَّقَه لِتَدَبُّرِ آياتِه فانْجَلَىٰ عنه الشكُّ والغُرورُ، ونشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، له الملكُ وله الحمدُ وهو علىٰ كلِّ شيءٍ قديرٌ، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه البشيرُ النذيرُ والسراجُ المنيرُ، صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِهِ وأصحابِه ومَنْ تَبِعَهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ الدين، وسلَّمَ تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ وتَدَبَّرُوا ما ذَكَرَ في كتابِه من آياتِه العظيمةِ، فقد قال اللهُ تعالىٰ: ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: ١٦٤]. نَعَمْ هي آياتٌ لقوم يعقلون ويفهمون ويذكرون ما في هذه الآياتِ من العبرِ العظيمةِ، فيهتدون. فأولُ ما ذَكَرَ من هذه الآياتِ خَلْق السمٰواتِ والأرضِ، كيف أَحْكَمَها اللهُ تعالىٰ أتمَّ إحكامٍ، وأَوْدَعَ فيها من مصالحِ الخلقِ ما فيه أكملُ نظامٍ، فهذه السمٰواتُ العظيمةُ علىٰ كِبَرِها وسَعَتِها وعِظَمِها لا ترىٰ فيها خَلَلاً ولا فُطوراً ولا نَقْصاً عما خُلِقَتْ له، ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ

فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ [ق: ٦]، ﴿فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝٣ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ [الملك: ٣-٤]. جعل اللهُ في أُفُقِ هذه السمٰواتِ كواكبَ ونُجوماً وشَمْساً وقَمَراً زينةً للسماءِ ورُجُوماً للشياطين وتَسْخِيراً لمصالحِ العبادِ، تَسِيرُ هذه الكواكبُ والنجومُ والشمسُ والقمرُ في فَلَكٍ، يَسْبَحُونَ علىٰ الوجْهِ الذي أمَرها اللهُ أن تَسِيرَ عليه في غيرِ اختلافٍ ولا تغييرٍ، وفي الأرضِ آياتٌ للموقنين، في الأرض قِطَعٌ متجاوراتٌ مختلفاتٌ في ذاتِها وصفاتِها هذه معادنُ ذهبٍ، وهذه معادنُ فضةٍ، وهذه معادنُ حديدٍ، وهذه معادنُ رُصَاصٍ، وهذه أطيانٌ، وهذه أحجارٌ، وهذه خزائنُ مياهٍ، وهذه خزائنُ أُخْرَىٰ، كلُّ ذلك في هذه الأرضِ الواحدةِ لمصالحِ العبادِ. في الأرض جناتٌ من نخيلٍ وأعنابٍ وزُروعٍ يُسْقَىٰ بماءٍ واحدٍ، وفي أرضٍ واحدةٍ ومع ذلك يختلفُ في أشكالِهِ وألوانِهِ وطُعُومِه ومنافعِه وآثارِه. أليس في هذا دليلٌ علىٰ كمالِ قُدرةِ اللهِ ورحمتِه وحكمته، وفي الآياتِ المذكورةِ في هذه الآيةِ الكريمةِ اختلافُ الليلِ والنهارِ اختلافُهما طُولاً وقِصَراً وبَرْداً وحَرّاً، وشِدّةً ويُسْراً، وحَرْباً وسِلْماً، يُولِجَ الليلَ في النهارِ ويُولِجُ النهارَ في الليلِ، يأخذُ النهارُ من الليلِ، فيزدادُ النهارُ ثم يَكِرُّ الليلُ عليه فيَسْتَرِد ما أخذه النهارُ منه فينهزمُ وينهارُ، في الليلِ والنهارِ تختلفُ الاحوالُ، تمر الأزماتُ أحياناً في شِدَّةٍ وضِيقٍ، وتمرُ أحياناً في انشراحٍ وتيسيرٍ، يُعِزُّ اللهُ في هذه الليالِي

والأيامِ مَنْ شاء، ويُذِلُّ مَنْ شاء، ويغني من شاء، ويُفْقِر من شاء، ويَهدي من شاء، ويُضِل من يشاء، كلُّ ذلك بتقديرِ العزيزِ الحكيمِ، أما الفُلْكُ التي تَجْرِي في البحرِ بما ينفعُ الناسَ، فلقد كانت في ذلك الوقتِ الذي نَزلَ فيه القرآنُ أعظمَ وسائلِ النقلِ وأكْبرَها، آياتٍ مشهودة وهي كيف عَلَّمَ اللهُ عبادَه وهداهم إلىٰ صُنْعِها، فكانت تَحْمِلُ مِنْ مَصَالح العبادِ بقَدْرِها، ثم تَمْخُرُ عُبَابَ البحارِ عائمةً فيها بالأرزاقِ والمتاعِ والأموالِ حتىٰ تصلَ إلىٰ مكانٍ لا تبلغُه الأقدامُ، فكان حملُها للأرزاقِ من قُطْرٍ إلىٰ قُطْرٍ علىٰ مَتْنِ الماءِ مُشْبِهاً لحَمْلِ السّحابِ الماءَ من جِهَةٍ إلىٰ أُخرَىٰ علىٰ مَتْنِ الهواءِ، ولذلك أعقبها اللهُ بذكر آيةِ المطرِ، فقال: ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [البقرة: ١٦٤]، فالمطرُ من أعظمِ آياتِ اللهِ يَنْزِلِ علىٰ أرضٍ قَاحِلَةٍ هامدةٍ كالرمادِ، فتُصبحُ الأرضُ بعد ذلك مُخْضَرةً رابيةً بما عليها من أنواعِ الزهورِ والأعشابِ، لو اجتمعَ الإنسُ والجِنُّ علىٰ أن يسوقوا هذه الماءَ إليها ما استطاعوا، ولو اجتمعوا علىٰ أن يُحْيُوها بعد موتِها لَخَابُوا، وأن الذي أحياها لَمُحْيي الموتىٰ وهو علىٰ كلِّ شيءٍ قديرٌ، وفي هذه الآية ما بَثَّ اللهُ في الأرضِ من دابةٍ، ففي الأرضِ من الدواب المختلفةِ في أحجامِها وألوانِها وأشكالِها ومنافعِها وقَدْرِها ما يَبْهَرُ العقولَ، فيها الصغيرُ والكبيرُ، فيها القوي والضعيفُ، فيها الضَّار والنافعُ، فيها ما يتعاظمُ عليك كِبَرُهُ، وفيها ما لا تستطيعُ رؤيتَه من صِغَرِهِ، وخالقُ هذه الدواب المتباينةِ واحدٌ،

وهي مخلوقةٌ من جنسٍ واحدٍ من الماءِ، كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ﴾ [النور: ٤٥]، فتدبر أيها العاقلُ كيف كان أصلُ هذه الدواب متحداً لِجِنْسٍ ثم هي تتباينُ هذا التباينُ، وهذه الدواب علىٰ كثرتِها وتنوعِها وتفرقِها في الأرضِ علىٰ وَجْهٍ نعلمُه ووَجْهٍ لا نعلمُه، كلُّ هذه الدواب قد تكفَّلَ برِزْقِها خالقُها فما أضاعَها ولا نَسِيَها، ﴿۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَاۚ﴾ [هود: ٦]، ومن الآياتِ المذكورةِ هنا تصريفُ الرياحِ، تصريفُها من جِهَةٍ إلىٰ جِهَةٍ، ومن مَنْفَعَةٍ إلىٰ مَنْفَعَةٍ، ومن صَلَفٍ وشِدّةٍ إلىٰ لينٍ ولَطَافةٍ، يُيَسِّرُها اللهُ أحياناً حتىٰ تكونَ نَسيماً عليلاً، ويأمرُ فتشتد أحياناً حتىٰ تُدَمِّر كلَّ شيءٍ بأَمْرِ ربِّها، ولو اجتمعَ الخلقُ كلُّهم علىٰ أن يَصْرِفُوا الرياحَ عن جِهَتِها أو يزيدوا في شِدَّتِها أو يَنْقُصُوا منها ما استطاعوا إلىٰ ذلك سبيلاً، ومن الآياتِ المذكورةِ هنا ذلكم السحابُ المسخرُ بينَ السماءِ والأرضِ، يرتفعُ أحياناً وَيَقربُ من الأرضِ أحياناً، يكونُ سريعاً أحياناً ويكونُ بَطِيءَ السيرِ أحياناً، يُمْطِرُ أحياناً ويَمْتنعُ عن المطرِ أحياناً، وذلك أنه مُسَخَّرٌ بأمرِ ربِّه يُؤْمَرُ ويُنهىٰ، ومن آياتِ اللهِ أنَّ هذا السحابَ (الذي هو كالهباء) يحملُ بحارَ الماءِ ويُسْمَعُ فيه تلك الأصواتُ الهائلةُ عند الرعدِ، ويُرَىٰ فيه ذلك الضوءُ اللامعُ الواسعُ عند البَرْقِ، وأحياناً يُرْسِلُ اللهُ فيه الصواعقَ المُهْلِكةَ فَيُصِيبُ بها من يشاء، يُنْشِئُه اللهُ إذا أراد في وقتٍ قصيرٍ، ويُفَرِّقُه في وقتٍ قصيرٍ، ولو اجتمعَ أهل العالم كلّهم

ما جمعوه ولو حاولوا تفريقَه بشَتَّىٰ الطُرُق ما فَرَّقُوه، فسبحان من أرىٰ عبادَه آياتِه ظاهرةً لِلعيَانِ، ووفَّقَ مَن شاء مِنْ عبادِه للاعتبارِ بها حتىٰ صارت له علىٰ خالقها أكبرَ بُرْهانٍ، وأعمىٰ بصيرةَ من أعرضَ عنها فلم يَزدد بها إلا تمادياً في الكفرِ والطغيانِ.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.



خَلقُ السماء

الحمدُ للهِ الذي رَفعَ السّماءَ بغيرِ عَمَدٍ، ووضَعَ الأرضَ وهَيَّأَهَا للعبادِ، وجعلَها مَقرَّهم أحياءً وأمواتاً، ففيها يَحْيَوْن وفيها يَمُوتُون ومنها يُخْرَجُون يوم يقومُ الأشهادُ، ونشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، ذو العزّةِ والمجدِ والاقتدارِ، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه المصطفىٰ المختارُ، صلَّىٰ الله عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه البَررةِ الأطهارِ وعلىٰ التابعين لهم بإحسانٍ، ما تعاقبَ الليلُ والنهار، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ وأطيعوه وصدِّقوا بما أخبرَ من أمورِ الغيبِ والقدرةِ، واعتقدوا واعْرِفُوا أنفسَكم واعلموا أنكُم ما أوتِيتُمْ من العِلمِ إلا قليلاً، فَكِلُوا الأمرَ إلىٰ عالِمه وفَوِّضُوه، وما جاء في الكتاب من الأمورِ الكونيةِ فَخُذُوا بـه علىٰ ظاهرِه، فإنَّ هذا هو مُنتهَىٰ استطاعتِكم، فالأمورُ التي لا تُدْرِكُها العُقولُ يجبُ فيها الأخذُ بظواهرِ الكتابِ والسنةِ من غيرِ تحريفٍ ولا تعطيلٍ، أما ما خالفَ ما جاء في الكتابِ فإنَّه يجبُ رفضُه وردُّه علىٰ قائله كائناً مَنْ كان؛ لأنَّ ما في الكتابِ والسّنةِ حَقٌّ وما خالفَهما فهو باطلٌ.

أيها المسلمون: لقد سَمِعْنا أن بعضاً من الناسِ اغْتَرُّوا بما جاء في كلام زنادقةِ الفلكيّين الذين قالوا: إنه لا سماءَ فوقَنا، وإنّما الذي فوقَنا فَضاءٌ لا نهايةَ له، وهذا قولٌ باطلٌ بالكتابِ والسّنةِ وإجماعِ المسلمين، ومَنِ اعتقدَه جاهلاً بالدليلِ وجَبَ أن يَعْرِفَ به، فإنْ أصرَّ علىٰ ذلك فهو كافرٌ لتكذيبِه للكتابِ والسّنةِ، والحقُّ الذي

لا ريبَ فيه أنَّ السّمٰواتِ أجرامٌ محسوسةٌ لدلالةِ الكتابِ والسّنةِ وإجماعِ المسلمين علىٰ ذلك. أما الكتاب فقد قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ﴾ [المؤمنون: ١٧]، ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾ [النبأ: ١٢]، أي قوية، ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَىٰهَا ۝٢٧ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا﴾ [النازعات: ٢٧-٢٨]، ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا﴾ [نوح: ١٥]، ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ [قٓ: ٦]، ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝٣ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ [الملك: ٣-٤]، ﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٢]، ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ [الرعد: ٢]، ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ﴾ [الحج: ٦٥]، ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]، ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧]، ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝١٧ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾ [الغاشية: ١٧-١٨]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأعراف: ٤٠]، فهذه الآياتُ صريحةٌ في أنَّ السّمٰواتِ أجرام محسوسةٌ مرئيةٌ، فإنّ الطّرائقَ والطباقَ والسّمْكَ والسّقْفَ والرّفْعَ وإمكانَ وقوعِها علىٰ الأرض، لولا إمساكُ اللهِ وإثباتَ الأبوابِ لها، ونَفْيَ الفُروجِ والفُطُورِ عنها، والحثَّ علىٰ النظر كُلُّ تلك أدلةٌ قاطعةٌ علىٰ أنَّ السّمٰواتِ أجرامٌ محسوسةٌ مشهودةٌ يُنْظَرُ إليها.

أما دلالةُ السّنةِ علىٰ ذلك فمِنْ صَرَائِحها حديثُ المِعْرَاجِ وكَوْنُ النبي يَصْعَدُ في السّمٰواتِ سَماءً سماءً، وفي كلِّ سماءٍ نبيٌّ من الأنبياءِ يُسلِّمُ عليه النبيّ ويَستفتحُ أبوابَها ولا يدخلُها إلا بفَتْحٍ، وأما إجماعُ المُسلمينَ علىٰ ذلك فهو أمرٌ معلومٌ بينَهم.

أيها المُسلمون: إنَّ مَنْ أنكرَ شيئاً من السّمٰوات، أو شكَّ فيه أو زعَم أنَّ الذي فوقَنا فضاءٌ لا نهايةَ له فإنَّه كافرٌ مُكَذِّبٌ للهِ ورسولِه وإجماعِ المسلمين، ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

أيها المسلمون: إنَّ الواجبَ أن نَعْرِفَ موقفَنا أمامَ أقوالِ الفلكيينَ وغيرِهم ممن يتكلمون بهذه الأمورِ، وذلك بأن نَعْرِضَ أقوالَهم علىٰ الكتابِ والسنةِ، فإن طابَقَتْهُما فهي أقوالٌ صحيحةٌ مقبولةٌ، وإن خالَفَتْهُما فهي أقوالٌ باطلةٌ مردودةٌ، وإن لم يَكُنْ في الكتاب أو السنة ما يُثْبِتُها أو يَنْفِيها وجبَ علينا أن نتوقفَ فيها حتىٰ يقومَ دليلٌ عقليٌّ أو علميٌّ علىٰ صحتِها أو بطلانِها.

أعوذُ باللهِ من الشيطان الرجيم: ﴿۞ مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الكهف: ٥١].

بارك الله لي ولكُم في القرآن العظيم، ونفعَني وإيّاكُم بما فيهِ من الآياتِ والذّكر الحَكيمِ، أقول قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم. ولكافةِ المُسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنّه هو الغَفور الرحيم.

خَلقُ السمٰوات والأرض

الحمدُ للهِ الملِك الحقِّ المُبين، القويّ العظيم المتين، الأولُ فليس قبلَه شيءٌ، والآخرُ الذي ليسَ بعدَه شيءٌ، والظاهِرُ الذي ليسَ فوقَه شيءٌ، والباطِن الذي ليسَ دونَه شيءٌ، وهو بكلِّ شيءٍ عليم، ونشهدُ أنْ لا إلهَ إلا الله وحدَه لا شريك له، خلَق كلَّ شيءٍ فقدَّره تقديراً، وتصرَّف في ملكِه كما يشاء حِكمة وتدبيراً، ونشهدُ أنَّ محمّداً عبدُه ورسولُه الذي أرسلَه إلىٰ الثقلين الجنّ والإنس، بشيراً ونذيراً، وداعياً إلىٰ الله بإذنه وسِراجاً منيراً، صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آله وأصحابِه والتابعين لهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ الدين، وسلَّم تسليماً كثيراً.

أما بعدُ، أيها المؤمنون: اتقوا الله تعالىٰ، واعرفوا ما له من العَظَمة والقوّةِ والاقتدار، فلقد خَلَق السمٰوات والأرضَ وما بينهما في ستةِ أيامٍ من غيرِ تعبٍ ولا إعياء، خلَق الأرض في يومين وجعَل فيها رواسيَ من فوقِها وهي الجبال، أرسىٰ بها الأرض خشيةَ أن تميدَ بالنّاسِ، وجعلها من فوقِ سطحِ الأرضِ دُونَ باطِنِها، لِما في ذلك من المصالح العظيمةِ الكبرىٰ، وبارَك في هذه الأرض، وقدَّر فيها أقواتَها فقسّمها علىٰ حسبِ حِكمته ومشيئته بين النّاس، ليجلِبَ كلٌّ منهم إلىٰ الآخر ما ليس في أرضِه، فيحصلُ بذلك

التبادلُ، كلُّ ذلك في أربعةِ أيامٍ سواء، لا تزيد ولا تنقُص، ثم استوىٰ إلىٰ السّماءِ وهي مثل الدّخان، فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً، أمرَهُما أن يَنقادا إلىٰ أمرِهما طائعتَين أو مُكرهَتين لأنَّ الله تعالىٰ لا يَستعْصي علىٰ تقديرِه وأمرِه الكَونيِّ شيءٌ، فقالتا: أتينا طائعين مُنقادِين، فقضاهُنَّ سبعَ سمٰواتٍ في يومينِ، وأوحَىٰ في كلِّ سماءٍ أمرَها ومصالِحها، فتبارك الله ربُّ العالمين، ولقد نصَّ اللهُ تعالىٰ علىٰ خلقِ ما بين السَّماء والأرض، وذلك لأن بينَ السَّماء والأرضِ مِن أسرارِ الكون شيءٌ عظيمٌ، كان له من الأهميةِ أن ينصَّ اللهُ عليه، ولقد ظهَرَ مِن أسرارِه في هذا العصرِ شيءٌ كثيرٌ، وإنَّ ممّا بينها هذا السّحاب المسخّر بينَ السّماءِ والأرض، ففيه آياتٌ لقومٍ يعقلون، إنَّ هذا السّحاب يجري بينَ السّماءِ والأرض، يحملُ المياهَ العظيمةَ لا يُمسكُها إلا اللهُ بقدرَته يتخطّىٰ أراضي، فلا ينزلُ فيها، ويمرُّ بأراضٍ فيسقيها ويرويها؛ لأنه خَلقٌ مسخّرٌ مأمورٌ يَنشأ بأمرِ الله، ويمطر بأمر الله، ويتفرّق بأمر الله، وإنَّ من آياتِ الله في هذا السّحاب ما نسمعُه من الرَّعد الشّديد، ومن الصّواعقِ التي تحرِق ما أتت عليه وتبيدُه.

أعوذُ بالله من الشّيطان الرّجيم: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾ [الرعد: ١٢]. ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤].

بارَكَ اللهُ لي ولكُم في القرآن العَظيم، ونفعَني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذّكْر الحَكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفِرُ اللهَ لي ولكم، ولكلِّ المُسلمين مِن كلِّ ذَنبٍ، فاستغْفروه إنّه هو الغَفورُ الرّحيم.

* * *

ذكر بعض الآيات الكونية

الحمدُ للهِ الملكِ الحقِّ المبينِ، الذي أبان لعبادِه من آياتِه ما به عبرةٌ للمعتبرين، وهدايةٌ للمهتدين، ونشهدُ أن لا إلٰهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، إلٰهُ الأولين والآخرين، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه المبعوثُ رحمةً للعالمين، صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه ومَنْ تبِعَهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ الدين وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ واحمدوه علىٰ ما أراكم من آياتِه الدالةِ علىٰ وحدانيتِه، وعلىٰ كمالِ ربوبيتِه، فإنَّ في كلِّ شيءٍ له آيةً تدل علىٰ أنه إلٰهٌ واحدٌ كاملُ العلمِ والقدرةِ والرحمةِ، فمن آياته خَلْقُ السمٰوات والأرض، فمَنْ نظر إلىٰ السماءِ في حُسْنِها وكمالِها وارتفاعِها وقوتِها، عَرَفَ بذلك تمامَ قُدرةِ اللهِ تعالىٰ: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا﴾ [النازعات: ٢٧-٢٨]. ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْي۟دٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات: ٤٧]. ﴿فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ [الملك: ٣-٤]. ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ [ق: ٦]. ومَنْ نظَرَ إلىٰ الأرضِ كيف مَهَّدَها الله وسَلَكَ لنا فيها سُبُلاً وجَعَلَ فيها رَوَاسِيَ مِنْ فوقِها وبارَكَ فيها وقدَّرَ فيها أقواتَها ويَسَّرَها لعبادِه، فجعلَها لهم ذَلُولاً يَمْشُون في مَنَاكِبِها، ويأكلون من رِزْقِه فيَحْرِثُون ويزْرَعُون، ويُخرِجُون منها الماءَ

فيَسْقُون ويَشربون، وكيف جعلَها اللهُ تعالىٰ قَراراً للخَلْقِ لا تَضْطَرِبُ بهم ولا تُزَلْزَلُ بهم إلا بإذنِ اللهِ ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ﴾ [الذاريات: ٢٠]. ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ﴾ [الرعد: ٤]، مختلفةٌ في ذاتِها وصفاتِها ومنافعِها ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ﴾ [الرعد: ٤]، الآية.

فمَنْ تأمَّلَ ذلك عَلِمَ كمالَ قدرةِ اللهِ تعالىٰ ورحمتِه بعبادِه، ومن آياتِه ما بثَّ اللهُ تعالىٰ في السمٰواتِ والأرضِ من دابةٍ، ففي السماءِ ملائكةٌ لا يُحْصِيهم إلا اللهُ تعالىٰ، ما مِنْ مَوْضِعِ أَرْبَعِ أصابعَ إلا وفيه مَلَكٌ قائمٌ للهِ تعالىٰ، أو راكعٌ أو ساجد يطوفُ منهم كلَّ يومٍ بالبيت المعمورِ في السماءِ سبعون ألفاً لا يعودون إليه إلىٰ يَوْمِ القيامة، وفي الأرضِ من أجناسِ الدواب وأنواعِها ما لا يُحْصِىٰ أجناسَه، فَضْلاً عن أفراده ما لا يُحْصِيهِ إلا اللهُ تعالىٰ، هذه الدواب مختلفةُ الأجناسِ والأشكالِ والأحوالِ، فمنها النافعُ للعبادِ الذي به يَعْرِفُون كمالَ نعمةِ اللهِ عليهم، ومنها الضار الذي يَعْرِفُ به الإنسان قدر نفسِه وضعفِه أمامَ خَلْقِ اللهِ.

وهذه الدواب المنتشرةُ في البَرَارِي والبِحَارِ كلُّها تُسَبِّحُ بحمدِ اللهِ وتُقَدِّسُ له وتشهدُ بتوحيدِه وربوبيتِه، تسبحُ له السموات السبعُ والأرضُ ومَنْ فيهن، وإن من شيءٍ إلا يُسَبِّحُ بحمدِه ولكن لا تفقهون تسبيحَهم، وكلُّ هذه الدوابِ رزقُها علىٰ خالقِها وبارئِها، وما من دابةٍ في الأرض إلا علىٰ الله رزقُها ويعلمُ مستقرَّها ومستودعَها،

ومن آياتهِ تعالىٰ الليلُ والنهارُ، الليلُ جعلَه اللهُ تعالىٰ سَكَناً للعبادِ يسكنون فيه وينامون ويستريحون، والنهارُ جعله اللهُ تعالىٰ معاشاً للناس يبتغونَ فيه من فضلِ الله، ﴿أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [القصص: ٧١-٧٢].

ومن آياتِ اللهِ تعالىٰ الشمسُ والقمرُ حيث يجريان في فلَكِهما منذ خلَقَهما اللهُ تعالىٰ حتىٰ يأذنَ بخرابِ العالمِ، يجريان بِسَيْرٍ منتظمٍ لا تغييرَ فيه ولا انحرافَ ولا فسادَ ولا اختلافَ، ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ٱلنَّهَارِ﴾ [يسٓ: ٣٨-٣٩] إلى قوله: ﴿فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يسٓ: ٤٠]، ومن آياتِه هذه الكواكبُ والنجومُ العظيمةُ التي لا يُحْصِيها كثرةً ولا يعلمُها عظمةً إلا اللهُ تعالىٰ، فمنها السياراتُ، ومنها الثوابتُ ومنها المتصاحباتُ التي لا تزال مقترنةً ببعضها، ومنها المتفارقاتُ التي تجتمعُ أحياناً وتفترقُ أحياناً، تَسِيرُ بأمرِ اللهِ تعالىٰ وتدبيرِه زينةً للسماءِ، ورُجُوماً للشياطين وعلاماتٍ يُهْتَدىٰ بها، فالكونُ كلُّه من آياتِ اللهِ جُمْلَةً وتفصيلا. هو الذي خلقه وهو المدبرُ له وحدَه لا يُدَبِّرُ الكونَ نفسَه ولا يُدَبِّرُه أحدٌ غيرُ اللهِ، يقول اللهُ تعالىٰ مُبَرْهِناً علىٰ ذلك: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾ [الطور: ٣٥-٣٦]. نَعَمْ

فالعالمُ لم يَخْلَقْ نفسَه ولم يَكُنْ مخلوقاً من غيرِ شيءٍ، بل لا بُدَّ له من خالقٍ يخلقُه ويقومُ بأمرِه وهو اللهُ سبحانه لا خالقَ غيرُه، ولا ربَّ سِواه.

أيها الناسُ: لو جئتم بقصرٍ مشيدٍ مكتملِ البناءِ قد بَنَىٰ نفسَه لقلتم هذا من أكبرِ المحالِ، ولو قيل لكم إنَّ هذا القَصْرَ وُجِدَ صُدْفَةً لقلتم هذا أبلغُ مُحَالاً وأبلغُ، إذن فهذا الكونُ الواسعُ كونُ العالمِ العلويِ والعالمِ السفليِّ لا يُمْكِنُ أن يُوجِدَ نفسَه ولا يُمْكِنُ أن يُوجَدَ صدُفْةً بلا مُوجِدٍ، بل لا بُدَّ له من مُوجِدٍ واحدٍ عظيمٍ قادرٍ وهو اللهُ سُبْحانَه وتعالىٰ.

أعوذُ باللهِ من الشيطان الرجيم: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ﴾ [الذاريات: ٢٠]، ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٥].

بارك اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيمِ، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقول قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المُسلمين مِن كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغَفور الرحيم.



حكمة الله في تقسيم الأرزاق

الحمدُ للهِ الواحدِ القهارِ يحكمُ في خَلْقِه وشَرْعِه، ففي خَلْقِه وشَرْعِه غايةُ الحِكَمِ والأسْرارِ، قسَّمَ الرزقَ بينَ عبادِه ما بين غِنىً وإقتارٍ، لِتَقُومَ مصالحُ العبادِ في المعاشِ والمعادِ، ونشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحده لا شريكَ له الغنيُّ الكريمُ الجوادُ، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه سيدُ الرسلِ وخلاصةُ العبادِ، وأبلغُ الناسِ في الزهدِ والورعِ والشكرِ والصبرِ علىٰ أحكامِ المَلِكِ الجَبَّارِ، صلَّى اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه والتابعين لهم بإحسانٍ آناء الليل والنهار، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا اللهَ تعالىٰ واعلموا أنَّ اللهَ له الحكمةُ البالغةُ في الخَلْقِ والتقديرِ والتضييق علىٰ عباده والتيسير، وله الحكمة البالغة في الحكم والتشريع، فأحكامُ شريعتِه كلُّها عَدْلٌ ورحمةٌ وحِكْمةٌ، ومصلحةٌ للعباد في دنياهم وأُخراهم ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠]، فله الحمدُ في منعِه وعطائِه علىٰ العبادِ، إذا وَسَّعَ عليهم أرزاقَهم أن يشكروه ويقوموا بما يَجِبُ عليهم في هذه الأرزاقِ، وعلىٰ العبادِ إذا قُدِرَتْ عليهم أرزاقُهم أن يصبروا علىٰ تقديرِ الواحدِ الخلاَّقِ. فهو أعلمُ بمصالحِهم وهو أرحمُ بهم مِنْ أمهاتِهم وآبائِهم، لقد قَسَّمَ العليمُ الحكيمُ الرزقَ علىٰ عبادِه، فمنهم مَنْ بَسَطَ له في رزقِه ومنهم من قدر عليه رزقُه وذلك

لِحِكَمٍ عظيمةٍ باهرةٍ. قسَّمَ اللهُ الرزقَ علىٰ عبادِه لِيَعْرِفوُا بذلك أنه المدبرُ لجميعِ الأمورِ، وأن بيدِه مقاليدَ السّمٰواتِ والأرضِ، فهذا يُوَسَّعُ عليه والآخر يُضَيّقُ عليه ولا رادَّ لقضائِه وقَدَرِه ﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الشورىٰ: ١٢]. بَسَطَ العليمُ الحكيمُ الرزقَ لبعضِ العبادِ وضَيَّقَه علىٰ بعضِهم ليعتبروا بهذا التفاوتِ في درجاتِ الدنيا تَفَاوُتَ ما بينَهم في درجاتِ الآخرة فكما أن الناسَ في هذه الدنيا متفاوتون فمنهم مَنْ يسكن القصُورَ المَشِيدةَ العاليةَ ويركب المراكبَ الفخمةَ الغاليةَ ويَتقلَّبُ في مالِه وأهلِه وَبنِيه في سُرورٍ وحُبُورٍ، ومنهم مَنْ لا مأوىٰ له ولا أهل ولا مال ولا بَنُونَ وفيهم ما بينَ ذلك علىٰ درجاتٍ مختلفةٍ، فإنَّ التفاوتَ في درجاتِ الآخرةِ أعظمُ وأكبرُ وأجلُّ وأبقىٰ ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٢١].

فإذا كانت الآخرةُ أكبرَ درجاتٍ وأكبرَ تفضيلاً فإنه ينبغي أن نتسابقَ إلىٰ درجاتِها العاليةِ وحياتِها الباقيةِ، ذلك خيرٌ وأحسنُ تأويلاً. قسَّمَ اللهُ الرزقَ بينَ عبادِه ليعْرِفَ الغنيُّ قَدْرَ نعمةِ عليه بالإيسار فيشكرَه عليها ويلتحقَ بالشاكرين ويَعْرِفَ الفقيرُ ما ابتلاه اللهُ به من الفقر فيصبرَ عليه وينالَ درجةَ الصابرين، وإنما يوفَّىٰ الصابرون أجرَهم بغيرِ حساب. وهو مع ذلك لا يزالُ يسألُ ربَّه الميسرةَ وينتظرُ الفرجَ من ربِّ العالمين، قسَّم اللهُ الرزقَ بينَ العبادِ لِتَقُومَ مصالحَهم الدينية والدنيوية فلو بَسَطَ الرزقَ لجميعِ العبادِ

لبَغَوْا في الأرضِ بالكفرِ والطغيانِ والفسادِ، ولو ضيَّق الرزقَ علىٰ جميعِهم لاخْتَلَّ نظامُهم وتَهَاوَتْ من معيشتِهم الأركانُ، لو كان الناسُ في الرزقِ علىٰ درجةٍ واحدةٍ لم يتخذْ بعضُهم بعضاً سُخْرِيّاً، لم يعملْ أحدُهم للآخرِ صنعةً ولم يحترفْ له بحرفةٍ لأن الكلَّ في درجةٍ واحدةٍ، فليس أحدُهما إولىٰ بهذا من الآخر. أين الرحمةُ والعطفُ من الغَنِيِّ للفقير؟ إذا قَدَّرْنَا أن الناسَ كلَّهم في درجةٍ واحدةٍ. أين الموقعُ العظيمُ الذي يحصُلُ بصلةِ الأقاربِ بالمالِ؟ إذا كان الكلُّ في درجةٍ واحدةٍ.

إنَّ هذا وأضعافَه من المصالِح يُفقدُ لو تساوىٰ الناسُ في الأرزاقِ. ولكنَّ الحكيمَ العليمَ قَسَّمَ بينَهم أرزاقَهم وأمرَ الأغنياءَ بالشكرِ والإنفاقِ، وأمرَ الفقراءَ بالصبرِ وانتظارِ الفرجِ من الكريمِ الرزاقِ.

فعلينا معشرَ المسلمين أن نرضىٰ به رباً، فنرضىٰ بقَسْمهِ وأقْدَارِه وأن نرضىٰ به حَكَماً فنُؤْمِنَ بحِكَمِه وأسرارِه.

أعوذُ باللهِ من الشيطانِ الرجيم: ﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [العنكبوت: ٦٢].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

موقفُ الناسِ من المستجدات

الحمدُ للهِ الذي أرسلَ رسولَه بالهُدَىٰ ودينِ الحقِّ، ليُظهرَه علىٰ الدينِ كلِّه، وكفىٰ باللهِ شهيداً. والحمدُ للهِ الذي أكملَ لهذه الأمةِ دينَها، وأتمَّ عليها نعمتَه بهذا النبيِّ الكريمِ، فما تَوَفَّاهُ اللهُ حتّىٰ ترك أُمتَه علىٰ المحجة البيضاءِ، ليلُها كنهارِها، لا يزيغ عنها إلا هالكٌ معتدٍ أثيمٌ. ونشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريك له، ذو الفضلِ العظيمِ، والخيرِ العميمِ. ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، خاتَمُ النبيين، وإمامُ المتقين. صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه، وأصحابِه والتابعين لهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدين، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ، واحْمَدُوه علىٰ ما أَنْعَمَ به عليكم من الدينِ الكاملِ، الذي أمرَ بكلِّ خيرٍ، وبكلِّ وسيلةٍ تؤدي إلىٰ الخير ونهىٰ عن الشرِّ وكلِّ وسيلةٍ تؤدي إلىٰ الشر. واعلموا أنَّ النبيَّ ﷺ ما ترك خيراً إلا دلَّ الأمةَ عليه، ورغَّبَهم فيه، ولا شراً إلا نهىٰ الأمةَ عنه، وحذَّرَهم مِن الوقوعِ فيه. فليس في دينِه نقصٌ، وليس عليه استدراكٌ.

لقد ترك أُمتَه علىٰ المحجة البيضاءِ والسِّيرةِ المرضيَّةِ العُلْيا، ورسَمَ لها طرقاً تسير عليه في عباداتِها ومعاملاتِها، وبيّن تلك الطرق غايةَ البيانِ، ثم سار مِن بعدِه خلفاؤُه الراشدون علىٰ ما سار

عليه، فَسَاسُوا الناسَ بالعلمِ والحكمةِ، وأخذوا بكلِّ طريقٍ يَكْفُلُ للأمةِ سعادتَها، ويَحْمِلُها علىٰ أداءِ ما أَوْجَبَ اللهُ عليها، مقتدين في ذلك بقولِ النبيِّ ﷺ: «**المؤمنُ القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلىٰ اللهِ من المؤمنِ الضعيفِ، وفي كُلٍّ خيرٌ، احْرِصْ علىٰ ما ينفعُك، واسْتَعِنْ باللهِ، ولا تَعْجزَنَّ وإن أصابك شيءٌ، فلا تقلْ: لو أنّي فعلتُ كذا لكان كذا، ولكنْ قُلْ: قدَّرَ اللهُ وما شاء فَعَل، فإن «لَوْ» تفتحُ عملَ الشيطانِ**»[1] ثم حَدَثَتْ بعدَهم حوادثُ لم تكنْ موجودةً في عصرِهم من أمورِ الدياناتِ والسِّياساتِ والعاداتِ. فانقسم الناسُ في هذه الحوادثِ إلىٰ ثلاثةِ أقسامٍ:

قسم نَفَاها كلَّها، وقال: إنها بِدْعَةٌ، وكُلُّ بدعة ضلالةٌ. ولم يُفَرِّقْ بينَ ما يُفْعَلُ علىٰ سبيلِ العبادةِ والعادةِ، ولا بينَ ما يُفْعَلُ علىٰ أنه وسيلَةٌ لغَيْره. وما يُفْعَلُ علىٰ أنه مقصودٌ لذاتِه. وهذه الطريقةُ نَقْصٌ في العلمِ وخَطَأٌ في الفَهْمِ.

القسم الثاني: أناسٌ تَوسَّعُوا في الحوادثِ فأَحْدَثُوا من العباداتِ ما لم يأذنْ به اللهُ، وأَحْدَثُوا من السياساتِ والعاداتِ ما يُخَالِفُ حُكْمَ اللهِ. فأَضَلُّوا كثيراً وضَلُّوا عن سواء السبيل.

القسم الثالث: قومٌ سَلكُوا السبيلَ الوسَطَ، وخَيْرُ الأمورِ أَوْسَاطُها. وقالوا: إنَّ الأمورَ التي حدثت بعدَ النبيِ ﷺ، علىٰ ثلاثةِ

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٦٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

أقسامٍ: قسمٌ يُقْصَدُ به التعبدُ للهِ، فيفعلُه مَنْ أحدَثه علىٰ أنه عبادةٌ مقصود في نفسِه، يتقرب به إلىٰ ربِّه. فهذا هو البدعةُ التي حذَّر النبيُّ ﷺ أمته عنها.

النوع الثاني مما يفعلُه الناسُ: قسمٌ لا يُقْصَدُ به التعبدُ للهِ، وإنما يُفْعَلُ علىٰ سبيلِ العادةِ والعُرْفِ. فهذا إن كان مما نهىٰ الشارعُ عنه أو كان وسيلةً إلىٰ مُحَرَّمٍ، فإنه لا يجوزُ فِعْلُه، وإن لم يكنْ مما نهىٰ الشارعُ عنه، ولا وسيلةً إلىٰ معصيةِ اللهِ ورسولِه فإنه لا بأسَ به مِثْلُ ما حدثَ بعدَ النبيِّ ﷺ، من أنواعِ الطعامِ والشرابِ، والألبسةِ والمساكنِ، التي لم تكنْ مَنْهِيّاً عنها، ولا وسيلةً إلىٰ مَنْهِيٍّ عنه.

القسم الثالث: ما يفعله الناسُ وسيلةً لغيرِه لا مقصوداً لنفسِه، فهذا بحَسَبِ ما يكونُ وسيلةً إليه. فما كان وسيلةً إلىٰ الخيرِ فهو خيرٌ، وما كان وسيلةً إلىٰ الشرِّ فهو شرٌّ. ومن هذا القسم ما كان أهْلُ نَجْدٍ يفعلونه ومضىٰ عليهم علماؤُهم في قديم زمانهم وحديثه من تفقد الناس في صلاة الفجر، فإنَّ الناس لا يفعلونه كشيءٍ مقصودٍ لذاته، وإنما يفعلونه لأنه وسيلةٌ إلىٰ أداء الصلاة مع الجماعة.

وخَصُّوه بصلاةِ الفجرِ، لأنها هي التي يَكْثُرُ فيها الكسلُ وَيَغْلُبُ فيها النومُ. ولذلك خَصَّها الشارعُ من بينِ سائرِ الصلواتِ، حيثُ شَرَعَ أن يقولَ المؤذنُ في آذان الفجر خاصةً: الصلاةُ خيرٌ من النومِ، وقال أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ: صلَّىٰ بنا رسولُ اللهِ ﷺ، يوماً الصبحَ، فقال: «**أَشَاهِدٌ فُلَانٌ؟**» قالوا: لا، قال: «**أَشَاهِدٌ فُلَانٌ؟**» قالوا: لا.

قال: «إن هاتينِ الصلاتينِ أثقلُ الصلواتِ علىٰ المنافقين»[١]. رواه الإمامُ أحمدُ وأبو داودَ، والنَسائيُّ، وابْنُ خُزيمةَ، وابْنُ حِبَّانَ، والحاكمُ. وصَحححَهُ ابنُ مَعِينٍ، والذَّهبيُّ.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾ [الشورىٰ: ٢١]. وقال تعالىٰ: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء: ٣٦].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

(١) أخرجه أحمد ٥/ ١٤٠، وأبو داود (٥٥٤) من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه.

وله شاهد من حديث ابن مسعود رضي الله عنه عند أحمد ١/ ٤١٨، والبخاري (١٦٨٣).

الدَّجال ونزول عيسىٰ ابن مريم

الحمدُ للهِ الذي يسَّر لنا الأسبابَ المانعةَ من الضلالِ والافتتان ووضَّح لنا الفتنَ وبيَّن لنا الأسبابَ التي نتحصنُ بها أعظم بيان، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا الله وحده لا شريك له، الملك المنان وأشهدُ أنَّ محمداً عبده ورسوله المصطفىٰ من بني عدنان صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه صلاةً مستمرة باستمرار الزمان وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ واعلموا أن ما أخبرَ به النبيُّ ﷺ من أشراطِ الساعةِ وأماراتِها حقٌّ يجبُ اعتقادُه وقد ذكرَ للساعةِ اشراطاً كثيرة منها ما مضَىٰ ومنها ما هو حاضِرٌ ومنها ما هو مستقبلٌ وأبلَغُ ما يكون من أشراطِها وأعظمه فتنة هي فتنةُ المسيح الدجالِ فقد صحَّ عن النبيِّ ﷺ أنه قال: ما بينَ خَلْقِ آدم إلىٰ قيامِ الساعة أمرٌ أكبر من الدجالِ، وأنه ما مِن نبيٍّ إلا وقد أنذَر به أُمته وأنه يجيءُ معه بمثل الجنة والنار، فالتي يقول إنها جنةٌ، نارٌ تحرِق. والتي يقول إنها نارٌ ماءُ عذبٌ طيب. فمن أدرك ذلك منكم فليقع فيه وقال ﷺ: إنْ يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجُه دونكم، وإن يخرج ولستُ فيكم فكلُّ امرىءٍ حجيجُ نفسِه والله خليفتي علىٰ كلِّ مسلم إنه شابٌ قطَط أعورُ العينِ اليُسرىٰ مكتوبٌ بين عينيه كافر يقرؤه كلُّ مؤمنٍ كاتبٌ وغير كاتبٍ، فمن أدركَه منكم فليقرأ عليه بفواتحِ سورةِ الكهف فإنها جواركم من فتنته، إنه خارج خَلَّةً بين الشام والعراق

فعاثَ يميناً وعاث شمالاً يا عبادَ الله فاثبتوا قلنا: يا رسولَ الله وما لُبْثه في الأرضِ قال: أربعون يوماً، يومٌ كسنةٍ ويومٌ كشهرٍ ويومٌ كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم قلنا: يا رسولَ الله فاليوم الذي كسنةٍ يكفينا فيه صلاةٌ واحدة قال: لا، اقدروا له قدره، وأما إسراعه في الأرضِ فكالغيثِ استدبَرته الريحُ يأتي علىٰ القومِ يدعوهم فيؤمنون به، فيأمرُ السماءَ فتمطر والأرضَ فتنبت، ويدعو قوماً آخرين فيردّون دعوته، فينصرف عنهم فيُصبحون مُمحِلين، يمرَّ بالخربةِ فيأمرها فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل ويُؤتىٰ برجل فيقول: أيها الناس هذا الدجال الذي ذكر رسولُ الله ﷺ فيأمر به الدجال فيوسِّعُ ظهرَه وبطنَه ضرباً ثم يقول: أوما تؤمن بي فيقول: أنتَ المسيحُ الكذاب فيُؤمر به فيوشر بالميشار من مفرقه حتّىٰ رجليهِ، ثم يمشي الدجالُ بين القطعتين ثم يقول له: قم فيستوي قائماً ثم يقول: أتؤمن بي. فيقول: ما ازددت فيك إلا بصيرةً فيأخذهُ الدجالُ ليذبحه فلا يُسلَّط عليه[1] وقال النبي ﷺ: ليَفِرَّنَ الناسُ من الدْجال حتّىٰ يلحقوا بالجبالِ قالت أُم شريك: فأين العربُ يومئذ قال: هم قليل[2] ويتبع الدجالَ من يهودِ أصفهان سبعونَ ألفاً فيخرج همته المدينة، فتصرف الملائكة وجهَه عنها لأن علىٰ كلِّ بابٍ منها ملَكين يمنعانِه من الدخول فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيحَ ابنَ

(١) أخرجه مسلم (٢٩٣٧) من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٤٥) من حديث جابر رضي الله عنه.

مريم فينزل عند النمارةِ البيضاء شرقي دمشقَ بين مَهْرُودَتَين (أي حلتين مصبوغتين بورَسٍ أو زعفران) واضعاً كفيْهِ علىٰ أجنحةِ ملَكين إذا طأطأ رأسَه قطر، وإذا رفعه تَحَدَّر منهُ مِثل جمانٍ كاللؤلؤ فلا يحلُّ لكافر يجدُ من ريحِ نفسِه إلا مات، ونفسُه ينتهي حيث ينتهي إليه طرفُه، فيطلب الدجال حتّىٰ يدركُه ببابِ لُدٍّ فيقتله. فسبحان من مكَّن هذا الدجال مِن هذه المعجزات فتنةً لعبادِه وبيَّن لهم العلامات التي تبيِّن من بُطلانِ ما ادعاه وفساده، فإنه أعور ناقصٌ في ذاته وإنه مكتوبٌ بين عينيه كافرٌ يقرؤه كلُّ مؤمنٍ. إنه إذا قتل الرجل ثم أحياه لم يقدر عليه بعد ذلك، فهو ناقصٌ في قدرته، إن جنّتَه نارٌ ونارَه ماءٌ طيب عذب. فما جاء به باطلٌ، إنه مخلوقٌ وجد بعد أن لم يكن، إنه يفنىٰ ويُقتل وإنه في الأرض لا في السماء، وكل هذه صفاتُ المخلوقِ الناقص التي تبرهنُ علىٰ أنه ليس بإلٰهٍ ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ [يونس: ٣-٤].

بارك اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيم، ونفعنىٰ وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولِي هذا واستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافةِ المسلمينَ من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنّه هو الغفور الرحيمُ.

* * *

ذكرُ عددٍ من أشراطِ الساعة

الحمدُ للهِ الذي أنزلَ علىٰ عبدِه الكتابَ، فمنه بدأ وإليه يعودُ. والحمدُ للهِ الذي بوّأ لإبراهيم مكانَ البيتِ للركوعِ والسجودِ، وتباركَ الذي له ملكُ السمٰواتِ والأرضِ، وعندَه علمُ الساعةِ، وإليه المآبُ والرجوعُ. ونشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، له الملكُ، وله الحمدُ، وهو علىٰ كلِّ شيءٍ شهيدٌ، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، سيدُ الرسلِ وخُلاصةُ العبيدِ. صلىٰ الله عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه ومن تَبِعَهم في التقوىٰ والقولِ السديدِ، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها المؤمنون: اتقوا اللهَ تعالىٰ، فإنَّ تقوىٰ اللهِ سببٌ لسعادةِ الدنيا والآخرةِ، ومَنْ يتقِ اللهَ يجعلْ له من كُلِّ هم فَرَجاً، ومن كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجاً، ويُيَسِّرَ له أمرَه، ويُنَوِّرَ له قلبَه، ويَغْفِرَ له ذنبَه. ألاَ وإن التقوىٰ هي اتخاذُ ما يَقِي من عذابِ القبرِ، وعذابِ الجحيمِ، ولا يكون ذلك إلا بفعلِ الأوامرِ، واجتنابِ النواهِي، والخوفِ من الربِّ العظيمِ، ولا يكون ذلك إلا بتقديمِ العُدَّةِ، والاستعدادِ لليومِ الآخِرِ العظيمِ، ذلك اليومُ الذي تُحْشَرُونَ فيه إلىٰ اللهِ، حافيةً أقدامُكم، عاريةً أجسامُكم، شاخِصةً أبصارُكم، ذاهلةً عقولُكم، ولما كان هذا اليومُ عظيمَ الأهوالِ، شديدَ الأحوالِ، قدَّمَ اللهُ بينَ يَدَيْهِ العلاماتِ والدلائلَ، ما يُبَيِّنُ به اقترابَه لِيُسْتَعَدّ له، ويُحْذَرَ عذابُه.

وقد سبق لنا من علاماتِ الساعةِ، خروجُ الدجالَ، ونزولُ عيسىٰ ابْنِ مَرْيَمَ، وخُروجُ يَأْجُوجَ ومَأْجُوجَ. ألا وإن من علاماتِ الساعةِ، طلوعَ الشمسِ من مغرِبها. ففي صحيحِ البخاريِّ، أن النبيَّ ﷺ، قال لأبي ذَرٍّ حينَ غربَتِ الشمسُ: «**أتدري أين تَذْهبُ**» قلت: اللهُ ورسولُه أعلمُ. قال: «**فإنها تذهبُ حتىٰ تسجدَ تحت العرش، فتَسْتأْذِنُ، فيؤذن لها، ويُمْكنُ أن تسجدَ فلا يُقْبلُ منها، وتَسْتأْذِنُ فلا يُؤْذَنُ لها. فيُقَالُ لها: ارْجِعِي من حيثُ جِئْتِ. فذلك قولُ اللهِ تعالىٰ: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾**»[1] [يس: ٣٨].

عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عنه، أن النبيَّ ﷺ، قال: «**لا تقومُ الساعةُ حتىٰ تطلعَ الشمسُ من مغربِها، فإذا طلعَتْ ورآها الناسُ آمَنُوا أجمعون وذلك حينَ لا ينفعُ نفساً إيمانُها، لم تكن آمنتْ مِنْ قَبْلُ، أو كَسَبَتْ في إيمانِها خيراً**»[2]. وإنما كان طلوعُ الشمسِ من مغربِها من علاماتِ الساعةِ لأن الشمسَ من آياتِ اللهِ، ولم يتغيَّر مَجْرَاها منذُ خلقَها اللهُ تعالىٰ، حتىٰ يَأْتِيَ أمرُ اللهِ، فإذا تغيرَ نِظامُها، دلّ علىٰ أن العالمَ قد آذنَ بالخرابِ والزوالِ.

ألا وإنَّ مِنْ أَشْرَاطِ الساعةِ بعْثة النبيِّ ﷺ، ومِنْ أَشْرَاطِ الساعةِ، رَفْع هذا القرآنِ العظيمِ، عندما يُعْرِضُ الناسُ عن العملِ به إعراضاً

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٩٩) و(٤٨٠٢).

(٢) أخرجه البخاري (٤٦٣٥)، ومسلم (١٥٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

كُلِّياً، فإنه من كرامتِه أَنْ يُرْفَعَ عن الناسِ حتىٰ لا يَبْقَىٰ بينَ قومٍ يمتهنونه فلا يُصَدِّقُونَ أخبارَه، ولا يعملون بأحكامِه، يُرْفَعُ فلا يَبْقَىٰ في المصاحفِ منه آيةٌ، ولا في الصُّدورِ منه كلمةٌ.

ومن أشراطِ الساعةِ هَدْمُ الكعبةِ المكرمةِ بيت اللهِ المُعَظَّم، فإنه يَهْدِمُه في آخرَ الزمانِ رجلٌ حبشيٌّ أسودُ أفحج دقيقُ الساقينِ، يَنْقُضُها حَجَراً حَجَراً، حتىٰ يَأْتِيَ إلىٰ آخرَها.

فهذه الأشراطُ وأمثالُها مما جاء به كتابُ اللهِ أو صَحَّ عن رسولِه ﷺ يَجِبُ علىٰ المسلمينَ أن يُقِرُّوا بها ويَعْتَقِدُوها، وأنْ يَعْتَقِدُوا أنها حقٌّ علىٰ حقيقتهِ، فلا يحرِّفوها.

أعوذُ باللهِ من الشيطانِ الرجيمِ ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا﴾ [محمد: ١٨].

بارك اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيم، ونفعنىٰ وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولِي هذا واستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافةِ المسلمينَ من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنَّه هو الغفور الرحيمُ.

* * *

ذكرُ يأجوج ومأجوج

الحمدُ للهِ العليِّ القديرِ، السميعِ البصيرِ، الذي أحاطَ بكلِّ شيءٍ عِلْماً، وهو اللطيفُ الخبيرُ، عَلِمَ ما كان وما يكونُ، وخلقَ الموتَ، والحياةَ ليبلُوَكُم أيُّكم أحسنُ عَملاً، وهو العزيزُ الغفورُ. ونشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له، شهادةً نرجو بها النجاةَ في يومِ النشورِ. ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، البشيرُ النذيرُ، والسراجُ المنيرُ، صلَّىٰ الله عليه وعلىٰ آلِه، وأصحابِه ومَنْ علىٰ طريقتهم يَسِيرُ، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها المؤمنون: اتقوا اللهَ تعالىٰ، واستعدوا لليومِ الآخِرِ، فقد أُنْذِرتُموه، واستقبلوه بالأعمالِ الصالحةِ، واخْشَوْا من عقابِه، واحْذَرُوه. وقد قدَّم اللهُ تعالىٰ، بَيْنَ يَدَيْ هذا اليومِ أَشْرَاطاً وعلاماتٍ، وذلك لِعظَمِ هولِه وشدتِه، فإنه اليومُ الذي يُجَازِي فيه الخلائقَ، فَيَجْزِىٰ المؤمنَ بحسناتِه، ويُخْزِىٰ المسيءَ بالسيئات.

ألاَ وإنّ مِنْ أَشْرَاطِ الساعةِ، خُروجَ يَأْجُوجَ ومَأْجُوجَ، وهم قومٌ من بَنِي آدمَ، علىٰ صفةِ الآدميين. وأما ما يعتقده بعضُ الناسِ من أَنَّ فِيهِمُ الطويلَ المُفْرِطَ، وفِيهِمُ القصيرَ جِدّاً، وأَنَّهم علىٰ أشكالٍ غريبةٍ، فإنّ هذا الاعتقادَ مبنيٌّ علىٰ غيرِ دليلٍ صحيحٍ. وقد وَرَدَ عن النبيِّ ﷺ أنهم عِراضُ الوجوه صِغَارُ العيونِ، صُهْبُ الشُّعورِ.

وقد حَذَّرَ النبيُّ ﷺ، العربَ من خُروجِ يَأْجُوجَ ومَأْجُوجَ، لأنهم مُفْسِدونَ في الأرضِ، والعربُ حَملةُ رايةِ الإصلاحِ إلىٰ العالمِ، لأن الرسولَ ﷺ بُعِثَ فيهم، فعَنْ زَيْنَبَ أمِّ المؤمنينَ، رَضِيَ اللهُ عنها، قالت: استيقظَ النبيُّ ﷺ، من نومِه، مُحْمَرّاً وَجْهُهُ، وهو يقولُ: «**لا إلهَ إلا اللهُ، وَيْلٌ للعربِ مِنْ شَرٍّ قد اقتربَ، فُتِحَ اليومَ من رَدْمِ يأجوجَ ومأجُوجَ، مِثْلُ هذه وحلَّقَ بأُصْبعِه الإبهامِ والتي تَلِيها**» قالت زينبُ: فقلت: يا رسولَ اللهِ أفنهلك وفينا الصالحونَ؟ قال: «**نَعَمْ، إذا كَثُرَ الخَبَثُ**»[1].

فأما وَقْتُ خُروجِهم، الذي تكونُ به نِهَايتُهم وهَلاَكُهم، فإنه إذا قَتَلَ عِيسَىٰ بْنُ مَرْيمَ الدَّجالَ، أَوْحَىٰ اللهُ إليه أني قد أَخْرَجْتُ عِباداً لي لا قُوةَ لأحدٍ علىٰ قتالِهم، يعني يَأْجُوجَ ومأْجُوجَ، فيبعثُهم اللهُ من كلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُون أي من كلِّ موضعٍ مرتفعٍ يأتون سِراعاً، وهذا دليلٌ علىٰ كثرتِهم وقوتِهم وجَشَعِهم، فيمر أوائلُهم علىٰ بُحيرةِ طَبَرِيَّةَ، فيشربون ما فيها، ويمر آخِرُهم علىٰ البحيرة وقد شُرِبَ ماؤُها، فيقولون: لقد كان في هذه مرةً ماءٌ، ثم يسيرون حتىٰ يصلوا إلىٰ جَبَلِ بيتِ المَقْدِسِ، فيقولون: لقد قَتَلْنا مَنْ في الأرضِ، هَلُمَّ فَلْنَقْتُلْ مَنْ في السماءِ، فيرمونَ بنشَابِهم إلىٰ السماءِ، فيردُّ اللهُ

(١) أخرجه البخاري (٣٣٤٦) و(٧٠٥٩)، ومسلم (٢٨٨٠) من حديث زينب بنت جحش رضي الله عنها.

عليهم نشابَهم مخضوبةً دَماً فِتنةً لهم، فَيُحْصَرُ نبيُّ اللهِ عيسىٰ ﷺ، وأصحابُه في الطورِ، ويضيقُ عيشُهم. قال النبيُّ ﷺ: «حتىٰ يكونَ رأسُ الثورِ لأحدهم خَيْراً من مِئَةِ دينارٍ لأحدِكم اليومَ، فيبتهلُ نبيُّ اللهِ ﷺ عيسىٰ وأصحابُه إلىٰ الله تعالىٰ أن يهلك يأجوجَ ومأجوجَ، فيرسلُ الله عليهم دوداً في رقابهم فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة، ثم يَهْبطُ نبيُّ الله عيسىٰ وأصحابه من الطورِ، فلا يجدونَ في الأرضِ موضعَ شبرٍ إلا وقد مَلأَهُ زَهَمُ يَأْجُوجَ ومَأْجُوجَ ونَتَنُهم، فيبتهلُ عيسىٰ وأصحابُه إلىٰ اللهِ تعالىٰ، فَيُرْسِلُ علىٰ جُثَثِ يَأْجُوجَ ومَأْجُوجَ طَيْراً كأعناقِ الإبلِ البُخْتِ، فتحملُهم فتطرحُهم حيثُ شاءَ اللهُ تعالىٰ. ثم يُرْسِلُ اللهُ تعالىٰ مَطَراً لا يكنّ منه بيتُ مَدَرٍ ولا وَبَرٍ، فيغسلُ الأرضَ، حتىٰ يدعَها كالمرآةِ في نظافتِها. ثم يُقالُ لها: أَنْبِتي ثمرتَكِ، ورُدِّي بركتَكِ. فتنزلُ البركةُ في الثمراتِ والدَّر حتىٰ إنَّ اللَّقْحةَ لتَكْفي الفِئَامَ من الناسِ، فبيَنْمَا هُمْ كذلك، إذْ بعث اللهُ رِيحاً طيبةً فتأخذُهم تحتَ آباطِهم، فتقبضُ روحَ كلِّ مؤمنٍ، وكلِّ مسلم، ويَبْقَىٰ شِرارُ الناسِ يَتَهَارَجُونَ، فيها تَهَارُجَ الحَمِيرِ. فعليهم تقوم الساعة»[١].

أعوذُ باللهِ من الشيطانِ الرجيم: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا

---

(١) جزء من حديث أخرجه مسلم (٢٩٣٧) من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه.

هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٦-٩٧].

بارك اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولِي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافةِ المسلمينَ من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيمُ.

* * *

آياتُ الله الكونية

الحمدُ للهِ ذي الأسماء الحسنىٰ والصفات الكاملة العليا، الأول فليس قبلَه شيءٌ والآخر فليس بعدَه شيءٌ والظاهر فليس فوقَه شيءٌ والباطن فليس دونه شيءٌ وهو بكلِّ شيءٍ عليم، هو الحيُّ القيوم الحيُّ الذي اتصف بالحياة الكاملة فلم يسبق حياتَه عدمٌ ولا يلحقه فناء ولا زوال، القيوم الذي قام بنفسه فلم يحتج لواحدٍ من خلقه، وقامت به جميع المخلوقات، فهي مفتقرةٌ إليه علىٰ الدوام، وهو القائم علىٰ كلِّ نفس بما كسبت، ومن آياته أن تقومَ السماء والأرض بأمره، وهو العليُّ الأعلىٰ العليُّ بذاته فوقَ جميعِ مخلوقاته، العليُّ بصفاته فليس في صفاته نقصٌ بوجهٍ من الوجوه، وهو القوي القدير الذي خَلَق السمٰوات والأرض وما بينهما في ستة أيام، فما ناله تعبٌ ولا لغوب، إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقولَ له كن فيكون. قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ﴾ [القمر: ٥١]، ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر: ٤٤]، ومن قوته وعظمته أن الأرضَ جميعاً بما فيها من بحارٍ وأنهارٍ وجبالٍ وأودية ورمالٍ وأشجارٍ وغيرِ ذلك تكون قبضتُه يوم القيامة، والسمٰوات علىٰ عظمها وكبرها وسعتها مطويات بيمينِه سبحانه وتعالىٰ عما يشركون، وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يقبض اللهُ الأرضَ

ويطوي السماءَ بيمينه ثم يقولُ أنا الملك أين ملوكُ الأرضِ». (١)

ولما قرأ النبيُّ ﷺ هذه الآية علىٰ المنبر ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧]، وذكر تمجيد الرب لنفسه وأنه يقول: أنا الجبارُ أنا المتكبرُ أنا الملكُ أنا العزيزُ الكريمُ جعلَ المنبرُ يرْجِفُ برسولِ الله ﷺ تعظيماً للربِّ. قال ابنُ عمر حتىٰ أني لأقول أساقط هو برسول الله ﷺ، وهو العليم الحكيم، فما من دقيق ولا جليل ولا خفيٍّ ولا جلي في الأرض أو في السماء إلا وقد أحاط الله به علماً ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩]، ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَاۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤]، الحكيم الذي له حكم فلا معقب لحكمه وهو السميع العليم، والحكيم الذي له الحكمةُ البالغة فأمرُه لحكمةٍ ونهيُه لحكمةٍ وعطاؤه لحكمةٍ ومنعه لحكمةٍ وجميعُ أفعاله وأحكامه لحكمةٍ وهو الحكيم المجيد وهو الغفور الرحيم فما من عبد جاء تائباً إليه توبةً نصوحاً إلا وجده غفوراً رحيماً ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨١٢)، ومسلم (٢٧٨٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

﴿ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣]، يعني لمن استغفره وتاب إليه إنه هو الغفور الرحيم، ومن رحمته بعباده أن أرسلَ إليهم الرسلَ بالبينات، وأنزل معهم الكتب بالحقِّ والميزان لتقوم مصالح الناس، ومن رحمته بعباده ما أدرَّ عليهم من الأرزاق والنعم، وما دفع عنهم مِن المكارِه والنقم، وهو السميع البصير، السميع لجميع الأصوات قالت عائشة رضي الله عنها في قوله تعالىٰ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [المجادلة: ١]، الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادلة إلىٰ النبيِّ ﷺ تكلمه وأنا في ناحية البيت ما أسمعُ ما تقول. البصير بكلِّ ما في السمٰوات والأرض فلم يَحجب عن بصره حجاب.

فاتقوا الله تعالىٰ وتدبروا ما يمرُّ عليكم من أسماء الله وصفاته، فإن ذلك يزيد في الإيمان ويقوّي علىٰ فعل الطاعات واجتناب العصيان، واحذروا أن تمرَّ عليكم من غير تأثر فإن ذلك نقصٌ في الإيمان، أما سمعتم ارتجاف المنبر برسول الله ﷺ عند تعظيم الله وهو جماد.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

بارك اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولِي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافةِ المسلمينَ من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيمُ.

خَلْقُ السمٰواتِ والأرض

الحمدُ لله العليِّ الأعلىٰ الكاملِ في أسمائِه الحسنىٰ وصفاته العليا، ونشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريك له الملكُ الحيُّ القيومُ فلا يزولُ ولا يَفنَىٰ ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه الذي اصطفاه اللهُ علىٰ العالمين، وجعله خاتَم النبيينَ صلىٰ الله عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه ومَنْ تَبِعَهم إلىٰ يومِ الدين وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا الله واعلموا أنه الربُّ الكاملُ من جميعِ الوجوهِ هو الكاملُ في حياتِه فلا يموتُ ولا تأخذه سِنَةٌ ولا نومٌ، هو الكاملُ في علمِه ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [يونس: ٦١]، يعلم السرَّ وأخفىٰ، ويعلمُ ما تُوسوسُ به نفسُ العبد وما أبدى، ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩]، ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٧]، إن أضمرتَ في نفسِكَ شيئاً علمه اللهُ، وإن عملت به وحدَك أو عند غيرك علمه اللهُ، وإن تكلمت بكلمةٍ كان ذلك الكلامُ عند الله معلوماً مكتوباً، ثم تُجازَى عليه يوم القيامة، إنْ خيراً فخيرٌ، وإن

شراً فشرٌ، ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [قٓ: ١٨]، وهو الكاملُ في قدرته وقوتِه ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَيْءٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر: ٤٤]، ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يسٓ: ٨٢]، لقد خلق الله السمٰواتِ والأرضَ وما بينَهما وما فيهما من الكواكبِ السياراتِ والثابتاتِ، الظاهراتِ والخفياتِ، وخلق ما في الأرضِ من بحارٍ وأنهارٍ وجبالٍ ورمالٍ وزروعٍ وأشجارٍ وغير ذلك مما لا يعلمه إلا اللهُ، ومما علمه الخلقُ بتعليم الله، خلق ذلك كلَّه في ستةِ أيامٍ وما مسَّهُ من تعبٍ ولا لُغوبٍ، ولو شاء لخلقه بلحظة لكنه الحكيمُ في فعله وأمره، وهو علامُ الغيوب، بيده الملكُ وأزِمَّةُ الأمورِ يتصرف فيها كيف يشاءُ ويحكمُ ويختارُ لا مُعقبَ لحكمِه ولا رادَّ لقضائِه، وهو العزيزُ العليمُ، وهو الكاملُ في حكمته ووضعِه الأمورَ في مواضِعها، فلم يخلقْ شيئاً عَبَثاً، ولم يترك عبادَه هملاً لا يُوجدُ شيئاً إلا لحكمةٍ، ولا يُعْدِمُ شيئاً إلا لحكمةٍ، ولا يأمرُ بشيءٍ إلا لحكمةٍ، ولا ينهىٰ عن شيء إلا لحكمةٍ، يأمر عبادَهُ بما فيه صلاحُهم في دينهم ودنياهم، وينهاهُم عمَّا فيه الفسادُ في دينهم، كلُّ شرائعِه حكمةٌ، وكلُّ أفعالِه حكمةٌ، ﴿ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الممتحنة: ١٠]، ومن عَرَفَ حكمةَ الله في خلقِه وشرعِه تَحقَّقَ له كمال الرضا بالله ربّاً وكانت حالُه بينَ الصبرِ والشكر، صبرٌ علىٰ البلاءِ، وشكرٌ عند النعماء والرخاءِ، وتسليمُ الأمرِ للخالقِ الأعلىٰ، من عرفَ حكمة الله تمامَ

المعرفةِ سعِدَ في دينه ودنياه، فإنه يعرفُ أنّ من تمامِ حكمةِ الله رَبْطَ الأمورِ بأسبابِها فيَعملُ الأسبابَ النافعة ويدعُ الأسبابَ الضارة، وهذا عنوانُ السعادةِ والفلاحُ، الربُّ تعالىٰ هو الكاملُ في عزتِه، ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ﴾ [فاطر: ١٠]، فلا شيءَ يغلبُه، ويقوم لعظمتِه وقهرِه جميعُ الملوكِ والرؤساءِ، مهما عظُمَ مُلْكُهم، ومهما علَتْ رئاسَتُهم كلُّهم بينَ يديه وأمامَ قهرِه وعزته أذلةٌ خاضعون، وهو الكاملُ في ملكِه يُؤتي الملكَ مَنْ يشاءُ وينزعُ المُلكَ ممَّنْ يشاءُ، ويُعزُّ مَنْ يشاءُ ويُذلُّ مَنْ يشاءُ بيده الخيرُ وهو علىٰ كلِّ شيءٍ قديرٌ، وهو الرحيمُ بجميع عبادِه يُيسِّرُ لهم المنافعَ ويدفعُ عنهم المضارَّ، فما بهم من نعمةٍ فمن الله لقد يَسَّر لهم الأرزاق، وساق لهم السحابَ وأنبتَ لهم الزروع والأعنابَ، ومن كل الثمراتِ، لقد علّمهم من الصنائعِ ما تقومُ به مصالحُهم، ويدفعون به عن أنفسِهم، ولقد أرسلَ إليهم الرسل مُبشرينَ ومُنْذرينَ وهادين الخلق إلىٰ سبيلِ الرشدِ ومقومين. أليس هذا من رحمةِ أرْحَم الراحمين؟ وله علىٰ عبادِه المؤمنين رحمةٌ خاصةٌ حيثُ منَّ عليهم بأكبرِ النعم، ألا وهي نعمةُ الدين التي مَنْ وُفِّقَ لها أحياه الله حياةً طيبةً، وجزاهم أجرهم بأحْسَنِ ما كانوا يعملون، ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، وهو الغفورُ لجميع الذنوب فلو استغفرهُ الإنسانُ مِنْ أيِّ ذَنْبٍ غير

عائد إليه في أيّ وقتٍ لوَجَدَ الله غفوراً رحيماً، ووجدَ بابَ التوبةِ مفتوحاً، إلىٰ أن تطلعَ الشمسُ من مغربها وكان الله عليماً حكيماً.

فتدبروا رحِمَكم اللهُ أسماءَ ربِّكم الحسْنىٰ وأحْصُوها لفظاً ومعنًى وتَعبُّداً، فإنّ لله تسعةً وتسعينَ اسماً من أحصاها دخلَ الجنة. وفقني الله وإياكم لمعرفة أسماءِ اللهِ وصفاتِه وآياتِه، وجعلنا ممن يعبدُه ويدعوه علىٰ بصيرةٍ ليسعدَ في حياتِه ومماتِه.

أقولُ قولِي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافةِ المسلمينَ من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيمُ.



الفرع الثالث

كمال الإسلام

كمالُ الإسلام

الحمدُ للهِ الذي مَنَّ علينا بنعمةِ الإسلام، وجعل دينَنا ديناً قِيماً مُستقيماً، مُقيماً لأهلِه في جميعِ الأحوالِ، فلذلك خَتَمَ به الأديانَ، ليكونَ صالحاً لكلِّ زمانٍ ومكانٍ. ونشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له، ذو الأسماءِ الحُسنىٰ والصفاتِ الكاملةِ العُليا، والفضلِ والإحسانِ. ونشهدُ أن محمّداً عبدُه ورسولُه، خاتَمُ رسلِه، وخِيرتُه من خَلْقِه، وحُجتُه علىٰ عباده، الذي بَشَّرَ وأنْذَرَ، وشَرَعَ اللهُ له الدينَ ويَسَّرَ، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه، والتابعين لهم بإحسانٍ، ما أسفرَ صباحٌ وأنور، وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، **أيّها الناسُ**: اتقوا اللهَ تعالىٰ، واعلموا أنَّ نبيَّكم محمّداً ﷺ، خاتَمُ النبيين، وأنَّ اللهَ أرسلَه بدينٍ كاملٍ، وإصلاحٍ شاملٍ، إلىٰ يومِ القيامةِ، وأن اللهَ سبحانَه ـ وهو علاّمُ الغيوبِ ـ عَلِمَ ما يُصْلِحُ العبادَ في وقتَ النبيِّ ﷺ، وبعدَ وقتِه، فبعثَه بدينٍ يُصْلِحُ الناسَ في وقتِ النبيِّ ﷺ، وبعد وقتِه إلىٰ أن يأذنَ اللهُ بخَرَابِ هذا العالمِ.

فدينُنا وللهِ الحمدُ، كفيلٌ بتنظيمِ الحياةِ السّعيدةِ في الدنيا والآخرة، فهو الدينُ الذي يُنَظِّمُ العبادةَ للهِ ومعاملةَ العبدِ مع ربِّه أتمَّ تنظيمٍ، وهو الدينُ الذي يَتَمشَّىٰ مع المصالحِ أيْنَما حلَّتْ، ويُطَارِدُ

المفاسدَ أيْنَما كانت، يَتَمشَّى مع المصالح، ليُحلَّها ويُقِرَّها ويَشْهَدَ لها، ويُطارِدُ المفاسدَ ليُبْعِدَها، ويُزيلَها، ويحكمَ بفسادِها.

وهو الدينُ الذي يُنَظِّمُ التعايشَ السِّلْميَّ بينَ العبادِ، فحرَّمَ الظلمَ في الأموالِ، والأعراضِ، والدماءِ، وأباحَ القَصاصَ، وأَخْذَ الثأرِ علىٰ وجه العدل ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٤]، ونَدَب إلىٰ الإحسان والفضل إذا كان خيراً ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورىٰ: ٤٠].

وهو الدينُ الذي يَكْفُلُ للفردِ حريتَه النافعةَ المَبْنِية علىٰ الاتزانِ والاعتدالِ، ولستُ أعني بالحريةِ ما يَظُنُّه بعضُ مَنْ قَصُرَ نظرُه، وقلَّ فَهْمُه مِمَّنْ يَظُنُّ أنَّ الحريةَ هي الفَوْضَىٰ التي يعملُ فيها الإنسانُ ما شاء إنْ خَطَأً وإنْ صَوَاباً، فإن هذا ليس بحُرِّيةٍ، وإنما هو الفَوْضَىٰ والاضطرابُ والتفككُ، ولن تستقيم الأمةُ، ولن يَسْتَتِبَّ الأمرُ علىٰ هذه الفَوْضَىٰ. إنَّما الحريةُ في الدينِ الإسلاميِّ هي أن يكونَ الإنسانُ حُراً في الأمورِ التي رسَمَها له الدينُ، وأباحَها له. أما الأمورُ التي حرَّمها عليه، فإنَّ مصلحتَه في امتناعِها.

وهو الدينُ الذي يَكْفُلُ للإنسانِ حُقُوقَه ويَحْتَرِمُها، وهو الدينُ الذي ينظم المعيشةَ والاقتصادَ أتمَّ تنظيمٍ. فقد أمرَ بالإنفاقِ، ونهىٰ عن الإسرافِ وإضاعةِ الأموال. فأوجبَ الزكاةَ في أموال الأغنياءِ لمَنْ يحتاجونها من الفقراءِ، والمساكينِ، والرّقابِ، والغارمينِ، وابنِ السبيلِ، ولمن يُحتاج إليهم من العاملين علىٰ الزكاة،

والمُؤَلَّفةِ قلوبُهم والمجاهدين، وألزم الأغنياءَ الذين تحتملُ أموالُهم أن يُنفِقُوا علىٰ المحتاجين من أقاربهم.

وأوجَبَ علىٰ القادرِ أن يدفعَ ضَرُورةَ المضطرين إلىٰ الطعامِ والشراب واللباس. فالدينُ الإسلاميُّ كاملٌ من جميعِ الوجوهِ ولله الحمدُ. فلو طبّق الناسُ مَبادِئَهُ ونُظُمَهُ، لاسْتَغْنَوْا عن كلِّ مَبادِىءَ ونُظُمٍ. ولكنهم قَصَّرُوا في فَهْمِ دينِهم، وفي العملِ به فحِيلَ بينَهم وبينَه، وَوُكِّلُوا إلىٰ أنفسهم، وصاروا يَتَطَلَّعُونَ إلىٰ نُظُمٍ يَسْتَوْرِدُونها من الخارجِ، مما أمْلَتْهُ زبالةُ الأذهان، وضلالاتُ الأفكار، فأضلوا كثيراً، وضَلُّوا عن سواء السبيل.

إنَّ الواجبَ علينا مَعْشَرَ المسلمين، أن نَرْجِعَ إلىٰ تَفَهُّمِ دينِنا وما جاء به نبيُّنا ﷺ. وأن نَفْهَمَ أحكامَه العاليةَ، وأسرارَه البالغةَ. وأن نُطَبِّقَ ذلك عَمِلياً، فيما لنا وعلينا. وأن نتساعدَ في تحقيقِ ذلك، ليَعُودَ إلىٰ الأمةِ الإسلاميةِ مَجْدُها وكرامتُها، وعِزُّها وعُلُوُّها.

لقد سَمعنا أنَّ بعضَ الناسِ يُشْكِلُ عليهم الأمرُ من أمورِ الدينِ فيستبعدونَه، ولا يطمئنون إلىٰ العملِ به. والواجبُ علىٰ من أشكلَ عليه شيءٌ من أمرِ دينِه أن يسألَ عنه، فإن ظهرَ له، فذلك من فضلِ الله. وإلا فلْيعلمْ أنَّ نظرَه قاصرٌ، وأنّ هذا شرعُ العليمِ الحكيم. لم يشرعْه إلا لحكمةٍ، فلْيتعبدْ للهِ به مُنْقاداً مُنْشَرِحاً صَدْرُه، ولْيَرْجُ ثوابَ ذلك من اللهِ عَزَّ وجل.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنّه هو الغفور الرحيم.

* * *

سهولةُ الدِّين وإصلاحه للمجتمع

الحمدُ للهِ الذي خَلَق السمٰواتِ والأرضَ، وجعلَ الظلماتِ والنورَ، وتَبارَكَ الذي خلَق الموتَ والحياةَ، لِيَبْلُوَكم أيُّكم أحسنُ عملاً، وهو العزيزُ الغفورُ. والحمدُ للهِ الذي شَرَعَ لعبادِه فيسَّرَ، ودعاهم لما تَزْكُو به أنفسُهم وتَطَهَّرَ. ونشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له، له الملكُ وله الحمدُ، وكلُّ شيءٍ عندَه بأجلٍ مُقَدَّرٍ. ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، أبْلَغُ مَنْ وَعَظ وأصدقُ مَنْ وَعَدَ، وأنصحُ مَنْ بَشَّرَ وأنْذَرَ. صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه، خَيْرِ صَحْبٍ ومَعْشَرٍ وعلىٰ التابعينَ لهم بإحسانٍ إلىٰ يوم المحشر وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ، واعلموا أنَّ الشيطانَ لكم عَدُوٌّ، فاتَّخِذُوهُ عَدُّاً ﴿إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦]، فإذا كان يومُ القيامة تَبرَّأَ منهم ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَـٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك: ١٠].

ألا وإن الشيطانَ يُصَوِّرُ لكم دِينَكم أبْشَعَ تَصويرٍ، يُصَوِّرُه لكم بأنه يَحْبِسُ الحُرِّيةَ، ويُضَيِّقُ علىٰ العبد، ويُكَلِّفُه بما لا يُطِيقُ، ويَمْنَعُهُ من التقدمِ والانطلاقِ إلىٰ غيرِ ذلك مما يُوَسْوِسُ به عدوُّكم. ولكنَّ العاقلَ إذا تأملَ أقلَّ تأملٍ تبيَّنَ له أنَّ دينَ الإسلام هو دينُ اليُسْرِ والسهولةِ، والتعقلِ والتقدمِ النافعِ، والانطلاقِ في الخير.

أيها المسلمون: لقد بُني الإسلامُ علىٰ خمسةِ أركانٍ: شهادةِ أن لا إلهَ إلا اللهُ، وأنَّ محمداً عبدُه ورسوله، وإقام الصلاةِ، وإيتاءِ الزكاة وصوم رمضانَ، وحجِّ البيتِ لمَنِ استطاعَ إليه سبيلاً. وكُلُّ هذه الأركانِ يسيرةٌ سَهْلَةٌ علىٰ مَنْ يَسَّرَها الله عليه، فهَلْ مِنَ الصعب أن تشهدَ بلسانِك معتقداً بقلبِك بأنَّه لا إلهَ إلا اللهُ وأن محمداً عبدُه ورسولُه؟ هلْ مِنْ حَبْسِ الحريةِ أن تكونَ عبداً لربِّك الذي خَلقَك ورزَقَك، وأمدَّك بما تحتاجُه، وهَيَّأَكَ وأعدَّك لما يَلْزَمُك من شُؤونك؟ لا واللهِ. بل هذا هو الحريةُ، وإنَّما حَبْسُ الحريةِ أن تكونَ عبداً لهواك، أو للدرهمِ والدينارِ، أو لفلانٍ وفلان.

أم هل من حَبْسٍ للحريةِ أن تكونَ مُتَّبِعاً لرسولِ الله ﷺ، الذي كانت سنتَه أفضل سنةٍ، سنةٌ مبنية علىٰ القصدِ بلا غُلُو، ولا تفريطٍ. فليس فيها تهورٌ، تكون نتيجةً عكسيةً، وليس فيها تماوتٌ وتفريطٌ تَفُوتُ به الأمور. بل هي طريقةٌ وَسَطٌ لا وَكْسَ فيها ولا شَطَطَ. وإنَّ أيَّ إنسانٍ يتجردُ من مُتابعةِ نبيه ﷺ، فلا بُدَّ أن يكونَ مُتَّبعاً لغيره، مِمَّنْ ضَلَّ عن الصراطِ المستقيم.

أيها الناسُ: هل من الصعوبةِ أن تقومَ لله قانتاً في كلِ يوم وليلة خَمْسَ مراتٍ فقط بهذه الصلواتِ الخمس، تتَنَعَّمُ بذِكْرِ ربِّك، وتُحيي قلبَك بالصلةِ به، وتسألُه ما شئت من حاجاتِ دنياك وآخِرَتِك، وأقربُ ما تكونُ من ربِّك وأنت ساجدٌ.

ومع ذلك فهذه الصلواتُ الخمسُ لا تستغرقُ إلا جزءاً يسيراً من وقتِك، وهي مُفرَّقةٌ علىٰ الساعاتِ في اليوم والليلة، حتىٰ لا

تتعبَ بأدائِها دفعةً واحدةً، ولئلا تنقطعَ الصلةُ بينَك وبين ربِّك مدةً أكثرَ ثم هذه الصلواتُ لها من النتائجِ الطيبةِ للقلبِ والإيمانِ والثوابِ ما هو معلومٌ، فالصلواتُ الخمسُ مكفراتٌ لما بَيْنَهُنَ من الذنوبِ ما اجتنبت الكبائرُ، والصلاةُ تنهىٰ عن الفحشاءِ والمنكرِ، وهي نورٌ في القلبِ والوجهِ والقبرِ والقيامة.

أيها الناسُ: هل من الصعوبةِ أن يبذلَ الإنسانُ جزءاً من مالِه الذي أنعمَ اللهُ به عليه لمواساتِه إخوانَه الفقراءَ والغارمين، أو من أجلِ مصلحةِ المسلمينَ والإسلام، فالزكاةُ أمرٌ يسيرٌ من كلِّ مائتي درهمٍ خمسةُ دراهم، ومن كلّ عشرين ديناراً دينارٌ واحدٌ، فهل في ذلك من مشقةٍ، ألم يكُ في الأنظمةِ الجائرةِ أن يكونَ الإنسانُ مُقَيَّداً في مالِه، مُشارَكاً في كلِّ جزءٍ منه، فاحْمَدُوا اللهَ علىٰ نعمةِ الإسلامِ واسألوه أن يُثَبِّتَكُمْ عليها ويَحْفَظَها لكم.

أيها المسلمون: هل مِنْ المشقةِ أن يصومَ الإنسانُ شهراً واحداً من السنةِ تقرّباً إلىٰ اللهِ وتقديراً لنعمتِه عليه بالغِنَىٰ وتكميلاً لعبوديتِه بتركِ ما تشتهيه نفسُه لما يُرْضِي ربَّه، ثم مع ذلك للصيامِ فوائدُ كثيرةٌ معلومةٌ.

أم هل من الصعوبة أن يؤديَ العبدُ فريضةَ الحَجِّ مرةً واحدةً في العمرِ إن استطاع إلىٰ ذلك سبيلاً، فيتعبدُ للهِ تعالىٰ بأداءِ المناسكِ وتعظيمِ الحرماتِ والشعائرِ، ويحصلُ له الاجتماعُ بالمسلمين من كلِّ قطرٍ فيتعرفُ عليهم ويُفيدُهم ويفيدونه، ثم مَنْ حجّ البيتَ ولم

يرفثْ ولم يفسُقْ خرجَ من ذنوبِه كيومَ ولدته أمُه، والحجُّ المبرورُ ليس له جزاءٌ إلا الجنةُ.

أيها المسلمون: الإسلامُ يأمرُكم بكلِّ تقدم نافع، قال الله تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥]، فأمرَنا بالمشي في مناكبِ الأرضِ أي جِهاتِها ثم أمرَنا بالأكلِ من رزقه ومعنىٰ ذلك أنْ نسعىٰ بطَلَبِ هذا الرزق، إذ لا يُمكِنُ أكلُه إلا بتحصيله، ولا يُمكِنُ تحصيلُه إلا بأسبابه، والناسُ يختلفون في سلوكِ ما يلائمُ من أسبابِ الرزقِ، فمنهم مَنْ يُحَصِّلُه بالتجارةِ، ومنهم مَنْ يُحَصِّلُه بالصناعة، ومنهم مَنْ يُحَصِّله بالزراعةِ ومنهم من يُحَصِّلُه بالعمل إلىٰ غير ذلك من أسباب الرزق، ثم قال تعالىٰ: ﴿وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ وهذا تحذيرٌ من الله لعبادِه أن يسلكوا في تحصيل الرزق سُبُلاً حَرَّمَها عليهم، فإنهم راجعون إليه ومُحاسِبُهم عليها، فالإسلامُ دينُ اليسرِ والسهولةِ والمصالحِ والانطلاقِ النافع، لا صعوبةَ فيه ولا تهورَ ولا خُمُولَ ولا فَوضىٰ، فنسألُ الله تعالىٰ الكريمَ المنانَ الواسعَ الفضلِ أن يَمُنَّ علينا وعليكم بلزومِ الإسلامِ والوفاةِ علىٰ الإيمانِ إنّه جوادٌ كريمٌ.

* * *

مَحاسِنُ الإسلام

الحمدُ للهِ الذي أكملَ لنا دينَنا وأتمَّ علينا نعمتَه ورَضِيَ لنا الإسلامَ دِيناً، وجعلنا خَيْرَ أمةٍ في العالمين، ونشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، الملِكُ الحقُّ المبينُ، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه المصطفىٰ علىٰ المرسلين، صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آله وأصحابِه ومن تَبِعَهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدين، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ، واعْرِفُوا نعمتَه عليكم بهذا الدينِ القويمِ، تأمَّلُوا أُصولَه وتأملوا فُروعَه تَجِدُوه أكملَ الأديانِ وأقومَها بمصالحِ القلوبِ والأبدانِ، وأنفعَها للأفرادِ والشعوبِ في كلِّ زمانٍ ومكانٍ، إنَّ دينَنا أيها المسلمون أكملُ الأديانِ، لأن الذي أكملَه هو اللهُ، وإن دينَنا أحقُّ الأديان بالتمسكِ به، لأنه الذي رَضِيَه لنا اللهُ، تأملُوا أوامرَه ونواهِيَهُ تَجِدُوه يأمرُ بالخيرِ ويَنْهىٰ عن الشَّر، تأملُوا شرائِعَه تَجِدُوها مبنية علىٰ اليُسْرِ والسهولةِ، هذا الدينُ يأمرُ بعبادةِ اللهِ وينهىٰ عن عبادةِ المخلوقِ يُريدُ منا أن نعظِّمَ الخالقَ، التعظيمَ الذي هو أهلُه، وأن نُنْزِلَ المخلوقَ في منزلتِه التي وضعه الله فيها، ولكلِّ مخلوقٍ منزلةٌ تليقُ به، هذا الدينُ يُريدُ منا أن نَعْتَرِفَ لكل ذي فَضْلٍ بفَضْلِه، وأن نُعْطِيَ كلَّ ذي حق ما يستحقُّه، فنَعترِفَ للرسلِ بالصدقِ والأمانةِ والفَضْلِ والصيانةِ، ونُعْطِيَ كلَّ واحدٍ ما يستحقُّه من الإيمانِ والاتباع، يُريدُ

منا بِرَّ الوالدين، وصِلَةَ الأرحامِ، والإحسانَ إلىٰ الفقراءِ واليتامىٰ والجيرانِ، وكُلُّ هذه خِصَالٌ يعترف بفَضْلِها كُلُّ ذي عقلٍ سليمٍ، هذا الدينُ يأمرُ بالصدقِ والوفاءِ والأمانةِ، وينهىٰ عن الكذبِ والغَدْرِ والخيانة، يقول النبيُّ ﷺ: **«عليكم بالصدقِ، فإن الصدقَ يَهْدِي إلىٰ البر، وإن البرَّ يَهْدِي إلىٰ الجنة»**(١) الحديث، ويقول ﷺ: **«أدِّ الأمانةَ إلىٰ مَنِ ائتَمَنك ولا تَخُنْ مَنْ خانَك»**(٢) وقال ﷺ: **«إذا جَمَعَ اللهُ الأولينَ والآخِرينَ يومَ القيامة يُرْفَعُ لكل غادرٍ لِوَاءٌ، فقيل: هذه غَدْرَةُ فلانِ ابْنِ فلان»**(٣) هذا الدينُ يأمرُ بالتحابِّ والتآلُفِ بين أبنائِه، فيقول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠] ويقول النبي ﷺ **«المُسلم أخو المُسلم لا يَظْلِمُه ولا يَكْذِبُه ولا يَحْقِرُه»**(٤) هذا الدينُ يأمرُ بكل ما ينفعُ من أمور الدنيا والآخرة، فيقول النبيُّ ﷺ: **«احْرِصْ علىٰ ما ينفعُك واستعن بالله ولا تَعْجِزَنَّ، وإن أصابك شيءٌ فلا تقل لو أني فعلتُ كذا لكان كذا، ولكن قُلْ:**

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠٩٤)، ومسلم (٢٦٠٧) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أبو داود (٣٥٣٥) والترمذي ١٢٦٤ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٣١٨٨)، ومسلم (١٧٣٥) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٤) أخرجه البخاري (٢٤٤٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وأخرجه مسلم (٢٥٦٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

قَدَّرَ اللهُ وما شاء فَعَلَ»[١] هذا الدينُ يأمرُ بطلاقةِ الوجهِ، ولينِ الجانب، فيقول النبيُّ ﷺ: «لا تَحْقِرَنَّ من المعروفِ شيئاً ولو أنْ تلقىٰ أخاك بوَجْهٍ طَلْق»[٢]، هذا الدينُ يأمرُ بالصدقِ في المعاملةِ والنُصْح فيها، وأن يعاملَ الرجلُ الناسَ بما يُحِبُّ أن يُعامِلُوه به فيقول ﷺ في المُتَبايعين: «إن صَدَقَا وبيَّنَا بُورِكَ لهما في بيْعِهما، وإن كَذَباً وكَتَماً مُحِقَتْ بركةُ بيعِهما»[٣] «من غَشَّ فليس منا»[٤] «لا يُؤْمِنُ أحدُكم حتىٰ يُحِبَّ لأخيه ما يُحِبُّ لنفسه»[٥]، فالدينُ ولله الحمدُ كاملٌ من جميعِ الوجوهِ وفي العباداتِ ميسرٌ سَهْلٌ، لا ضيقَ فيه ولا حَرَجَ، أفضلُ أعمالِ البدنِ وأوجبُها الصلاةُ، ومع ذلك لا تجبُ في اليوم والليلة إلا خمسَ مراتٍ، سبع عشرةَ ركعةً مَنْ يستطعِ القيام يُصَلِ قائماً، فإن لم يستطعْ فقاعداً، فإن لم يستطعْ فعلىٰ جنب، يتطهرُ بالماء، فإن عَدِمَه أو تضرَّر باستعماله تطهرَ بالتراب. والصيامُ يصومُ المقيمُ القادرُ، فإن كان مريضاً أو علىٰ سفرٍ فعِدَّةٌ من أيامٍ أُخَرَ، وإذا فعل العبدُ معصيةً بتقصيرٍ في واجبٍ أو دخولٍ في

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٦٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٢٦) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٢٠٧٩)، ومسلم (١٥٣٢) من حديث حكيم بن حزام رضي الله عنه.

(٤) أخرجه بنحوه مسلم (١٠١) و(١٠٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) أخرجه البخاري (١٣)، ومسلم (٤٥) من حديث أنس رضي الله عنه.

مُحرَّمٍ فبابُ التوبةِ مفتوحٌ أمامَه، والتوبةُ تَجُبُّ ما قبلها، والتائبُ من الذنبِ كمَنْ لا ذنبَ له، ومَنْ هَمَّ بحسنةٍ ولم يعملْها كُتِبَتْ له حسنةٌ كاملةٌ، فإن هَمَّ بها فَعَملها كتبها اللهُ عَشْرَ حسناتٍ، وإنْ هَمَّ بسيئةٍ فعملها كتبت سيئةً واحدةً، وإن همّ بسيئةٍ فتركَها لله كتبها اللهُ حسنةً كاملةً، ومَنْ مَرِضَ أو سافرَ كُتِبَ له ما كان يعملُ صحيحاً مقيماً. فهل تَجِدُون أيها المسلمون أيسرَ مِنْ هذا الدينِ وأنفعَ منه وأبْركَ، فعَضُّوا عليه بالنواجذِ، واسألوا اللهَ تعالىٰ الثباتَ عليه، وما حصَلَ الضررُ والتهاونُ بالدينِ إلا لِمَنْ غَفَلَ عنه، ولم يتأملْ مصالحَه ومنافعَه ﴿كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَأَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ ۚ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ٧١-٧٣].

* * *

سهولةُ الدِّين وإصلاحُه للمجتمع

الحمدُ للهِ الذي خلق السمٰواتِ والأرضَ، وجعل الظلماتِ والنورَ، وتباركَ الذي خَلَقَ الموتَ والحياةَ، ليبلوَكم أيُّكم أحسنُ عملاً، وهو العزيزُ الغفورُ. والحمدُ لله الذي شرَعَ لعبادِه ويَسَّرَ، ودعاهم لما تَزْكُو به نفوسهم و تتطهرُ. ونشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له، له الملكُ وله الحمدُ، وكلُّ شيءٍ عنده بأجلٍ مُقَدَّرٍ. ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، الذي بشَّرَ وأنْذرَ. صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه، ومَنْ تَبِعَهم بإحسانٍ، ما أشرقَ الضياءُ وأنْورَ، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتّقوا اللهَ تعالىٰ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ۝ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [فاطر: ٥-٦] فإذا كان يومُ القيامة تبرّأ منهم، وقال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ﴾ [إبراهيم: ٢٢]، وحينئذٍ ينادون بالويل والثبور، يقولون: ﴿ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [الملك: ١٠].

أيها المسلمون: إنَّ من عَداوةِ الشيطانِ أن يُصَوِّرَ لكم دينكم بأَبْشَعِ صورةٍ، وأشدِّها نُفْرَةً عنها، إنَّه يُصوِّرُ لكم دِينَكم بأنه حَبْسٌ

للحرية، وتضييقٌ علىٰ العبدِ، ومَنْعٌ من التقدم والرفاهية، هكذا يُصَوِّرُ الشيطانُ لنا دينَنا، حتىٰ لا نُقْبِلَ عليه ولا نَتَمَسَّكَ به. وإنَّ العاقلَ إذا نَظَرَ إلىٰ الدين بعِلْمٍ وعَدْلٍ، وجدَه بريئاً من كلِّ هذه الصفات، وأنه علىٰ العكسِ من ذلك. فهو دينُ الحريةِ الحقَّةِ المعتدلةِ، ودينُ السَّعَةِ والسهولةِ، والتقدمِ والسعادة، ولنستعرِضْ قليلاً من تَشرِيعاتِ هذا الدين، لنَقِيسَ عليها ما سِواها.

فالدينُ أيها المسلمون مبنيٌّ علىٰ خَمْسةٍ: شهادةِ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ، وشهادةِ أنَّ محمداً رسول الله، وإقامِ الصلاة، وإيتاءِ الزكاةِ، وصومِ رمضان، وحجِّ بيتِ اللهِ الحرامِ، وهذه الأمورُ الخمسة كلُّها يسيرةٌ سهلةٌ، وكلُّها تهذيبٌ للأخلاقِ، وإصلاحٌ للقلوب، وتقويمٌ للأحوالِ. فشهادةُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ، تجريدُ القلبِ من التَّألُّهِ والعبادةِ لأحدٍ من المخلوقين، وانحصارُ العبوديةِ للهِ ربِّ العالمين الذي منَّ عليك بالوجودِ والرزقِ. فأنت بالنسبة إليه عبدٌ، وبالنسبة إلىٰ مَنْ سواه حُرٌّ. وإن من الحُمْقِ بمكانٍ أن تَنْطَلِقَ من عبوديةِ اللهِ التي هي الحقُّ، وتُقَيِّدُ نَفسَك بعبودية هواك، أو عبوديةِ دُنْياك، أو عبوديةِ فلانٍ وفلانٍ.

وشهادةُ أنَّ محمداً رسولُ الله، تجريدُ المتابعةِ لأحدِ المخلوقين سوىٰ رسولِ ربِّ العالمين، الذي كُلِّفَ بالرسالةِ إليك، وكُلِّفْتَ باتباع رسالته. فعنها يُسْأَلُ بلاغاً، وأنت تُسْأَلُ عنها اتباعاً، ﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [الأعراف: ٦]، وما

من شكٍّ في أنَّ كلَّ واحدٍ من الناس سوف يَسيرُ في عمله علىٰ خطةٍ مَرسومةٍ، فإما أن تكونَ طريقةَ النبيين، أو طريقة الضالين. فانظر أيُّ الطريقين أهْدىٰ وأقوم.

أما إقامةُ الصلاةِ، فما أيْسَرَها! وما أسْهَلَها! وما أنْفَعَها للقلب والبدن، والفرد والمجتمع! فهي صلةٌ بينَك وبين ربِّك، تقومُ بين يديه خاشعاً خاضعاً متقرباً إليه بما شرعه لك، سائلاً منه حاجاتِ دنياك وأخراك، تُنمِّي دينَك وتَحُط ذنوبَك، وتُلْحِقُك بالصالحين، وتستعينُ بها علىٰ أمورِ دينِك ودُنياك، وتنهاك عن الفحشاءِ والمنكر.

أما إيتاءُ الزكاة، وهي القِسْطُ المعلومُ الذي تؤديه عن مالك، لمواساةِ إخوانِك، أو لصلاحِ دينِك في المصالح العامة، فما أيْسَرَه! وما أنْفَعَه! يتطهرُ به المُزَكِّي من الأخلاق الرذيلةِ ومن الذنوبِ المثقلةِ. إنَّ الصدقةَ تُطْفِىءُ الخطيئة، كما يُطْفِىءُ الماءُ النارَ. وهو قِسْطٌ ضَئِيلٌ رُبُعُ العُشْرِ من الذهبِ والفضةِ، والعَروضِ من كلِّ مائتين، خَمْسةُ دراهِمَ.

أما صيامُ رمضانَ، فشهرٌ واحدٌ في السنة، تمتنعُ فيه في النهار عما تشتهيه نفسُك، من طعامٍ، وشرابٍ، ونِكاحٍ، تقرباً إلىٰ ربِّك، وتقديماً لمرضاتِه علىٰ ما تشتهيه، مع ما فيه من فوائد كثيرةٍ معلومةٍ.

وأما حَجُّ البيت، فمرةً واحدةً في العُمر، علىٰ المستطيع. يتوجهُ إلىٰ بيتِ اللهِ وشعائرِه يُعَظِّمُ ربَّه عندَها، ولا تسأل المُحِبَّ

عن حُبِّهِ لبيتِ حبيبِه، وأماكنِ قُربه، والتعبدِ له في تلك الأماكنِ العظيمة، مع ما في الحَجِّ من المنافعِ الدينيةِ والدنيويةِ.

ثم الإسلامُ أيها المسلمون مفخرةٌ عظيمةٌ لأهلِه، لأنه يأمرُ بكلِّ خُلُقٍ فاضلٍ، وينهىٰ عن كلِّ خُلُقٍ سافلٍ، يأمرُ بكلِّ تقدم إلىٰ ما فيه الخيرُ، ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ﴾ [الملك: ١٥]، ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ٢٩]، ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية: ١٣].

والنبي ﷺ يقول: «**المؤمنُ القويُ خيرٌ وأحبُّ إلىٰ اللهِ من المؤمنِ الضعيفِ، وفي كلٍّ خيرٌ احْرِصْ علىٰ ما ينفعُك، واستعن بالله ولا تَعجزْ، وإن أصابك شيءٌ فلا تَقُلْ: لو أني فعلتُ كذا كان كذا، فإن لو تفتحُ عملَ الشيطان**»(١).

فهل بعدَ هذا من دليلٍ أو برهانٍ علىٰ أنَّ هذا الدينَ دينُ الحق واليسرِ والسهولة، والتقدم فلا باطلَ ولا عُسْرَ ولا تأخُّر، ولكنْ تقدُّمٌ للخير ورجوعٌ عن الشر، ومَنْ شَكَّ في ذلك فلْينظرْ لتاريخِ ماضينا وأمجادِنا في الإسلام، فتحوا القلوبَ بالإيمان والعلم، وفتحوا البلادَ بالحقِّ والعدل. نسأل الله أن يُبصِّرنا في دينِنا ويرزقَنا التمسكَ به والوفاةَ عليه، إنه جوادٌ كريمٌ.

* * *

(١) أخرجه مسلم (٢٦٦٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

كمالُ الإسلام ومحاسنه

الحمدُ للهِ الذي بعثَ محمداً ﷺ بالهُدىٰ ودينِ الحقِّ وشرعَ له من الدينِ ما وصَّىٰ به نُوحاً وإبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ بن مريم، فهو أفضلُ الأديانِ وأنفعُها للخلق، ونشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، ونشهد أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، أرسلَه بين يَدَي الساعةِ بشيراً ونذيراً وداعياً إلىٰ اللهِ بإذنه وسِرَاجاً منيراً، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آلهِ وأصحابِه والتابعين لهم بإحسانٍ، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيّها المؤمنون: اتقوا اللهَ تعالىٰ واحْمَدُوا ربّكم علىٰ ما أنعم به علينا من دينِ الإسلامِ الذي هو أفضلُ الأديانِ السّماويةِ وأقومُها، فقد أعطَىٰ كلَّ ذي حقٍّ حَقَّه، ففي العبادةِ جعلَ العبادةَ للهِ وحدَه لا شريكَ له، لأنه هو الخالقُ وحدَه فيجب أنْ تكونَ العبادةُ له، وهو المَحبوبُ المُعَظَّمُ لذاتِه، فوجب أنْ يكونَ القصدُ والعملُ له وإليه، فالسّجودُ والركوعُ والذبحُ علىٰ سبيلِ العبادةِ والتقربِ، لا يصحُّ إلا للهِ، فمَنْ سَجَدَ أو رَكَعَ أو ذَبحَ لغيرِه تعظيماً وتَقرُّباً فهو كافرٌ باللهِ ومشرك به ﴿مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢]، وفي مقام الحَرْبِ والسّلْمِ سمّاه اللهُ تعالىٰ سلماً، لأنه مُتَضَمنٌ للسّلْمِ فلا عُدوانَ ولا ظُلْمَ، لكنْ مَنْ قام في وَجْهِ الدينِ والدعوةِ إليه فقاتلوهم. ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩]، الكافر ـ

وهو الكافر - إذا أدى الجزيةَ صاغِراً ذليلاً ورَضَخ لأحكامِ الإسلامِ فإنه معصومُ الدمِ والمالِ يعيشُ في أمانٍ تحتَ ظِلّ الإسلامِ وحمايةِ المسلمين، وفي مَقامِ القوةِ والدفاعِ عن الدينِ والنفسِ، يأمرُ بالاستعدادِ وأخْذِ الحَذَرِ والتيَقُّظِ والعملِ على ما يَغيظُ الأعداءَ ويُرْهِبُهم ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠]، ﴿وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [التوبة: ١٢٠].

وفي مقام الوحدةِ والصُمودِ أمام العدو يأمرُ بالاتحادِ والأخوة وعَدَمِ التفرُّقِ ذلك لأن التفرقَ سلاحٌ فتّاكٌ يُوجِبُ خَلَلَ الصفوفِ وتبايُنَ الأهدافِ والأغراضِ ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٥-٤٦]، فالوحدةُ الإيمانيةُ الدينيةُ هي الوحدةُ النافعةُ التي يَتكتَلُ أفرادُها في الدفاعِ عن عقيدِتهم ودينِهم، والاشتراكُ في الدينِ والعقيدةِ هو أعظمُ مقوماتِ الوحدةِ، لأن دفاعَ الإنسانِ عن دينِه وعقيدتِه أعظمُ من دفاعِه عن وطنِه وقوميتِه، لأنه لا سعادة في دنياه وآخرته إلا بدينِه، وأما الوطنُ

والقوميةُ غيرُ الدينية فإنَّ الإنسان يمكنُه أن يعيشَ عيشةً سعيدةً إذا استقامَ دينُه، وإن لم يَكُنْ في وطنِه أو بينَ قومِه وقد شرعَ للناسِ من الأمورِ ما تستقيمُ به هذه الوحدةُ، فالصلواتُ الخمسُ جماعةً في المساجد وحدةٌ خاصةٌ لأهلِ المَحَلَّةِ المتقاربة، وصلاةُ الجمعةِ وحدةٌ أعمُّ منها لأهلِ البلدِ ويومُ عرفةَ وعيدُ النحر وِحْدَةٌ عامةٌ للمسلمين من مشارقِ الأرضِ ومغاربِها، مع ما في هذه الاجتماعاتِ من المصالحِ العظيمةِ الأخرىٰ، وفي مقام المعاملة بينَ الخَلْقِ يأمرُ بإعطاءِ كلِّ ذي حقٍّ حقَّه، فللنفس حقٌّ يجبُ أن تُعْطاه، وللأهلِ حقٌّ يَجِبُ بَذْلُه لهم، وللأصحاب حقٌّ يجبُ أن لا يحرموه ولمَنْ تُعامِلُه حق يجبُ أن تَعامِلَهُ به، عامِلْ غيرَك بالصدقِ والبيانِ ولا تعامله بالكَذِبِ والكِتْمانِ، فمَنْ غشَّ فليس مِنّا، وفي مقامِ المعاهداتِ بينَنا وبين غيرِنا يأمرُنا بالوفاءِ بها وينهانا عن الغدر والخِيانة، حتىٰ الكفارَ إذا كان بيننا وبينهم عهدٌ وجَبَ علينا الوفاءُ، فإن خِفْنَا من غَدْرِهم فإننا لا نَخُونُهم بل نُخْبِرُهم بأنه لا عهدَ بينَنا ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ﴾ [الأنفال: ٥٨] والدينُ يأمرُ بجميعِ مكارمِ الأخلاقِ جُمْلةً وتفصيلاً، وينهىٰ عن مساوىءِ الأخلاقِ جملة وتفصيلاً، فمَنْ تأملَ الإسلامَ حقَّ التأملِ وجَدَه الدينَ الحقَّ الكفيلَ بسعادةِ الدنيا والآخرة للأفرادِ والشعوبِ والحكوماتِ، الدينُ الذي يجبُ علىٰ كُلِّ أحدٍ أن يتمسكَ به ويَدْعُوَ إليه، فاحْمَدُوا ربَّكم أيها المسلمون أن أنعم عليكم بهذا الدين

وقَيِّدُوا هذه النعمةَ بالعمل بما جاء به النبيُّ ﷺ ظاهراً وباطناً سرّاً وعَلَناً، فإنكم إن تُعْرِضُوا عنه يُوشِكُ أن يُنْزَعَ من بينكم ويُوَرَّثَ غَيْرَكم، لأن النعمةَ إذا شُكِرَت بَقِيتْ وزادَت وإن هي كُفِرَتْ اضمحَلَّت وزالت. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ﴾ [المائدة: ٣].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم.



نِعمةُ الله علىٰ عباده ببِعثةِ الرسولِ الكريم ﷺ

إنَّ الحمدَ لله نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه ونتوبُ إليه. ونعوذُ باللهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيئاتِ أعمالِنا، من يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَادِيَ له. وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه. صلّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آله وأصحابِه، ومَنْ تَبِعَهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ الدين، وسلَّم تسليماً كثيراً.

أما بعدُ، فيا أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ، واشكروه علىٰ ما أنعمَ به عليكم إذ بعثَ فيكم رسولاً من أنفسِكم يتلو عليكم آياتِه ويزكيكم ويعلّمُكم الكتابَ والحكمةَ بَعْدَ أنْ كنتم في ضلالٍ مبينٍ. رسولاً أخرجكم اللهُ به من الظلماتِ إلىٰ النورِ، من ظلماتِ الجهلِ إلىٰ نورِ العلمِ، ومن ظلماتِ الشركِ والكفرِ إلىٰ نورِ التوحيدِ والإيمان، ومن ظلماتِ الجَوْرِ والإساءةِ إلىٰ نورِ العدلِ والإحسانِ، ومن ظلماتِ الفوضىٰ الفكريةِ والمنهجيةِ إلىٰ نورِ الاستقامة في الهدفِ والمنهج، ومن ظلماتِ القلق النفسي وضيقِ الصدرِ إلىٰ نورِ الطمأنينةِ وانشراح الصدر. ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]، ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَـٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ فِى ضَلَـٰلٍ

مُبِينٍ﴾ [الزمر: ٢٢]، ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ﴾ [إبراهيم: ١-٣].

لقد بَعَثَ اللهُ تعالىٰ نبيَّه محمداً ﷺ، والناسُ يتخبطون في الجهالاتِ والضلالاتِ، ففتح لهم أبوابَ العلمِ من كلِّ وجهٍ، حتىٰ يصلوا إلىٰ أسمىٰ الغاياتِ. فتحَ اللهُ أبوابَ العلمِ بالله عزّ وجلّ وما له من الأسماءِ والصفاتِ، والأفعالِ والحقوقِ. وفتح لهم أبوابَ العلمِ في عالَمِ الكونِ، في مَبْدَئِه ومُنْتَهاه، والغايةِ منه، والحسابِ والجزاءِ. قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ﴾ [الحجر: ٨٥]، وقال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾ [صۤ: ٢٧-٢٨]، وقال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٦-٥٨]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ

ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾﴾ [المؤمنون: ١٢-١٦].

وفتح اللهُ تعالىٰ ببعثةِ النبيِّ ﷺ أبوابَ العلمِ في عبادةِ اللهِ عَزَّ وجل، والسيرِ إلىٰ رضوانِه ودارِ كرامتِه. فبينَ لهم كيف تكونُ العبادةُ ومتىٰ تكونُ وأين تكونُ. وفتح لهم أبوابَ العلمِ في معاملةِ الخَلْقِ ناطقِه وبهيمِه، وفتح لهم أبوابَ العلمِ في طلبِ الرزقِ واستخراجِ ما أودعه اللهُ تعالىٰ في الأرضِ من كنوزِ الذهبِ والفضةِ وغيرِ ذلك، فما من شيءٍ يحتاجُ الناسُ إلىٰ معرفتِه من أمورِ الدينِ والدنيا إلا بيَّنَه لهم أتمَّ بيانٍ. ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]، فكان الناسُ علىٰ محجَّةٍ بيضاءَ، لا يزيغُ عنها إلا هالكٌ ولا يَتِيهُ فيها إلا أعمىٰ القلبِ.

بعثَ اللهُ نبيَّه محمداً ﷺ، وأكثرُ الناسِ منغمسون في الشركِ. فمنهم مَنْ يعبدُ البشرَ، ومنهم مَنْ يعبدُ الشجرَ، ومنهم من يعبدُ صنماً يَنْحَتُه، ومنهم من يعبدُ حَجَراً يلتقطه، حتىٰ إنّ الواحد إذا سافر فنزل منزلاً التقط أربعةَ أحجارٍ، فوضعَ ثلاثةً منها تحتَ القِدْر ونَصَبَ الرابعَ إلهاً يعبدُه فأنقذهم اللهُ تعالىٰ ببعثةِ النبيِّ ﷺ، من هذه الهوة السحيقة، والسفهِ البالغِ، من عبادة المخلوقِ إلىٰ عبادة الخالق، فتحقق التوحيدُ تحقيقاً بالغاً، وذلك بأن تكون العبادةُ للهِ وحدَه لا شريكَ له. يتحققُ فيها الإخلاصُ بالقصدِ والمحبةِ

والتعظيم، فيكونُ العبدُ مُخلِصاً للهِ تعالىٰ في قصدِه مُخلِصاً للهِ في محبتِه، مُخلِصاً له في تعظيمِه ظاهراً وباطناً. ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

هكذا أمرُ اللهِ تعالىٰ في كتابه، كلُّ أمْرِ الإنسان لله ربِّ العالمين لا شريكَ له، ولهذا جاءت السنةُ مبينةً لكتابِ الله تعالىٰ في حمايةِ هذا التوحيد، وسدِّ كلِّ طريق يُوصِلُ إلىٰ نقصِه أو نقضِه. فروىٰ النَّسائِيُّ عن ابن عباسٍ رضي اللهُ عنهما أن رجلاً قال للنبي ﷺ: ما شاءَ الله وشِئْتَ، فقال النبيُّ ﷺ: «أجعلتني للهِ نِدّاً؟ ما شاءَ اللهُ وحدَه»[1] فأنكر النبيُّ ﷺ، علىٰ هذا الرجلِ أن يقْرِنَ مشيئةَ النبيِّ ﷺ بمشيئةِ اللهِ تعالىٰ بحَرْفٍ يقتضي التسويةَ بينَهما، وجعل ذلك من اتخاذِ النِّدِّ لله عز وجل، واتخاذُ الند للهِ تعالىٰ إشراكٌ به. وقريبٌ من ذلك ما يكتبُه بعضُ الجهالِ في لَوْحاتٍ يعلقُها أو في بعضِ الساعاتِ الحائطية اسمَ اللهِ من الجانبِ الأيمنِ، واسمَ محمدٍ من الجانبِ الأيسرِ بصفٍّ متساوٍ. فإن الناظرَ إليهما من الجهالِ والعوامِ يظنُّ أنهما في مرتبةٍ واحدةٍ. لذا نرىٰ أنه يجبُ المسحُ عليهما حمايةً لجانبِ التوحيدِ. فإذا كان النبيُّ ﷺ أنكر علىٰ من قَرَنَ

---

(١) أخرجه أحمد ١/ ٢١٤، وابن ماجه (٢١١٧)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٩٨٨)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٧٨٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

مشيئته بمشيئةِ اللهِ بحرف يقتضي التسوية فكيف بمن جعل المشيئة للمخلوق وحدَه دونَ اللهِ عُلُواً ومَدْحاً كقول مَنْ قال في ممدوحه:

ما شئتَ لا ما شاءتِ الأقدارُ فاحكمْ فأنتَ الواحدُ القهارُ

هكذا يقول لمخلوقٍ مثلِه: ما شئتَ فاحكم فأنت الواحدُ القهارُ، تعالىٰ اللهُ عما يقولُ الظالمون عُلُوّاً كبيراً.

وروىٰ النَّسائيُّ أيضاً بسندٍ جيدٍ: أن ناساً جاؤوا إلىٰ النبيِّ ﷺ، فقالوا: يا رسولَ الله، يا خيرَنا وابْنَ خيرِنا، وسيدنا وابنَ سيدِنا. فقال: **«يا أيها الناسُ قولوا بقولِكم ولا يَسْتَهْوِيَنَّكُم الشيطانُ، أنا محمدٌ عبدُ اللهِ ورسولُه، ما أُحِبُّ أن تَرْفَعُوني فوقَ منزِلتي التي أنزلني اللهُ عز وجل»**[1]. هذا مع أنه ﷺ سيدُ بني آدمَ بلا شكٍّ، ولكنه خاف أن يَسْتَهْوِيَهم الشيطانُ فيُوقِعَهم في الغُلُوِّ حتىٰ يرفعوه إلىٰ منزلةِ الخالقِ. فقال: إنه عبدُ اللهِ ورسولُه حمايةً لجانبِ التوحيد، وسداً لطُرُقِ الشركِ، وبياناً للحقيقةِ والمنزلةِ التي هي أعلىٰ منازلِ البشر، وهي العبوديةُ لله عَزَّ وجل والرسالة.

وروىٰ الإمامُ أحمدُ، وابنُ ماجه، والترمذيُّ وحسَّنَه: عن أَنَسِ ابنِ مالكٍ رضِيَ اللهُ عنه قال: قال رجلٌ: يا رسولَ اللهِ الرجلُ منا يلقاه أخوه أو صديقُه أيَنْحَني له؟ قال: «لا» قال: فيلتزمه ويُقَبِّلُه.

---

(١) أخرجه أحمد ٣/ ١٥٣، والنسائي في «الكبرىٰ» (١٠٠٧٧)، وفي «عمل اليوم والليلة» (١٤٩) من حديث أنس رضي الله عنه.

قال: «لا» قال: فيأخذُ بيدِه ويُصَافِحُه. قال: «نَعَمْ»[١] وقال الشعبيُّ رحِمَه اللهُ: كان أصحابُ النبي ﷺ إذا الْتَقَوْا تصافحوا، فإذا قَدِمُوا من السفرِ عانَقَ بعضُهم بعضاً[٢]. اهـ.

ولما سُئِل النبيُّ ﷺ، عن الرجلِ يلقىٰ أخاه فيسلمُ عليه أَيَنْحَنِي له؟ قال: لا. فمنع النبيُّ ﷺ من الانحناء عند التسليم، لأن ذلك خضوعٌ للبشرِ قد يكونُ وسيلةً إلىٰ تعظيمِ غيرِ اللهِ تعالىٰ بالركوعِ والسجودِ، وكان السجودُ عندَ الملاقاةِ من باب التحيةِ جائزاً في بعضِ الشرائعِ السابقةِ، لكنَّ هذه الشريعةَ شريعةُ خاتَمِ النبيين محمدٍ ﷺ، منعت منه؛ سواء كان من أجل التحية والإكرام، أم من أجل التذللِ والخضوع.

أيها الناس: إنَّ علىٰ الإنسان أنْ يراعيَ جانبَ التوحيد، ويَعرِفَ للخالقِ حقَّه فلا يَنْقُصُه ولا يُشْرِكُ به معه غيرَه، لا باللفظِ ولا بالفعلِ ولا بالقلب. إنَّ علىٰ الإنسان أنْ يَعْرِفَ للمخلوق حقَّه ويقومُ بما أوجبَ اللهُ عليه فيه من غيرِ غُلُوٍّ ولا تقصير. فلا يُنْزِلُه منزلةَ الخالقِ لا بلفظِه ولا بفعلِه ولا بقلبِه، فإنَّ للخالقِ حقَّه المختصَّ به لا يُشرِكُه فيه غيرُه، وللمخلوق حقَّه الذي أوجبه اللهُ له لا يُزادُ عليه فيما هو من حقِّ الله عَزَّ وجل.

---

(١) أخرجه أحمد ٣/١٩٨، والترمذي (٢٧٢٨)، وابن ماجه (٣٧٠٢) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) الآداب الشرعية ٢/٢٦٩.

إنَّ علىٰ الإنسان أنْ يعلمَ أنه مسؤولٌ عما ينطِقُ به لسانُه. ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [قٓ: ١٨]، مسؤولٌ عما يعمله بجوارحِه ﴿ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ٩٣]، مسؤولٌ عما يُكِنُّه في ضميره. ﴿ ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ۝ وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ ﴾ [العاديات: ٩-١٠]، ﴿ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴾ [الطارق: ٩-١٠].

فاتقوا اللهَ عبادَ الله، واشكروه علىٰ ما أنعم به عليكم من هذا الدين القويمِ والصراطِ المستقيم، واسألوه أن يُثبِّتكم عليه إلىٰ أن تَلْقَوْهُ. اللهُمَّ إنا نشكرُك علىٰ ما أنعمتَ به علينا من دينِ الإسلامِ ونسألك أن تثبتنا عليه إلىٰ أن نلقاك. اللهم وفِّقْنا لما فيه الخيرُ والصلاحُ والإصلاحُ. والحمدُ للهِ ربِّ العالمين. وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد خاتم النبيين، وعلىٰ آلِه وصحبِه ومَنْ تَبِعَهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ الدين.



نعمةُ الله تعالىٰ علىٰ عبادِه بالإسلام

إن الحمدَ لله، نحمدُه ونستعينُه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذُ باللهِ من شرور أنفسنا ومن سيئاتِ أعمالِنا، من يَهْدِه اللهُ فلا مضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هادِيَ له. وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له. وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه بعثه اللهُ تعالىٰ رحمةً للعالمين، وقُدْوَةً للعاملين، وحُجةً علىٰ العباد أجمعين فصلوات الله وسلامُه عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه، ومَنْ تَبِعَهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ الدين، وسلَّم تسليماً كثيراً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ، واذكروا نعمتَه عليكم بدينِ الإسلام الذي هداكم له، وأضلَّ عنه كثيراً. إن نعمةَ الله تعالىٰ بدين الإسلامِ لا يماثلها نعمةُ البدنِ، ولا نعمةُ العقلِ، ولا نعمةُ المالِ والترفِ. لأن نعمةَ الدين بها قِوَامُ الدينِ والدنيا. قال اللهُ تعالىٰ: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ٩٧].

إنَّ البصيرَ إذا نظرَ إلىٰ حالِ العالَمِ قبلَ بعثةِ النبيِّ ﷺ وجدَهم في حالِ مُزْرِيةٍ، دياناتٍ باطلةٍ سِوَىٰ بقايا من أهلِ الكتاب، مجتمعاتٍ متفككةٍ، قبائلَ متناحرةٍ يعبدون اللاتَ والعُزَّىٰ ومَناةَ، ويستَقْسِمونَ بالأزلامِ، ويَئِدُونَ البنات، يُحَكِّمون الكهانَ، ويتخذون أرباباً من الأحبار والرُّهبان، يتفاخرون بالأنسابِ، ويَدْعُون بدَعْوَىٰ الجاهلية، يُشْعِلُونَ الحروبَ لأدنىٰ سببٍ، ويقطعون الطرق بالقتل والنهبِ

والسلب، يشربونَ الخمر ويتعاملون بالربا والميسر وقول الزور ﴿أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

نظر اللهُ تعالىٰ إليهم فمقتَهم عربَهم وعجمَهم إلا بقايا من أهل الكتاب، فلما اشتدت الحاجةُ، بل الضرورةُ إلىٰ نورِ الرسالةِ بعث اللهُ تعالىٰ خاتَمَ النبيين محمداً رسولَ الله ﷺ إلىٰ الناس كافةً عربَهم وعجَمهم، فأخرج الناسَ من الظلماتِ إلىٰ النورِ بإذن ربِّهم إلىٰ صراطِ العزيزِ الحميد، أمرهم بعبادة اللهِ وحدَه، ونَبْذِ الشرك، وأوجبَ عليهم التحاكمَ إلىٰ اللهِ ورسولِه وأمرهم بالتآلفِ والمحبةِ والاجتماعِ علىٰ الحقِّ والإصلاحِ، وأنزل عليه فيما أنزل ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه: ١٢٣-١٢٤]، وذكَّرَهم نعمةَ الله عليهم بذلك في قوله: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

فاجتمَعَ الناسُ علىٰ دينِهم بعدَ الفرقةِ وتآلفوا بعدَ العداوةِ، وتَحابُّوا بعدَ البغضاءِ، وفي ذلك يقول اللهُ تعالىٰ لنبيه: ﴿هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٢-٦٣]. ويقول الله سبحانه للمؤمنين: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا

وَلَا تَفَرَّقُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢-١٠٣].

ولما كانت الأمةُ الإسلاميةُ ذاكرةً لهذه النعمةِ ماشيةً علىٰ أمرِ اللهِ، مُحَكِّمةً لكتابِه ورسولِه، كانت أمةً عظيمةً واحدةً مَهِيبةً بينَ الأمم وكان لها الحظ الأوفرُ من قول النبيِّ ﷺ: «نُصِرْتُ بالرعبِ مسيرةَ شهر»(١) فكان أعداؤها في رُعْبٍ منها وذُعْرٍ، ملكتِ القلوبَ قبلَ البلاد، وانْدَكَّتْ عُروشُ الجبابرةِ منها قبلَ الميعادِ، فلما نَسُوا هذه النعمةَ وتقهقرَ الكثيرُ عن أمرِ اللهِ وحكَّمُوا عقولَ البشرِ وتركوا الكتابَ والسنةَ، سادت عليهم الأممُ من كلِّ جانبٍ، وتفرقوا شِيَعاً في الدينِ والمناهجِ كلُّ حزبٍ بما لديهم فَرِحونَ، فطمَعَ فيهم الطامعون، فجاءت فتنةُ التتارِ وسقطت الخلافةُ الإسلامية، فتمزقت الأمةُ واحْتُلَّ جانبٌ كبيرٌ من البلادِ من قِبَلِ التتارِ، ثم مِنْ قِبَلِ النصارىٰ، ثم من قِبَلِ اليهود، ثم من قِبَلِ الشيوعيين، وأدهىٰ من ذلك أن سُلِّطَتِ الأمةُ بعضُها علىٰ بعضٍ، وجُعِلَ بأسُها بينَها، حتىٰ صارتِ الأمةُ الإسلاميةُ علىٰ كثرتِها وسَعَةِ مساحتِها غُثَاءً كغُثَاءِ السَّيْل، عاجزةً عن انتشالِ نفسِها عما هي عليه، وستبقىٰ كذلك ما دامت علىٰ وضعِها، لأن هذه سنةُ الله التي لا تتبدل ولا تتغير ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ

(١) أخرجه البخاري (٦٩٩٨)، ومسلم (٥٢٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٦٢]، سنةُ اللهِ المَنُوطةُ بحكمتِها وسببها لا يمكنُ أن يتخلَّفَ المسبَّبُ عن سببِه الذي أناطَهُ اللهُ به، لأن حكمةَ اللهِ وعزتَه وقدرتَه تأبىٰ ذلك.

وهذا مُقْتَضىٰ نصوصِ كتابِ الله تعالىٰ وسنةِ رسولِه ﷺ. قال الله تعالىٰ: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام: ٦٥]، وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ۞ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [الحشر: ١٨-١٩]. وفي الحديث عن رسول الله ﷺ: «ما نَقَضَ قومٌ عهدَ اللهِ وعهدَ رسولِه إلا سَلَّط عليهم عدواً من غيرِهم، فيأخذُ بعضَ ما في أيدِيهم، وما لم تحكم أئمتُهم بكتابِ الله إلا جَعَلَ بأسَهم بينَهم»(١).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا ضَنَّ الناسُ بالدينار والدرهم وتَبايَعُوا بالعينة وتركُوا الجهادَ واتَّبَعوا أذنابَ البقرِ أدخلَ اللهُ عليهم ذلاً لا ينزِعُه حتىٰ يَتُوبُوا ويَرْجِعوا إلىٰ دينِهم»(٢) الضَّنُّ بالدرهم والدينار، والبخل بهما،

(١) جزء من حديث أخرجه ابن ماجه (٤٠١٩) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه أحمد ٢/ ٢٨، وأبو داود (٣٤٦٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

والتبايعُ بالعِينةِ من التَّحَيُّلِ علىٰ الربا واتباعُ أذنابِ البقرِ الاشتغالُ بالحرث.

إن هذه النصوصَ من الكتابِ والسنةِ، وإن سنةَ اللهِ في الأولين من الأمم، لتدلُّ علىٰ أن هذه الأمةَ ستبقىٰ علىٰ ما هي عليه من الذلِّ والهوانِ والتفرقِ، وتسلطِ الأعداءِ حتىٰ ترجعَ إلىٰ دينِها رجوعاً حقيقياً عن إيمانٍ واقتناعٍ يُصَدِّقُه الفعلُ والواقعُ. أما أنْ تَنتصرَ وهي أحزابٌ شتَّىٰ ليست تحتَ حِزبٍ واحدٍ، وهو حزبُ الله، أما أنْ تنتصرَ والحُكْمُ بين الناس في كثيرٍ منها بغيرِ ما أنزلَ اللهُ، أما أنْ تتنصرَ والكثيرُ من شعوبِها مُنْهَمِكٌ في طَلَبِ الدنيا مُعْرِضٌ عن طلَبِ الآخرة، أما أن تنتصر والصالحُ من شعوبِها في الغالبِ لا يسعىٰ في إصلاحِ غيرِه. أما أنْ تنتصرَ وفي بعض بلادِها مَنْ يَقْمَعُ القائمينِ بدينِ الله ويُودِعُهم السجونَ. أما أنْ تنتصرَ وفيها مَنْ يَسْخَرُ بدينِ اللهِ ويرىٰ أنه طريقُ رجعيةٍ يُؤدِّي مَنْ تمسكَ به إلىٰ الرجوعِ إلىٰ الوراء، أما أن تنتصرَ وليس لديها من أسبابِ النصرِ ما يؤدي إلىٰ النصر فهذا بعيدٌ فيما نراه من سنةِ اللهِ تعالىٰ الكونيةِ والشرعيةِ.

أيها المسلمون: إنَّ الواجبَ علينا أن ننظرَ في أمرِنا ونسعىٰ سعياً حقيقياً في إصلاحِ أنفسِنا وإصلاحِ غيرِنا، وأن نَستمِدَّ النصرَ والعونَ من الله عزّ وجلّ، فإنَّ الله لا يُضِيعُ أجرَ المحسنين ولا أَجْرَ المصلحين.

وفقني اللهُ وإياكم لما يرضيه، وجعل مستقبلَ أمرِنا خيراً من ماضيه، ووهبَ لنا منه رحمةً إنَّه هو الوهاب. والحمدُ لله ربِّ العالمين، وأصلي وأسلم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

وجوبُ شكرِ نعمةِ الله تعالىٰ بالإسلام

الحمدُ للهِ الكريمِ الجوادِ، الرؤوفِ بالعبادِ، منَّ علينا بِنعَمٍ لا يُحْصَىٰ لها تعدادٌ، ويسّر لنا من فضله وجوده، حتىٰ عَمَّ الرخاءُ الحاضرَ والباد، ورزَقنا أمْناً واستقراراً، حتىٰ أصبحَ الرجلُ الواحدُ يسيرُ من أدناها إلىٰ أقصاها، لا يخافُ إلا اللهَ، في جميعِ البلادِ. نَحْمَدُه ونشكرُه، وكلما شُكِر زادَ. ونشهدُ أنه هو الواحدُ الفردُ الصمدُ، الذي لم يَلِدْ ولم يُولَدْ، ولم يكُنْ له كُفُواً أحدٌ، فلا إلهَ إلا اللهُ، ما أعظمَ شأنَه! وما أوْسَعَ فَضْلَه! فما لِما عنده من نفاد. ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، أفضلُ المُرسلين، وسيدُ مَنْ سادَ. صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه، وأصحابِه ومَنْ تَبِعَهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ التنادِ، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ، واشكروا نعمتَه عليكم، فلقدْ تأذَّنَ رَبُّكم لئن شكرتم لأزيدَنّكم، ولئن كفرتم إنَّ عذابي لشديدٌ.

أيها الناسُ: أما تَرَوْنَ نعمةَ اللهِ عليكم بهذا الدينِ القويمِ، الذي حَفِظَه اللهُ إليكم منذ بعثَ اللهُ به محمداً ﷺ، حتىٰ أدركتموه وللهِ الحمدُ، سالماً نَقِياً في كتابِ الله، وسنةِ رسوله ﷺ، وإن للهِ عليكم بذلك نعمةً أخرىٰ في تطبيق هذا الدينِ بقَدْرِ المُستطاع، فما زال قادتُكم وزعماؤُكم يصرِّحون في كلِّ مناسبةٍ، ويُشِيدُون بفَضْلِ هذا

الدينِ، ويفتخرون بالحُكْمِ به، والرجوعِ إليه. وإنا لنرجو اللهَ تعالىٰ أن يُحَقِّقَ علىٰ أيديهم نُصْرةَ دِينِه، وإعلاءَ كلمتِه.

أيها المسلمون: وإنه ليَتَبَيَّنُ لكم فَضْلُ هذا الدينِ بما كان عليه الأممُ المنحرفةُ عنه، والتي تَرُدُّ مشاكلَها ونُظُمَها إلىٰ غيره، قد ضَلَّ سَعْيُهم في الحياةِ الدنيا، ولا حظَّ لهم في الآخرةِ، وهم يَحْسَبُون أنهم يُحْسِنُون صُنْعاً.

أيها المسلمون: أما تَرَوْنَ إلىٰ ما منّ اللهُ به عليكم من نعمةِ الأمنِ والاستقرارِ، الذي قد ضَرَبَ أطْنَابَه، حتىٰ عَمَّ حاضرتَنا وبادِيَتَنا، فلم نسمعْ له بنظيرٍ في هذا العصر، حتىٰ كان المسافرُ يسافرُ وحدَه بأموالٍ عظيمةٍ لا يخافُ إلا من ربِّه، ونرىٰ ولله الحمدُ الأطعمةَ وغيرَها في الأسواقِ، ليس عليها حارسٌ، وهي محفوظة بحِفْظِ اللهِ.

وهذه الأرزاق أيها المسلمون من ضرورياتٍ وكمالياتٍ تُجْلَبُ إلينا من قريبٍ وبعيدٍ، بالإضافةِ إلىٰ خيراتِ بلادِنا، فنحنُ ولله الحمدُ رَافِلُونَ بِنعَمٍ عظيمةٍ كبيرةٍ إنْ نحن شكرنا عليها دامت وازدادت، وإن قابلناها بالمعاصي، زالت واضمحلت. فالنعم في الحقيقة ابتلاءٌ للعبد هل يشكرُ اللهَ أم يكفرُ؟ فمَنْ شكرَ فإنما يشكرُ لنفسِه، ومَنْ كفر، إن ربِّي غنيٌّ كريمٌ.

أيها المسلمون: لو سألتم عن الشكر ما معناه؟ فالشكرُ أنْ تقومَ بطاعةِ الله سِرّاً وعَلَناً، قولاً وفعلاً من غير تَوَانٍ، ولا تقصيرٍ، ولا إهمالٍ، ولا تفريطٍ.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

من محاسنِ الإسلامِ العدلُ في التصرفات

الحمدُ للهِ اللطيفِ المنّانِ، المتفضلِ علىٰ عبادِه بأنواعِ الإحسانِ عَلِمَ حالَ الإنسان، فرَحِمَهُ وشَرَعَ الشرعَ فيَسَّرَهُ، ولَم يُكَلِّفِ الإنسانَ إلا ما أطاقَهُ، وهذا غايةُ الفَضْلِ والامتنان. ونشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه. صلّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه، والتابعين لهم بإحسانٍ، وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ، واعْرِفُوا نعمةَ اللهِ عليكم بما شَرَعَ لكم من العبادات، التي تصلون بها إلىٰ أعلىٰ الدرجاتِ، وأكملِ المقاماتِ، فلقد شَرَعَ اللهُ لنا عباداتٍ مُيَسَّرةً مُصلحةً للقلبِ والبدنِ والدين، ولا يُكلِّفُ اللهُ نفساً إلا وُسْعَها.

لو تأملنا العباداتِ البدنية لوجدناها لا تستغرقُ من أوقاتِنا وأعمالِنا إلا القليلَ، ولو نظرنا إلىٰ العباداتِ الماليةِ لرأيناها لا تطلب من مالِنا إلا القليلَ. ومع ذلك فإنَّ ثمراتِ هذه الأعمالِ القليلةِ والأموالِ المبذولةِ اليسيرةِ، ثمراتُها كثيرةٌ كبيرةٌ، لأن ثمراتِها صلاحُ الدنيا والآخرة، ولكن مع هذا كُلِّه إذا فكرنا في أمرِنا وجدنا أننا نُفَرِّطُ في هذه العبادات، ونُفَرِّطُ ونُبالِغُ في طلبِ الدنيا، وتقديمِها علىٰ الآخرة.

أعمالُ الدنيا نَحْرِصُ علىٰ إدراكِها وتحصيلها، ونتأنىٰ ونتَمَهَّلُ في تَنْمِيتِها وتكميلِها، مع أننا نعلمُ أننا لَنْ نُخَلَّدَ فيها، ولن تُخَلَّدَ لنا. وأن الأعمالَ الصالحةَ هي التي ستبقىٰ لنا ونُخَلَّدُ لها عند حصولِ ثوابِها. تَجِدُ الكثيرَ يتَوانَىٰ عن القيامِ إلىٰ صلاتِه، وإذا قام إليها أداها بسرعةٍ مُخِلَّةٍ بها، لا يطمئنُّ ولا يتمهلُ ولا يتدبرُ ما يقولُ ولا يتعقلُ. وربما كان بدنُه حاضراً وقلبُه غائباً يتجولُ في دنياه، فيخرجُ من صلاتِه لا يعقلُ منها شيئاً.

ولو طُلِبَ منه أنْ يعملَ عملاً لدنياه، لتَمَهَّلَ فيه وتَأَنَّىٰ، وحَرَصَ علىٰ تكميلِه وتنميقِه، وأشْغَلَ فكرَه وبدنَه في ذلك، ولو أضاعَ من أجلِه الكثيرَ. فهل هذا من العدلِ والعقلِ، أن يُجْحِفَ الإنسانُ بعمل الآخرةِ، ويُؤَدِّيَ عملَ الدنيا كامِلاً مُكَمَّلاً، مع أنَّ عملَ الدنيا زائل وعَمَلَ الآخرة هو الباقي؟

قال اللهُ تعالىٰ: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: ٤٦]، يُطلَبُ من الإنسانِ أن يُؤَدِّيَ زكاةَ مالِه، فيبخلُ في ذلك ويَشِحُّ عليه. وإذا أخرجَها فربما يخرجُها علىٰ وجْهٍ ناقصٍ، لا تبرأُ به الذمةُ، ولكنه مع ذلك يَسْهُلُ عليه غايةَ السهولةِ أن يبذُلَ المالَ في أمورِ دنياه التي ربما كانت وَبَالاً عليه، ونَقْصاً في دينِه.

فما أكثرَ ما يَبْذُلُ من مالِه في الأمور الكمالياتِ التي يَتَرَفَّهُ بها ويتنعم! وما أقلَّ ما يَبْذُلُه من مالِه فيما يَجِبُ عليه من زكاةٍ وكفاراتٍ ونفقاتِ الأهلِ والأقاربِ! فهل هذا من العَدْلِ والإنصاف؟

كثيرٌ من الناسِ يَصْعُبُ عليه أنْ يَبْذُلَ مالَه وبدنَه في الحج إلىٰ بَيْتِ الله، ولكنه يَسْهُلُ عليه أن يَبْذُلَ مالَه وجُهْدَه وبدنَه في السياحةِ إلىٰ البلادِ يميناً وشمالاً. وربما كانت سياحةً يغيبُ بها عن أهلٍ وولَدٍ، فيُضَيِّعُ عليهم فرصةَ وجودِه عندهم وتأديبَه لهم.

وهكذا كلما نظرنا في أمرِنا وجدنا أننا والكثيرُ منا مُجْحِفُونَ في أعمال الآخرةِ، مُقَصِّرُونَ فيها، مُسْرِفُونَ في أعمالِ الدنيا، مُغَالُونَ فيها، وليس هذا من العدلِ، قال الله تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ۝٣٧ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝٣٨ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝٣٩ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٣٧-٤١]، وقال تعالىٰ: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝١٦ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [الأعلىٰ: ١٦-١٧].

أيها الناس: إنه لم يُطْلَبْ منكم أن تَتْرُكُوا أعمالَ الدنيا كلَّها، ولا يُمكنُ أن يُطلَبَ ذلك، لأن من ضرورة بقاءِ الإنسانِ أنْ يعملَ لها. ولكنَّ المطلوبَ منكم أن لا تُؤْثِرُوها علىٰ الآخرة، وأن لا تكونَ هي أكبرَ هَمِّكم، كأنما خُلِقْتم لها، وكأنها هي دارُ المقرِّ. ولكن خُذُوا منها بنصيبٍ، واعمَلوا للآخرة علىٰ الوجْهِ المطلوب. إذا عَمِلْتُم لها، فأجيدوا العملَ، وأتْقِنُوه، كما تُجِيدونَ العملَ للدنيا، وتُتْقِنُونَه. فإن لم تفعلوا فقد آثرتم الدنيا علىٰ الآخرة، وبُؤْتُمْ بالإثمِ والخسارةِ الفادحةِ.

اللهُمَّ وَفِّقْنا لما تُحِبُّ وتَرْضَىٰ، وهَيِّىء لنا من أمرِنا رشَداً. واغفرْ لنا وللمسلمين إنك أنت الغفور الرحيم.

يُسرُ الإسلام

إنَّ الحمدَ لله نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه ونتوبُ إليه ونعوذ باللهِ من شرورِ أنفسِنا ومِنْ سيئاتِ أعمالِنا، من يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هادِيَ له. وأشهد أن لا إلهَ إلا الله، وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه أرسلَه بالهُدَىٰ ودينِ الحق، أرسلَه بدينِ الإسلام، دينِ الرحمةِ، ودينِ العدالةِ، ودينِ العبادةِ والمعاملةِ، فهَدَىٰ اللهُ به أقواماً، وأضلَّ عن طريقه آخرين، صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آله وأصحابِه، ومَنْ تَبِعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين، وسلّم تسليماً كثيراً.

أما بعدُ: فإنَّ خيرَ الحديثِ كتابُ الله، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتُها، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ. إنَّ خيرَ الحديثِ كتابُ اللهِ، لأنه يَهْدِي للتي هي أقومُ وخيرُ الهَدْيِ هَدْيُ محمدٍ ﷺ، لأنه الطريقُ المستقيم الموصلُ إلىٰ اللهِ وإلىٰ سعادةِ الدنيا والآخرةِ.

أيها المسلمون: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩] ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥]، إن الإسلامُ هو الاستسلامُ للهِ ظاهراً وباطناً، استسلاماً تاماً لا توانِيَ فيه ولا كَسَلَ، ولا انحراف ولا خطل. إنه طاعةُ اللهِ تعالىٰ سِراً وعَلَناً بفعلِ ما أمرَ به، واجتنابِ ما نَهىٰ عنه. وما أيْسَرَ ذلك علىٰ مَنْ يَسَّرَهُ اللهُ عليه.

أيها المسلمون: إنَّ الشيطانَ بعداوتِه لكم يُفَتِّرُ عزائمَكم عن القيامِ بدينِكم، ويدعوكُم إلىٰ الكَسَلِ والتواني عن أوامرِه، ويُغْرِيكم ويُحُثُّكم علىٰ مخالفته ومعصيته. إنه يصور لكم الدينَ بأنه حَبْسٌ للحريةِ وتَضْييقٌ علىٰ الإنسان، وإرهاقٌ له، وتفوِيتٌ لمصالحه يُصَوِّرُه لكم بأبْشَعِ صورةٍ لتَنْفِرُوا عنه، يُصَوِّرُه كذلك ليُهْلِكَكُم كما هلكَ ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦]، إنَّ الشيطان يُصَوِّرُه لكم بما يُلْقِيه في صُدُورِكم وبما يُلْقيه أولياؤه من شياطين الإنس.

أيها المسلمون: إنَّ الدينَ بَرِيءٌ من كلِّ ما يصفُه به أعداؤُه، إنه دينُ الحقِّ والعدالةِ والحريةِ الحقةِ، إنَّه دينُ اليسرِ والسهولةِ، ودينُ السعادةِ والتقدمِ. استعرضوا أصولَ شرائعِه لتَقِيسُوا عليها فروعَه. إنّ الإسلامَ مبنيٌّ علىٰ خمسةِ أركانٍ: شهادةِ أن لا إلهَ إلا اللهُ وأنَّ محمداً رسول الله، وإقامِ الصلاةِ، وإيتاءِ الزكاةِ، وصوم رمضانَ، وحجِّ البيتِ الحرامِ لمَنِ استطاعَ إليه سبيلاً. وهذه الأركانُ كلُّها سهلةٌ ويسيرةٌ، وكلُّها إصلاحٌ وتهذيبٌ.

فشهادةُ أن لا إلهَ إلا اللهُ: توحيدٌ لله وتجريدٌ للقلبِ من التألُّهِ والعبادةِ لأحدٍ سِوىٰ اللهِ، وحَصْرُ العبادةِ لله ربِّ العالمين الذي خَلَقَكَ فسوَّاك وغذَّاك بنعمِه وبارك، فأنت بالنسبة إلىٰ ربِّك عبدٌ مِنْ عبيدِه، وبالنسبة إلىٰ غيرِه حُرٌّ. وإنَّ مِنَ الحماقةِ بمكانٍ أن تَنْطَلِقَ مِنْ عبودية ربِّك التي هي الحقُّ، وتُقَيِّدَ نفسَك بعبوديةِ هواك أو

بعبوديةِ المالِ، أو بعبوديةِ فلانٍ وفلانٍ. إنَّ كثيراً من الناس إذا اشتغلَ بطاعةِ الله فكأنما يُصابِرُ الجَمْرَ لا يَصْبِرُ عليها إلا قليلاً، مع قَلَقٍ في نَفْسِه، وانشغالٍ في قلبه. وإذا اشتغلَ بدنياه أقبَلَ عليها بقلبِه وفكرِه واطمأنَّ إليها واستراحَ بها ولها. فهو كاملُ العبودية لدنياه وناقصُ العبوديةِ لمولاه.

وأما شهادةُ أن محمداً رسولُ الله: فهي تجريدُ المتابعة له دونَ غيرِه من المخلوقين، فهو رسولُ ربِّك الذي كُلِّفَ بالرسالة إليك، وكُلِّفْتَ باتباعِها. فعنها يُسْأَلُ هو بلاغاً وتُسْأَلُ أنت عنها اتباعاً ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف: ٦]، إنَّ كلَّ أحدٍ من الناس سوف يَسِيرُ في عملِه علىٰ خطةٍ مرسومةٍ، ومنهجٍ مُتَّبَعٍ. فإما أن يكونَ طريقَ النبيينَ أو طريقَ الضالينَ المكذبينَ. فماذا بعدَ الحقِّ إلا الضلالُ؟ فانظر أيُّ الطريقين أَهْدَىٰ وأَقْوَمُ.

أما الصلاةُ: فما أيْسَرَها وأسهلها! وما أنفعها للقلب والبدن، والفرد والمجتمع! فهي صِلةٌ بينَك وبين ربِّك، لا تأتيها إلا وأنت مُتطَهِّرٌ في ظاهرِك وباطِنك، فتقومُ بين يدَي الله خاشعاً خاضعاً متقرباً إليه بما شرَعه لك فيها من ذِكْرٍ وقراءةٍ، وركوعٍ وسجودٍ، وقيامٍ وقعودٍ. تسألُه لدنياك وأخراك، فهي تُنَمِّي الدينَ وتَحُطُّ الذنوبَ وتُلْحِقُ بالصالحين، ويُستعانُ بها علىٰ أمورِ الدينِ والدنيا، وتَنهىٰ عن الفحشاءِ والمنكرِ. ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ [البقرة: ٤٥]، ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾[العنكبوت: ٤٥].

أما الزكاةُ: فهي جُزءٌ يَسيرٌ تدفعُه من مالِك لسدِّ حاجةِ إخوانِك وإصلاحِ مجتمعِكَ. ففيها تزكيةُ المالِ وتطهيرُ النفسِ من البُخْلِ الذميمِ، وتطهيرُ القلبِ من الذنوبِ والآثام. فالصدقةُ تُطْفِىءُ الخطيئةَ كما يُطْفِىءُ الماءُ النارَ. ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣]، إنَّ كثيراً مِنَ الناسِ يَهُونُ عليهم أنْ يُنْفِقُوا المالَ الكثيرَ في أهواء نفوسِهم مما يضُرُّهم، أو لا فائدةَ لهم منه. لكنه عند الصدقاتِ الواجبةِ أو المتطوع بها، لا يُهُونُ عليه أن يُنْفِقَ درهماً واحداً، كأنه لم يَثِقْ بوَعْدِ اللهِ بالخَلَفِ العاجلِ، والثوابِ الآجلِ، ولم يُصَدِّقْ بالوعيدِ الشديدِ لِمَنْ منعَ الزكاة.

أما الصيامُ: فهو شهرٌ واحدٌ في السنة، شهرٌ يُذَكِّرُكَ بأعظمِ نعمةٍ مَنَّ اللهُ بها عليك، شهرُ نزولِ القرآنِ، شهرُ رمضانَ تمتنعُ فيه في النهارِ فقط عن شهواتِ نفسِك من طعامٍ وشرابٍ ونكاحٍ تقرباً إلىٰ ربك، وتقديماً لمرضاتِه علىٰ ما تشتهيه مع ما فيه من الفوائدِ الدينيةِ والجسميةِ والاجتماعية.

أما الحجُّ: فهو قَصْدُ بيتِ الله لإقامةِ شعائره وتعظيمِ حُرماته، لا يَجِبُ في العمر إلا مرةً واحدةً علىٰ المستطيع، تُحَطُّ به الذنوبُ والخطايا. والحجُّ المبرورُ ليس له جزاءٌ إلا الجنةُ، مع ما فيه من تعارفِ المسلمين في أقطارِ الدنيا واجتماعِهم وتعليمِهم وإرشادِهم.

أيها المسلمون: هذه أصولُ الإسلام وأركانُه. فباللهِ عليكم هل فيها من صعوبةٍ؟ وهل فيها من خَللٍ أو نَقْصٍ؟ أفليست هي شريعةُ اللهِ وحكمه ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

إنَّ الإسلامَ مفخرةٌ لإهلِه وعزٌّ وكرامةٌ في الدنيا والآخرة، وإن به التقدمَ الحسيَّ والمعنويَّ. ومَنْ شكَّ في ذلك فلينظرْ في تاريخ صَدْرِ الإسلامِ حينما كان المسلمون مسلمين ظاهراً وباطناً، لم تَغُرَّهم الدنيا، ولم يَغُرَّهم بالله الغَرورُ.

فاتقوا اللهَ عبادَ الله، وتمسّكوا بدينِكم ظاهراً وباطناً، سرّاً وعَلَناً، قبل أن تُسلبوه وتَضِلُّوا عنه ضلالاً بعيداً. واحذَرُوا أن يُصيبَكم قولُ الله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ٤٤-٤٥].

اللهُمَّ ثَبِّتنا علىٰ الإسلامِ والتوحيدِ، واختم لنا بخاتمة السعادة والخير يا ربَّ العالمين، أقول قولي هذا وأستغفرُ الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

سهولةُ الإسلامِ وشموله لأنواع العبادات

الحمدُ لله الذي جَعَل الآجال مقاديراً للأعمار، وجعل هذه الأعمار مواقيتاً للأعمال، وكتب الفلاحَ لمن شغلها بالأعمال الصالحات، والخسارةَ لمن فرَّط فيها فأضاعها وشغلها بالأعمال السيئات، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له رب الأرض والسمٰوات، وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه أفضل المخلوقات، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسانٍ ما تعاقبت الأزمانُ والأوقات وسلم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ واعلموا أنَّ عملَ المؤمن لا ينتهي بانتهاء مواسمِ العبادةِ وإنما ينتهي بالموتِ، لأن العمر كلَّه محلٌّ للطاعة قال الله تعالىٰ لنبيه ﷺ: ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾ [الحجر: ٩٩]، فاعمروا أوقاتكم بطاعة الله وما يقربكم إليه واعلموا أنَّ اللهَ تعالىٰ قد سهَّل العبادةَ ويسَّرها غايةَ التيسير وجعل للخيرِ أبواباً ليلجها من للخير يَقْصِدُ ويسير، انظروا إلىٰ الصلاة التي هي آكدُ أركانِ الإسلام بعد التوحيد تجدوها قليلةَ الكلفة، كثيرةَ الأجرِ، فهي خمسٌ في الفعل وخمسون في الميزان، مفرقة في أوقاتٍ مناسبةٍ حتىٰ لا يحصلَ المللُ للكسلان. وإذا أقامها الإنسانُ في جماعةٍ كانت الصلاة مع الجماعة أفضلَ من صلاةِ الفذ بسبع وعشرين درجةً، وهذه النوافل التابعةُ للمكتوبات

اثنتا عشرة ركعة أربع قبل الظهر وركعتان بعدها، وركعتان بعد المغرب، وركعتان بعد العشاء، وركعتان قبل صلاة الفجر، من صلاهنَّ بنىٰ الله له بيتاً في الجنة، وهذه الأذكار خَلْفَ الصلوات المكتوبات من سبَّح اللهَ دبر كلِّ صلاةٍ ثلاثاً وثلاثين وحمد الله ثلاثاً وثلاثين وكبَّر اللهَ ثلاثاً وثلاثين فتلك تسعٌ وتسعون، وقال تمامَ المائة لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو علىٰ كلّ شيءٍ قدير غُفِرَت خطاياه ولو كانت مثل زبد البحر، وهذا الوتر سنة النبي ﷺ وقال: «**إن الله وترٌ يُحب الوترَ وأقله ركعة واحدة وأكثره إحدىٰ عشرة ركعة**» وهو مؤكدٌ لا ينبغي للإنسان تركه قال الإمام أحمد: مَن ترك الوتر فهو رجلُ سوءٍ لا ينبغي أن تقبلَ له شهادته، ووقت الوتر من صلاةِ العِشاء الآخرة ولو في حال الجمع إلىٰ طلوع الفجر، وإذا توضأ الإنسانُ فأسبغَ الوضوءَ ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له وأشهد أن محمداً عبدُه ورسولُه اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين فُتحت له أبوابُ الجنة الثمانية يدخلُ من أيِّها شاء.

وهذه الصدقات إذا كانت بنيةٍ خالصةٍ ومن كَسْبٍ طيِّب فإنَّ اللهَ يقبلها بيمينه، ويربيها لصاحبها حتىٰ يكون ما يعادل التمرة مثل الجبل العظيم، فالرجل يُنفق علىٰ نفسِه وينفق علىٰ أهلِه وينفق علىٰ ولده وينفق علىٰ بهائمه يحتسبُ الأجرَ بذلك علىٰ الله فيكون له أجرٌ قال النبي ﷺ: «**إنَّ اللهَ ليرضىٰ عن العبدِ يأكلُ الأكلةَ فَيَحْمَدُهُ عليها**

ويَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدُه عليها»[١] وقال لسعد بن أبي وقاص: **«واعلم أنك لن تُنفق نفقةً تبتغي بها وجهَ الله إلا أُجرتَ عليها حتىٰ ما تجعله في فم امرأتك»** وقال: **«الساعي علىٰ الأرملة والمساكين كالمجاهد في سبيل الله»**، وأحسبه قال: **«كالصائم لا يُفطر وكالقائم لا يَفتُر»**، والساعي علىٰ الأرملة والمساكين هو الذي يطلب الرزقَ لهم ويكون في حاجتهم، فأولادك الصغار الذين لا يستطيعون القيام بأنفسهم هم من المساكين فالسعي عليهم كالجهاد في سبيل الله.

وفي صحيح مسلم عن عائشةَ رضي الله عنها أن النبيَّ ﷺ قال: **«خلق الله ابن آدم علىٰ ستين وثلثمائة مفصل مَن ذكر اللهَ وحمد الله وهلل اللهَ وسبَّح الله وعزل حجراً عن طريق المسلمين أو عزل شوكةً أو عزل عظماً أو أمر بمعروفٍ أو نهىٰ عن منكرٍ عدد تلك الستين والثلثمائة أمسىٰ من يومه وقد زَحزَحَ نفسَه عن النار»** وقال: **«يُصبح علىٰ كلِّ سُلامى يعني كل عضو من أحدِكم صدقةٌ فكلُّ تسبيحةٍ صَدقةٌ وكلّ تحميدةٍ صدقةٌ وكلُّ تهليلةٍ صدقةٌ، وكل تكبيرةٍ صدقةٌ، وأمرٌ بالمعروف صدقة، ونهي عن المنكر صدقة، ويُجزي من ذلك ركعتان يركعهما في الضحىٰ»**[٢] وقال: **«ما اطعمت نفسَك فهو لك صدقة، وما أطعَمْتَ ولدَكَ فهو لك صدقةٌ، وما أطعمْتَ زوجَك فهو**

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٣٤) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (١٠٠٧) من حديث عائشة رضي الله عنها، وفي الباب عن أبي هريرة رضي الله عنه وغيره.

لك صدقة»[١] وقال: «في بِضعَ أحدِكم يعني إتيان أهلَه صدقة»[٢] فأبوابُ الخير كثيرةٌ جداً فالكيِّس من دان نفسَه وعمل لما بعد الموت، والعاجزُ من أتبعَ نفسَه هواها، وتمنىٰ علىٰ الله الأماني.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم.

* * *

(١) أخرجه أحمد ٤/١٣١، والنسائي في «الكبرىٰ» (٩١٨٥) من حديث المقدام بن معدي كرب رضي الله عنه.

(٢) جزء من حديث أخرجه مسلم (١٠٠٦) عن أبي ذر رضي الله عنه.

وجوبُ شُكرِ نعمةِ الإسلام بالعمل به

الحمدُ لله الغنيِّ الجواد الكريم الرؤوف بالعباد، منّ علينا بنعم لا يُحصىٰ لها تعداد ويسَّر لنا من فضلِه وجودِه حتىٰ عمَّ الرخاءُ الحاضرَ والباد، ورزقنا أمناً واستقراراً حتىٰ أصبحَ الواحدُ يسيرُ آمناً لا يخاف إلا اللهَ في جميع البلاد. أحمده وأشكره وكلما شُكر زاد، وأشهدُ أن لا إله إلا هو واسع الجود فما لما عنده نفاد، وأشهد أن محمداً عبدُه ورسوله أفضلُ الشاكرين علىٰ النعم وأعظمهم صبراً على ما لا يُرادُ صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلىٰ يوم التناد وسلم تسليماً.

أما بعد، أيها الناس: اتقوا ربَّكم واشكروه فلقد تأذن ربُّكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إنَّ عذابي لشديد. أيها الناس أما ترون نعم الله تترىٰ عليكم في كل وقت وحين وإن تعدوا نعمةَ الله لا تُحصوها. أما ترون إلىٰ نعمتِه عليكم بدينِ الإسلام حيث أنشأكم في بيئةٍ مسلمةٍ تقرأ كتابَ الله تعالىٰ، وتسمع من سنة رسوله، أنشأكم في بيئةٍ تُقام بها الصلوات، ويدعىٰ إليها بالأذان بأعلىٰ الأصوات أنشأكم في بلاد لا ترىٰ ولله الحمد فيها كنيسة ولا صومعة وإنما هي مسجدٌ ومدرسةٌ حتىٰ صارَ الإسلامُ كأنما هو طبيعةٌ من الطبائع وغريزةٌ من الغرائز لا يشق عليكم نيله وإدراكه، وهذه والله أكبر النعم، فاشكروها أيها المسلمون حقَّ شكرها، اشكروها

بالتمسك بها وارعوها حقَّ رعايتها، فلئن لم تفعلوا لتسلبَنَّ عنكم هذه النعمة ويحل بدلها شعارُ الكفر والبدع والضلال، لئن لم تشكروها بالتمسك بها لتُفْتَحَنَّ في بلادِكُم مدارسُ النصارىٰ وكنائسُ الرهبان. إنَّ العاقلَ ليقيس ويفهم فكما أن نعمة الأمن إذا لم تُشكر أبدلت بالخوف، ونعمة الرزق إذا لم تشكر أبدلت بالجوع، كذلك نعمةُ الدين إذا لم تشكر أبدلت بالكفر ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم﴾ [محمد: ٣٨]، إنَّ الإسلام أعز ممن ينتمي إليه فإذا لم يجد أناساً يعرفون قدرَ نعمةِ الله عليهم به ويعضّون عليه بالنواجذ ويرونه غنيمة ادخرها الله لهم فسوف يرتحل عنهم إلىٰ غيرهم، وسيجعل اللهُ علىٰ هذه الأرض طائفةً علىٰ الحقِّ حتىٰ يأذنَ الله بخراب العالم، قال النبيُّ ﷺ: «**لا تزال طائفةٌ من أمتي ظاهرين علىٰ الحقِّ لا يضرهم من خذلهم حتىٰ يأتي أمرُ الله**»[(١)].

أيها الناس: أما ترون إلىٰ ما أنعم الله به عليكم من نعمةِ الأمن والاستقرار يُسافر الرجلُ وحدَه من أقصىٰ المملكة إلىٰ أقصاها آمناً غير خائفٍ، مستقراً غير قلق معه الأموالُ الكثيرة، لا يخاف عليها ولا علىٰ نفسه من أجلها، أما ترون إلىٰ ما أنعمَ الله به عليكم من الأرزاق من قوتٍ وفاكهةٍ وملابس متنوعة ووسائل راحة من جميع

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٤٠)، ومسلم (١٩٢١) من حديث المغيرة رضي الله عنه وفي الباب عن ثوبان رضي الله عنه وغيره.

الوجوه. أما ترون إلىٰ ما أنعم الله به عليكم هذا العام من الأمطار المباركة التي أحيا الله بها الأرضَ بعد موتها وأنبتت من كلِّ زوجٍ بهيج.

فاشكروا اللهَ أيها المسلمون علىٰ هذه النِّعم، اشكروه حقَّ شُكرِه شكراً حَقيقياً فإنَّ الشكرَ اعترافُ العبدِ بقلبهِ بنعمةِ الله، وأن يؤمنَ إيماناً صادقاً بأنَّ هذه النعم محضُ فضلٍ من الله تعالىٰ، ليس له علىٰ الله مِنةٌ فيها، وإنَّما المنة لله تعالىٰ فيها عليه. لا يقل كما قال قارون إنما أوتيتُه علىٰ عِلمٍ مني. ولا يقل كما يقولُ الكافر فيما حكىٰ الله عنه ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى ﴾ [فصلت: ٥٠] أي أنني كفء له ومُستحقه، أنكر أن يكونَ من فضلِ الله عليه. وإنَّ الشكرَ أيها المسلمون ثناءٌ علىٰ الله بنعمتِه عليك وحمدٌ له عليها وتحدث بها علىٰ سبيل الثناء علىٰ الله لا علىٰ سبيل الافتخار بها علىٰ عباد الله ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ [الضحىٰ: ١١] وإن الشكر عملٌ بطاعةِ الله فعلٌ لأوامره واجتنابٌ لما نهىٰ عنه. فمتىٰ قام العبدُ بهذه الأركان الثلاثة فقد شكرَ اللهَ شكراً حقيقياً. أما إذا كان يعتقد أن ما أصابَه من نعمِ الله فهو مستحق له ولا منةَ لله عليه فيه فهذا كافرٌ بنعمة الله مُعجَبٌ بعملِه مغرورٌ بنفسِه، فمن هو حتىٰ لا يكون لله عليه منة. وإذا كان لا يُثني علىٰ الله بنعمتِه فكلما سُئل عن حالهِ صار يتشكّىٰ ويتألم ويجحد ما أنعمَ الله به عليه، ورأىٰ أنه قد ظُلم حيث لم يحصل له مثل فلان وفلان، فهذا أيضاً

كافرٌ بنعمةِ الله عليه، محتقر لها وما يدريه لعلّه لو حصلَ له ما حصلَ لفلانٍ لكان سبباً لأشره وبطره وإعراضه عن الله. وإذا كان لا يستعينُ بنعمِ الله علىٰ طاعتِه بل كانت نعمُ اللهِ عليه سبباً لأشره وبطره وإهماله لواجبات دينِه ووقوعِه في المعاصي فإنه قد بدَّلَ نعمةَ الله عليه كفراً، ويوشك أن يسلبه اللهُ هذه النعمةَ أو يغدقها عليه استدراجاً من حيث لا يعلم فلا يزال علىٰ ذلك حتىٰ يخرجَ من نعيمِه في الدنيا إلىٰ عذابه في الآخرة.

أيها المسلمون: إنَّ من وُفِّق للشكرِ فقد حَصَل له نعيمُ الدنيا والآخرة، يعيش حميداً قائماً بأمرِ اللهِ ويموتُ سعيداً خالداً في ثواب الله، ومن كفر أوشكَ أن يحلَّ عليه عذابُ الله ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢].

اللهم أعنّا علىٰ ذِكرك وشُكرك وحُسن عبادتك، اللهم أصلح ولاة أمورنا وأصلح رعيتنا، ووفقنا لما تحبّ وترضىٰ، إنك جوادٌ كريمٌ اللهم صلِّ وسلِّم علىٰ نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

* * *

حمايةُ الإسلام للدّين والنفس والعرض والمال

الحمد لله القوي العظيم، الرؤوف الرحيم يقضي بالحقّ ويحكم بالعدل وهو الحكيمُ العليم، وأشهدُ أنْ لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له شهادةً أرجو بها النجاةَ من العذابِ الأليمِ والفوزِ بالنعيم المُقيم، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه المبعوث بالحقِّ الداعي إلىٰ صراطٍ مستقيم، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه ومن تبعهم في هديهم القويم وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا الله سبحانه واشكروه علىٰ ما أنعمَ به من حمايةِ الدينِ والنفسِ والمالِ والعِرضِ. حمىٰ لكم الدينَ بما أقامَ عليه من الآيات البينات علىٰ صحتِه لتأخذوا به عن بَصيرةٍ وبرهانٍ، وحمىٰ لكم الدينَ بما رتَّب علىٰ القيام به من الثوابِ لترغبوا فيه وتستقيموا عليه، وحمىٰ لكم الدينَ بما رتَّب علىٰ مخالفتِه من العقاب حتىٰ لا تخرجوا عنه، وحمىٰ لكم الدين بما كتب عليكم من الجهاد بالمالِ والنفس لتحموه وتدافعوا عنه.

ولقد حمىٰ الله النفوسَ وأكد تحريمها وحُرمتها في كتابه وسنةِ رسوله ليستقيم المجتمعُ ويحلَّ فيه الأمنُ. قرن الله الاعتداء علىٰ النفس بالاعتداء علىٰ الدين، فقرن القتلَ بالشرك قال تعالىٰ:

﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الفرقان: ٦٨] قال تعالىٰ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥١]. وقال النبي ﷺ: «**اجتنبوا السبعَ الموبقات الشركَ بالله والسحرَ وقتلَ النفسِ التي حرَّم الله إلا بالحقِّ**» وذكر تمام الحديث[١] وقال: «**سبابُ المُسلم فسوقٌ وقتاله كفر**»[٢] وقال: «**لا يزالُ المؤمن في فسحةٍ من دينه ما لم يصب دماً حراماً**»[٣] (رواه البخاري) وقال: «**لزوالُ الدنيا يعني كلّها أهونُ عند اللهِ من قتلِ رجلٍ مُسلمٍ**»[٤] ومن أجلِ ذلك جعَلَ اللهُ في القتلِ المتعمّد عقوباتٍ غليظةً وقصاصاً ثابتاً فقال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٦٦)، ومسلم (٨٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٤٨)، ومسلم (٦٤) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٦٨٦٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٤) أخرجه الترمذي (١٣٩٥)، والنسائي ٧/ ٨٢ من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما وأخرجه ابن ماجه (٢٦١٩) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.

﴿وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣] جزاء مروع نارٌ وغضبٌ ولعنةٌ وعذابٌ عظيم. وقال النبيُّ ﷺ: **«لو أن أهلَ السماء وأهلَ الأرض اشتركوا في دمِ مؤمنٍ لأكبَّهم الله في النار»**(١) ومن أجل حماية النفس شرَعَ الله القصاص فقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ﴾ [البقرة: ١٧٨]، هذا في هذه الأمة وقال في بني إسرائيل: ﴿وَكَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ﴾ [المائدة: ٤٥] وقال النبيُّ ﷺ: **«لا يحل دمُ امرىء مُسلمٍ إلا بإحدىٰ ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة»**(٢)، وخفّفَ هذه الفريضةَ بأن جعلَ لأولياءِ المقتولِ الخيرةَ بين القصاص والدية والعفو إذا كان خيراً فقال سبحانه: ﴿فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞ﴾ [البقرة: ١٧٨]، وقال النبيُّ ﷺ: **«من قُتل له قتيلٌ فهو بخيرِ النظرين، إما أن يفدي أو يُقاد»**(٣). وأبطل الله ما يتوهمه ذو الوهم الفاسد من أن القصاصَ زيادةُ في القتل فقال سبحانه: ﴿وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٩].

---

(١) أخرجه الترمذي (١٣٩٨) من حديث أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه البخاري (٦٨٧٨)، ومسلم (١٦٧٦) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٣) جزء من حديث أخرجه البخاري (١١٢)، ومسلم (١٣٥٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ولقد حمى الله الأموالَ بما أحاطها من العقوبات في الاعتداء عليها فقال تعالىٰ: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٨]. وأوجب الله قطع يد السارق حمايةً للأموال فقال تعالىٰ: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [المائدة: ٣٨] إنَّ قطعَ يدِ السارقِ هو الحكمةُ البالغةُ والمصلحةُ الظاهرة فيد السارِق تُقطع بربعِ دينارٍ ولو اعتدىٰ شخصٌ علىٰ يد إنسان فقطعها كانت ديتها خمسمائة دينار رعايةً لحماية المال ولحماية النفس.

أما حمايةُ الأعراض فقد أتقنها الإسلامُ من كلِّ ناحيةٍ سواء من الناحية الخُلقية أو الاجتماعية، فمن الناحية الخلقية أوجبَ الله الحدَّ علىٰ من هتك الأعراضَ بالزنا وذلك برجمه بالحجارة حتىٰ يموتَ إذا كان محصناً، وهو المتزوج سواء كان رجلاً أم امرأة. وأما غير المحصن فيجلد مئةَ جلدةٍ ويُنفىٰ عن البلد سنة كاملة رجلاً كان أم امرأة. وأما اللواط وهو إتيان الذكر الذكر ففيه القتل بكلِّ حال إذا كان بالغاً والتعزيرُ البليغ لغير البالغ، قال النبيُّ ﷺ: «من وجدتموه يعمل عملَ قومِ لوطٍ فاقتلوا الفاعل والمفعول به»(١). وأوجبَ اللهُ الحدَّ علىٰ من قَذَفَ محصناً بالزنىٰ فقال سبحانه:

---

(١) أخرجه الترمذي (١٤٥٦)، وأبو داود (٤٤٦٢)، وابن ماجه (٢٥٦١)، وأحمد ١/ ٣٠٠ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً ﴾ [النور: ٤]، فمن قال لشخصٍ عفيفٍ يا زاني فعليه ثمانون جلدةً إلا أن يأتي بأربعةِ شهداء أو يقر المقذوف بذلك.

وأما حمايةُ الأعراضِ من الناحيةِ الاجتماعيةِ فقد حرَّم الله بين المسلمين السُّخْرية واللمزَ والتنابزَ بالألقابِ السيئة، والغيبةُ وهي ذِكرك أخاك بما يكره في غيبته. ذكر الله ذلك في سورة الحجرات في قوله تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [الحجرات: ١١-١٢].

فاحمدوا عبادَ الله ربَّكم علىٰ ما أنعم به من حمايةِ دينكم وأنفسكم وأموالكم وأعراضكم، واسألوه الثباتَ علىٰ الدين وجاهدوا أنفسكم علىٰ ذلك واعبدوه وتوكلوا عليه واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا.

أقول قولي هذا وأستغفرُ اَلله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

الفرع الرابع

الإيمان

تحريمُ الشّركِ ووسائله

الحمدُ للهِ الذي أرسل رسوله بالهدىٰ ودين الحقِّ ليظهره علىٰ الدين كلِّه وكفىٰ الله شهيداً، وأشهدُ أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له إقراراً به وتوحيداً، وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه وسلم تسليماً مزيداً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ واعرفوا نعمتَه عليكم ببعث النبي المصطفىٰ الكريم، الذي بعثه الله رحمةً للعالمين وحجّةً علىٰ العباد أجمعين، بعثه الله بدين مصلحٍ للعالم في جميع أمورهم العامة والخاصة، الدينية والدنيوية، مُحرِّر للناس في أفكارهم وعقولهم وعباداتهم ومعاملاتهم، فلا عبوديةَ إلا لله؛ ولا تعظيم مطلقٍ لغير الله؛ ولا تقليدَ إلا للكتابِ والسنة، ولا حَجْرَ علىٰ العبد في التصرف في ماله كما يشاء في حدود ما نظمه الله ورسوله، بعثه الله تعالىٰ بالدين الخالص والتوحيد الكامل لله رب العالمين، توحيداً في الألوهية والربوبية وما يختصُّ به من الأسماء والصفات، لم يجعل الله تعالىٰ حقاً لأحدٍ في العبادة لا لملك مقرَّب ولا لنبيٍّ مُرسل، ولم يجعل لأحدٍ تصرفاً أو فراراً مما قضاه وقدره لا ملجأ ولا منجىٰ من الله إلا إليه، ألا له الخَلْقُ والأمرُ تبارك اللهُ ربُّ العالمين، فهو سبحانه الواحدُ القهار وهو العظيمُ العليُّ العزيز الجبار، وهو الخلاق العليم ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ

ٱلْخِيَرَةُۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [القصص: ٦٨]، ﴿ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ ﴾ [النور: ٤٤]، وهو سبحانه الكامل في صفاته ليس لأحدٍ منازعته في عظمته وكبريائه و﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورىٰ: ١١]، خلق خلقه ليعبدوه، وأدرَّ عليهم النعم ليشكروه؛ وأظهر لهم آياتِه ليعرفوه ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴾ [الروم: ٢٠]، ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [الروم: ٢٥-٢٧]، ولما كانت هذه عظمة الباريء وهذه آياته وهذه صفاته صار من حقه الخاص به العبادة المبنية علىٰ الحبِّ الخالص التام، والتعظيم المُطلَّق الكامل لله ربِّ العالمين، قال الله تعالىٰ: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦]، ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴾ [البينة: ٥] وصار الشرك بالله ظُلماً عظيماً وهضماً للحق ومجانبةً للعدل، ولا يغفره الله تعالىٰ، ولا يقبلُ من صاحبه صرفاً ولا عدلاً ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ [المائدة: ٧٢]، وجعل اللهُ تعالىٰ حائلاً منيعاً وحصناً قوياً دون هذا الشرك، فمنع من جميع الوسائل التي قد تؤدي إليه ولو من طريق بعيد، حرَّم علىٰ

الإنسان أن يُصلِّيَ عند طلوع الشمس أو عند غروبها إذا لم تكن الصلاةُ فريضةً أو نافلةً ذات سببٍ فقال: «**لا صلاةَ بعد صلاةِ الصبح حتىٰ تطلعَ الشمسُ ولا بعد صلاةِ العصرِ حتىٰ تغربَ الشمس**»[1] وذلك لأن الكفار يسجدون للشمس عند طلوعها وعند غروبها، فنهىٰ المسلمون أنْ يسجدوا لله عند طلوع الشمس وعند غروبها لئلا يكون في ذلك مشابهة ولو بالظاهر للمشركين الذين يسجدون للشمس.

ومنع من الصلاةِ إلىٰ القبور بأن تجعلَ القبرَ بينَك وبين القبلة، لأن ذلك تشبه بمن يعبد القبر، وربما يؤدي إلىٰ عبادته فعلاً، ومنع من الغلو بالإنسان بحيث يرفع فوق منزلته التي أنزله الله فيها حتىٰ ولو كان نبياً قال النبي ﷺ: «**لا تُطْرُوني كما أَطْرَتِ النصارىٰ ابنَ مَرْيَمَ**»[2]، والإطراء المبالغةُ في المدح والتعظيم، وروىٰ الإمام أحمد رحمه الله عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلاً جاء إلىٰ النبي ﷺ فقال: يا محمد يا سيدنا وابن سيدنا وخيرنا وابن خيرنا، فقال النبيُّ ﷺ: «**أيها الناسُ عليكم بقولكم** (وهو ما اعتادوا أن ينادوه به كقولهم عند مناداته يا رسولَ الله) **ولا يستهوينكم الشيطان أنا محمدُ بنُ عبدِ اللهِ، عبدُ اللهِ ورسولُه والله ما أحبُ أنْ ترفعوني**

---

(١) أخرجه البخاري (٥٨٦)، ومسلم (٨٢٧) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٤٥) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

فوقَ منزلتي التي أنزلني الله عَزَّ وجل»[١]، هذا مع أنه ﷺ سيدُ بني آدم بلا منازع، ولذلك قال ﷺ في مقام التحدث بنعمة الله: **«أنا سَيّد ولد آدم ولا فخر»**[٢]، أما في مقام الخوف من الغلو والإسراف، فقد قال: **«عليكم بقولكم ـ أي المعتاد ـ ولا يستهوينكم الشيطان»** ومنع النبيُّ ﷺ من الحلف بغير الله وأخبر أنَّ ذلك كفرٌ وشركٌ، وقال: **«لا تَحْلفوا إلا باللهِ ولا تَحْلفوا إلا وأنتم صادقون»**[٣]، ومنع النبيُّ ﷺ من البناء علىٰ القبور ومن اتخاذها مساجد، وحذَّر من ذلك غايةَ التحذير، حتىٰ كان ﷺ من شدة اهتمامه بالتحذير عنه يقول: وهو في سياق الموت كما روته عائشة وابن عباس رضي الله عنهما **«لعنةُ الله علىٰ اليهود والنصارىٰ اتخذوا قبورَ أنبيائهم مساجد»**[٤]، يُحذِّر مما صنعوا من اتخاذ القبور مساجد أو دفن الموتىٰ فيها لأنه ربما يؤدي إلىٰ عبادةِ أصحابِ القبور والتبرك بهم أو اعتقاد أنهم يملكون النفعَ والضرَّ. وذكرت أمُّ سلمة للنبي ﷺ كنيسةً رأتها في أرض الحبشة فيها تصاوير، فقال النبيُّ ﷺ: «إنَّ

---

(١) أخرجه أحمد ٣/ ١٥٣ والنسائي في الكبرىٰ (١٢٥٧٣) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٦١٥) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٣) أخرجه أبو داود (٣٢٤٨)، والنسائي ٧/ ٥، وفي «الكبرىٰ» (٤٧١٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري (١٣٩٠)، ومسلم (٥٢٩) من حديث عائشة رضي الله عنها.

أُولئكَ إذا كان فيهمُ الرجلُ الصالحُ فماتَ بنوا علىٰ قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصُّوَرَ فأولئك شِرارُ الخلقِ عندَ اللهِ»(١).

أيها المسلمون: مِنْ هذه الأدلةِ وغيرها يتبين لنا حِرصَ النبيِّ ﷺ علىٰ تحقيق التوحيد الخالص لله رب العالمين، وتحذيرَ أمته من كل ما يُناقِضُ هذا التوحيد، وأن العدلَ كلَّ العدلِ أن يقومَ العبدُ للخالق من غير نقصٍ، وأنْ يقوم للمخلوق بحقه من غير نقصٍ ولا إسرافٍ، وبذلك يحقق العدلَ والميزان، ويكون الحُكم للعقل والإيمان.

أسألُ اللهَ تعالىٰ أنْ يجمعَ كلمةَ المسلمين علىٰ الحقِّ، ويذلَّ أعداء الإسلام في كل مكانٍ وزمانٍ إنه جوادٌ كريمٌ وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وآله وصحبِه أجمعين.

* * *

(١) أخرجه البخاري (٤٢٧)، ومسلم (٥٢٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

تحقيق التوحيد

الحمدُ لله نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه ونتوبُ إليه ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا ومن سيئاتِ أعمالنا، مَنْ يهده الله فلا مُضل له ومن يُضْلِلْ فلا هادِيَ له، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه ومَنْ تَبِعَهم بإحسان وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ واشكروه أنْ بعث فيكم رسولاً يتلو عليكم آياته ويزكيكم ويعلمكم الكتابَ والحكمةَ، رسولاً أخرجكم اللهُ به من الظلمات إلىٰ النور من ظلماتِ الجهلِ إلىٰ نورِ العلمِ، ومن ظلماتِ الشركِ إلىٰ نورِ التوحيد، ومن ظلماتِ الجَوْرِ إلىٰ نورِ العدلِ، ومن ظلماتِ الفوضىٰ الفكرية والاجتماعية إلىٰ نور الاستقامة في الهدف والاستقامة في السلوكِ ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝١ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [إبراهيم: ١-٢]، لقد بَعَثَ اللهُ محمداً ﷺ والناس يتخبطون في الجهالات، ففتح لهم أبوابَ العلمِ. أبوابَ العلم في معرفةِ اللهِ تعالىٰ وما يستحقه من الأسماء والصفات، وما له من الأفعال والإرادات، وأبوابَ العلمِ من المخلوقات في المبدأ والمنتهىٰ والحساب والجزاء، وأبوابَ العلمِ في العبادة والسير إلىٰ الله تعالىٰ، وأبواب العلم في السعي في الأرضِ واكتساب الرزق

بوجهٍ حلالٍ فما من شيءٍ يحتاج الناسُ إلىٰ معرفته من أمور الدين والدنيا إلا بيّن لهم ما يحتاجون إليه فيه حتىٰ تركهم علىٰ طريقةٍ بيضاء نقية لا يزيغ عنها إلا هالِكٌ ولا يتيه فيها إلا أعمىٰ القلب.

لقد بعث الله محمداً ﷺ والرسل منغمسون في الشرك في شتىٰ أنواعه فمنهم من يعبد الأصنامَ ومنهم من يعبد الأشجار ومنهم من يعبد الأحجارَ حتىٰ كان الرجلُ يقدم الأرضَ فيأخذ منها أربعةَ أحجارٍ يضع ثلاثة منها للقِدْرِ ويعبدُ الرابعَ، فأخرجهم الله برسوله ﷺ من هذه الظلمةِ الحالكةِ، من عبادةِ الأوثان إلىٰ عبادة الرحمٰن فحقق هذا التوحيد تحقيقاً بالغاً بأن يكون العبدُ مخلصاً لله في قصده مخلصاً لله في محبته مخلصاً لله في تعظيمه مخلصاً لله في عمله مخلصاً لله في ظاهره وباطنه، إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ﴾ [الزمر: ٥٤]، ﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُواْ﴾ [الحج: ٣٤]، ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣]، وهكذا جاء كتابُ الله تعالىٰ وجاءت سنةُ رسول الله ﷺ بتحقيق هذا التوحيد وإخلاصه وتخليصه من كلِّ شائبةٍ. وسدَّ رسولُ الله ﷺ كلَّ طريقٍ وكلَّ بابٍ يمكن أن يُوصلُ منه إلىٰ ثلمِ هذا التوحيد أو النقص منه حتىٰ إنه جاءه رجل فقال له: ما شاء الله وشئت، فقال رسولُ الله ﷺ: **«أجعلتني لله نِداً قل ما شاء الله وحدَه»**[1] فمنع النبي ﷺ أن

---

(١) أخرجه أحمد ١/٢١٤، والنسائي في «السنن الكبرىٰ» (١٠٨٢٥) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

تُقرنَ مشيئتُه بمشيئةِ الله تعالىٰ بحرفٍ يقتضي التسويةَ وجعل ذلك من اتخاذ الند لله وحرم النبي ﷺ أن يحلفَ الرجلُ بغير الله وجعل ذلك من الشرك لأن الحلفَ بغير الله تعظيمٌ للمحلوف به بما لا يستحقه إلا الله تعالىٰ فقال ﷺ: **«من حلفَ بغير الله فقد كَفَرَ أو أشركَ»**(١) ولما سُئل عن الرجل يلقىٰ أخاه فيسلّم عليه أينحني له فقال ﷺ: **«لا»** فمنع من الانحناء عند التسليم لأن ذلك خضوعٌ لا ينبغي إلا لله ربِّ العالمين فهو سبحانه الذي له الركوع وله السجود.

وكان السجود عند التحية جائزاً في بعض الشرائع السابقة ولكن هذه الشريعة الكاملة منعت منه وحرمته لغير الله سبحانه، وفي الحديث أنَّ معاذَ بنَ جبل رضي الله عنه قدم الشام فوجدهم يسجدون لأساقفتهم وذلك قبل إسلامهم فلما رجع معاذ سجد لرسولِ الله ﷺ فقال: ما هذا يا معاذ؟ فقال: رأيتهم يسجدون لأساقفتهم وأنت أحقُّ أنْ يُسجَدَ لك يا رسولَ الله، فقال رسولُ الله ﷺ: **«لو كُنت آمراً أحداً أنْ يسجدَ لأحدٍ لأمرتُ المرأةَ أنْ تسجدَ لزوجِها من عِظم حقِّه عليها»**(٢). وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن ناساً قالوا: يا رسولَ الله يا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا فقال رسولُ الله

---

(١) أخرجه أحمد ٢/ ٦٩، وأبو داود (٣٢٥١)، والترمذي (١٥٣٥) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه أحمد ٣/ ١٥٨، والنسائي في «الكبرىٰ» (٩١٤٧)، وابن ماجه (١٨٥٣) من حديث أنس رضي الله عنه.

ﷺ: «قولوا بقولكم ولا يستهوينكم الشيطان أنا محمد عبد الله ورسوله ما أحب أنْ ترفعوني فوقَ منزلتي التي أنزلني اللهُ عزّ وجلّ»[(١)] وهكذا كان رسولُ الله ﷺ يحمي جانبَ التوحيد حمايةً كاملةً من أنْ يناله نقصٌ أو خلل ـ لا في الأقوال ولا في الأفعال ـ ولقد كانت بلادنا هذه من أبعدِ البلاد عن هذه الأمور بما من اللهُ به من الدعوة الصافية إلىٰ التوحيد التي أيدها الله تعالىٰ بحكامها المخلصين إلىٰ يومنا هذا ولله الحمد، فنسأل الله تعالىٰ أن يُصلح بهم أمورَ المسلمين، وأن يجعلَهم خيرَ قادةٍ لشعبهم وللإسلام وأهله، وأنْ يسدِّدَ خُطاهم ويحميهم من كلِّ سوءٍ وأن ينصرَهم بالإسلام وينصرَ الإسلامَ بهم إنه جوادٌ كريمٌ وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.



(١) أخرجه أحمد ٣/ ١٥٣، والنسائي في «الكبرىٰ» (١٢٥٧٣) من حديث أنس رضي الله عنه.

حقيقة الإيمان وعلاماته

الحمدُ لله الذي يقضي بالحق ويحكم بالعدل ويهدي من يشاءُ إلىٰ صراطٍ مستقيمٍ، يقدِّر الأمورَ بحكمةٍ، ويحكم بالشرائعَ لحكمةٍ وهو الحكيمُ العليم، أرسلَ الرسلَ مُبشرين ومُنذرين، وأنزل معهم الكتابَ ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، وليقوم الناسُ بالقسط ويؤتوا كلَّ ذي حقٍّ حقه من غير غلو ولا تقصير. وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمدُ وهو علىٰ كلِّ شيءٍ قدير وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله والتابعين لهم بإحسان إلىٰ يوم الدين وسلم تسليماً.

أما بعدُ، **أيها الناس**: اتقوا الله تعالىٰ وانصروا الله ينصركم وأطيعوه يُثِبْكم ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ۝ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤٠-٤١].

أيها الناسُ: إنَّ الإيمانَ ليس بالتمنّي ولا بالتحلِّي ولكن الإيمان ما وقرَ في القلبِ ورسَخَ فيه وصدقته الأعمالُ بفعلِ الطاعاتِ واجتناب المعاصي. إنَّ كلَّ واحدٍ يستطيع أنْ يقولَ إنه مسلم بل يرتقي إلىٰ أعلىٰ ويقول إنه مؤمن، كل واحد يستطيع أنْ يقولَ أشهدُ أنْ لا إله إلا الله وأشهدُ أنَّ محمداً رسول الله. المنافقون وهم في الدرك الأسفل من النار يذكرون الله. المنافقون يأتون إلىٰ النبي ﷺ

ويقولون نشهدُ إنك لرسول الله. المنافقون يحلفون للنبيِّ ﷺ وأصحابه إنهم لمنهم وما هم منهم ولكن كل هذه الشهادات والأيمان لم تنفعهم فهم في الدرك الأسفل من النار تحت كلِّ مُشرك وكل دهري وكل يهودي وكل نصراني، لأن هذه الشهادات والأيمان لم تصدر عن يقين وإيمان ولا عن قَبولٍ وإذعانٍ ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة: ٨] فالإيمانُ عقيدة راسخة قبل كلِّ شيءٍ تُنتج قولاً سديداً وعملاً صالحاً تُنتج الحبَّ لله ورسوله والإخلاص في توحيد الله واتباع رسوله ﷺ الإيمان جِدٌّ وعملٌ ومثابرةٌ ومصابرةٌ وحبسٌ للنفس علىٰ ما تكره من طاعة الله، ومنعٌ لها عما تحبُّ من معصية الله. إنَّ للإيمان علامات كثيرة ذكرها الله في كتابه وذكرها رسول الله ﷺ في سنته نذكر منها علىٰ سبيل المثال لا الحصر قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٢-٤]، ونذكر أيضاً قوله تعالىٰ: ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾[التوبة: ١٢٤-١٢٦].

فبالله عليكم أيها المسلمون مَنْ منا بهذه المثابة، مَنْ منا إذا ذكر الله وجِل قلبُه خوفاً من الله وتعظيماً له، مَنْ منا إذا تُليت عليهم آيات ربِّهم زادتهم إيماناً واستبشروا بها لما يجدون في نفوسهم من حلاوة التصديق بها والامتثال لأحكامها، مَنْ منا قام بتحقيق التوكل علىٰ الله والاعتماد عليه وعدم التعلق بالمخلوقين، مَنْ منا أقامَ الصلاةَ علىٰ الوجه المطلوب بالمحافظة عليها وإتقان حدودها، مَنْ منا قام بالإنفاق مما رزقه الله مِنْ بذلِ زكاةٍ وسدِّ حاجةِ الأهل والأقارب والمعوزين؟

لنفكر أيها الناس في حال المسلمين. إننا إذا فكرنا في حال المسلمين اليوم لا في هذه الجزيرة فحسب ولكن في جميع البلاد الإسلامية نجد مسلمين بلا إسلام ومؤمنين بلا إيمان إلا أن يشاء الله، نجد ذلك من القمة إلىٰ من لا يجد اللقمة. الكلُّ مقصرٌ والكلُّ غير قائم بما يجب عليه من حقوق لله تعالىٰ أو لعباد الله، إننا نجد في الأمةِ الإسلامية تقصيراً في الإيمان واليقين، ونجد تقصيراً في الأخلاق الفاضلة وحمايتها ونجد تقصيراً في الأعمال، إننا نجد تقصيراً في الإيمان واليقين لأننا نجد بعضَ الناس ولا سيما بعض من عاش فترةً في بلاد الكفر ونهل من صديد أفكارهم الملوثة وثقافتهم المزيفة نجد في هؤلاء مَنْ في قلوبهم شكٌ وريبٌ فيما أخبر الله به ورسوله من أمور الغيب، تجدهم في شك من وجود الملائكة وفي شك من وجود الجنِّ وفي شكٍّ من صحةِ رسالة

محمد ﷺ لا بل بعضهم في شك من وجود الله تعالىٰ وجود خالقه سبحان الله!! يشك في وجود خالقه ولا يشك في وجود نفسِه، إن كل من شكَّ في وجود الله يجب أنْ يشك في وجود نفسه أولاً لأنه لم يخلقه أحد سوىٰ الله عز وجل، نجد من المسلمين اليوم من إذا شُكر اللهُ عنده لم يتحرك قلبه أبداً ولا كأنَّ شيئاً ذُكر عنده فضلاً عن أنْ يوجَلَ قلبُه، نَجِدُ من المسلمين اليوم مَنْ إذا تُليت عليهم آيات الله لم يزدادوا إيماناً بل يزدادون رجساً إلىٰ رجسهم فيسخرون بها ويستكبرون عن أحكامها، نَجِدُ مِنَ المسلمين اليوم مَنْ لا يتوكلون علىٰ الله تعالىٰ وإنما يعتمدون علىٰ الأسباب المادية المحضة اعتماداً كلياً، ولهذا تجدهم لا يسيرون في طلب رزقهم علىٰ شريعة الله ظناً منهم أنَّ الأخذ بالطرق الشرعية يضيق موارد الرزق فلذلك تجدهم يسعون لتحصيل الرزق بكلِّ وسيلةٍ حلالاً كانت أم حراماً.

وتجد من المسلمين اليوم مَنْ اعتمد علىٰ أعداء الله في أمنه وسلامه حتىٰ آل الأمر بهم إلىٰ أن أطاعوهم في بعض الأمور المخالفة لشريعة الله تعالىٰ والله يقول: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ۙ ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ كَرِهُوا۟ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ ۖ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ [محمد: ٢٥-٢٨]، نَجِدُ هؤلاء الذين أطاعوا هؤلاء

الأعداء في بعض الأمور المخالفةِ للشريعة إنما سلكوا هذا المسلكَ المنحرف لضعفِ توكلهم علىٰ الله وقوة اعتمادهم علىٰ غيره، انبهروا من قوة هؤلاء الأعداء المادية فظنوا أنَّ كلَّ شيءٍ بأيديهم، ونسوا أنَّ الذي خلق هؤلاء هو أشدُّ منهم قوةً، وأن قوةَ هؤلاء المبهورين بهم لو أرادوها وجدوها في التوكل علىٰ الله تعالىٰ والأخذ بأسباب نصره من تطبيق دينه والتزام شريعته في أنفسهم وفيمن ولاهم عليه لأنهم إذا فعلوا ذلك كان الله معهم، ومن كان الله معه فلن يغلب ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَيْءٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر: ٤٤]، نجد من المسلمين اليوم من لا يقيمون الصلاة ولا يحافظون عليها فلا يصلون مع الجماعة ولا يأتون بشروطها وأركانها وواجباتها فلا يبالون بالطهارة أتقنوها أو فرطوا فيها ولا يُصلّون في الوقت ولا يطمئنون في القيام والقعود والركوع والسجود لا بل من الناس الذين قالوا إنهم مسلمون من لا يصلي بل منهم من يسخر ويستهزىء بمن يصلي. نَجِدُ من المسلمين من هو جَمَّاعٌ مَنَّاعٌ لا ينفق مما رزقَه الله، فلا زكاةَ ولا صدقةَ ولا إنفاق كاملاً علىٰ من يجبُ عليه الإنفاق عليه ومع ذلك تجده يبذل الكثيرَ من ماله فيما لا ينفعه بل فيما حرَّم الله عليه أحياناً.

إنَّ المسلمين اليوم في حالٍ يُرثىٰ لها، والشكوىٰ إلىٰ الله تضييعٌ لفرائض الله وتعدٍّ لحدود الله وتهاون في شريعة الله، ونسيانٌ لذكره وأمن من مكره، واعتناء بما خلق لهم وغفلة عما خُلقوا له، ولهذا

سُلِّط عليهم أعداؤهم فاستذلوهم واستهانوا بهم وتلاعبوا بهم سياسياً واقتصادياً حتىٰ صاروا كالذي ينعِقُ بما لا يسمع إلا دعاءً ونداء صم بُكم عُمي فهم لا يعقلون، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

اللهم إنا نسألك في مقامنا هذا وفي انتظار فريضةٍ من فرائضك التي مننتَ بفرضها علينا نسألك بأنا نشهدُ أنك أنْتَ اللهُ لا إله إلا أنتَ الأحدُ الصمدُ الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، يا مَنَّان يا بديعَ السمٰوات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، يا حيُّ يا قيوم، نسألك أنْ تحبِّبَ إلينا الإيمانَ وتزينه في قلوبنا وترسخه فيها وأن تكرِّه إلينا الكفرَ والفسوقَ والعصيان وتباعدها عنا وأن تهيىء للأمة الإسلامية مِنْ أمرها رشداً وولاةً صالحين يقضون بالحقِّ وبه يعدلون لا يخافون في الله لومة لائمٍ لا يُحابون قريباً لقربه ولا قوياً لقوته، وأنْ تحفظ علينا ديننا وتثبتنا عليه إلىٰ الممات إنك جواد كريم.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.



الإيمان والعمل الصالح

الحمدُ للهِ الربِّ الغفورِ العَفُوِّ الرؤوفِ الشكور، الذي وَفَّقَ مَنْ شاء مِنْ عبادِه لتحصيلِ المكاسبِ والأجورِ، فحققوا الإيمانَ والعملَ الصالحَ يرجون تجارةً لن تبورَ، ليُوفِّيَهم أجورَهم ويزيدَهم من فضلِه إنه غفورٌ شكورٌ، ونشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له في الألوهيةِ وتدبيرِ الأمورِ، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، أفضلُ آمرٍ ومأمورٍ، صلىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آله وأصحابِه والتابعين لهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ البعثِ والنشور، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ فإنَّ تقوىٰ اللهِ سببٌ لخير الدنيا والآخرة، كُلٌّ منا يسعىٰ في أسبابِ الطمأنينة والراحةِ والحياةِ الطيبةِ الهادئةِ، لكنَّ ذلك لا يَحْصُلُ إلا بشيئين، الإيمانِ والأعمالِ الصالحةِ، قال اللهُ تعالىٰ: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ٩٧] لقد وَعَدَ اللهُ مَنْ جَمَعَ بين الإيمانِ والعملِ الصالحِ الحياةَ الطيبة في هذه الدار والفوزَ بالأجرِ العظيمِ في دارِ القرارِ، فإن سألتم عن الإيمانِ فإنه هو الإقرارُ المبنيُّ علىٰ الاعتقادِ الجازمِ واليقينِ بأنه لا إلهَ إلا اللهُ الملكُ الحقُّ المبينُ وما يتبعُ ذلك من الامتثالِ والإذعانِ والقيامِ بحقوقِ اللهِ وحقوقِ مَنْ له حقٌّ مِنَ

الأقاربِ والأصحابِ والجيرانِ، وكُلُّ قولٍ أو فِعْلٍ يُقَرِّبُ إلىٰ اللهِ فهو من الأعمالِ الصالحةِ، وكُلُّ تركٍ لما يُثَابُ الإنسانُ علىٰ تركِه من الفسوق والكفرِ والعصيانِ، فذلك من الأمورِ النافعةِ، لا تحسبن الحياةَ الطيبةَ مُجَرَّدَ التمتعِ بالشهواتِ والنيل مِنْ عرضِ الدنيا وتشييدِ المنازلِ المزخرفات، إنما الحياةُ الطيبةُ راحةُ القلوبِ وطَمَأْنِينتُها وسُرورُها بطاعةِ الله وذِكْرِه وبهجتُها، إنّما الحياةُ الطيبة هي الانطباعُ بحُسْنِ الأخلاقِ وانشراحِ الصدورِ وسَعَتِها وتطهيرِها من رِجْسِ الحَسَدِ والحِقْدِ وسُوءِ النيةِ، لا حياةَ طيبةً لغير الطائعين، ولا لَذةَ ولا سُرورَ إلا للذاكرينَ اللهَ تعالىٰ والمُخْبِتين، المطيعُ مسرورٌ بما يَرْجُوه من الثوابِ في هذه الدنيا وفي الآخرة، والمُعرضُ سَكِرٌ بلذاتِه وشهواتِه وسوف يضيق حينَ يبوءُ بالصفقةِ الخاسرةِ، المطيعُ فَرِحٌ مُنشرحُ الصدرِ في جميعِ الأوقاتِ والحالات، والمُعرضُ صدرُه ضَيِّقٌ حَرَجٌ كأنما يَصَّعدُ في السموات، لقد قال المُتَنَعمون بطاعةِ اللهِ الراغبون بما لديه، قالوا: لو عَلِمَ الملوكُ وأبناءُ الملوكِ ما نحن فيه من الأُنْسِ والسُرورِ لجالدونا عليه كيف يَطِيبُ العيشُ لمَنْ أعرضَ عن الله؟ وكيف يحصلُ الأُنسُ لمَنِ اسْتولىٰ علىٰ قلبه الغفلةُ عن ذِكْرِ الله؟ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ

حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ
تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾
[طه: ١٢٣-١٢٧].

وفقي الله وإياكم للإيمانِ والأعمالِ الصالحةِ وأحيانا حياةً طيبةً مطمئنةً هادئةً، ورزقنا طُولَ العمرِ وحُسنَ الخاتمةِ إنه سميعٌ عليمٌ قريبٌ مجيبٌ.

* * *

التحذير من النفاق وأهله

الحمدُ للهِ العلي الكبير، اللطيف الخبير يعلمُ خائنةَ الأعينِ وما تُخفِي الصدورُ، يقضي بالحقِّ ويكشفُ المستورَ، أنزل في كتابه علىٰ نبيه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [التوبة: ٧٣] وأشهدُ أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو علىٰ كلِّ شيءٍ قديرٍ وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه، الذي بلَّغ الرسالةَ، وأدىٰ الأمانةَ علىٰ وَجْهِ الكمالِ. صلّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آله وأصحابِه والتابعين لهم بإحسانٍ ما تعاقبتِ الأيامُ والليالي وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ، واحذروا النفاقَ والمنافقين، احذروا النفاقَ فإنه بِئْسَ البضاعةُ، واحذروا المنافقين فإنهم هم العدوُّ للمؤمنين إلىٰ قيامِ الساعةِ. إنَّ النفاقَ مرضٌ وبَيْلٌ فتَّاكٌ قاتِلٌ، إنه طمْسٌ للحقائق وبَثٌّ للخيانةِ والخِدَاعِ، وتَلْبِيسٌ للأمور. إنّ النفاقَ أنْ يتظاهَرَ المرءُ بالخيرِ وقلبُه منطوٍ علىٰ الشر، يتظاهرُ بالإيمان وهو كافرٌ، يتظاهرُ بالعفافِ وهو فاجرٌ، يتظاهرُ بالصدقِ وهو كاذب، يتظاهرُ بالوفاءِ وهو غادرٌ، يتظاهرُ بالنُّصْحِ وهو ماكرٌ، يتظاهرُ بالصداقة وهو عَدُوٌّ، يتظاهرُ بالصلاحِ وهو فاسدٌ يتظاهرُ بالإصلاحِ وهو مُفسِدٌ. ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ ۝١٤ ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ وَيَمُدُّهُمۡ

﴿فِي طُغْيَنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [البقرة: ١٤-١٥]، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ۝ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١١-١٢].

لقد كشفَ اللهُ تعالىٰ أستارَ المنافقين وفضَحَهم، وبيّن صفاتِهم وأعمالَهم، ليكونَ المؤمنُ منها ومنهم علىٰ حَذَرٍ، وبيّن جزاءَهم في الآخرة، وأنهم في نارِ جهنَّمَ، حتىٰ إنه تعالىٰ يُقدِّمُ ذكرَهم علىٰ ذكرِ الكافرين في عقابِهم في النارِ. كما في قوله: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [التوبة: ٦٨]، وفي قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٤٠]، وفي قوله: ﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ﴾ [الفتح: ٦]، وقوله: ﴿لِّيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ﴾ [الأحزاب: ٧٣].

ولقد عقدَ ابنُ القيِّمِ رَحِمَه الله تعالىٰ فصلاً في المنافقين في كتابه مدارج السالكين[١] ننقل منه ما تيسر، قال رَحِمَه اللهُ: وقد هتكَ اللهُ أستارَ المنافقين وكشف أسرارهم في القرآن وجَلّىٰ لعبادِه أمورَهم ليكونوا منها ومن أهلها علىٰ حَذَرٍ فذكر طوائفَ العالَمِ الثلاثَ في أول سورة البقرة. فذكر في المؤمنين أربعَ آياتٍ، وفي

---

(١) انظر «مدارج السالكين» ١/ ٣٤٧-٣٥٨.

الكافرين آيتين، وفي المنافقين ثلاثَ عَشْرةَ آيةً لكثرتِهم وعمومِ الابتلاءِ بهم، وشدةِ فتنتِهم على الإسلامِ وأهلِه. فإنَّ بليةَ الإسلامِ بهم شديدةٌ لأنهم منسوبون إليه وإلىٰ نصرتِه وموالاتِه وهم أعداؤُه في الحقيقة. فكَمْ مِنْ مَعْقِلٍ للإسلام هَدَمُوه، وكَمْ مِنْ حِصْنٍ قَلَعُوا أساسه وخَرَّبُوه. فلا يزالُ الإسلامُ وأهلُه منهم في محنةٍ وبَليَّةٍ، ولا يزالُ يَطْرُقُه من شُبَهِهم سَرِيةٌ بعد سَرِيةٌ.

اتفقوا علىٰ مفارقةِ الوحيِ فَهُمْ علىٰ تَرْكِ الاهتداءِ به مُجْتمعون. يُوحِي بعضُهم إلىٰ بعضٍ زُخْرُفَ القولِ غُرُوراً، ولأجل ذلك اتخذوا هذا القرآنَ مهجوراً لَبسُوا ثيابَ أهلِ الإيمان علىٰ قلوبِ أهلِ الزَّيْغِ والخسران. فالظواهرُ ظواهرُ الأنصار، والبواطنُ قد تَحَيَّزَتْ إلىٰ الكفار، ألسنتهم ألسنةُ المسالمين، وقلوبُهم قلوبُ المحاربين. رأسُ مالهم الخديعةُ والمكرُ، وبِضَاعتُهم الكذبُ والخَتْرُ. لكلٍّ منهم وجهان: وَجْهٌ يَلْقَىٰ به المؤمنين، ووَجْهٌ ينقلبُ به إلىٰ إخوانِه من الملحدين. لهم علاماتٌ يُعرفون بها، مُبيَّنةٌ في السنةِ والقرآن، باديةٌ لمن تَدبَّرَها من أهلِ بصائرِ الإيمان. يتربصون الدوائرَ بأهلِ السنةِ والقرآن. أوامرُهم التي يأمرون بها أتباعَهم متضمنةٌ لفسادِ البلادِ والعباد، ونواهِيهم عما فيه صلاحُهم في المعاشِ والمعاد، وأَحَدُهم تلقاه بينَ جماعةِ أهلِ الإيمانِ في الصلاة والذكرِ والزهدِ والاجتهاد، وإذا تولَّىٰ سعىٰ في الأرضِ ليُفْسِدَ فيها ويُهْلِكَ الحرثَ والنسلَ واللهُ لا يحب الفساد.

إنْ حَاكَمْتَهم إلىٰ صريحِ الوحي وجدتهم عنه نافرين، وإنْ دَعَوْتَهم إلىٰ حُكْمِ كتابِ الله وسنةِ رسولِه ﷺ، رأيتَهم عنه معرضين ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴾ [النساء: ٦١]، تباً لهم ما أبعدَهُم عن حقيقةِ الإيمان! وما أكْذَبَ دعواهم للتحقيق والعرفان! فالقومُ في شَأْنٍ وأتباعُ الرسولِ في شَأْنٍ، لقد أقْسَمَ اللهُ تعالىٰ في كتابِه بنفسِه المقدسةِ قَسَماً عظيماً، فقال: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥] أحْسَنُ الناسِ أجساماً، وأحلاهم لساناً، وألطفُهم بياناً، وأخبثُهم قلوباً، وأضعفُهم جَناناً. فهُمْ كالخُشُبِ المُسَنَّدَةِ التي لا ثَمَرَ لها، قد قُلِعَتْ من مَغَارِسِها فتَسانَدَتْ إلىٰ حائطٍ يُقيمُها لئَلاَّ يَطَأها السالكون. ﴿ ۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُواْ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [المنافقون: ٤]، أسَرُّوا سرائرَ النفاقِ فأظهرَها اللهُ علىٰ صفحات الوجوهِ منهم، وفَلَتاتِ اللسانِ، ووَسَمَهم لأجلِها بسِيمَا لا يَخْفَوْنَ بها علىٰ أهلِ البصائرِ والإيمان ﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ ﴾ [محمد: ٣٠].

فيا أيها المسلمون: احذروا النفاقَ، واحذروا المنافقين، لا تركبوا رِكَابَهم، لا تَلْهَثُوا وراءَهم، فلقد أنزلَ اللهُ تعالىٰ في ذَمِّهم

وبيان صفاتِهم وأعمالِهم آياتٍ كثيرةً، في سُوَرٍ عديدةٍ، حتىٰ أنزلَ فيهم سورةً كاملةً قال فيها: ﴿هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ﴾ [المنافقون: ٤] أنزل فيهم آياتٍ في سورة البقرةِ وفي آلِ عمران، وفي النساءِ وفي الأنفال. وفي سورة التوبةِ آياتٌ كثيرةٌ حتىٰ سمَّاها بعضُ السلفِ سورةَ الفاضحةِ، وفي سورة العنكبوتِ وفي سورةِ الأحزاب، وفي سورة الفتحِ، وفي سورةِ التحريم. ففكِّر في نفسِك أيها المسلمُ هل فيك شيءٌ من صفاتِهم وأعمالِهم؟ إن كان الجوابُ بالإثباتِ فعليك أنْ تتوبَ إلىٰ اللهِ منه قبلَ أن يفجأك الموتُ، قبل أنْ تُلاقِيَ ربَّك، قبل أنْ يُحالَ بينَك وبينَ التوبةِ، فتقولَ في جواب الملكين في القبر: هَاهْ هَاهْ لا أدري، سمعتُ الناسَ يقولون شيئاً فقلْتُه، قبل أن يَحِقَّ عليك قولُ الله عزَّ وجل: ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ [التوبة: ١٠١].

ثم فكِّر أيها المسلمُ هل فيك شيءٌ من أخلاقِهم مِن الكذبِ أو غيرِه. فلقد ثبت عن النبي ﷺ، أنه قال: «آيةُ المنافق ثلاثٌ: إذا حدَّثَ كَذَبَ، وإذا وعدَ أخلف وإذا اؤْتُمِنَ خَانَ»[١]. فاحذرْ أيها المسلمُ أن تَتَّصِفَ بشيءٍ من هذه الصفاتِ السيئةِ فتنتقلَ من النفاقِ العَمَلِيِّ إلىٰ نفاق الاعتقاد. كُنْ صادقاً مع اللهِ بالإخلاص له، كُنْ

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣)، ومسلم (٥٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

صادقاً مع رسولِ اللهِ ﷺ، بتحقيقِ متابعتِه، كُنْ صادقاً مع المسلمين بمَحَبَّتِهم والنصحِ لهم، وأنْ لا يُخَالِفَ باطنُك ظاهرَك.

اللهم اجعلنا مخلصين لك، متبعين لرسولك، ناصحين لعبادِك اللهم ربَّنا آتنا في الدنيا حسنةً وفي الآخرة حسنةً وقِنَا عذابَ النار. اللهم صَلِّ علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد كما صليت علىٰ إبراهيم وعلىٰ آل إبراهيم إنك حميدٌ مجيدٌ، وبارك علىٰ محمدٍ وعلىٰ آل محمد كما باركت علىٰ إبراهيمَ وعلىٰ آل إبراهيمَ، إنك حميدٌ مجيدٌ.

* * *

التحذير من أعداء الإسلام

إنَّ الحمدَ للهِ نَحْمَدُه ونستعينُه، ونستغفرُه ونتوبُ إليه، ونعوذُ باللهِ من شرورِ أنفسِنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِه اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هادِيَ له. وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه. صلىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آله، وأصحابِه، ومَنْ تَبِعَهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدين، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا اللهَ تعالىٰ، واشكروه علىٰ ما أنعمَ به عليكم من نعمةِ الإسلام، التي لا يعادلها نعمةٌ. تلك النعمةُ التي ضَلَّ عنها أكثرُ الناسِ، وهداكم اللهُ إليها، تلك النعمةُ التي عِشْتُمْ عليها وعاش عليها آباؤُكم وأجدادُكم، فلم يَجْرِ علىٰ بلادِكم وللهِ الحمدُ استعمارُ مستعمرٍ جاس خلالَ الديارِ بجنودِه وعتادِه، فخرب الديارَ وأفسدَ الأديانَ، ودمر الأخلاقَ، وحرَّفَ الأفكارَ.

اشكروا اللهَ تعالىٰ علىٰ هذه النعمةِ، وحافظوا عليها، واسألوا اللهَ الثباتَ عليها، وإياكم أنْ تتعرَّضُوا لما يُزِيلُها، ويَسْلُبها عنكم، فتَخْسَرُوا دنياكم وأخراكم.

أيها المسلمون: إنَّ دينَكم دينَ الإسلام، منذ بزغت شمسُه، وتألق نجمه. وأعداؤه الذين هم أعداؤكم، يحاولون القضاءَ عليه بكل ما يستطيعون من قوةٍ. ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٢]،

فلقد حاول هؤلاءِ الأعداءُ أنْ يَقْضُوا عليه في عهدِ النبي ﷺ، ثم في عهدِ خلفائه الراشدين، ثم في العصورِ التالية إلىٰ وقتنا هذا، بالسلاح الذي يَرَوْنَه مناسباً لهم، فكرياً كان، أم خلقياً، اقتصادياً كان أم عسكرياً. ولسنا نُجَازِفُ حينما نقولُ ذلك، ولسنا نَتخرَّصُ، ولكن نقولُ ذلك بشهادةِ الله تعالىٰ، بوحيه الذي جاء به محمد ﷺ، وبقَدَره الذي أثبته التاريخ.

وإنَّ هذه المحاولةَ للقضاءِ علىٰ دينِكم دينِ الإسلام ليست من صِنْفٍ واحدٍ من أصنافِ الكفرةِ، بل من كلِّ الأصنافِ، من المشركين، من اليهود، من النصارىٰ، من المنافقين، من سائرِ الكفار.

اسمعوا ما قال اللهُ عن المشركين: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢١٧]، اسمعوا قولَ اللهِ تعالىٰ عن اليهودِ والنصارىٰ: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٢٠].

وكانوا يدعوننا إلىٰ ملتِهم، ويُمَوِّهُون فيها: ﴿وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِۦمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [البقرة: ١٣٥]. اسمعوا قولَ الله تعالىٰ عن المنافقين: ﴿۞ فَمَا لَكُمْ فِى

ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓا۟ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا۟ مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾ وَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا۟ فَتَكُونُونَ سَوَآءً﴾ [النساء: ٨٨-٨٩].

واسمعوا ما قال اللهُ عن سائرِ الكافرين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٩-١٥٠].

أيها المسلمون: هذه شهادةٌ من اللهِ تعالىٰ علىٰ أعدائكم بما يتمنَّوْنَهُ لكم، ويُريدُونه منكم، ويدعونكم إليه مِنْ صَدِّكم عن دينِكم وموافقتِهم علىٰ كفرِهم. فأيُّ شهادةٍ أكبرُ وأعظمُ من شهادةِ الله؟ أيُّ شهادةٍ أصدقُ من شهادةِ اللهِ. أيُّ شهادةٍ أراد بها الشاهدُ خيراً أبلغُ من شهادةِ اللهِ؟ إنَّ شهادةَ اللهِ تعالىٰ شهادةُ صِدْقٍ مِنْ عالِمٍ بالخَفيَّات ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩] إنها شهادةٌ مِمَّنْ يُريدُ لكم الهدايةَ دونَ الضلالِ. ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ﴾ [النساء: ١٧٦].

أيها المسلمون: إنَّ التاريخَ في ماضيه لَيُثْبِتُ ما قرَّره اللهُ تعالىٰ في هذه الآياتِ الكريمات، فإياكم أنْ تنخدعوا بما عليه أعداؤكم من الكفرِ باللهِ ورسلِه، وانحلالِ الأخلاقِ، وفسادِ الأفكار، وإنْ زيَّنوا ذلك في أعينِكم وسهَّلوه في نفوسِكم.

ولقد اغترّ كثيرٌ من الناسِ اليوم بما عليه هؤلاءِ الأعداءُ من القوةِ الماديةِ، فصاروا يُداهِنونَهم ويتودّدون إليهم، مَع أنَّ اللهَ تعالىٰ يقول: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [المجادلة: ٢٢].

ومن ذلك أنَّ بعضَ الناسِ يُهَنِىءُ هؤلاءِ الكفارَ بأعيادِهم الدينية، وهذا حرامٌ بالاتفاق. قال ابنُ القيمِ رحمه اللهُ في كتابه (أحكام أهل الذمة): وأما التهنئةُ بشعائرِ الكفرِ المختصة به، فحرامٌ بالاتفاق، مثل أن يهنئهم بأعيادِهم وصومِهم، فيقول: عيدٌ مباركٌ عليك، أو تَهْنَأُ بهذا العيد ونحوه. فهذا إن سَلِمَ قائلُه من الكفرِ فهو من المحرمات، وهو بمنزلة أن يُهَنِّئَهُ بسجودِه للصليب، بل ذلك أعظمُ إثماً عندَ الله، وأشدُّ مقتاً من التهنئةِ بشُرْبِ الخمر، وقتلِ النفس، وارتكابِ (يعني انتهاك) الفرجِ المحرم، ونحوه. قال: وكثيرٌ ممن لا قَدْرَ للدينِ عندَه يقعُ في ذلك، ولا يَدْري قُبْحَ ما فعلَ، فمَنْ هَنَّأَ عبداً بمعصيةٍ، أو بِدْعةٍ، أو كُفرٍ فقد تعرض لمَقْتِ اللهِ وسَخَطِه. . . اهـ كلامه.

أيها المسلمون: إنَّ تهنئةَ الكفارِ بأعيادِهم الدينيةِ، وشعائرِهم الدينية، تُعَبِّرُ عن إقرارِهم والرضا بما هم عليه من الكفرِ. بل وإدخالِ السرورِ عليهم، بما رَضُوه لأنفسِهم من الكفرِ باللهِ ورسلِه. وهذا خطرٌ عظيمٌ، وإن كان المهنِّىءُ لهم لا يرضىٰ أن يكونَ علىٰ ملتِهم، وذلك أن الرضا بكفرِ الغيرِ رضا بما لا يرضاه اللهُ تعالىٰ،

فإنَّ اللهَ تعالىٰ لا يرضىٰ بدين سوىٰ دينِ الإسلام، كما قال الله تعالىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]، وقال: ﴿إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر: ٧]. فكيف يرضىٰ المؤمنُ بدينٍ أو بشعائرِ دينٍ لا يرضاه اللهُ عزَّوجل؟ وكيف يُدْخِلُ السرورَ علىٰ قومٍ في إقامتِهم شعائرِ دينٍ لا يرضاه اللهُ عز وجل؟

وإذا كانت تهنئتُنا إياهم بأعيادِهم الدينيةِ حراماً، فإنهم لو هَنَّؤونا هم بها، فإنا لا نُجيبُهم لأنها ليست بأعياد لنا. ولأنها أعيادٌ لا يرضاها اللهُ عز وجل، لأنها غيرُ شرعيةٍ، فهي إما بدعيةٌ في دينهم لم يشرعها الله أصلاً، وإما مشروعةٌ في دينهم، لكنْ نُسِخَتْ بدينِ الإسلامِ الذي بعث اللهُ به محمداً ﷺ إلىٰ جميع الناس، وفرض عليهم اتباعَه، وقال عنه: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥]، وقال النبي ﷺ: **«والذي نفسُ محمدٍ بيدِه، لا يسمعُ بي أحدٌ من هذه الأمة** (يعني أمة الدعوة) **يهوديٌّ ولا نصرانيٌّ، ثم يموتُ ولم يؤمنْ بالذي أُرسِلْتُ به، إلا كان من أصحاب النار»** رواه مسلم(١).

---

(١) أخرجه مسلم (١٥٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ولا يحلُّ للمسلمِ أنْ يُجيبَ دعوتَهم إلىٰ حضورِ هذه الأعياد، لأن هذا أعظمُ من تهنئتِهم بها، لأن ذلك مشاركةٌ لهم فيها، ولا يحلُّ للمسلمِ أن يَتَشَبَّه بهم بإقامة الحفلات بهذه المناسبة، أو تبادلِ الهدايا أو توزيعِ الحلوىٰ، أو أطباقِ الطعام، أو تعطيلِ الأعمالِ ونحو ذلك. لقول النبي ﷺ: «**من تشبه بقوم فهو منهم**»(١).

قال شيخُ الإسلام ابنُ تيميةَ: أقلُّ أحوالِ هذه الحديث التحريمُ وإن كان ظاهرُه يقتضي كُفْرَ المتشبِّه بهم. وقال: مشابهتُهم في بعض أعيادِهم توجبُ سرورَ قلوبِهم بما هم عليه من الباطل، وربما أطمعهم ذلك في انتهاز الفُرَص، واستذلالِ الضعفاء.. اهـ كلامه.

فمن فعلَ شيئاً من ذلك فهو آثمٌ سواءٌ فعلَه تودُّداً، أو مجاملة، أو حياءً، أو لغير ذلك من الأسباب. فإنها من المداهنةِ في دينِ الله تعالىٰ، ومن أسبابِ تقويةِ الكفارِ، واعتزازِهم واغترارِهم بدينِهم. فاحذروا أيها المسلمون ما حذركم اللهُ ورسولُه منه، واتقوا اللهَ لعلكم تفلحون، واتقوا النارَ التي أعدت للكافرين، وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون.

اللهم أعِزَّنا بدينِك، وأعِزَّ دينَك بنا. اللهم اجعلنا أشداءَ علىٰ الكفارِ، رحماءَ بينَنا. اللهم صلِّ وسلِّمْ علىٰ عبدِك ورسولِك محمدٍ وعلىٰ آلِه وصحبِه وأتباعِه، إلىٰ يومِ الدين.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٠٣١)، وأحمد ٢/ ٥٠ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

الحثُّ على الإحسان

الحمدُ لله الذي يَجْزِي المحسنين بالإحسانِ ويَقْبَلُ من التائبين فيشملهم بالعفوِ والغفرانِ، ونشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه، لا شريكَ له الملكُ الرحيمُ الرحمٰنُ، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، المبعوثُ بأكملِ الشرائعِ والأديانِ الذي قام بالإحسانِ في عبادةِ ربِّه والإحسانِ إلىٰ خلقِه ما استطاع صلىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وصحبِه والتابعين لهم بإحسان وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها المؤمنون: اتقوا اللهَ تعالىٰ وأحسنوا إنَّ اللهَ يُحبُّ المحسنين، فالمحسنُ محبوبٌ عندَ اللهِ وعندَ الخَلْقِ، والإحسانُ إحسانٌ في عبادةِ اللهِ وإحسانٌ إلىٰ عباد اللهِ، فأما الإحسانُ في عبادةِ اللهِ فمعناه أن يعبدَ الإنسانُ ربّه عبادةً مبنيةً علىٰ معرفةِ اللهِ وحُبِّه وتعظيمِه، وأن يتَّبِعَ في ذلك ما جاء به النبيُّ ﷺ غيرَ زائدٍ فيه ولا ناقصٍ عنه، يعبدُ اللهَ كأنه يراه فلا يتركُ أمرَه، ولا يتجرأُ علىٰ نَهْيِه، فاللهُ تعالىٰ خلقَنا ورزقَنا عَقْلاً وفَهْماً وعِلْماً وفَضَّلنا على كثيرٍ من العالمين، ونحن عبيدُه والفقراءُ إليه، فعلينا أن نقومَ بحقِّ هذه العبودية، فالعبدُ لا يتجاوزُ أوامرَ سيدِه ولا يعصِيه وعلينا أن نعرفَ هذا الافتقارَ إليه فلا نعتمدُ علىٰ حَوْلِنا وقُوتِنا، بل نستعينُ به في جميعِ أمورِنا ونلجأُ إليه، وأما الإحسانُ إلىٰ عبادِ اللهِ فهو بَحْرٌ لا ساحلَ له، فالعالِمُ يحسنُ إلى الناس، ببثِّ عِلْمِه بينَهم من غير

كتمانٍ، سالكاً في ذلك أقربَ الطرق إلى تفهيم الناس وهدايتهم، وإذا سُئِلَ عن مسألةٍ أجاب عنها بما يرىٰ أنه الحقُّ مستنداً في ذلك إلىٰ ما يعرفه من الكتابِ والسنة، فإن كان لا يعلمُ أرشدَ السائلَ إلىٰ مَنْ هو أعلمُ، أو أمَرَه أن ينتظرَ حتىٰ يَعْرِفَ الحكم الشرعيَّ، والغنيُّ يُحسِنُ إلىٰ الناسِ بماله فيتصدقُ علىٰ الفقيرِ، ويُنْظِرُ المُعْسِرَ أو يَضَعُ عنه ويُساهِمُ في المشاريع النافعة، ونِعْمَ المالُ الصالحُ للرجلِ الصالح، واعلموا أيها المؤمنون أنَّ الإنسانَ إذا أنفقَ نفقةً يبتغي بها وَجْهَ اللهِ كان له بذلك أجرٌ، حتىٰ اللُّقمةَ التي يُنفِقُها علىٰ زوجتِهِ وأهلِه إذا ابتغىٰ بها وَجْهَ اللهِ أُثِيبَ عليها فلله الحمدُ والمِنَّةُ، وصاحبُ الجاهِ والكلمةِ المسموعةِ يُحْسِنُ إلىٰ الناسِ بالتوسطِ لهم فيما ينفعُهم في المواضعِ التي تُقْبَلُ فيها وَسَاطَتُه، فذلك من الإحسانِ إلىٰ عبادِ الله، ومَنِ استطاعَ أن ينفعَ الناسَ ببدنِه بالكتابةِ لمن لا يُحسنُ الكتابةَ ومساعدةِ مَنْ يستحقُ المساعدةَ، فليفعلْ فإن ذلك من الإحسانِ حتىٰ إنَّ الرجلَ إذا أخرجَ الماءَ من البئرِ لمَنْ لا يَقْدِرُ علىٰ إخراجه، أو حَمَلَ مع الإنسانِ علىٰ دابتِه أو ساعدَه علىٰ حَمْلِ شيءٍ علىٰ رَأْسِه فإن ذلك من الإحسان والصدقات.

واعلموا أيها المؤمنون: أن مَنْ رزقَهُ اللهُ عِلْماً أو مالاً أو جاهاً فأحسن به إلىٰ عبادِ اللهِ فإن المِنَّةَ فيه والفضلَ للهِ وحدَه، هو الذي مَنَّ به وأعطاه، وهو الذي مَنّ علينا فأمرنا بالإحسانِ كما أحسنَ، لنَحُوزَ بذلك ثوابَه ورِضَاهُ، وهو الذي مَنّ علينا أيضاً فهدانا ووفَّقَنا

لطريقِ الإحسان، فَكَمْ مِنْ إنسانٍ يتمنىٰ العلمَ والمالَ والجاهَ لينفعَ به الخلقَ ولا يحصلُ له، لكن هذا يُثابُ علىٰ حَسَبِ نيتِه، وكَمْ مِنْ إنسانٍ عنده علمٌ أو مالٌ أو جاهٌ لكنه لم يُوفَّقْ لِنَفْعِ الناسِ به، فالفضلُ بيدِ الله يؤتيه مَنْ يشاءُ واللهُ ذو الفضلِ العظيم. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٥]. .

بارَكَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.



التوكلُ علىٰ الله

الحمدُ لله أحْمَدُهُ وأشكرُهُ، وأتوبُ إليه، وأستغفرُه، يقضي بالحقِ ويأمرُ بالعدل ونعوذُ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له وأشهدُ أنْ لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه. صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدين، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعدُ، **أيها الناس**: إنكم تقرؤون في كلِّ صلاةٍ مفروضةٍ قولَ اللهِ عزَّ وجلَّ: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة: ٥]، ومعناها أنَّ اللهَ وحدَه هو المعبودُ، وأنَّ اللهَ وحدَه هو المستعانُ. وتقرؤون قولَ الله عَزَّ وجل: ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ﴾ [هود: ١٢٣]، ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة: ٢٣]، وتقرؤون قول الله تعالىٰ: ﴿ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٠]، وتقرؤون قول الله تعالىٰ: ﴿ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [الزمر: ٣٨]، وتقرؤون قول الله عز وجل: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴾ [الطلاق: ٣]، وتقرؤون قولَ الله تعالىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا

ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٣-١٧٥].

وتقرؤون أمثالَها كثيراً في كتابِ اللهِ تعالىٰ، مما يدل دلالةً واضحةً على أنَّ من مقتضىٰ الإيمان، ومِنَ الواجبِ علىٰ المؤمن، أن يكونَ اعتمادُه علىٰ الله، كما أنه لا يَعْبُدُ إلا اللهَ وحدَه، وأن لا يعتمدَ علىٰ نفسه، ولا علىٰ أحدٍ سِوىٰ ربِّه، الذي بيده ملكوتُ كلِّ شيءٍ، وإليه يُرْجَعُ الأمرُ كلُّه. فإنه إنْ وُكلَ إلىٰ نفسِه وُكِلَ إلىٰ ضَعْفٍ وعَجْزٍ وعورة ولقد جاءت السنةُ بما يطابق هذه الآيات وشهد الواقع بذلك.

أما السنةُ فمنها: حديثُ عبدِ الله بنِ عبّاسٍ رضِيَ اللهُ عنهما قال: كنت خَلْفَ النبي ﷺ، يوماً فقال: «**يا غلامُ إني أعلمُك كلماتٍ: احفظِ اللهَ يحفظك، احفظِ اللهَ تجدْهُ تُجاهَك، إذا سألتَ فاسألِ اللهَ، وإذا استعنتَ فاستعِنْ بالله، واعلمْ أنَّ الأمةَ لو اجتمعتْ علىٰ أن ينفعوك بشيءٍ لم ينفعوك إلا بشيءٍ قد كتبَه اللهُ لك، وإن اجتمعوا علىٰ أنْ يضروك بشيءٍ لم يضروك إلا بشيءٍ قد كتبه اللهُ عليك، رُفِعَتْ الأقلامُ، وجَفَّتِ الصحف**»[1] رواه الترمذيُّ، وقال: حديثٌ صحيحٌ، وقال ابنُ رَجَبٍ: طريقُه حسنةٌ جيدةٌ.

---

(١) أخرجه أحمد ١/ ٢٩٣ و٣٠٣ والترمذي (٢٥١٦).

وأما الواقعُ فمنه: أنَّ النبيَّ ﷺ، لما فتحَ مكةَ في رمضان، في السنةِ الثامنةِ من الهجرةِ بنحوِ عَشرةِ آلافِ مُقاتلٍ، خرجَ إلىٰ غَزْو ثقيفَ في الطائف بمَنْ معه وانضم إليهم ألفانِ من أهل مكة، فصاروا اثْنَيْ عَشَر ألفاً، فأعْجَبَ بعضَ الناس هذا العددُ وقالوا: لن نُغْلَبَ اليومَ عن قلةٍ. فماذا كان بعدَ هذا الإعجاب؟

لما انحدرَ المسلمون في وادي حُنَيْنٍ وجَدُوا العدوَّ قد كَمَنُوا فيه، وشَدّوا علىٰ رسولِ الله ﷺ، وأصحابِه شِدَّةَ رجُلٍ واحدٍ، ففرَّ الناسُ لا يَلْوِي أحدٌ علىٰ أحدٍ ولم يَبْقَ مع رسولِ الله ﷺ إلا نفرٌ قليلٌ إلا مئةٌ أو ثمانون رجلاً، وانحاز النبيُّ ﷺ ذاتَ اليمين، وقال: «إليَّ يا عبادَ الله، إليّ أنا رسولُ الله، أنا محمدُ بنُ عبدِ الله» فجعل يقول: «أنا النبيُّ لا كَذِبَ، أنا ابنُ عبدِ المُطَّلِب»(١) وأمرَ عمَّه العباسَ بنَ عبدِ المطلب ـ وكان جَهورِيَّ الصوتِ ـ أن يُنادِيَ يا أصحابَ الشجرةِ يا أصحابَ سورةِ البقرة. فقالوا: لبَّيْكَ لَبَّيكَ، وانعطفوا نحوَ الصوتِ، حتىٰ إنَّ الرجلَ إذا اسْتَعْصَتْ عليه بعيرُه تركَه، وأخذَ سيفَه وقوسَه، وقذفَ دِرْعَه في عُنُقِه، حتىٰ اجتمعوا إلىٰ رسول الله ﷺ.

فلما عَلِمُوا أنَّ كثرتَهم لم تَغْنِ عنهم شيئاً، وذاقوا مَرارةَ الهزيمة وذَلَّتْ نفوسُهم لله، وعَلِمُوا أنَّ النصرَ مِنْ عندِه، نصرَهم اللهُ تعالىٰ،

---

(١) أخرجه البخاري (٢٩٣٠)، ومسلم (١٧٧٦) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.

وفي ذلك قوله تعالىٰ: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ۝ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [التوبة: ٢٥-٢٦].

أيّها الناسُ: إننا لم نذكرْ هذه النصوصَ الدالةَ علىٰ وجوبِ التوكلِ علىٰ اللهِ، وأنّ مَنِ اعتمدَ علىٰ نفسِه أو غيرِه دونَ الله، فهو مخذولٌ بشهادةِ الواقعِ، مِنْ أجل أن نُهْدِرَ الأسبابَ النافعةَ التي أمرَ اللهُ تعالىٰ ورسولُه ﷺ بها، وإنما ذكرنا ذلك لأنه بلغنا أنَّ بعضَ الناسِ لما رأىٰ ما اجتمع من القوةِ العسكرية التي استعانت بها الحكومة ـ حماها اللهُ من أعدائِها، ونصرَها عليهم بدينه ـ صار يُطلِقُ كلماتٍ تدلُّ علىٰ قلةٍ في عقله وضَعْفٍ في دينه، ونَقْصٍ في تَوَكُّلِه. كلماتٍ أشدَ مما قاله بعضُ المسلمين يومَ حُنَينٍ، وهذا يُخْشَىٰ منه أن يُوكَلَ الناسَ إلىٰ ما اعتمدوا عليه، ونَسُوا اللهَ من أجلِه، وحينئذ تكونُ الهزيمةُ ونبوء بالفشل.

أيها الناس: إننا لم نذكر ذلك من أجل طَرْحِ الأسبابِ النافعةِ وتركِ الأخذِ بها. وذلك لأن الله تعالىٰ أمر بذلك، فقال: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ﴾ [النساء: ٧١]، وقال: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥]، وفي صحيح مُسْلمٍ عن أبي هريرةَ رَضِيَ اللهُ عنه،

قال: جاء رجلٌ إلىٰ رسولِ الله ﷺ، فقال: يا رسولَ الله، أرأيتَ إن جاء رجلٌ يريدُ أخذَ مالي؟ قال: «فلا تعْطِهِ مالَك» قال: أرأيتَ إنْ قَاتلَنِي؟ قال: «قَاتِلْه» قال: أرأيتَ إن قَتَلَنِي؟ قال: «فأنت شهيدٌ» قال: أرأيت إن قَتَلْتُه؟ قال: «هُوَ في النار»[(١)] وفي صحيح مسلمٍ أيضاً: عن أبي حُمَيدٍ الساعديِّ رضِيَ اللهُ عنه: أن النبيَّ ﷺ، قال في غزوةِ تَبوكَ حين قَدِم تَبُوكَ: «سَتَهُبُّ عليكم الليلةَ ريحٌ شديدةٌ، فلا يَقُمْ فيها أحدٌ منكم فمَنْ كان له بعيرٌ فلْيَشْدُدْ عِقَالَه»[(٢)].

وقد لَبِسَ النبيُّ ﷺ، يوم أُحُدٍ دِرْعَيْنِ يتوقىٰ بهما السلاحَ، وهذا من الأخذِ بالأسباب، وقد وقع من سيدِ المتوكلين محمدٍ ﷺ، والأخذُ بالأسبابِ النافعةِ مما تقتضيه الفطرةُ، وتُؤَيِّدُه الشريعةُ. ولا يُنكِرُ الأخذَ بالأسبابِ النافعةِ إلا جاهلٌ باللهِ جاهلٌ بالواقع. أما جهلُه باللهِ فإن من حكمةِ اللهِ تعالىٰ البالغةِ أنه جَعَلَ للأمورِ أسباباً تقتضيها وجوداً وعدماً أسباباً قد تكونُ معلومةً للخلقِ، وقد تكونُ مجهولة، لأن الله يقول: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥]

وأما جهلُه بالواقعِ فظاهرٌ فإنا نعلمُ أنه لا شِبَعَ إلا بأكل، ولا وَلَداً إلا بنكاح، ولا دخولَ في الجنةِ إلا بعمل صالح، ولا استحقاقَ للنارِ إلا بعمَلٍ سَيِّىءٍ. ولكنَّ الشيءَ الذي يجبُ علىٰ المؤمن أن

---

(١) أخرجه مسلم (١٤٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (١٤٨١) ومسلم ص١٧٨٢ (١٢) من حديث أبي حميد الساعدي رضي الله عنه.

يعتقدَ أنَّ الأسبابَ غيرُ موجبـة لمسبباتِها بذاتِها، ولكنْ بتقديرِ اللهِ عَزَّ وجل، ولو شاء اللهُ لأبطلَ تلك الأسباب. كما جعلَ النارَ برداً وسلاماً علىٰ إبراهيم، مع أنها سبب للاحتراقِ.

فيا أيها الناس: حَقِّقُوا توكُّلكم علىٰ اللهِ تعالىٰ، وقُومُوا بالأسبابِ النافعةِ التي جعلَها اللهُ أسباباً. ولا تعتمدوا عليها من دونِ اللهِ فتُوَكَلُوا عليها وتُخْذَلُوا عندها أحوج ما تكونون إليها.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.



الإيمانُ بالكتبِ والرسل

الحمدُ للهِ الذي بعثَ النبيينَ مبشرينَ ومنذرين، وأنزلَ معهم الكتابَ بالحق، ليحكمَ بينَ الناسِ فيما اختلفوا فيه، نَحْمَدُه علىٰ إحسانِه الكاملِ ونشكرُه علىٰ فضلِه الوافرِ، ونشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وإنْ رَغِمَ أنْفُ الكافرِ، ونشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه، أفضلُ مَنْ دعا إلىٰ اللهِ وجاهدَ في سبيلِه وصابرَ، صلّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه والتابعين إلىٰ يومٍ يجمعُ اللهُ فيه بين الأول والآخر وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ واعْرِفُوا نعمتَه علىٰ خَلْقِه بإرسالِ الرسلِ وإنزالِ الكتبِ، فإنَّ حاجةَ الناسِ بل ضَرُورتُهم إلىٰ ذلك أعظمُ من حاجتهم وضرورتِهم إلىٰ الطعامِ والشرابِ والهواءِ، فإنَّ اللهَ خَلقَهم أولَ ما خَلقَهم علىٰ الفطرةِ، وأوحىٰ إلىٰ أبيهم آدمَ بما تتوقفُ عليه مصلحتُهم في ذلك الوقت، ثم لما طال الزمنُ وكثُرَ بنو آدم اختلفوا فيما بينهم، فبعث اللهُ النبيينَ مبشرينَ ومنذرينَ، وأنزلَ معهم الكتابَ بالحقِّ ليحكمَ بينَ الناسِ فيما اختلفوا فيه، فأولُ رسولٍ بعثَه اللهُ نُوحٌ عليه الصّلاةُ والسّلام، وما زال اللهُ تعالىٰ يبعثُ الرسلَ من حينٍ لآخرَ بحَسبِ ما تتطلبه مصلحةُ عبادِه، حتىٰ ختمَ اللهُ أنبياءَه ورسلَه بخاتَمِ النبيين محمدٍ ﷺ وكان عِدَّةُ الأنبياءِ مِئةَ وعشرين ألفاً، منهم ثلاثمائة وبضعةَ عَشَرَ رسولاً، فآمنُوا بهذه

الكتبِ وآمِنوا بهؤلاء الرسل و﴿ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٦] فالإيمانُ بالكتبِ أنْ تؤمنوا بما سَمَّىٰ اللهُ لكم، وعيَّنه باسمه فتُؤمِنُوا بالصحفِ التي أنزلَها علىٰ إبراهيم، وبالتوراةِ التي أنزلها اللهُ علىٰ موسىٰ، وبالزَّبور الذي آتاه اللهُ داودَ، وبالإنجيل الذي أنزله اللهُ علىٰ عيسىٰ، وبالفرقانِ وهو القرآن الذي أنزله اللهُ علىٰ محمدٍ صلىٰ الله وسلّم عليه وعليهم أجمعين، وأما ما لم يُعَيِّنْهُ اللهُ لكم من الكتبِ فتُؤمِنُوا به علىٰ وَجْهِ الإجمال، أيْ تؤمنوا بكلِّ كتابٍ أنزله اللهُ علىٰ كل نبيٍّ من الأنبياء، ومن الإيمان بالكتبِ الإيمانُ بأن هذا القرآنَ الذي أنزله اللهُ علىٰ محمدٍ ﷺ كلامُ اللهِ تكلَّمَ به حقيقةً، وألقاه إلىٰ جبريلَ القوي الأمين، ثم نَزَل به جبريلُ علىٰ قلبِ النبي ﷺ فوعاه لفظاً ومعنىٰ، وبلّغه إلىٰ أمتِه من طريقِ الصحابةِ رَضِي اللهُ عنهم، الذين هم أكملُ هذه الأمةِ إيماناً وأحفظُهم أمانةً فلم يَمْضِ بعد النبي ﷺ زمنُ الخلفاءِ الراشدينَ حتىٰ جَمَعُوه وحَفِظُوه علىٰ الوجهِ الذي تقرأونه، حَفِظُوه وجَمَعُوه قبلَ زمنِ التفرقِ والأهواء وهذا من عنايةِ اللهِ بكتابه المبين، فإنه تكفلَ بحفظِه حيث قال: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩].

أما الإيمانُ بالرسلِ والأنبياءِ فالواجبُ أن يُؤمِنَ العبدُ بكلِّ نبيٍ وبكلِّ رسولٍ أرسلَه اللهُ، فمن سمَّاه اللهُ لنا منهم آمنا به بعَيْنِه، ومن

لم يسمه، آمنا به عُموماً قال اللهُ تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [غافر: ٧٨] فالذين قصَّ الله علينا محمد وإبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ ونوح وداود وسليمان وأيوب ويوسف وهارون وزكريا ويحيىٰ وعيسىٰ وإلياس وإسماعيل واليسع وإسحاق ويعقوب ويونس ولوط وهود وصالح وشعيب وإدريس.

ومن الإيمانِ بالرسلِ وبالكتبِ أن تُصدقَ بأخبارِها، وتعتقدَ أنها حقٌّ وأن تعملَ بما أوجَبَ الله عليك العملَ به من أحكامِها، وتعتقد أنها أحسنُ الأحكام وأنفعُها للخَلْق في دينهم ودنياهم. فمن كذَّبَ رسولاً أو كتاباً أو كفَرَ به فهو كافرٌ بالجميع، ومن رَفَضَ الأحكامَ التي شرعها اللهُ لعباده، وحَكَمَ بغيرِ ما أنزل الله فهو كافر، ومن حقق قول الله تعالىٰ ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥] من حَقَّق ذلك كان من المؤمنين.

بارَكَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

الحياةُ الحقيقية حياةُ الآخرة

الحمدُ لله الذي خَلَق الموتَ والحياةَ ليبلوكم أيكم أحسنُ عملاً وجعل للوصول إليه طرائقَ واضحةً وسبلاً وأشهد أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادةً نرجو بها عالي الجنان نزلاً، وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه أقوم الخلق ديناً وأهداهم سبلاً صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسانٍ وسلم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: لقد أتىٰ علىٰ الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً حتىٰ أوجدكم الله من العدمِ وأسبغَ عليكم النعم ودفع عنكم النقم ويسر لكم من أسباب البقاء وأسباب الهداية وبيّن لكم ما ينفعكم وما يضرّكم بيّن لكم أنَّ للإنسان دارين دار ممر وزوال، ودار مقر وخلود أما الدار التي هي دار ممر وزوال فهي دار الدنيا التي كل ما فيها فهو ناقص إلا ما كان مقرّباً إلىٰ الله تعالىٰ. آمالها آلام وصَفوها أكدار لو تبصَّر العاقلُ فيها أقل تبصُّرٍ لعرف قدرَها وهوانها وعرف كيف غدرها وخداعها تتراءى لعاشقيها كالسراب يحسبه الظمآنُ ماءً حتىٰ إذا جاءه لم يجده شيئاً، وتتزين لهم بأنواع الزخارف والمغريات حتىٰ إذا أخذت الأرضُ زخرفها وازينت وظن أهلُها أنهم قادرون عليها أتاها أمرُ الله ليلاً أو نهاراً فجعلها حصيداً كأن لم تَغْنَ بالأمس، فمآلها عدمٌ وفناء وجمالها عذابٌ وشقاء هذه هي الدنيا ﴿ لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ

حُطَٰمًاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ﴾ [الحديد: ٢٠].

أيها الناسُ: أما الدار الآخرة فهي الحياةُ الحقيقية التي فيها جميع مقومات الحياة من البقاءِ والسرورِ والسَّلامِ والحُبور، هي الحياةُ الحقيقية التي ينطقُ الإنسانُ إذا شاهد حقائقها يقول يا ليتني قدمت لحياتي، فالحياة الحقيقية هي الحياة الآخرة التي يحيا الناس فيها فلا يموتون ﴿فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٢ وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ١٠٣ تَلۡفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمۡ فِيهَا كَٰلِحُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٢-١٠٤].

أيها الناسُ: اتقوا الله تعالىٰ وانظروا نَظَر العاقل البصيرِ المؤمنِ، قارنوا بين الحياةِ الدنيا وحياةِ الآخرة لتعرفوا الفرقَ بين الدارين، ففي الدار الآخرة ما تشتهيه الأنفسُ وتلذ الأعينُ وهي دار السلام سالمة من كلِّ نقصٍ ومن كل بلاءٍ، لا مرض فيها ولا موت ولا بؤسَ ولا هرم يقول النبي ﷺ: **«الموضع سوط أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما فيها»**[1] وهذا كلام الصادق المصدوق، إن موضع العصا في الجنة خيرٌ من الدنيا كلها من أولها إلىٰ آخرها، بكل ما فيها من نعيم وترف، إذا كان هذا خيراً من الدنيا كلها فكيف بما أدركت منها من الزمن القليل وإذا كان موضع السوط خيراً من الدنيا كلها فكيف بمنازل أدنىٰ منزلة فيها مسيرة ألفي عام يُرىٰ أقصاها كما يُرى أدناها.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤١٥) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنهما.

أيها الناسُ: إنَّ من العجب أنْ يُؤْثِرَ أقوامٌ الحياةَ الدنيا علىٰ الآخرة، والآخرةُ خير وأبقىٰ يُؤْثِرونها علىٰ الآخرة فيعملون لها ويَدَعُون عمل الآخرة، يحرصون علىٰ تحصيل الدنيا وإن فوتوا ما أوجبَ اللهُ عليهم، ينغمسون في شهواتهم وسهواتهم وينسون شُكرَ من أنعم بها عليهم، علامة هؤلاء أنهم يتكاسلون عن الصلوات، ويتثاقلون عن ذكر الله ويخونون في الأمانات ويغشون في المعاملات ويكذبون في المقالات ولا يوفون بالعهود ولا يبرون الوالدين ولا يصلون الأقارب.

أيها الناسُ: إنَّ من آثر الحياةَ الآخرة علىٰ الدنيا حصل له نعيمُ الآخرة والدنيا، لأن عمل الآخرة يسيرٌ علىٰ من يسره الله عليه، ولا يفوت من الدنيا شيئاً، فإن من ترك شيئاً لله عَوَضَه اللهُ خيراً منه والله سبحانه وتعالىٰ يقول: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧]، وقال تعالىٰ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ﴾ [الشورىٰ: ٢٠]، أما من آثر الحياة الدنيا علىٰ الآخرة فإنه قد يؤتىٰ من الدنيا ولكن ليس له في الآخرة من نصيب ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٥-١٦]. اللهم اجعلنا ممن آثروا الآخرة علىٰ الدنيا، وآتنا في الدنيا حسنةً وفي الآخرة حسنةً وقنا عذابَ النار. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ.

ذِكرُ الموتِ

الحمدُ لله الذي خَلَقَ الموتَ والحياةَ ليبلُوَكم أيُّكم أحسنُ عَملاً، وجعل لكلِّ شيءٍ غايةً مقدرةً وأجَلاً، وكتب الموتَ على الخلقِ، ليرجِعُوا إليه، فيَجْزِي الذين أساؤوا بما عَمِلُوا، ويَجْزِي الذين أحْسَنُوا بالحُسنَىٰ. ونشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له، الحيُّ الباقِي، فلا يزولُ ولا يَفْنَى. ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه أفضلُ المخلوقاتِ، لا شكَّ في ذلك ولا جَدَلاً، صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه والتابعينَ له بإحسانٍ أبداً، وسلَّم تسليماً.

عبادَ الله، أما بعدُ: فاتقوا اللهَ تعالىٰ، وتذكروا ما أنتم إليه صائرونَ، وما أنتم عليه مُقْبِلون. تذكروا الموتَ قَبْلَ أنْ يأتيكَم الموتُ بغتةً وأنتم لا تشعرون ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [المؤمنون: ٩٩-١٠٠]. قال قتادةُ رحمه الله: واللهِ ما تَمَنَّىٰ أنْ يَرْجِعَ إلىٰ أهلٍ ولا عشيرةٍ، ولا بأن يَجْمَعَ الدنيا ويَقْضِيَ الشهوات، ولكن تَمَنَّىٰ أن يَرْجِعَ فيعملَ بطاعةِ الله[1].

تذكَّروا إذا بلَغَتِ الروحُ التَّراقيَ، وقيل: هل مِنْ طبيب يُعَالِجُ؟ هل من راقٍ؟ تذكروا إذا التفتِ السّاقُ بالسّاقِ، السّاقُ التي كنتم إلىٰ

---

(١) انظر تفسير البغوي ٤/ ٣٩١، وابن كثير ٣/ ٢٥٦.

ما تريدون عليها تَمْشُونَ، وبها تَسْعَوْنَ وتركُضُونَ. فعندَ الموتِ تلتف إحداهما بالأخرىٰ، فلا تَقْدِرونَ علىٰ التحركِ ولا تستطيعونَ، ثم إلىٰ ربّكم تُرجَعون، وبأعمالِكم في قبورِكم تَنفَرِدُون، فإن الميتَ إذا مات، يتبعُه ثلاثة: يتبعه مالُه، وأهلُه، وعملُه، فيرجع اثنان، ويبقىٰ واحدٌ. يرجعُ مالُه وأهلُه، ويبقىٰ عملُه(١).

فَيَالَيْتَ شِعْرِي مَنْ مِنّا راقَبَ هذا الصاحبَ الباقِيَ ولاحظَه، ونَمَّاهُ بقَدْرِ ما يستطيعُ، فعن البراء بنِ عازِبٍ رضِيَ الله عنه، قال: خَرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازةِ رجلٍ من الأنصار، فانتهينا إلىٰ القبرِ، ولما يُلْحَدْ فجلس رسول الله ﷺ، وجلسنا حولَه، كأن علىٰ رؤوسنا الطير، وفي يده عودٌ ينكُتُ به الأرض، فرفع رأسَه، فقال: «استعيذوا باللهِ من عذابِ القبر» مرتين أو ثلاثاً. ثم قال: «**إن العبدَ المؤمنَ إذا كان في انقطاعٍ من الدنيا، وإقبال من الآخرة، نزل إليه ملائكةٌ من السماءِ بيضُ الوجوه، كأن وجوهَهم الشمسُ، معهم كفنٌ من أكفانِ الجنة، وحَنُوطٌ من حَنُوطِ الجنة، حتىٰ يجلسوا منه مَدَّ البصر، ثم يجيءُ مَلَكُ الموتِ حتىٰ يجلسَ عندَ رأسِه، فيقول: أيتها النفسُ المطمئنةُ، اخرُجي إلىٰ مغفرةٍ من الله ورضوان. قال: فتَخرُجُ تَسيلُ كما تَسيلُ القطرةُ من فَمِ السقاء، فيأخذُها، فإذا أخذَها لم يَدَعُوها في يدِه طرفةَ عين، حتىٰ يأخذوها فيجعلوها في ذلك**

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥١٤)، ومسلم (٢٩٦٠) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

الكفن، وفي ذلك الحنوط ويخرجُ منها كأطيبِ نفحةِ مسكٍ وُجِدَتْ علىٰ وَجْه الأرض، فيصعدونَ بها، فلا يمرُّونَ بها علىٰ ملأٍ من الملائكة، إلا قالوا: ما هذه الروحُ الطيبة؟ فيقولون: فلانٌ ابنُ فلان، بأحسنِ أسمائِه التي كانوا يُسَمُّونَه بها في الدنيا، حتىٰ ينتهوا به إلىٰ السماء الدنيا، فيستفتحون له فيُفْتَحُ له، فيُشَيِّعه من كلِّ سماءٍ مُقَرَّبُوها إلىٰ السماء التي تليها، حتىٰ يُنتَهىٰ بها إلىٰ السماء السابعة، فيقولُ اللهُ عزَّ وجلّ: اكتبوا كتابَ عبدِي في عِلِّيِّين، وأعيدُوهُ إلىٰ الأرض، فإنّي مِنْها خَلَقتُهم، وفيها أُعيدُهم، ومنها أُخرِجُهم تارةً أخرى. قال: فتُعادُ رُوحُه فيأتيه ملكانِ فيُجْلِسانه، فيقولان له: مَنْ ربُّك؟ فيقول: رَبِّي اللهُ. فيقولان له: ما دينُك؟ فيقول: دِيني الإسلامُ. فيقولان له: ما هذا الرجلُ الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسولُ الله ﷺ. فيقولان له: وما يدريكَ؟ فيقول: قرأت كتابَ الله، فآمنتُ به وصدقتُ. فينادِي مُنادٍ من السماء: أن صَدَقَ عَبدي فأفرِشُوهُ من الجنة، وألْبِسُوهُ من الجنة وافْتَحُوا له باباً إلىٰ الجنةِ، فيأتيه من رَوْحِها وطِيبِها، ويُفْسَحُ له في قبرِه مَدَّ البصر. قال: ويأتيه رجلٌ حَسَنُ الوجه، حَسَنُ الثياب، طَيِّبُ الريح، فيقولُ له: أبْشِرْ بالذي يَسُرُّكَ، هذا يومُك الذي كنتَ تُوعَدُ. فيقولُ: مَنْ أنتَ فوجهُك الوجهُ يجيءُ بالخير فيقول: أنا عملُكَ الصالحُ. فيقولُ: ربِّ أقِمْ الساعةَ، ربِّ أقِمْ الساعةَ، حتىٰ أرْجِعَ إلىٰ أهلي، ومالِي. قال: وإن العبدَ الكافرَ إذا كان في انقطاعٍ من الدنيا، وإقبالٍ من

الآخرة، نزل إليه من السماء ملائكةٌ سودُ الوجوهِ معهم المُسُوحُ [جمع مِسْحٍ: وهو اللباسُ الخَشِنُ] فيجلسون منه مَدَّ البصر، ثم يجيءُ مَلَكُ الموت، حتىٰ يجلسَ عندَ رأسِه فيقول: أيتها النفسُ الخبيثةُ، اخرُجي إلىٰ سَخَطِ الله وغَضَبٍ. قال: فتُفَرَّقُ في جَسَدِه، فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوفِ المبلول، فيأخذُها، فإذا أخذَها لم يدعوها في يدِه طرفةَ عين، حتىٰ يجعلوها في تلك المُسُوح. ويخرج منها كأنْتنَ ريحِ جيفةٍ وُجِدَتْ علىٰ وَجْهِ الأرض، فيصعدُون بها فلا يمرُّونَ بها علىٰ ملأٍ من الملائكة، إلا قالوا: ما هذه الروحُ الخبيثةُ؟ فيقولون: فلانٌ ابنُ فلان، بأقبحِ أسمائه التي كان يُسَمَّىٰ بها في الدنيا، حتىٰ يُنْتَهىٰ بها إلىٰ السماء الدنيا، فيُسْتَفْتَحُ فلا يُفتحُ له. ثم قرأ رسولُ الله ﷺ: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠]، فيقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ: اكتبُوا كتابَ عبدي في سِجِّين، في الأرض السفلىٰ. فتُطْرَح رُوحُه طَرْحاً ثم قرأ ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١]، فتُعادُ رُوحُهُ في جَسَدِه، ويأتيه ملكانِ فيُجْلسانِه، فيقولان له: من ربُّك؟ فيقولُ: هَاهْ هَاهْ، لا أدري. فيقولان له: ما دينُك؟ فيقول: هَاهْ هَاهْ، لا أدري. فيقولان له: ما هذا الرجلُ الذي بُعِثَ فيكم؟ فيقول: هَاهْ هَاهْ، لا أدري. فيُنادِي مُنادٍ من السماء. أنْ كذبَ عبدِي، فأفرِشُوهُ من النار، وافتَحُوا له باباً إلىٰ النار، فيأتيه من حَرِّها وسَمُومِها، ويَضِيقُ

عليه قَبرُه، حتىٰ تختَلِفَ أضلاعُه. ويأتيه رجلٌ قبيحُ الوجهِ، قبيحُ الثيابِ، مُنتِنُ الريح، فيقول: أبْشِرْ بالذي يَسُوؤُكَ، هذا يومُكَ الذي كنتَ تُوعَدُ. فيقولُ: مَنْ أنتَ؟ فوجهُكَ الوجهُ يجيءُ بالشرِّ، فيقول: أنا عملُكَ الخبيثُ. فيقولُ: ربِّ لا تُقِمْ الساعةَ»(١).

تذكروا أيها المسلمونَ هذه الحقائق، وأولوها عنايتكم واستَعِدُّوا لها وما أيْسَرَ الأمرَ علىٰ من يسَّره الله عليه! وما أهونَ الأمورَ علىٰ من أخلصَ لربِّه، واستعان بمولاه!

أعوذُ باللهِ من الشيطان الرجيم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ [الحشر: ١٨].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

(١) أخرجه أحمد ٢٨٨/٤، وأبو داود (٤٧٥٣) من حديث البراء رضي الله عنه.

ذِكرُ شيءٍ من أوصافِ اليومِ الآخر

الحمدُ لله الذي خلق الموتَ والحياة ليبلوكم أيكم أحسنُ عملاً وهو العزيز الغفور، قسَّم عباده إلىٰ قسمين فمنهم شاكِرٌ ومنهم كفور، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمدُ وهو علىٰ كلِّ شيءٍ قدير، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه البشير النذير والسراج المنير صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه ومن اقتدىٰ بهديهم إلىٰ يوم الحشر والمصير وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله واخشوا يوماً لا يَجزي والدٌ عن ولده ولا مولودٌ هو جازٍ عن والده شيئاً.

عبادَ الله: اعلموا أنَّ هذه الحياةَ الدنيا دار ممر وعبور ودار عمل وكدح للعباد فلا تغرنكم الحياةُ الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور فتذكروا ما أنتم إليه صائرون من الموت وما بعده يوم تحشرون، تذكروا حالتكم عند حُلول الآجال ومفارقة الأوطان والأهل والعيال، تذكروا حينما تشاهدون الآخرةَ أمامكم وأنتم مُقبلون إليها مدبرين عن الدنيا حينما ينقسم الناس إلىٰ قسمين فمنهم من توفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٠-٣٢]، ومنهم من

توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ [الأنفال: ٥]، ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام: ٩٣]، تذكروا إذا حُملتم علىٰ الرقاب إلىٰ القبور فانفردتم بها عن الأهلِ والأولادِ والأموالِ والقصورِ، جليسكُم الأعمالُ فإما خيرٌ تُسرون به إلىٰ يوم القيامة وإما شر تجدون به الحسرة والندامة ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ﴾ [الأنعام: ٩٤]، تذكروا إذا نُفخ في الصور فصُعِقَ من في السموات ومَنْ في الأرض إلا مَن شاء الله، ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيامٌ ينظرون يقومونَ من قبورِهم لربِّ العالمين حُفاةً عراةً غرلاً يفرُّ المرءُ من أخيه، وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكلّ امرىء منهم يومئذ شأنٌ يغنيه.

عبادَ الله: تذكروا هذا اليوم العظيم الذي يُجمعُ فيه الأولون والآخرون في صعيدٍ واحدٍ يسمعهم الداعي وينفذهم البصر ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْءَاخِرِينَ ۝ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الواقعة: ٤٩-٥٠]، هذا اليوم الذي تندك فيه الجبالُ وتعظم فيه الأهوال وينزل فيه للقضاء بين العباد الملك الكبير المتعال يوم يجعل الولدان شيباً السماء منفطر به كان وعده مفعولاً تذكروا هذا اليوم الذي سماه الله يومَ التغابن، لأنه هو الذي فيه الغُبن العظيم الغبن الحقيقي لأنَّ

الناس يُحشرون علىٰ حسب أعمالهم، فمنهم المتقون الذين يحشرون إلىٰ الرحمٰن وفداً، فنعم الوفدُ ونِعمَ الموفود إليه، الوفد عبادُ الرحمٰن والموفود إليه الملك الكريم المنان، ومنهم المجرمون الذين يُساقون إلىٰ جهنم ورداً يظمئون عطشاً، فتمثل لهم النار كأنها السراب يُساقون إليها ولكن لا ترويهم من ظمأ وإنما يجدون فيه النار والسعير والحرّ والزفير ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَلِقَآئِ ٱلْـَٔاخِرَةِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾ [الروم: ١٤-١٦]، فما أعظمَ هذا اليوم وما أشدَّ هولَه، لقد قال الله في وصفه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَـٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَـٰرَىٰ وَلَـٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ١-٢]، مقداره خمسون ألف سنةٍ، تدنو فيه الشمسُ من الناس حتىٰ تكونَ بقدر ميلٍ فقط، ويبلغ العرقُ منهم كلٌّ بحسب عمله، إن التغابن والله في هذا اليوم هو التغابن وليس التغابن في نيل عرض الدنيا وزخارفها فإنما هي لهوٌ ولعبٌ وزينةٌ وتفاخرٌ بينكم وتكاثرٌ في الأموال والأولاد تزدهرُ قليلاً ثم تزولُ سريعاً ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَـٰمًا ۖ وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [الحديد: ٢٠]، فتنافسوا أيها المسلمون في أعمال الآخرة لتدركوا بذلك

الدنيا والآخرة، وإياكم أنْ تُؤثِروا الدنيا عليها فتخسروا الدنيا والآخرة، فإنَّ الدنيا مزرعةُ الآخرة فإذا لم يزرع فيها لآخرته فقد خسرها وخسرَ آخرتَه.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٣٤-٤١].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

ذِكرُ شيءٍ من أوصافِ اليومِ الآخر

الحمدُ لله الذي بدأ الخلق ثم يُعيده وهو علىٰ كلِّ شيءٍ قدير والحمدُ لله الذي خلَقَ الخَلْقَ ليعبدوه فيجازيهم بعملهم، والله بما يعملون بصير، فسبحانه من ربٍّ عظيم وإلـٰه غفور رحيم وأشهدُ أن لا إلـٰه إلا الله وحدَه لا شريك له في الخلقِ والمُلك والتدبير وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه البشيرُ النذير والسراج المنير أرسلَه الله بين يدي الساعة، فختم به الرسالةَ وأكملَ له الدين، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه ومن تبعهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدين وسلم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا ربكم واخشوا يوماً لا يجزي والدٌ عن ولده ولا مولودٌ هو جازٍ عن والده شيئاً اتقوا ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ﴾ [عبس: ٣٤-٤٢]، اتقوا يوماً ترجعون فيه إلىٰ الله ثم توفىٰ كل نفسٍ ما كسَبَتْ وهم لا يُظلمون، يوماً يجمعُ اللهُ فيه الخلائق الأولين منهم والآخرين في صعيدٍ واحدٍ، يُسْمِعُهم الداعي وينفذهم البصر، أجسامُهم عاريةٌ وأقدامُهم حافيةٌ وقلوبُهم وجلةٌ خائفة مهطعينَ إلىٰ الداع يقول الكافرون هذا يوم عَسِر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ

سُكَـٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَـٰرَىٰ وَلَـٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ١-٢]، لا تغرنكم الحياةُ الدنيا بزخارفها ولذاتها، فإنها فيءٌ زائل عن قريب ثم تُنقلون إلىٰ الدار الآخرة لتجزوا بما كنتم تعملون، فحققوا رحِمَكم الله عبادةَ ربكم واتقوه لعلكم تفلحون، ومن عذاب الآخرة تسلمون فلا سلامة من عذاب الله إلا بتقوى الله، كونوا من الذين قالوا: سمعنا وأطعنا فالقرآن يتلى عليكم وأنتم تتلونه بأنفسكم، وفيه موعظةٌ وشفاءٌ لِما في الصدور فاتعظوا بما فيه ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون. قالوا علمنا وهم لا يعلمون، ألم تعلموا أن أمامكم يوماً تشيبُ فيه الولدانُ وتندك صم الجبال ويذهل فيه المرءُ عن القريب والصديق والخِلان ألم يبلغكم أنَّ الله يطوي السمٰوات بيمينه ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون، وأن الأرضين بيده الأخرىٰ ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون، ألم يبلغكم ما ثبت عن النبيِّ ﷺ أنه قال: **«يقول الله تعالىٰ: يا آدم. فيقول: لبيك وسعديك والخير كلُّه في يديك فيقول الله له: أخرج بعث النار من ذريتك قال آدم: وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون فعنده يشيب الصغير وتضع كلُّ ذات حمل حملها وترى الناس سكارىٰ وما هم بسكارىٰ ولكن عذاب الله شديد»** ولما حدّث النبي ﷺ أصحابه بهذا الحديث فتح الله عليهم أن يسألوا نبيهم يا رسول الله، وأينا ذلك الواحد فقال: **«ابشروا فإنَّ منكم رجلاً ومن يأجوج ومأجوج ألفاً»** ثم قال: **«والذي**

نفسي بيده إني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة» فكبروا وحمدوا الله فقال: «أرجو أن تكونوا ثُلث أهل الجنة» فكبروا وحمدوا الله. فقال: «أرجو أن تكونوا نصفَ أهل الجنة» فكبروا وحمدوا الله ثم قال: «ما أنتم في الناس إلا كالشعرة السوداء في جلد ثورٍ أبيضٍ، أو كشعرةٍ بيضاء في جلد ثور أسود»[١].

أيها المسلمون: ألم تعلموا أنَّ الأرض يومئذ تُحدِّث أخبارها فتشهدُ علىٰ كلِّ أحدٍ بما عمل عليها من خير أو شرٍّ ألم تعلموا أنَّ الرجلَ يُختم علىٰ فمه ويقال لأركانه: انطقي فتنطق بما عملت ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝٢٤ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ [النور: ٢٤-٢٥]، وفي الكتاب والسنة من تفاصيل أحوال ذلك اليوم ما هو عبرة للمعتبرين وموعظة للمتقين، اقرؤوا قوله تعالىٰ: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ﴾ إلى قوله: ﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ١٦-٣٥]، فإنَّ في ذلك لذكرىٰ لمن كان له قلب أو ألقىٰ السمع وهو شهيد.

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٤٨) ومسلم (٢٢٢) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

الاستعداد ليوم الرحيل

الحمدُ للهِ المتفردِ بالعظمةِ والكبرياءِ والجلالِ، المنزهِ عن النقائصِ والعيوبِ والزوال، الذي قَضَىٰ علىٰ هذه الخليقة بالفناء، فكُلُّ مَنْ عليها فانٍ، أوْجَدَهم في هذه الدارِ ليَبْلُوَهُم أيُّهم أحْسَنُ عَمَلاً، وجَعَلَ لهم حَداً تنتهي إليه أعمارُهم وأجلاً، وجمعهم ليومٍ لا ريبَ فيه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ﴾ [الانشقاق: ٦] يومٌ يشتدُّ فيه الفزعُ والأهوالُ وتتغيرُ فيه الأمورُ والأحوالُ، وتنفطِرُ السماءُ وتشيب الوِلْدانُ، يومٌ تشْخَصُ فيه الأبصارُ، وتَذْهَلُ العقولُ والأفكارُ، ويتلاشَىٰ مُلْكُ كلِّ مَلكٍ جَبَّارٍ، لمَنِ المُلْكُ اليومَ للهِ الواحدِ القهار، يومٌ يُحْشَرُ الناسُ فيه غُرْلاً حُفَاةً عُراةً، ويَصْدُرُون فيه ليَرَوْا أعمالَهم أشتاتاً ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ۝١٤ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ۝١٥ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآئِ ٱلْءَاخِرَةِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾ [الروم: ١٤-١٦]، ونشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، إله ذلَّ لعزته المتكبرون، وخَضَعَ لعظمتِه تكبر الجَبَّارون، الكاملُ في قوتِه وقدرتِه ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يسٓ: ٨٢] ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسوله الذي قام باتِّباعِهِ المُوَفَّقُونَ، وانْخَذَلَ بمخالفتِه كُلُّ خاسرٍ مَغْبُونٍ، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه ومَنْ بهديه مُسْتَمسِكُونَ وسلَّم تَسليماً كثيراً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا الله تعالىٰ ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٨١]، واعلموا أنكم لم تُخلَقُوا في هذه الدار لتَعْمُروها، ولا أُوجِدْتُم فيها لتَسْكُنُوها ولا أُغْدِقَتْ عليكم الأموالُ والأرزاقُ لتَنافَسُوها، إنما خُلِقْتُمْ فيها لِتتزَوَّدُوا منها إلىٰ الآخرةِ وتشكروا نعمة الله عليكم باطنة وظاهرة، وذلك باتباع الدين القويم ومخالفة أصحاب الجحيم.

إخواني: الدنيا قليلةُ الأوقاتِ كثيرةُ الآفاتِ، قد مُزِجَ صفوها بكدرها خُلِطَ سُرورُها بحُزْنِها، لذاتُها مُنَغَّصَةٌ وكمالاتُها ناقصةٌ، بينما الإنسانُ فيها مُتأهِّلٌ، وفي دورها وقصورِها مُستَوطِنٌ، إذا بالموتِ يفجؤه في غفلته ويقطعه عن كمال لذته ثم ينقله إلىٰ قبره رهيناً بأعماله، منفرداً عن أهلِه وولدِه وإخوانِه ومالِه لا يجدُ معه إلا الأعمالَ، ولا ينتفعُ إلا بما قدَّم من صالحِ الأقوالِ والأفعالِ، يتبَعُ المَيِّتَ ثلاثةٌ[1] فيرجع اثنانِ ويَبقىٰ واحدٌ، يتبعه مالُه وأهلُه وعملُه فيرجع مالُه وأهلُه ويَبْقَىٰ عملُه، فشَمِّروا رَحِمَكم اللهُ تعالىٰ إلىٰ طاعةِ مولاكم، وإياكم والغفلةَ والتهاونَ وتَضييعَ ما أولاكم وهداكم، بادِرُوا أعمارَكم قبلَ الزوالِ واغتنموا الفُرصة واحذروا مِنَ الإهمال، أقيمُوا صلاتكم وأدُّوا زكاتكم، وصُومُوا شَهْرَكم وحُجُّوا بيتَ ربِّكم، وقُومُوا بما أوجَبَ اللهُ عليكم من حُقوقِ أقاربِكم

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥١٤)، ومسلم (٢٩٦٠) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

وجيرانِكم وفقرائِكم وأيتامِكم، فمَنْ قامَ بحقوقِ اللهِ وحقوقِ المخلوقينَ فقد اغتنمَ ساعاتِ عمرِه وأوقاتِه، وكانت حياتُه حياةَ سعادةٍ وأصبحَ من المفلحين، ومن ضَيَّع حقوقَ ربِّه، وكانت الدنيا أكبرَ هَمِّه شتَّتَ اللهُ عليه شَمْلَه وأكثرَ همه وجعل فَقْرَه بينَ عَيْنَيْه ولم يأْتِه من الدنيا إلا ما كُتِبَ له، وكان من الخاسرين.

وفقني اللهُ وإياكم لربحِ الأوقات واستعملَنا في الباقياتِ الصالحاتِ وبارك لنا في علمنا وعَمَلِنا، وأموالنا وأولادِنا وأيامِنا إنه رؤوفٌ رحيمٌ جوادٌ كريمٌ.



ذكرُ بعض الأمورِ التي تقعُ يومَ القيامةِ

الحمدُ لله جامعِ الناسِ ليومٍ لا ريبَ فيه، إنَّ اللهَ لا يُخلِفُ الميعادَ. وأشهدُ أنْ لا إلـهَ إلا اللهَ، وحدَه لا شريكَ له، شهادةً نَرجُو بها النجاةَ يومُ التنادِ. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، أفضلُ الرسلِ وخلاصةُ العبادِ، الذي دعا أمتَه بالحكمةِ والموعظةِ الحسنةِ، وهَداها إلىٰ سبيلِ الرشاد، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسانٍ، في الأقوال والأفعالِ والاعتقاد، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا اللهَ تعالىٰ: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١]، ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٤-٣٧]، يوماً يُحشرُ الناسُ ذاهلةً عقولُهم، شاخصةً أبصارُهم، عاريةً أجسامُهم، حافيةً أقدامُهم، يوماً لا ينفعُ فيه مالٌ ولا بنونَ، إلا مَنْ أتىٰ الله بقلبٍ سليم، يوم يَحشَرُ الناسُ علىٰ ثلاثةِ أصنافٍ: صِنفٍ مُشاةً، وصِنفٍ ركباناً، وصِنفٍ يَمْشُونَ علىٰ وجوههم. ﴿يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ﴾ [المعارج: ٨-٩] وهو الصوفُ المنفوشُ، يوم تدنو الشمسُ من رؤوس الخلائق قدر الميل، فيعرَقُون علىٰ قَدْرِ أعمالِهم، فمنهم مَنْ يكونُ إلىٰ كَعبَيهِ، ومنهم من يكون إلىٰ ركبتيه، ومنهم من يكون إلىٰ

حقويه ومنهم من يُلْجِمُه العرقُ إلجاماً، ليس هناك ليلٌ ولا نهارٌ، ولا قمرٌ ولا شمسٌ، قد كُوِّرت الشمسُ وانكَدَرَت النجومُ، وخَشَعَت الأصواتُ للرحمٰن، فلا تسمعُ إلا هَمْساً، وعَنتِ الوجوهُ للحيِّ القيوم، وقد خابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْماً، ويومئذ تُنْصَبُ الموازينُ لوزنِ الأعمال، فمَنْ ثَقُلَتْ موازينُه فأولئكَ همُ المُفلحون، ومن خَفَّت موازينُه فأولئك الذين خسروا أنفسَهم في جَهَنَّم خالدون. يومَ يُؤتَىٰ بالرجل له صلاةٌ وصيامٌ وزكاةٌ، قد ضرَبَ هذا، وأخذَ مالَ هذا، وشَتَمَ هذا، فيأخذُ هذا من حسناته، وهذا من حسناتِه، وهذا من حسناتِه، فإنْ بَقِيَ لهم حَقٌّ، أُخِذَ مِنْ سيئاتِهم، فَطُرِحَ عليه ثم طُرِحَ في النار، فلتُؤَدَّيَنَّ الحقوقُ إلىٰ أهلِها، حتىٰ يُقتَصَّ للشاةِ الجلْحَاءِ من الشاةِ القَرْناء. وعن أنسٍ رضي الله عنه قال: بينما رسولُ ﷺ جالسٌ إذ رأيناه ضَحكَ حتىٰ بدَتْ ثناياهُ، فقال له عُمَرُ ما أضْحَكَكَ يا رسول الله بأبي أنت وأمي؟! قال: «رَجُلانِ مِنْ أُمتي جَثيا بين يَدَيْ ربِّ العزة، فقال أحدُهما: يا ربِّ خُذْ مَظْلَمتِي من أخي، فقال اللهُ: كيفَ تَصنَعُ بأخيكَ ولم يَبْقَ مِنْ حسناتِه شيءٌ، قال: يا ربِّ فلْيَحْمِلْ من أوزاري» وفاضت عيْنا رسول الله ﷺ، بالبكاء، ثم قال: «إن ذلك ليومٌ عظيمٌ يحتاجُ الناسُ أن يُحمَلَ عنهم مِنْ أوزارهم»(١) ويومئذٍ تتطايرُ صحائفُ الأعمال ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ

---

(١) أخرجه الحاكم ٤/٥٧٦، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وأورده المنذري في «الترغيب والترهيب» ٣/٢١١.

بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ﴾ [الانشقاق: ٧-١٤] أي ظنَّ أنْ لا يُبعثَ، هناك تَبْيَضُّ وجوهُ المؤمنين، وتَسْوَدُّ وجوهُ الكفارِ المعتدين، هناك تُحَدِّثُ الأرضُ أخبارَها، أتدرون ما أخبارُها؟ إنها تشهدُ علىٰ كلِّ أحدٍ بما عَمِلَ علىٰ ظهرها، تقول: عمل كذا وكذا.

إخواني كلُّنا ولله الحمدُ يؤمِنُ بيوم الحساب، وما عندنا فيه من شكٍّ ولا ارتيابٍ، غير أننا في غفلة ساهون وعن الاستعدادِ له معرضون، وفي دنيانا الدنيئة ولذائذها مُنْغَمِسونَ ولاهون، إننا نعملُ لها كأننا نُعَمَّرُ فيها، وإننا لَنُفَرِّطُ بأعمالٍ وأوقاتٍ لا يمكننا تَلافِيَها.

فاتقوا الله أيها المسلمون، وابتدروا الأعمال الصالحة، ففي ذلك فليتنافس المتنافسون، فما بَعْدَ الشبابِ إن قُدِّر للإنسانِ البقاءُ إلا الهَرَمُ، وحينئذاك يقرُبُ الموتُ، ويستولي الهمُّ والحُزْنُ والندمُ.

وفقني اللهُ وإياكم لاغتنامِ الفرصِ والأوقاتِ، وجعل أعمالَنا مقرونة بالتسديد والإخلاص، وغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين، يومَ الأخذِ بالنواصي إنه سميعٌ مجيبٌ، رحيمٌ قريبٌ.

* * *

بعضُ أهوالِ يومِ القيامة

الحمدُ للهِ المَلِكِ القهّار، العزيزِ الجبار، خَلَقَ السمٰواتِ والأرض، وما بينَهما من غير تَعَبٍ ولا اضطرار، وأنزل علىٰ عبده في الكتاب والفرقان ذلك، بأنَّ اللهَ هو الحقُّ، وأنه علىٰ كلِّ شيءٍ قديرٌ، وأنَّ الساعةَ آتيةٌ لا ريبَ فيها، وأنَّ اللهَ يبعثُ مَنْ في القبور. وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له، قولُه الحقُّ، وله المُلْكُ، يومَ يُنْفَخُ في الصُّور. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، أقومُ الناسِ طاعةً بفعلِ المأمور، وترك المحظور، صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آله وأصحابِه ومَنْ تَبِعَهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ الحشرِ والنشورِ، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ: أيها الناسُ، اتقوا الله تعالىٰ، وفكِّروا في دُنياكم وآخرتِكم، في حياتِكم وموتِكم، في حاضرِكم ومستقبلِكم، فكِّروا في هذه الدنيا فيمَنْ مَضَىٰ مِنَ السابقينَ الأولينَ منهم والآخرينَ، ففيهم عبرةٌ لمَنْ اعتبرَ، عَمَّرُوا في هذه الدنيا، فعَمَرُوها وكانوا أكثرَ منّا أموالاً وأولاداً، وأشدَّ منا قوةً وتعميراً، فذهبت بهم الأيامُ كأنَّ لم يكونوا، وأصبَحُوا خَبَراً من الأخبار، وأنتم علىٰ ما ساروا عليه سائرون، وإلىٰ ما صاروا إليه صائرون، سوف تنتقلون عن هذه الدنيا إلىٰ القبورِ بعدَ القصور، وسوف تنفردون بها بعدَ الاجتماع بالأهل والسرور، سوف تنفردون بأعمالِكم، إنْ خيراً فخيرٌ، وإن شراً فشرٌّ، إلىٰ يومِ النشور.

وحين ذلك يُنْفَخُ في الصور، فيقومُ الناسُ من قبورهم لربِّ العالمينَ، حُفاةً بلا نِعَالٍ، وعُراةً بلا ثِيابٍ، وغُرْلاً بلا خِتانٍ، حَدَّثَ النبيُّ ﷺ بهذا الحديث، فقالت عائشةُ: يا رسولَ اللهِ الرجالُ والنساءُ جميعاً ينظر بعضُهم إلىٰ بعض. فقال رسولُ الله ﷺ: «يا عائشةُ الأمرُ أشدُّ من أن ينظر بعضهم إلىٰ بعض» وصدق رسول الله ﷺ إنَّ الأمر أشد من أنْ ينظر الرجالُ إلىٰ النساء، أو النساءُ إلىٰ الرجالِ، إنّه أعظمُ مِنْ أنْ تَسألَ الأمُ عن ولدِها، أو الابن عن أبيه ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١]، ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ۝ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ١-٢]، هنالك قلوبٌ واجفةٌ وأبصارٌ خاشعةٌ، هنالك تتطاير الكتب وهي صحائفُ الأعمالِ، فيأخذ المؤمنُ كتابَه بيمينِه، ويأخذُ الكافرُ كتابَه بشمالِه من وراءِ ظهرِه. فأما مَنْ أُوتِي كتابَه بيمينِه، فيقول فَرَحاً وسُروراً: ﴿هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ﴾ [الحاقة: ١٩]، وأما من أوتي كتابه بشماله، فيقول حزناً وغماً: ﴿يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ﴾ [الحاقة: ٢٥]، ويدعو ثبوراً.

وهناك تُوضَعُ الموازينُ، فتوزنُ فيها أعمالُ العباد، من خَيْرٍ وشَرّ. فمَنْ يَعْمَلْ مثقالَ ذرةٍ خيراً يرهُ، ومَنْ يعملْ مثقالَ ذرةٍ شراً يَرَهُ، قال اللهُ تعالىٰ: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

في ذلك اليوم يموجُ الناسُ بعضُهم في بعض، ويلحقهم من الغَمِّ والكَرْب ما لا يُطيقون، فيقولُ الناسُ: ألا تنظرون مَنْ يشفعُ لكم إلىٰ ربِّكم، فيأتون آدمَ، ثم نوحاً، ثم إبراهيم، ثم موسىٰ عليهم الصلاة والسلام، وكلهم يُقدِّمُ عُذْراً، ثم يأتون إلىٰ عيسىٰ ﷺ، فيقول: لستُ لها، ولكن ائتوا محمداً عبداً غفرَ اللهُ له ما تقدمَ من ذنبِه وما تأخرَ. فيأتون إلىٰ النبيِّ ﷺ، فيقولُ مُفتخراً بنعمةِ اللهِ: أنا لها. فيستأْذِنُ من ربِّه عزَّ وجلَّ، ويخِرُّ له ساجداً، ويفتحُ الله عليه من محامدِه، وحُسْنِ الثناءِ عليه، ما لم يفتحْهُ علىٰ أحدٍ قبلَه، فيدَعُه اللهُ ما شاء اللهُ أن يدعَه، ثم يقول: يا محمدُ ارفَعْ رأسَك، وقُل يُسمع واشفَع تُشَفَّع وسَلْ تُعطَه، وفي ذلك اليومِ ينزِلُ اللهُ للقضاءِ بينَ عبادِه وحسابِهم، فيخلو بعبده المؤمنِ وحدَه، ويَضَعُ عليه سِتْرَه ويُكلِّمُه ليس بينَه وبينَه تُرجُمان، فيخبرُه بما عَمِلَ من ذنوبه حتىٰ يُقِرَّ ويعترفَ، فيظهر اللهُ عليه فضلَه، فيقولُ: قد سترتُها عليك في الدنيا، وأنا أغفر لك اليوم.

وفي ذلك اليوم، الحوضُ الموروِدُ لمحمدٍ ﷺ، ماؤُه أشدُّ بياضاً من اللبن، وأحلىٰ من العسل، وأطيبُ من ريحِ المسك. طولُه شهرٌ، وعرضُه شهرٌ، وآنيتُه كنجومِ السماءِ كثرةً وإضاءةً، لا يَرِدُهُ إلا المؤمنون به المتبعون لسنته، مَنْ يشربُ منه شَرْبَةً لا يَظْمَأُ بعدَها أبداً، أولُ الناسِ ورُوداً عليه فقراءُ المهاجرين.

في ذلك اليوم تُدنَىٰ الشمسُ من الخَلْقِ، حتىٰ تكونَ قَدْرَ ميلٍ، فيكونُ الناسُ علىٰ قَدْرِ أعمالِهم في العرق، فمنهم مَنْ يكونُ إلىٰ

كعبيه، ومنهم مَنْ يكونُ إلىٰ ركبتيه، ومنهم مَنْ يكونُ إلىٰ حقويه، ومنهم من يُلجمُهم العرقُ إلجاماً، ويُظِلُّ اللهُ مَنْ شاء في ظلِّه، يَوْمَ لا ظلَّ إلا ظلُّه، في ذلك اليومِ يقولُ الله: يا آدمُ. فيقول: لَبَّيْكَ وسَعْدَيْكَ، والخيرُ كلُّه بَيْنَ يَدَيْكَ، فيقولُ: أخْرِجْ بَعْثَ النار يعني مِنْ ذُرِّيتِكَ، قال: وما بَعْثُ النارِ؟ قال: من كُلِّ ألفٍ تسعمَائةٌ وتسعةٌ وتسعون. فعند ذلك يشيبُ الصغيرُ.

في ذلك اليوم، يتفرقُ الناسُ إلىٰ فريقين، فريقٍ في الجنة، وفريقٍ في السعير ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ۝١٤ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ۝١٥ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآئِ ٱلْـَٔاخِرَةِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾ [الروم: ١٤-١٦].

في ذلك اليومِ يُوضَعُ الصراطُ علىٰ مَتْنِ جَهنَّمَ، أدقَّ من الشعر، وأحدَّ من السيف، وتُرسَلُ الأمانةُ والرحِمُ، فيقومان علىٰ جنبي الصراط، يميناً وشمالاً، فيمرُّ الناسُ عليه علىٰ قَدْرِ أعمالِهم تَجْرِي بهم أعمالُهم. فمنهم مَنْ يمر كلمحِ البصرِ وكالبرقِ، ومنهم من يمرُّ يزحفُ، ومنهم ما بينَ ذلك، ونبيُّكم ﷺ قائمٌ علىٰ الصراط، يقول: يا ربِّ سلِّم سلِّم، قال النبيُّ: «فأكونُ أولَ مَنْ يجوزُ»[١] أي يعبُرُ مِنَ الرسل بأمتِه، ولا يتكلمُ يومئذٍ إلا الرسلُ، وكلامُ الرسلِ

(١) جزء من حديث أخرجه البخاري (٨٠٦)، ومسلم (٢٣٧٣) من حديث أبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما.

يومئذٍ: اللهم سلّم سلّم، وفي حافتي الصراطِ كلاليبُ معلَّقةٌ مأمورةٌ تأخذُ مَنْ أُمِرَتْ به، فمخدوشٌ ناج، ومُكَردَسٌ في النار(١).

فاتقوا الله، عبادَ الله، وخُذُوا لهذا اليوم عُدَتَّه، فإنه مصيرُكم لا محالة، وموعودُكم لا ريبَ. وإن علىٰ عِظَمِه وهَوْلِه وشِدَّته، ليكونُ يسيراً علىٰ المؤمنين المتقين، لأن الله يقول: ﴿وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا﴾ [المؤمنون: ٢٦]، آمنوا بالله واتقوه ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ﴾ [البقرة: ٢٣٥].

اللهم فاطر السمٰوات والأرض عالم الغيب والشهادة، نسألك بأنا نشهدُ أنك أنت اللهُ، لا إلـٰه إلا أنتَ، الأحدُ الصمدُ، الذي لم يَلِدْ ولم يُولَدْ، ولم يكنْ له كُفُواً أحدٌ، يا ذا الجلالِ والإكرامِ، يا حيُّ يا قيومُ، خفِّفْ عنّا أهوالَ ذلك اليوم، واجعلْنا فيه من السعداء وألحقنا بالصالحين، يا ربَّ العالمين، وصلّىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمدٍ، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.



---

(١) أخرجه بنحوه مسلم (١٩٥) من حديث أبي هريرة وحذيفة بن اليمان رضي الله عنهما.

شيءٌ من أحوالِ الناسِ يومَ القيامة

الحمدُ لله جامعِ الناسِ ليومٍ لا رَيْبَ فيه، إنَّ اللهَ لا يُخْلِفُ الميعادَ. وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له، ولا نِدَّ ولا مُضَادَّ. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، أفضلُ الرسل وأتقىٰ العباد، صلّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آله وأصحابه، والتابعينَ لهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ التناد، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيُّها الناسُ: ﴿ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ [لقمان: ٣٣]، ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَـٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٤-٣٧]، ألا وإنكم تُحشَرون إلىٰ الله، حفاةً غيرَ مُنتعِلينَ، عُراةً غيرَ مُكتَسِينَ، غرلاً غيرَ مَختُونينَ، قال الله تعالىٰ: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَـٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]. قالت عائشة: يا رسولَ الله الرجالُ والنساءُ جميعاً ينظرُ بعضُهم إلىٰ بعض قال: «الأمرُ أشدُّ من أن يُهمَّهم ذلك أو يَنظُرَ بعضُهم إلىٰ بعض»(١) في ذلك اليوم تُسَيَّرُ الجبالُ، وتَشيبُ الوِلْدانُ من الأهوال، وتَضعُ حملَها ذواتُ الأحمال، في ذلك اليوم تُدْنَىٰ الشمسُ من الخلائق

(١) أخرجه البخاري (٦٥٢٧)، ومسلم (٢٨٥٩) من حديث عائشة رضي الله عنها.

حتىٰ تكونَ منهم كمقدار ميل فيكون الناس علىٰ قدر أعمالهم في العرق فمنهم من يكون إلىٰ كعبيه، ومنهم مَنْ يكونُ إلىٰ ركبتيه، ومنهم من يكون إلىٰ حقويه، ومنهم من يلجمه العرق إلجاماً، وينجو من ذلك سبعةٌ يُظِلُّهم اللهُ في ظِلِّه يومَ لا ظِلَّ إلا ظلُّه، إمامٌ عادلٌ، وشابٌّ نَشَأ في طاعة الله، ورجلٌ قلبُهُ مُعَلَّقٌ في المساجد، ورَجُلانِ تَحَابّا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه عندَ المَمَات، ورجُلٌ دَعَتْهُ امرأةٌ ذاتُ مَنصب وجمال فقال: إنِّي أخافُ الله ورجُلٌ تَصَدَّقَ بصدقةٍ فأخفاها حتىٰ لا تعلمَ شمالُه ما تُنفِقُ يمينُه، ورَجُلٌ ذَكَرَ الله خالياً ففاضَتْ عيناهُ، فيه يَجْمَعُ اللهُ الأولينَ والآخِرينَ فيقضي بينهم بحُكْمِه وعدْلِه، وهو السميعُ العليمُ، فوَاللهِ لتؤدينَّ الحقوقُ إلىٰ أهلها، حتىٰ إنه ليُقْتَصُّ للشاةِ الجَلَحَاءِ من الشاةِ القَرْناءِ، وحتىٰ إنه ليكونُ للوالدين علىٰ ولدهما الدَّيْنُ فيتعلقان به فيقول: أنا ولَدُكما فيَوَدَّان أو يتمنيان لو كان أكثر من ذلك، وفيه تُنْصَبُ الموازينُ، فمَنْ ثَقُلَتْ موازينُه فأولئكَ هُمُ المفلحونَ، ومن خَفَّتْ موازينُه فأولئكَ الذين خسروا أنفسَهم بما كانوا بآياتنا يظلمونَ، ثم يُنْصَبُ الصراطُ علىٰ مَتْنِ جَهَنَّمَ وأولُ مَنْ يمرُّ مِنَ الرسلِ بأمته محمدٌ ﷺ، ولا يتكلمُ يومئذ إلا الرسلُ، وكلامُ الرسل يومئذ: اللهم سلِّم سلِّم. ونارُ جَهَنَّمَ علىٰ اليمين والشمال، وفيها كلاليبُ، مثلُ شَوْكِ السَّعْدان، غيرَ أنه لا يَعْلَمُ قَدْرَها إلا اللهُ، تَخْطِفُ الناسَ بأعمالهم فيمر الناسُ عليه علىٰ قَدْرِ أعمالِهم، فمنهم مَنْ يمرُّ كلَمْحِ البَصَرِ،

ومنهم مَنْ يَمُرُّ كالبَرْقِ، ومنهم من يمرُّ كالريح، ومنهم من يمرُّ كالطير، ومنهم من يمر كالفَرَسِ الجَوَادِ، ومنهم من يمشي مَشْياً، ومنهم من يَزْحَفُ زَحْفاً، حتىٰ يَمُرَّ الذي نُورُه علىٰ إبهام قَدَمَيْه، تَخِرُّ رِجلٌ وتَعْلَقُ رِجلٌ فتصيبُ جوانبَه النارُ.

فاتقوا اللهَ إخواني واستعدوا لذلك اليومِ العظيمِ بطاعة الربِّ الرحيم، ولا تَغْفُلُوا ولا تُهْمِلُوا فتكونوا من الأشقياء الخاسرين. أعوذُ باللهِ من الشيطانِ الرجيم، بسمِ الله الرحمٰن الرحيمِ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ۝١ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ١-٢]، رزقني اللهُ وإياكم الاستعدادَ لما أمامَنا وأصْلَحَ لنا شأنَنا كلَّه وأحوالَنا، وحَفِظَ علينا دينَنا وغفر لنا ولوالدينا ولجميعِ المسلمين، إنه هو الغفورُ الرحيم.



أحوالُ الناس يوم القيامة

الحمدُ لله جامعِ الناسِ ليومٍ لا ريبَ فيه، إنَّ اللهَ سميعٌ بصيرٌ، ونشهدُ أنْ لا إله إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له، وهو اللطيفُ الخبير. ونشهدُ أنّ محمداً عبدُه ورسولُه، البشيرُ النذيرُ، والسراجُ المنيرُ، المبعوثُ بأسسِ الحقِّ، وأصول الإيمان، والخضوعِ للمَلِكِ الديّان، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه، والتابعينَ لهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ الدين، وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا ربّكم، واعلموا أنه ما خَلقَكم عبثاً ولن يترككُم سُدًى، خَلَقَكم لتعبدُوه وتقومُوا بدينِه وتطيعُوه، وتُقدِّموا لليوم الآخر. فلا بُدَّ أنْ تُلاقُوه. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝١ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ١-٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔاۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ [لقمان: ٣٣]، في ذلك اليوم تَندكُّ الأرض وتسيرُ الجبالُ، وفي ذلك اليوم تشتدُّ الأمور وتَعظُمُ الأهوالُ، وفي ذلك اليوم يَنْزلُ للقضاءِ بينَ عباده الحَكَمُ العَدْلُ المُتَعال، في ذلك اليومِ تُحشَرُون حافيةً أقدامُكم، عاريةً أجسامُكم، شاخصةً أبصارُكم،

واجفةً قلوبُكم، في ذلك اليوم يَجمعُ اللهُ الأوّلينَ والآخِرينَ، من الإنسِ والجِنِّ، والدوابِّ في صعيدٍ واحد، يُسْمِعُهم الداعيَ، ويُنفِذُهم البصرَ، في ذلك اليوم ﴿يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۝٣٤ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ۝٣٥ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ۝٣٦ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٤-٣٧]، في ذلك اليوم يقبِضُ الأرضَ بيدِه، ويطوي السمٰواتِ بيمينه، ثم يقول: «أنا المَلِكُ، أين الجبارون، أين المُتكبِّرون؟»[١] وفي ذلك اليومِ تدنو الشمسُ من رؤوسِ الخلائق حتىٰ تكونَ قَدْرَ مِيْلٍ فيعرَقُ الناسُ علىٰ قدْرِ أعمالِهم، فمنهم مَنْ يَبلغُ العَرَقُ إلىٰ كَعْبيه، ومنهم مَنْ يَبْلُغُ إلىٰ رُكْبَتَيْه، ومنهم من يبلغ إلىٰ حَقْوَيْهِ، ومنهم من يُلْجِمُه إلجاماً، فعند ذلك يبلغهم من الغمِّ والكَرْب ما لا يُطِيقون ولا يحتملون، فيقول الناسُ: ألا تَرَوْنَ إلىٰ ما أنتم فيه وإلىٰ ما بَلَغَكُم، ألا تنظرون إلىٰ مَنْ يَشفَعُ لكم إلىٰ ربّكم، فيذهبون إلىٰ آدَمَ فيعتذرُ ويقولُ: اذهبوا إلىٰ غيري، اذهبوا إلىٰ نُوحٍ، فيأتونه فيعتذِرُ، ويقول: اذهبوا إلىٰ غيري، اذهبوا إلىٰ إبراهيم، فيأتون إبراهيمَ فيعتذِرُ، ويقول: اذهبوا إلىٰ غيري، اذهبوا إلىٰ موسىٰ، فيذهبون إلىٰ موسىٰ فيعتذرُ، ويقول: اذهبوا إلىٰ غيري اذهبوا إلىٰ عيسىٰ، فيعتذرُ ويقول: اذهبوا إلىٰ غيري، اذهبوا إلىٰ محمد ﷺ، فيأتون نبيَّ الله محمداً ﷺ، فيشفعُ في الناس ليُقضَىٰ بينَهم، وهذا من المقام المحمود الذي

(١) أخرجه مسلم (٢٧٨٨) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

وعَدَه الله نبيَّنا ﷺ في قوله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء: ٧٩][1].

في هذا اليوم يُحاسِبُ اللهُ الخلائقَ علىٰ أعمالهم، فأولُ ما يُحاسَب عليه العبدُ صلاتُه، فإن كانت صالحةً أفلَحَ ونَجَحَ، وإن كانت فاسدةً خابَ وخَسِرَ. ويُقضَىٰ بينَ الخلائقِ فتُرَدَّ المظالمُ إلىٰ أهلِها من حسناتِ الظالم، فإن لم يبقَ شيءٌ من حسناتِه، أُخِذَ من سيئاتِ المظلوم فطُرِحَتْ عليه، ثم طُرِحَ في النار.

في ذلك اليوم يُنصَبُ الميزانُ، ﴿فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلۡفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمۡ فِيهَا كَٰلِحُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٢-١٠٤].

في ذلك اليوم تُنشَرُ الدواوينُ، وهي صحائفُ الأعمالِ، فيأخذ المؤمنون كتابَهم بأيمانِهم مستبشرين مُغْتَبِطينَ، ويأخذُ الكافرون كتابَهم بشمالِهم أو خَلْفَ ظهورِهم حزنين خاسرينَ، ثم يُوضَعُ الصراطُ علىٰ مَتْنِ جهنم، فيمرُّ الناسُ عليه علىٰ قَدْرِ أعمالِهم، فمنهم مَنْ يَمُرُّ كالبَرْقِ، ومنهم من يمرُّ كالريح، ومنهم من يمرُّ كالطير، وكأشَدِّ الرجال، تجري بهم أعمالُهم، ونبيُّكم ﷺ قائمٌ

(١) أخرجه مسلم (١٩٥) من حديث أبي هريرة وحذيفة بن اليمان رضي الله عنهما.

علىٰ الصراط يقول: يا ربِّ سَلِّمْ سَلِّمْ، حتىٰ تَعجِزَ أعمالُ العبادِ، حتىٰ يَجِيءَ الرجلُ فلا يستطيعُ المشيَ إلا زَحْفاً.

وفي يومِ القيامةِ الحوضُ المورودُ للنبيِّ ﷺ، طولُه شهرٌ وعرضُه شهرٌ عليه أحدُهما ذهبٌ والآخرُ فضةٌ، يَصُبَّانِ فيه من الكَوْثرِ، وهو النهرُ الذي أُعْطِيَهُ النبيُّ ﷺ في الجنةِ، وماؤُه أشدُّ بياضاً من اللبن، وأَحْلَىٰ من العسل، وأطيبُ من المسك، وأبرَدُ من الثلج، آنِيَتُهُ كنجومِ السماء في كثرتها وحُسْنِها، مَنْ شَرِبَ منه شَرْبةً، لمْ يظْمأْ بعدَها أبداً، فيَرِدُ عليه المؤمنونَ من أمتِه ﷺ غُرّاً مُحَجَّلينَ من آثارِ الوضوء، ورسول الله ﷺ قائمٌ عليه ينظرُ مَنْ يَردُ عليه مِنْ أمتِه، فيقتطع أناسٌ دونَه، فيقولُ: يا ربِّ أُمتي، فيقالُ: إنَّك لا تَدْرِي ما أحدثوا بعدَك، ما زالوا يرجعون علىٰ أعقابهم[1].

أعوذُ بالله من الشيطانِ الرجيم: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩].

بارك اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفرُ الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

(١) أخرجه البخاري (٦٥٨٥)، ومسلم (٢٢٩٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وفي الباب عن غير واحد من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين.

أحوالُ بني آدم

الحمدُ للهِ الذي خلقَ الخَلْقَ ليعبدُوه، وجعلَ لهم أجَلاً للقائه هُمْ بَالِغُوه، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آله وأصحابِه ومن تَبِعَهم بإحسانٍ، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ واعبدُوه، واذكرُوا نعمةَ اللهِ عليكم واشكروه، وتذَكَّروا بدايتكم ونهايتكم تَعْرِفُوا آياتِ ربِّكم وتُعَظِّمُوه، فقد خلق آدمَ من طينٍ، وجعل نسلَه من سلالةٍ من ماءٍ مهين، فسواهم في بُطونِ أمهاتِهم، ونفخَ فيهم من روحِه، فإن الجنينَ في بطنِ أمه ينتقل إلىٰ أربعة أطوار، يكون أربعين يوماً نطفةً ثم أربعين يوماً علقةً ثم أربعين يوماً مضغةً، فهذه مئةٌ وعشرونَ يوماً، أربعةُ أشهرٍ كاملة، ثم يبعث اللهُ إليه ملكاً فينفخ فيه الروحَ ويكتب رزقَه وأجلَه وعملَه وشقاءه أو سعادته، فيبقىٰ بعد ذلك ما شاء الله أنْ يبقىٰ في بطن أمه، ثم يُخرجُه اللهُ تعالىٰ إلىٰ دارِ العملِ والكسبِ، فيمكثُ فيها ما شاء اللهُ أن يَمْكثَ، ثم ينتقلُ إلىٰ دارِ الجزاء، فإذا مات انقطع عملُه إلا من ثلاثٍ. صدقةٍ جاريةٍ، أو علمٍ يُنتفعُ به، أو ولدٍ صالحٍ يدعو له. فيبقىٰ في البرزخ إلىٰ قيام الساعة، يومَ يقومُ الناسُ من قبورِهم لربِّ العالمين، عاريةً أجسامُهم، حافيةً أقدامُهم، شاخصةً أبصارُهم، ﴿مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ [القمر: ٨].

أيها المسلمون: إنَّ لبني آدمَ حينَ انتقالِهم من دارِ الدنيا إلىٰ الدار الآخرةِ أحوالاً ثلاثاً، بيَّنها اللهُ تعالىٰ في كتابه، في آخرِ سورةِ الواقعة، في قوله: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٨٨-٩٦].

ولقد بيّن النبيُّ ﷺ بالتفصيلِ ما يكونُ عندَ الموتِ وفي القبرِ، فعَنِ البراءِ بنِ عازبٍ رضِيَ اللهُ عنه، قال: كنا في جنازةِ رجلٍ من الأنصارِ في البقيع فأتانا رسولُ الله ﷺ، فقعدَ وقعدْنا حولَه كأن علىٰ رؤوسِنا الطيرَ وهو يُلْحِدُ له أي يجعل له لَحْداً أو يضعه في لحده، فقال: «أعوذُ بالله من عذابِ القبرِ، أعوذُ بالله من عذابِ القبر، أعوذُ بالله من عذابِ القبر» ثم قال ﷺ: «إنّ العبدَ المؤمنَ إذا كان في إقبالٍ من الآخرةِ وانقطاعٍ من الدنيا، نزلت إليه الملائكةُ، كأن وجوهَهم الشمسُ معهم كَفَنٌ من الجنةِ وحَنوطٌ من الجنةِ، فيجلسون منه مدَّ البصرِ، ثم يجيء ملكُ الموتِ حتىٰ يجلسَ عند رأسِه، فيقول: أيتها النفسُ الطَيبةُ اخرُجي إلىٰ مغفرةٍ من اللهِ ورضوان، فتخرجُ تَسِيلُ كما تَسيلُ القطرةُ من فَمِ السِّقاء، فيأخذُها يعني مَلَكُ الموتِ. فإذا أخذَها لم يَدَعُوها في يدِه طرفةَ عينٍ، حتىٰ يأخذُوها فيجعلُوها في ذلك الكفنِ وذلك الحنوطِ ويخرجُ منها كأطيبِ نَفْحةِ مِسْكٍ وُجِدَتْ علىٰ وَجْهِ الأرض، فيَصْعَدُونَ بها إلىٰ السماء، فتُفتحُ

لها أبوابُ السماء، ويُشَيِّعُه مُقَرَّبوها إلىٰ السماء الثانية، وهكذا بقيةُ السمواتِ، فلا يمرونَ بها على ملأ من الملائكة، إلا قالوا: ما هذه الروحُ الطيبةُ، فيقولون: فلانٌ ابنُ فلان، بأحسنِ أسمائِه التي يُدْعَىٰ بها في الدنيا حتىٰ تصلَ إلىٰ السماءِ السابعةِ، فيقول اللهُ عَزّ وجل: اكْتُبوا كتابَ عَبْدِي في عِلِّيين، وأعيدُوه إلىٰ الأرضِ، فإني منها خلقْتُهم وفيها أعيدُهم ومنها أخرجهم تارةً أخرىٰ، فقال: فتُعادُ روحُه في جسدِه فيأتيه مَلَكانِ فيُجلِسَانِه، فيقولانِ له: مَنْ رَبُّكَ؟ فيقول: رَبِّيَ اللهُ. فيقولان له: ما دينُك؟ فيقول: دِيني الإسلام. فيقولان له: ما هذا الرجلُ الذي بُعِثَ فيكم؟ ـ وفي رواية ـ مَنْ نبيُّك؟ فيقولُ: هو رسولُ الله. فينادِي مُنَادٍ من السماءِ أنْ صَدَقَ عَبدي، فأفرِشُوهُ من الجنة، وافتحوا له باباً إلىٰ الجنة، فيأتيه مِنْ ريحِها وطيبِها، ويُفْسَحُ له في قبره مَدَّ بصرِه. ويأتيه رَجُلٌ حَسَنُ الوجه، حَسَنُ الثياب، طَيِّبُ الريح، فيقول: أبْشِرْ بالذي يَسُرُّك، هذا يومُك الذي كنتَ تُوعَدُ. فيقول: مَنْ أنت فوجهُك الوجهُ الذي يأتي بالخير؟ فيقول: أنا عملُك الصالحُ. فيقول: ربِّ أقِمِ السَّاعةَ حتىٰ أرْجِعَ إلىٰ أهلِي ومالِي. وإنَّ العبدَ الكافرَ إذا كان في انقطاعٍ من الدنيا، وإقبالٍ من الآخرة، نزل إليه من السماء ملائكةٌ، سودُ الوجوه، معهم كفنٌ من النار، وحَنُوطٌ من النار، فيجلسون منه مدَّ البصر، ثم يجيءُ مَلَكُ الموت، فيجلسُ عندَ رأسِه، فيقول: أيتها النفسُ الخبيثةُ، اخرُجي إلىٰ سَخَطٍ من الله وغَضَبٍ، فتتفرق في

جسدِه، فينتزعها كما يُنتَزعُ السفُّودُ من الصوفِ المبلول، فيأخذُها فإذا أخذها لم يَدَعُوها في يدِه طرفةَ عينٍ، حتىٰ يجعلُوها في ذلك الكفن، وذلك الحنوط، ويَخْرُجُ منها كأخبثِ ريحِ جيفةٍ وُجِدَتْ علىٰ وجه الأرض، فيصعدونَ بها فلا يمرُّون بها علىٰ ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الريحُ الخبيثُ؟ فيقولون: فلانٌ بنُ فلان، بأقبح أسمائِه التي يُدْعَىٰ بها في الدنيا، حتىٰ يُنْتَهىٰ به إلىٰ السماء الدنيا، فيُسْتَفتَحُ له فلا يُفْتَحُ، ثم قرأ النبيُّ ﷺ: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠]، فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتابَه في سِجِّينٍ في الأرض السُّفلَىٰ، فتُطْرَحُ روحُه ـ يعني إلىٰ الأرض ـ طَرْحاً، ثم قرأ رسولُ الله ﷺ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١]، فتُعادُ روحُه في جسدِه، ويأتيه ملكانِ فيقولان له: مَنْ ربُّكَ؟ فيقول: هَاهْ هَاهْ، لا أدْري. فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاه هاه، لا أدري، فيقولان له: ما هذا الرجلُ الذي بُعِثَ فيكم؟ فيقول: هَاهْ هَاهْ، لا أدْرِي. فيُنَادِي منادٍ من السماء: أنْ كَذَبَ عبدِي، فأفْرِشُوهُ من النار، وافْتَحُوا له باباً إلىٰ النار، فيأتيه من حرِّها وسَمُومِها، ويَضيقُ عليه قبرُه حتىٰ تَختَلِفَ أضلاعُه، ويأتيه رجلٌ قبيحُ الوجهِ، قبيحُ الثياب، مُنتِنُ الريح، فيقول: أبشر بالذي يسوؤك، هذا يَوْمُك الذي كنت تُوعَدُ، فيقولُ: من أنت، فوجهك الوجه الذي يجيء بالشَّر، فيقول: أنا عملُك الخبيثُ، فيقول: ربِّ

لا تُقِمِ السَّاعة»[١] وفي الصحيحين عن أنسِ بنِ مالِكٍ رَضِيَ الله عنه أن النبيَّ ﷺ، قال: «إنَّ الميتَ إذا وُضِعَ في قبره، وتولَّىٰ عنه أصحابُه حتىٰ إنَّه ليَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهم أتاه ملكانِ فأقْعَداه» وذكر الحديثَ وفيه: فيُقالُ: «انظُرْ إلىٰ مقعدِك من النارِ، أبدلَكَ الله به مقعداً من الجنة». قال النبي ﷺ: «فيَرَاهُما جميعاً»[٢].

فاتقوا الله، أيها المسلمون، وأعِدُوا لهذا الأمر العظيمِ عُدَّتَه، وتَعَوّذوا باللهِ من عذابِ القبر، واسألوا اللهَ أنْ يجعلَ لكم القبورَ روضةً من رياض الجنة. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

بارك اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفورُ الرحيم.

* * *

---

(١) أخرجه أحمد ٤/٢٩٥، والحاكم ١/٣٩ من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٧٠)، والبخاري (١٣٧٤) من حديث أنس رضي الله عنه.

حالُ المؤمنِ وحالُ الكافر

الحمدُ لله الذي خلقَ الموتَ والحياةَ ليبلُوَكم أيُّكم أحسنُ عملاً، فيجزي الذين أساؤوا بما عملوا ويَجْزِيَ الذين أحسنوا بالحسنىٰ، ونشهدُ أن لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له، له الملكُ وله الحمدُ، وإليه المنتهىٰ والرجعىٰ، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه أفضلُ مَنْ تعَبَّدَ وبَشَّرَ وأنْذَرَ ودَعَا. صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آله، وأصحابِه ومن تبعهم علىٰ الإيمان والتقوىٰ، وسلَّمَ تسليماً.

أما بعدُ، **أيها الناسُ**: اتقوا الله تعالىٰ: وتذكروا ما أنتم إليه صائرون. واعملوا ليوم فيه إلىٰ ربكم ترجعون.

اعملوا لما بعدَ الموت فالكَيِّسُ مَنْ دانَ نفسَه وعمل لما بعد الموت، والعاجِزُ من أتبعَ نفسَه هواها وتَمَنَّىٰ علىٰ اللهِ الأمانيَّ. تذكروا إذا بلغتِ الروحُ الحُلقومَ، وأنتم حينئذٍ تنظرونَ، تذكروا حينما يقول المفرِّطُ إذا جاءه الموتُ: ﴿رَبِّ ٱرْجِعُونِ ۝٩٩ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ٩٩-١٠٠].

تذكروا إذا كنتم في إدبارٍ مِنَ الدنيا، وإقبالٍ من الآخرة. فإن كان الرجلُ مؤمناً نزلَ إليه ملائكةٌ من السماء، كأن وجوهَهم الشمسُ معهم كَفَنٌ من الجنة، وحَنُوطٌ من الجنةِ فيجلسونَ منه مَدَّ البصرِ ثم يجيءُ مَلَكُ الموتِ فيجلسُ عند رأسِه فيقول: أيتها النفسُ المطمئنةُ اخرُجِي

إلىٰ مغفرةٍ من الله ورضوان، وتخرجُ مُنقَادةً مُسْتَبشِرةً، ثم تصعدُ بها الملائكةُ إلىٰ السماءِ حتىٰ تنتهيَ إلىٰ السماءِ السابعةِ، فيقولُ اللهُ عز وجل: اكتبوا كِتابَ عبدِي في عِلِّيينَ، وأعيدُوه إلىٰ الأرض، فإني منها خَلَقْتُهم وفيها أُعيدُهم، ومنها أُخْرِجُهم تارةً أخرىٰ. فتُعَادُ روحُه فيأتيه الملكانِ يسألانِه عن ربِّه، ودينِه، ونبيِّه، فيثبته الله بالقول الثابتِ ويجيب بالحقِّ، فيقول: ربِّيَ اللهُ، ودِينيَ الإسلامُ، ونبيي محمدٌ ﷺ. فيقولان له: ما يُدْرِيك؟ فيقول: قرأتُ كتابَ اللهِ فآمنتُ به وصدقتُ فيُنادِي مُنادٍ من السماء: أنْ صَدَقَ عبدِي فأفرشوه من الجنة وألْبِسُوهُ من الجنة، وافْتَحُوا له باباً إلىٰ الجنة. ويُفْسَحُ له في قبرِه مَدَّ البصر، ثم يأتيه عملُه الصالحُ في صورةِ رجلٍ، حَسَنِ الوجهِ، حَسَنِ الثياب، طَيِّبِ الريحِ، فيقول: أبْشِرْ بالذي يَسُرُّكَ، هذا يومُك الذي كُنتَ تُوعَدُ.

هذا عبادَ اللهِ حالُ المؤمنِ عند احتضارِه وعند سؤاله، ونعيمُه في قبره. أما نعيمُه بعد قيامِ الساعةِ، إذا ثَقُلَ ميزانُه، وأُعْطِيَ كتابَه بيمينه، وخَلاَ به ربُّه فقرَّره بذنوبه، ثم قال: **«قد سَتَرْتُها عليك في الدنيا، وأنا أغفرُها لك اليوم»**[١] ونعيمُه إذا شَرِبَ من حَوْضِ نبيِّه ورأىٰ الناسَ يذادون عنه، فيقولُ النبيُّ ﷺ: **«يا ربِّ أمتي»** فيقال: **«إنك لا تدري ماذا أحدثوا بعدَك»**[٢].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٤١)، ومسلم (٢٧٦٨) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٨٥)، ومسلم (٢٢٩٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وفي الباب عن غير واحد من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين.

ونعيمُه إذا عَبَر الصراطَ ورأىٰ الكلاليبَ تَخْطَفُ الناسَ، وتَطْرَحُهم في نارِ جهنمَ، ونعيمُه إذا وَصَلَ إلىٰ جناتِ النعيم، وقال لهم الخزنةُ سلامٌ عليكم طِبْتُم فادخلوها خالدينَ في نعيمٍ لا بُؤْسَ معه، وصحةٍ لا سَقَمَ معها، وشَبَابٍ لا هَرَمَ بعده، وحياةٍ لا موتَ بعدها، فما أعظم ذلك النعيم.

أما حالُ الكافرِ فإنه إذا نزل به الموتُ نزل عليه ملائكةٌ من السماءِ سُودُ الوجوه، معهم كَفَنٌ من النار، وحَنُوطٌ من النار، فيجيءُ ملكُ الموتِ عند رأسِه ويقول: أيتها النفسُ الخبيثةُ اخرُجي إلىٰ سَخَطِ اللهِ وغَضَبه فحينئذٍ تَشْمَئِزُّ وتَنْفِرُ، وتتفرَّقُ في جسدِه لسُوءِ ما بُشِّرَتْ به، فينتزعها أشدَّ نَزْعٍ وأعظمَه. ثم تصعدُ بها الملائكةُ إلىٰ السماء، فلا تُفتَّحُ لها أبوابُ السماء، فيقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ: اكتبوا كتابَه في سجِّين، في الأرضِ السفلىٰ، فتُطْرَحُ روحُه إلىٰ الأرض طرحاً ويأتيه الملكانُ، فيسألانِه عن ربِّه، ودينِه، ونبيِّه. فيؤخَذُ علىٰ لسانه، فيقول: هَاهْ هَاهْ، لا أدري، سَمعتُ الناسَ يقولون شيئاً فَقُلْتُه، لأنه لم يَصل الإيمانُ إلىٰ قلبه، وإنما هو مؤمنٌ بلسانه فقط.

فينادي مُنادٍ من السماء: أن كَذَبَ عبدي، فأفْرِشُوهُ من النار، وافتحوا له باباً إلىٰ النار. فيأتيه من حرِّها وسَمُومِها، ويضيقُ عليه قبرُه حتىٰ تختلفَ أضلاعُه. ويأتيه رجلٌ قبيحُ الوجه، قبيحُ الثياب، مُنْتِنُ الريح، فيقول: أبْشِرْ بالذي يَسُوؤُك، هذا يومُك الذي كنت تُوعَدُ، فيقولُ له: من أنت؟ فيقول: أنا عملُك الخبيثُ، فيقول:

ربِّ لا تُقِمِ الساعة، وذلك لسُوءِ ما بُشّرَ به، ولأن هذا العذاب، مُنذِرٌ بما هم أعظمُ منه.

فكيفَ به إذا حُشرَ علىٰ وجهه، أعمىٰ أبكمَ أصمَّ؟ كيفَ به إذا خَفَّ ميزانُه؟ كيفَ به إذا أُوتِيَ كتابَه بشمالِه؟ كيفَ به إذا سيقَ إلىٰ جهنمَ مع أشكالِه، ونُظَرائه، حتىٰ إذا جاؤوها فُتِحَتْ أبوابُها، وقال لهم خزنتُها علىٰ وجهِ التوبيخ واللومِ والتنديم: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٧١ قِيلَ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾[الزمر: ٧١-٧٢] فيدعون بالويلِ والثُبور، ويعترفونَ بالخطأ والتقصير. فيقولون: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ۝١٠٦ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٦-١٠٧] فيقول لهم الملكُ العزيزُ الحكيمُ: ﴿ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٨]، فحينئذٍ ييأسون من كل خير، ويغشاهم العذابُ من فوقهم، ومن تحت أرجلهم، ويقول: ذوقوا ما كنتم تعملون.

فكونوا عبادَ الله، من المؤمنين المتقين ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ۝١٩ لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ [الحشر: ١٩-٢٠].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

حالُ الإنسانِ بعدَ الموتِ

الحمدُ للهِ الذي أحاط بكلِّ شيءٍ عِلْماً. وهو علىٰ كلِّ شيءٍ شهيدٌ، قَدَّر ما شاء بحكمتِهِ وهو الفعالُ لما يُريدُ، وقَسَّم عبادَه إلىٰ قسمين: مُنيبٍ إلىٰ ربه، وعاصٍ مَريدٍ، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له الوليُّ الحميدُ. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه سيدُ الرسلِ وخُلاصةُ العبيد، صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آله وأصحابِهِ ومن تَبِعهم بإحسانٍ في هَدْيِهم الرشيد. وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ: فقد قال اللهُ تعالىٰ عن نفسه: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ۝٢٧ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا﴾ [الجن: ٢٦-٢٨]، إنَّ العالمَ نوعان: عالمٌ حِسِّيٌّ مشهودٌ أو مسموعٌ أو مُدْرَكٌ بغير ذلك من قُوَى الحِسِّ، فهذا يشتركُ في الإحاطةِ به كُلُّ مَنْ له قوةٌ حاسّةٌ تُدْركه، ولا يُنْكِرُه إلا مكابرٌ أو مجنون. وعالمٌ غَيْبِيٌّ لا يعلمُه إلا اللهُ، أو مَنْ أطلعَه اللهُ مِنْ رسلِه علىٰ ما شاء منه لحكمةٍ اقتضَتْ ذلك. فمِنَ العلومِ الغيبية التي اختص الله بها ولم يطَّلِعْ أحدٌ من خَلْقِه عليها، لانتفاء الحكمة في اطّلاع الخلقِ عليها: عِلْمُ الساعة، فإنّه لا يَدْرِي أحدٌ متىٰ تقومُ الساعةُ، إلا اللهُ عز وجل.

يقولُ الله تعالىٰ لنبيه: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الأعراف: ١٨٧]، ولقد سأل جبريلُ النبيَّ ﷺ عنها فقال له النبيُّ ﷺ: «ما المسؤولُ عنها بأعلمَ من السائل»[١] فمَنِ ادَّعىٰ أنه يعلمُ متىٰ تقومُ الساعةُ، فهو كاذبٌ، ومن صدَّقه في ذلك فقد كذَّبَ اللهَ ورسولَه. وإذا كنا لا نعلمُ متىٰ تكونُ الساعةُ، فإننا لا نعلم بأيِّ سببٍ تكونُ سِوىٰ أنَّها من آياتِ اللهِ وقدرتِه، إنما أمرُه إذا أرادَ شيئاً أن يقولَ له: كُنْ فيكونُ ﴿وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [النحل: ٧٧]، ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾ [الحاقة: ١٣-١٥].

ومن العلوم الغيبية، التي أطْلَعَ الله عليها رُسُلَه، وبلَّغُوها إلىٰ الناس لمصلَحتهم ولا طريق إلىٰ العلم بها إلا مِنْ طريقِ الرسل، عِلْمُ ما يَجْري علىٰ الناس بعدَ موتِهم، ومُفارَقَةِ أرواحِهم لأجسادِهم. فإنّ الناسَ قد علموا ذلك عن طريقِ الوحي الذي نزلَ علىٰ الرسلِ من الخَلاَّقِ العليمِ بكلِّ شيءٍ، فقد أخبر اللهُ في كتابه وعلىٰ لسانِ رسولِه ﷺ عن ذلك بما يَشفِي ويَكْفِي، وتَصْلُحُ به أمورُ دينِنا ودُنيانا، أخبرنا عما يَجري للمؤمنِ، وما يَجْرِي للكافر. فأما المؤمنُ الذي استقام علىٰ دينِه، فله السرورُ والفرحُ والنعيمُ، قال الله تعالىٰ:

---

(١) أخرجه مسلم (٨) من حديث عمر رضي الله عنه.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۝٣٠ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ۝٣١ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ۝٣٢﴾ [فصلت: ٣٠-٣٢]، ﴿كَذَٰلِكَ يَجْزِى ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٣١ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٣١-٣٢].

وثَبَتَ عن النبيِّ ﷺ أن المؤمنَ يُبَشَّرُ عند موته فيُقالُ لروحه: اخْرُجي أيتها الروحُ الطيبة، راضيةً مرضيةً عنك، إلىٰ رَوْحٍ ورَيْحَانٍ، وإنه يُفسَحُ له في قبره، ويُفتَحُ له بابٌ إلىٰ الجنة(١)، فيأتيه من رَوْحِها وطيبها، ويُفْرَشُ له من الجنة، ويُلْبَسُ منها، فيكون ما انتقل إليه من النعيم خيراً من الدنيا وما فيها.

وأما الكافرُ، الذي لا يدينُ بدينِ الإسلام سواء كان يهودياً أو نصرانياً أو مجوسياً أو وثنياً، أو مُلْحِداً لا يُؤمِنُ بدينٍ، أو مُرْتداً عن دينِ الإسلامِ يَسْخَرُ بالإسلام أو بشعيرةٍ من شعائرِه كالصلاةِ أو غيرها، فإن له الغَمَّ والحزن والعذابَ عند موتِه وفي قبره. يقول اللهُ تعالىٰ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ

(١) أخرجه أحمد ٤/٢٨٧، والحاكم ١/٣٩ من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.

ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام: ٩٣]، ويقول الله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [الأنفال: ٥٠-٥١].

ويقول تعالىٰ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [محمد: ٢٧-٢٨]، وقال تعالىٰ عن آل فرعون: ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٥-٤٦]، وقال النبي ﷺ: **«والذي نفسي بيده، لا يَسمعُ بي أحدٌ من هذه الأمة** - يعني أمة الدعوة - **يهوديٌّ ولا نصرانيٌّ ثم يموتُ ولم يؤمن بالذي أرسلتُ به إلا كان مِنْ أصحابِ النّار»** رواه مسلم(١)، وقال النبيُّ ﷺ: **«إن أحدَكم إذا مات عُرِض عليه مَقعَدُه بالغداة والعشي، إنْ كان من أهلِ الجنة، فمن أهلِ الجنة، وإن كان من أهلِ النار، فمن أهلِ النار، فيقالُ هذا مَقعَدُكَ حتىٰ يبعثَك اللهُ إليه يومَ القيامة»**(٢). متفق عليه. وصحَّ عنه ﷺ في الكافر أنه إذا كان في انقطاعٍ من الدنيا وإقبالٍ منَ الآخرة يجيئه ملَكٌ فيُبشِّره بالعذاب، ويقول لروحه:

---

(١) أخرجه مسلم (١٥٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٧٠)، والبخاري (١٣٧٤) من حديث أنس رضي الله عنه.

اخرُجي أيتُّها النفسُ الخبيثةُ، اخرُجي إلىٰ سَخَطٍ من اللهِ وغضبٍ، فتتفرقُ في جسدِه لسّوءِ ما بُشِّرت به، فينتزعُها كما يُنتزعُ السَّفّودُ من الصوف المبلولِ المتشبث به، ولا تُفَتَّحُ أبوابُ السماء لها، وتُعادَ إلىٰ جسدِه، فيُسْأَلُ عن ربِّه، ودينِه، ونبيه، فيُحالُ بينَه وبينَ الجواب، وإن كان يعرفُه في الدنيا، ثم يُضَيَّقُ عليه القبرُ، حتىٰ تختلفَ أضلاعُه، ويُفْتَحُ له باب إلىٰ النار، فيأتيه من حرِّها وسمومِها ويُضرَبُ بمطارِقَ مِنْ حديدٍ، فيصيحُ صيحةً يسمعُها مَنْ يليه غيرَ الثقلين.

فهذا ما دلَّ عليه كتابُ الله تعالىٰ وسنةُ رسولِه ﷺ مِنْ نعيمِ المؤمنين وسرورهم عند موتهم وفي قبورِهم، جعلنا الله وإياكم منهم. وهذا ما دل عليه كتابُ اللهِ وسنةُ رسوله ﷺ من عذابِ الكافرين، وحُزْنهم عند موتهم وفي قبورِهم وإلىٰ أبدِ الآبدين. ليس للكافر أياً كان يهودياً أو نصرانياً، أم مجوسياً أو وثنياً، أو مُرتداً عن الإسلام يَسْخَرُ به أو بشيءٍ من شعائره، أو يأتي بشيء من أسباب الرّدة، فليس له بعدَ الموت نعيمٌ ولا سرورٌ، ولا تخفيفٌ من العذاب ولا فتورٌ. ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الزخرف: ٧٤-٧٦] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠﴾ [الأحزاب: ٦٤-٦٦]، وإنَّما النعيمُ والسرورُ والفرحُ والحبورُ بعدَ الموت، للمؤمنين المستقيمين علىٰ أمرِ الله ورسولِه ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ

ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾ [الواقعة: ٨٨-٩١].

فاتقوا الله، أيها المؤمنون وآمنوا برسوله ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢٨-٢٩].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

ذِكرُ شيءٍ من نعيم الجنة

الحمدُ للهِ الذي أعدَّ لعبادهِ المؤمنينَ جناتِ الفردوسِ نُزُلاً، وهَيَّأَ لهم فيها ما لا عينٌ رأتْ، ولا أُذُنٌ سَمِعتْ، ولا خَطَرَ علىٰ قلبِ بَشَرٍ، تكَرَّماً منه وتَفَضُّلاً. ونشهدُ أنْ لا إلـٰهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له، الموصوف بصفاتِ الكمالِ أبداً وأزَلاً. ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، أكملُ الرسل إيماناً وأهداهم سُبُلاً، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آلـهِ وأصحابه، والتابعين لهم إلىٰ يومِ تُحْشَرُ فيه الملأ، وسلّم تسليماً.

أمّا بعدُ: أيُّها المؤمنون اتقوا اللهَ تعالىٰ، وتسارَعوا في الخيراتِ وتَسَابَقُوا إلىٰ الأعمالِ الصالحاتِ. فإنما الأعمارُ لحظاتٌ تمرُّ سريعاً، حتىٰ الممات، فالسعيدُ مَنْ انتهزَ فرصةَ العمرِ، وعمَّرها بطاعةِ المولىٰ. والمحرومُ مَنْ فَرَّطَ في أوقاتِه. فضاعتْ سُدًىٰ وهَملاً.

سابقوا إلىٰ مغفرةٍ من ربِّكم، وجنةٍ عرضُها السمٰواتُ والأرضُ، أُعِدَّتْ للمتقين. الذين يُنفقونَ في السراءِ والضراءِ. والكاظمين الغيظ، والعافينَ عن النّاس، واللهُ يحبُّ المحسنينَ، والذينَ إذا فَعَلُوا فاحشةً، أو ظلموا أنفسَهم، ذكروا اللهَ وعظمتَه وعقابَه، وجزيلَ مغفرته وثوابِه، فاستغفَروا لذنوبِهم. ومَنْ يغفرُ الذنوبَ إلا اللهُ. ولم يُصِرُّوا علىٰ ما فَعلوا وهم يعلمون. أولئك جزاؤهم مغفرةٌ

من ربهم، وجناتٌ تجري مِن تحتِها الأنهارُ خالدين فيها ونِعْمَ أجْرُ العاملينَ. سابقوا إلىٰ جنةٍ أعَدَّ فيها لعبادِه الصالحينَ ما لا عينٌ رأتْ، ولا أذُنٌ سَمِعَتْ، ولا خَطَرَ علىٰ قلبِ بَشَرٍ.

لها ثمانيةُ أبوابٍ، فمَنْ أنفقَ زَوْجَيْنِ مِنْ مالِه في سبيلِ الله، دُعِيَ من أبوابِ الجنة. ومَنْ كان مِنْ أهلِ الصلاةِ، دُعِيَ مِنْ بابِ الصلاة. ومَنْ كانَ مِنْ أهلِ الصدقةِ، دُعِيَ من بابِ الصدقةِ. ومَنْ كان مِنْ أهلِ الجهادِ، دُعِيَ مِن بابِ الجهاد. ومَنْ كانَ مِنْ أهلِ الصيام، دُعِيَ من باب الصيامِ من بابٍ يُقالُ له الريانُ. وإنَّ ما بين مِصرَاعَيْنِ من مَصَاريعِ الجنة، كما بين مكةَ وبُصْرىٰ.

وليَدْخُلَنَّ الجنة من أمةِ محمدٍ ﷺ سبعونَ ألفاً، أو سَبعمائة ألفٍ. متماسكون آخذٌ بعضُهم ببعضٍ. لا يدخلُ أولُهم حتّىٰ يدخلَ آخِرُهم. وُجوهُهم علىٰ صُورةِ القمرِ ليلةَ البدرِ. للمؤمن فيها خَيْمَةٌ مِنْ لؤلؤةٍ واحدةٍ، مُجَوَّفَةٍ طولُها في السّماءِ ستونَ مِيلاً، للمؤمنِ فيها أهلُونَ، يطوفُ عليهم فلا يَرَىٰ بعضُهم بعضاً.

يأكلونَ فيها ويشربون، لكن لا يمتخطون، ولا يبولون، ولا يتغوَّطون. وإنما يخرج جُشاءٌ كريحِ المِسك. يُلهَمُون التَّسبيحَ والتكبيرَ، كما يُلْهَمُونَ النَّفسَ. إذا دخلوا الجنـةَ نادىٰ مُنادٍ: إنَّ لكـم أن تَصِحُّوا فلا تَسْقَمُوا أبداً، وإنّ لكـم أن تَحْيُوا فلا تَمُوتُوا أبداً، وإنَّ لكم أن تَشِبُّوا فلا تَهْرَمُوا أبداً، وإنّ لكم أن تنعَمُوا فلا تَبْأسُوا أبداً.

يناديهمُ اللهُ: «يا أهلَ الجنة، فيقولون: لبَّيْكَ وسَعْدَيْكَ والخيرُ في يَدَيْك، فيقولُ: هل رَضِيتُمْ؟ فيقولون: وما لنا لا نَرْضَىٰ يا ربَّنا، وقد أعْطَيْتنا ما لم تُعْطِ أحداً. فيقولُ: ألا أُعْطِيكم أفضلَ من ذلك؟ فيقولون: وأيُّ شيءٍ أفضلُ من ذلك؟ فيقول: أُحِلُّ عليكم رِضْواني فلا أسْخَطُ عليكم بعده أبداً»[1].

واعلموا رَحِمَكم اللهُ أنَّ أهلَ الجنّة ينظرون إلىٰ ربِّهم بأعيُنِهم ليس بينَهم وبينَه حِجابٌ، كما ثَبَتَ ذلك في الصحيح عن النبيِّ ﷺ، أنه قال: «إذا دخل أهلُ الجنّة الجنةَ، يقولُ اللهُ عزّ وجلَّ: تُريدونَ شيئاً أزيدُكم. فيقولون: ألمْ تُبيِّضْ وُجُوهَنا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنا الجنةَ وتُنَجِّنا من النار؟ قال: فيكشِفُ الحجابَ فما أُعْطُوا شيئاً أحَبَّ إليهم مِنَ النظرِ إلىٰ ربِّهم، ثم تلا هذه الآية: ﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦].

أعوذُ بالله مِنَ الشيطانِ الرجيم: ﴿سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢١].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٤٩)، ومسلم (٢٨٢٩) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

ذكرُ شيءٍ من نعيمِ الجنة

الحمدُ لله الذي جعلَ جناتِ الفردوسِ لعباده المؤمنين نُزُلاً، ونوّع لهم الأعمالَ الصالحةَ ليتخذوا منها إلىٰ تلك الجنات سُبُلاً، ونشهدُ أنْ لا إلـٰهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، خلقَ الموتَ والحياةَ ليبلُوَكم أيُّكم أحسنُ عملاً، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، الذي شمَّرَ للِّحاقِ بالرفيق الأعلىٰ، والوصولِ إلىٰ جناتِ المأوىٰ، ولم يتخذْ سِواها شُغلاً، صلىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آله وأصحابِه والتابعينَ لهم بإحسانٍ ما تتابعَ القطر والندىٰ، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٣٥ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٦]، سارعوا إلىٰ دارٍ فيها ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطَرَ علىٰ قلبِ بشرٍ، مفتاحُها قولُ: لا إلهَ إلا اللهُ، وأسنانه: شرائعُ الإسلام. فمَنْ جاءَ بمفتاح له أسنان فُتِحَ له، ومَنْ جاء بمفتاحٍ بلا أسنان أوشك أنْ لا يدخلَ. أبوابُها ثمانيةٌ فمَنْ أنفقَ زَوْجينِ في سبيلِ الله،

دُعِيَ مِنْ أبوابِ الجنة: يا عبدَ اللهِ هذا خيرٌ، فمَنْ كان من أهلِ الصلاةِ دُعِيَ من بابِ الصلاة، ومَنْ كان من أهلِ الجهادِ دُعِيَ مِنْ بابِ الجهاد، ومَنْ كان من أهلِ الصدقةِ دُعِيَ من بابِ الصدقةِ، ومن كان من أهلِ الصيامِ دُعِيَ من بابِ الريان(١)، وقد يُدْعَىٰ الإنسانُ من جميعِ الأبوابِ، ما بين مِصْراعَيْنِ من مَصَارِيعِها، كما بينَ مكةَ وهَجَر.

بناؤُها لَبِنةٌ مِنْ ذهبٍ، ولَبِنةٌ مِنْ فضةٍ، ملاطها المسكُ، وحَصْبَاؤُها اللؤلؤ والياقوتُ، وتُرابُها الزعفرانُ، فيها غُرَفٌ يُرىٰ ظاهرُها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، للمؤمنِ فيها خَيْمَةٌ من لُؤلؤةٍ واحدةٍ مُجَوَّفَةٍ طولُها ستونَ مِيلاً، فيها شجرةٌ يسيرُ الراكبُ الجوادُ المضمرُ في ظلِّها مئةَ عامٍ لا يقطعُها. قال ابنُ عباسٍ رَضِيَ اللهُ عنهما، في قوله تعالىٰ: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ [الواقعة: ٣٠]، قال: الظلُّ الممدودُ شجرةٌ في الجنة، علىٰ ساق ظلِّها قَدْرُ ما يسيرُ الراكبُ في نواحيها مئةَ عامٍ، يخرجُ إليها أهلُ الجنة أهلُ الغرفِ وغيرُهم، فيتحدثونَ في ظلِّها(٢). غراسُها سبحانَ الله، والحمدُ لله، ولا إلـٰه إلا الله، واللهُ أكبرُ(٣)، جنتانِ فيهما من كلِّ فاكهةٍ زوجان،

(١) أخرجه البخاري (١٨٩٦)، ومسلم (١٠٢٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) انظر تفسير ابن كثير ٤/ ٢٩٠، والحديث أخرجه البخاري (٣٢٥٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه الترمذي (٣٤٦٢) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

وجنتانِ فيهما فاكهةٌ ونخلٌ ورمانٌ، وليست تلك الفواكهُ والنخلُ والرمانُ، كهيئتها في الدنيا، وإنما الاسمُ هو الاسمُ، والمُسمَّىٰ غيرُ المُسمَّىٰ. قد ذُلِّلَتْ قطوفُها تَذْليلاً، إن قام تناولها بسهولة، وإن قعد تناولها بسهولة، كلما قطعَ منها شيئاً خَلَفَهُ آخر، ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا﴾ [البقرة: ٢٥]، في اللون والهيئة، مختلِفاً في الطَعْمِ ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: ٦٢]، ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ﴾ [الدخان: ٥٥]، آمنينَ من الموت، آمنين من الهَرَمِ، آمنين من المَرَض، آمنين من كل خوف، ومن كل نَقْصٍ في نعيمِهم أو زوالٍ ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: ١٠٨]، ﴿فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ﴾ [محمد: ١٥]، أي لم يتغير ولا يتغيرُ أبداً ﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ﴾ بحموضةٍ ولا فساد، ﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ لا يصدعُ الرؤوسَ ولا يزيلُ العقولَ ﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾ [محمد: ١٥]، تجري هذه الأنهارُ من غير حَفْرِ سواقٍ، ولا إقامةِ أُخدُودٍ، يصرفونها كما يشاؤون ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ [الواقعة: ١٧]، إذا رأيتَهم حَسِبْتَهم في جَمالِهم وانتشارِهم في خدمةِ أسيادِهم لُؤلُؤاً منثوراً، يطوفون عليهم بكأسٍ من معين، بيضاءَ لذةٍ للشاربينَ ﴿بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ [الإنسان: ١٥-١٦]، يُعطىٰ الواحدُ منهم قوةَ مئةٍ في الطعام والشراب، ليأكلوا من جميع ما طابَ لهم، ويشربوا

من كلِّ ما لذَّ لهم، ويطولُ نعيمُهم بذلك، ثم يخرج طعامُهم وشرابُهم جشاءً ورَشْحاً من جُلُودِهم كريحِ المسكِ، فلا بولَ، ولا غائطَ، ولا مَخاطَ. لهم فيها أزواجٌ مطهرةٌ من الحيضِ والنفاسِ، والبولِ والغائطِ، وكُلِّ أذَىٰ وقَذَر، هم وأزواجُهم في ظلالٍ علىٰ الأرائكِ متكئونَ، لهم فيها فاكهة ولهم ما يَدَّعون، سلامٌ قولاً من ربٍّ رحيم، أنشأهنَّ اللهُ إنشاءً، فجعلهنَّ أبكاراً، كلما جامعَها زوجُها عادت بِكْراً، وجعلهنّ عُرُباً أتراباً، والعَرُوبُ: هي المرأة المُتَوَدِّدةُ إلىٰ زوجها، أتراباً علىٰ سنٍّ واحدةٍ، فيها ما تشتهيه الأنفسُ، وتلَذُّ الأعين، وهم فيها خالدون، لا يَبْغُون عنها حِوْلاً ولا هم عنها مُخْرَجُون، ينادي منادٍ أنّ لكم أنْ تَصِحُّوا فلا تسقموا أبداً، وأنَّ لكم أن تَحْيَوا فلا تَمُوتُوا أبداً، وأنّ لكم أن تَشِبُّوا فلا تَهْرَمُوا أبداً، وفوقَ ذلك أنّ اللهَ أحلَّ عليهم رِضوَانَه فلا يَسْخَطُ عليهم أبداً، وفوقَ ذلك كلِّه ما يَحْصُلُ لهم من النعيم برؤيةِ ربِّهم البرِّ الرحيمِ، الذي مَنَّ عليهم حتىٰ أوْصَلَهم بفضله إلىٰ دارِ السلامِ وَالنعيم، فإنهم يَرَوْنَه عيَاناً بأبصارِهم كما قال تعالىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]، وقال النبيُّ ﷺ: «إنكم سَتَرَوْنَ ربكم كما تَرَوْنَ القمرَ ليلةَ البدرِ، فإن استطعتم أنْ لا تُغْلَبُوا علىٰ صلاةٍ قبلَ طلوعِ الشمس، وصلاةٍ قَبْلَ غروبها فافعلوا»(١)، فإن سألتم عن

(١) أخرجه البخاري (٥٥٤)، ومسلم (٦٣٣) من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه.

أهل هذه الجناتِ، وساكني تلك الغرفات، فهم الذين وصفهم اللهُ في محكم الآياتِ بقوله الحق: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١-١١].

اللهم إنا نسألك الجنةَ، وما قرَّب إليها من قولٍ وعملٍ، ونعوذُ بك من النارِ وما قرَّبَ إليها من قولٍ وعملٍ. اللهم تُبْ علينا واغفرْ لنا وارحمْنا إنك أنت التوابُ الغفورُ الرحيمُ.

* * *

ذكرُ شيءٍ من نعيم الجنة

الحمدُ لله الذي دعا إلىٰ دارِ السَّلام، إلىٰ جنةٍ عرضُها السمواتُ والأرضُ، ليس فيها تنغيصٌ، ولا همومٌ، ولا أكدارٌ. ونشهدُ أنْ لا إلـٰهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له، ذو الجلال والإكرام. ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، المصطفىٰ علىٰ جميعِ الأنام. صلَّىٰ الله عليه وعلىٰ آلـهِ وأصحابه، والتابعين لهم بإحسانٍ، وسلَّمَ تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا الله تعالىٰ، وسارعوا إلىٰ مغفرةٍ من ربِّكم وجنةٍ عرضُها كعرضِ السماءِ والأرض، فيها ما لا عينٌ رأَتْ، ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ، ولا خَطَرَ علىٰ قَلْبِ بَشَرٍ. فيها ما تشتهيهِ الأنفسُ، وتَلَذُّ الأعينُ، فيها أنهارٌ من ماءٍ غيرِ آسنٍ، وأنهارٌ من لبن لم يتغيرْ طعمُه، وأنهارٌ من خمر لذةٍ للشاربين، وأنهارٌ من عسلٍ مُصَفّىٰ، يُسْقَوْنَ من رحيقٍ مختومٍ، ختامُه مسكٌ ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾ [الواقعة: ١٧-١٨]، إذا رأيت هؤلاءِ الولدانَ حَسِبْتَهم لؤلؤاً منثوراً.

طعامُهم فواكهُ مما يَتَخَيَّرون، من كلِّ فاكهةٍ زوجان. ولحمُ طيرٍ مما يشتهون، لا يبولون فيها، ولا يتغوطون، ولا يتمخطون، لأنهم مطهرون من الفضلات، وإنما يخرج طعامهم وشرابهم جُشَاءً ورَشْحاً، كريحِ المسكِ، لباسُهم فيها حريرٌ من سُنْدُسٍ وإستبرقٍ،

﴿عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ [الإنسان: ٢١]، يُحلَّون فيها من أساورَ من ذهبٍ، ولؤلؤاً وفضة.

جَلَساتُهم جلساتُ الأنس، والفرح، والسرور. متكئين علىٰ فُرُشٍ بطائنُها من إستبرقٍ، علىٰ رَفرَفٍ خُضرٍ، متقابلين عليها، مصفوفة لهم متصافين. قال الله تعالىٰ: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧]، لا تسمع فيها لغواً من القول ولا تأثيماً، إلا كلاماً طيباً سلاماً قد لقاهم الله تعالىٰ، نضرةً في وجوههم وسروراً في قلوبهم.

أما أهْلُوهم، فمَنْ كان مؤمناً في الدنيا جمع اللهُ بينَه وبينَ أهله المؤمنينَ في الجنة ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور: ٢١].

ولهم فيها أزواجٌ مطهرةٌ، حورٌ عينٌ كأمثالِ اللؤلؤ المكنون قاصراتُ الطرفِ عن غيرِ أزواجهن، فلا ينظرن إلىٰ غيرِ أزواجِهن ولا يروق في أعينِهن غيرُ أزواجِهن، وهن قاصراتُ طرف الزوج، فلا ينظر الزوج إلىٰ غيرِهن ولا يُروقُ له غَيرُهن، وذلك لكمالِ النعيمِ وتحصل الراحةُ والسرورُ، أنشأهُنَّ اللهُ إنشاءً كاملاً فجعلهن أبكاراً، دائماً كلما أتاها زوجُها، فهي بكرٌ، ومع ذلك فهي عَرُوبٌ تتَوَدَّدُ إلىٰ زوجها بالقولِ وبالفعلِ. وهن أترابٌ علىٰ سِنٍّ واحدة، لا نزاعَ بينَهُنَّ، ولا تباغضَ، فما أكملَ نعيمه بينهن! وما أبلغ أنسه معهن!

وفي سُنَنِ ابنِ ماجه من حديثِ أسامةَ بنِ زَيْدٍ رَضِيَ الله عنه، أن النبي ﷺ، قال: «ألا هل من مُشَمِّرٍ إلىٰ الجنة، فإنَّ الجنةَ لا خَطر لها، هي وربِّ الكعبةِ نورٌ يتلألأ، وريحانةٌ تهتزُّ، وقصرٌ مشيدٌ، ونهرٌ مُطَّردٌ، ثمرةٌ نضيجةٌ، وزوجةٌ حسناءُ جميلة، وحُلَلٌ كثيرةٌ، ومقامٌ في أبد في دار سليمة، وفاكهةٍ وخُضْرَةٍ وحِبرَةٍ ونعمةٍ في محلَّةٍ عالية بهية» قالوا: نعم يا رسولَ الله نحن المُشمِّرون لها. قال: «قولوا إن شاءَ الله»[1] فقال القومُ: إن شاءَ الله.

أيها المسلمون: إنَّ هذا النعيمَ الكاملَ الذي لا يمكن للواصف أن يُعَبِّرَ عنه، ولا للقلبِ أن يَتصوَّرَه. هذا النعيمُ خالٍ من كلِّ كَدَر، سالمِ من كلِّ نَقْصٍ، ينادي مُنادٍ: يا أهلَ الجنة، إنَّ لكم أن تَشِبُوا فلا تَهْرَمُوا أبداً، وإن لكم أن تصحُّوا فلا تَسْقَمُوا أبداً، وإن لكم أن تنعموا فلا تباسوا أبداً، وإن لكم أنْ تحيوا فلا تموتوا أبداً[2].

هذا والله هو النعيمُ الذي يستَحِقُّ أن تُبْذَلَ له نَفَائِسُ الأموال، وأن تُستَوْعَبَ في العمل له والوصول إليه جواهرُ الأعمار. إننا في هذه الدنيا نسعَىٰ بكلِّ قُوانا الفكرية، والجسمية، والمالية. نَسْعَىٰ للترَفُّهِ والنعيمِ في هذه الدارِ ذلك النعيمُ المشوب بالتنغيص والتكدير،

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٣٣٢) من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٣٧) من حديث أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما.

ذلك النعيمُ الذي لا يُضْمَنُ دوامُه في حياة الإنسان. وبالتأكيدِ لن يَبْقَىٰ له الإنسانُ، بل سوف يُفارِقُه أكرهَ ما يكونُ مفارقةً له، وأشدَّ ما يكونُ فيه رغبةً، ولا يدري في أي وقت يرحَلُ عنه.

إننا نَسْعَىٰ جادِّين بكلِّ قوانا لهذا النعيم المنغص الناقص. والكثيرُ منا غافلون مُعْرِضُون عما وَصَفْنا بعضَه من نعيمِ الآخرة. مع أن نعيمَ الآخرةِ أيسرُ مؤونةً وأسهلُ إدراكاً. جاء في الحديث: «إن الجنةَ قيعانٌ، وإن غِراسَها سبحانَ الله، والحمدُ لله، ولا إلـٰه إلا اللهُ، واللهُ أكبرُ»[1] بكل واحدةٍ من هذه يَغْرِسُ شجرةً في الجنةِ مضمونةَ البقاءِ مضمونةَ الإنتاج. فهل بعدَ هذا اليسرِ من تَيسيرٍ.

إنَّ عملَ الجنةِ يتلخصُ في أمرين ذكرهما اللهُ في كتابه، وذكرهما النبيُّ ﷺ في سنته. الأمران هما الإيمان باللهِ والاستقامةُ علىٰ دينه. قال اللهُ تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝١٣ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الأحقاف: ١٣-١٤]، وسُئِلَ النبيُّ ﷺ، عن الأمرِ الذي يُعتَصَمُ به. فقال: «قُلْ ربِّيَ اللهُ ثم استقم»[2].

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٤٦٢) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد ٣/٤١٣، والترمذي (٢٤١٠)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١١٤٨٩)، وابن ماجه (٣٩٧٢) من حديث سفيان بن عبد الله الثقفي رضي الله عنه.

فآمِنُوا أيها المسلمونَ بربّكم، واستقيمُوا علىٰ دينكم واثبُتُوا عليه، وقُومُوا به كما أُمِرْتُم تنالوا بذلك رحمةَ ربّكم. ولا يفتكم بذلك شيء من مصالحِ دنياكم، كما قام بذلك خيرُ الأمة من السلفِ الصالحِ، فحصَّلُوا الدينَ والدنيا والآخرة.

أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.



شيءٌ من نعيم الجنة

الحمدُ لله الذي جعلَ جناتِ الفردوسِ لعباده المؤمنين نُزُلاً، ونوّع لهم الأعمالَ الصالحة، ليتخذوا منها إلىٰ تلك الجنات سُبُلاً، وجعل ميعادَ دخولِها يومَ القدومِ عليه وضربَ مدةَ الحياةِ الفانية دونَه أجَلاً، وأودعها ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطر علىٰ قلب بشر. وكمَّلَها بدوامِ نعيمِها، فأهلُها خالدون فيها أبداً، لا يَبْغُون عنها حِوَلاً، والحمدُ لله الذي أرسلَ الرسلَ مُبَشِّرينَ ومُنْذِرينَ، ولم يتركْ عباده هَمَلاً غير مأمورينَ ولا مَنهِيِّين، فقامتِ الحجةُ وانتفت الشُّبهةُ، وبانت الطريقُ لِمَنْ أرادَ سلوكَها، غيرَ أنه بحكمتِهِ زيَّنَ لهم هذه، فكانت فتنةً أُفتنَ بها قومٌ فغفلوا عما أُريدَ بهم، ونَسُوا دارَ القرار. وأشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له، فاطرُ السمٰواتِ والأرض، وجامعُ الناسِ ليوم الميعادِ والعرض، ليَجْزيَهم بما عملوا من خيرٍ وشرٍ ﴿يَوۡمَ تَجِدُ كُلُّ نَفۡسٍ مَّا عَمِلَتۡ مِنۡ خَيۡرٍ مُّحۡضَرًا وَمَا عَمِلَتۡ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوۡ أَنَّ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَهُۥٓ أَمَدَۢا بَعِيدًا﴾ [آل عمران: ٣٠]، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، وأمينُه علىٰ وحيِه وخِيرتِه من خلقِه، بَعَثَهُ اللهُ تعالىٰ للإيمانِ مُنادياً، وإلىٰ دارِ السلام دَاعِياً، وبالمعروفِ آمراً، وعن المنكرِ نَاهِياً. وفَرَضَ علىٰ العبادِ طاعتَه، والقيامَ بحقوقِه، وسدّ جميعَ الطرقِ إلىٰ الجنةِ فلم يفتحْها لأحدٍ إلا من طريقه فبلَّغَ رسالة ربِّه، ونَصَحَ لعبادِه، حتىٰ لَحِقَ بالرفيقِ

الأعلىٰ، وتَرَكَ أمتَه علىٰ المحجة البيضاء، فسلكَها الراغبونَ في جنات النعيم، وعَدَلَ عنها المَخْذُولونَ إلىٰ طريقِ الجحيم. فصلواتُ الله وسلامُه عليه، وعلىٰ آله وأصحابِه والتابعينَ لهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ الدين.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا الله تعالىٰ ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٥].

سارِعُوا إلىٰ جنةٍ لا يفنىٰ نعيمُها ولا يَبيدُ، وليس في نعيمِها انقطاعٌ ولا تنغيصٌ ولا تنكيدٌ، ساكِنُوها أفضَلُ عبادِ الله، الرسلُ والأنبياءُ، والأولياءُ والأصفياءُ، والصالحونَ والشهداءُ إخواناً علىٰ سُرُرٍ متقابلين، قَدْ نزعَ الله ما في صدورهم من الغِلِّ، فكانت صفاءً، وطهَّرَ اللهُ ألسنتَهم من السُّوءِ فقالت صَواباً، لا يَسْمَعُونَ فيها لغواً ولا تأثيماً، إلا قيلاً سلاماً سلاماً. يتحدثون بينَهم فيما جَرَىٰ عليهم في الدنيا، وما مَنَّ اللهُ به عليهم من الهُدَىٰ ﴿وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبۡلُ فِيٓ أَهۡلِنَا مُشۡفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلُ نَدۡعُوهُۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الطور: ٢٥-٢٨].

لهم فيها أزواجٌ مطهرةٌ من كلِّ عيبٍ ودَنَسٍ، خيّراتُ الأخلاقِ، حِسَانُ الوجوه، قاصراتُ الطرفِ، مقصوراتٌ في الخيام، كأنهن الياقوتُ والمرجانُ، أنشأهُنَّ اللهُ إنشاءً كاملاً بديعاً، فجعلهُنَّ أبكاراً دائماً عُرُباً يَتَحَبَّبْنَ إلىٰ أزواجِهِنَّ، بتحسين الظاهر والباطن، أتراباً علىٰ سنٍّ واحدة، هم وأزواجهم في ظلالٍ علىٰ الأرائك متكئون، لهم فيها فاكهةٌ ولهم ما يدَّعُون، سلامٌ قولاً من ربٍّ رحيم، لهم فيها فواكهُ كثيرةٌ منها يأكلون، قطوفُها دانيةٌ يتناولُها مَنْ اشتهاها، بكلِّ سهولةٍ قائماً وقاعداً، وعلىٰ كلِّ حالٍ ﴿لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ [الواقعة: ٣٣]، ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا﴾ [البقرة: ٢٥].

﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: ٦٢]، ﴿فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾ [محمد: ١٥]، يطوفُ عليهم وِلْدانٌ مخلدونَ مُنَعَّمونَ، إذا رأيتَهم حَسِبْتَهم لُؤلؤاً منثوراً، يطوفون عليهم بأكوابٍ وأباريقَ وكأسٍ من معين، لا يُصَدَّعُون عنها ولا يُنْزِفُونَ، بآنيةٍ من فضةٍ قدروها تقديراً، مُقَدَّرةً بقَدَرِ ما يَشْتَهيه الشاربُ، بحيثُ لا تَزِيدُ علىٰ ما يشتهيه فيبقىٰ فيه فَضْلَةٌ، ولا تَنْقُصُ عما يُريدُه فيحتاجُ إلىٰ تكملةٍ وفيها ما تشتهيه الأنفسُ، وتلَذُّ الأعينُ، فلا تعلمُ نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لهم من قرةِ أعينٍ، جزاءً بما كانوا يعملون، يُحِلُّ اللهُ عليهم رضوانَه فلا يَسْخَطُ عليهم أبداً، ويتَجَلَّىٰ لهم فينظرونَ إليه، فلا يجدون نعيماً

أكملَ من النظرِ إلىٰ اللهِ عز وجل: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]. إذا دخل أهلُ الجنة الجنة نادىٰ مُنادٍ: إنَّ لكم أن تَصِحُّوا فلا تَسْقَمُوا أبداً، وإنَّ لكم أنْ تَحْيَوْا فلا تَمُوتُوا أبداً، وإن لكم أن تَشِبُّوا فلا تَهْرَمُوا أبداً، وإن لكم أن تَنعَمُوا فلا تَبْأَسُوا أبداً[١].

أيها المسلمون: إنَّ هذه الدارَ مضمونةٌ لكلِّ مَنْ آمَنَ باللهِ واستقامَ علىٰ أمرِه سامعاً مطيعاً، راغباً فيما عند الله، زاهداً فيما يبعده عن الله ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۝٣٠ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ۝٣١ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٠-٣٢].

فبُؤساً لقومٍ آثروا الدنيا عليها، فباعوا عيشاً لا يفنىٰ ولا يزولُ، بعَيْشٍ زائلٍ، مملوءٍ بالتنكيدِ، إنْ أضْحَكَ قليلاً أبْكَىٰ كثيراً، وإنْ سَرَّ يوماً أحْزَنَ شُهوراً، آمالُه آلامٌ، وحقائقُه أحلامٌ، وأولُه مخاوفُ، وآخرُه متالفُ، بُؤساً لقومٍ نَعِمُوا في الدنيا كأنما خُلِقُوا لها وسَلَكُوا في تحصيلها كلَّ طريق، من حلالٍ أو حرام، كأنما خلقوا لها وهم يعلمون ما فيها من الهموم والأحزان، ومن تقلبات الأحوال،

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٣٧) من حديث أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما.

وتَغَيُّراتِ الأزمان، بُؤساً لقومٍ نَسُوا الآخرةَ وأهملُوها، وتركوا أوامرَ اللهِ وأضاعوها. غداً يقال لهم ﴿فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٤].

اللهم إنا نسألك أنْ تجعلَنا من أهلِ الجنات، وأن تباعدَنا عن النار، دارِ الهلاكات، وأنْ تتوفانا علىٰ الإيمانِ والتوحيد، وتعيذنا من الكفر والشرك والتنديد، إنك جوادٌ كريمٌ. وصلَّىٰ الله وسلم علىٰ نبيِّنا محمدٍ، وآله وصحبه أجمعين.



ذكرُ شيءٍ من نعيم الجنة

الحمدُ للهِ الذي جعل جناتِ الفردوس لعباده المؤمنين نُزُلاً، ونوَّع لهم الأعمالَ الصالحة ليتخذوا منها إلىٰ تلك الجنات سُبُلاً. ونشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له، الذي خلق الموتَ والحياةَ ليبلُوَكُمْ أيُّكم أحسَنُ عملاً. ونشهدُ أنّ محمداً عبدُه ورسولُه، الذي شمَّر للُّحاقِ بالرفيقِ الأعلىٰ، والخلودِ في جناتِ المأوىٰ، ولم يتخذْ سِوَىٰ ذلك شُغْلاً، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه والتابعينَ لهم بإحسانٍ ما تتابَعَ القطرُ والنَّدَىٰ، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ: أيها الناس، اتقوا الله تعالىٰ ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ۝١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝١٣٤ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٥]، سارعوا إلىٰ دارٍ أعدَّها اللهُ لعبادهِ الصالحين، لهم فيها ما تشتهيه الأنفسُ، وتَلَذُّ الأعينُ، وهم فيها خالدون. فيها ما لا عينٌ رأَتْ، ولا أذُنٌ سَمِعَتْ، ولا خَطَرَ علىٰ قلْبِ بَشَرٍ[1] ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ

(١) أخرجه البخاري (٣٢٤٤)، ومسلم (٢٨٢٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

يَعۡمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧]، مفتاحها قول لا إلـه إلا الله وأسنانه شرائع الإسلام، فمن جاء بمفتاح له أسنان فُتح له، ومن جاء بمفتاح بلا أسنان أوشك أنْ لا يدخل أبوابها الثمانيةُ، فمَنْ أنفق زوجين في سبيل اللهِ دُعِيَ من أبوابِ الجنة: يا عبدَ الله هذا خيرٌ. مَنْ كان من أهلِ الصلاةِ دُعِيَ من بابِ الصلاةِ، ومَنْ كان من أهل الجهاد دُعِيَ من بابِ الجهاد، ومَنْ كان من أهلِ الصدقةِ دُعِيَ من أبواب الصدقة، ومَنْ كان من أهل الصيامِ دُعِيَ مِنْ بابِ الريان، ومَنْ كان من أهل هذه الخصالِ كلِّها دُعِيَ من أبوابها كلِّها.

بناؤُها لَبنةٌ مِنْ ذَهَبٍ، ولَبنةٌ مِنْ فِضةٍ، بلاطها المسكُ، وحَصْبَاؤُها اللؤلؤُ والياقوتُ، وتُرابُها الزعفرانُ، فيها غُرفٌ من حُسْنِها يُرَىٰ ظاهرُها من باطنها وباطنها من ظاهرها، للمؤمن فيها خيمةٌ من لؤلؤةٍ واحدةٍ، مُجوَّفةٍ طولُها ستونَ مِيلاً ﴿فِيهَآ أَنۡهَٰرٞ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ وَأَنۡهَٰرٞ مِّن لَّبَنٖ لَّمۡ يَتَغَيَّرۡ طَعۡمُهُۥ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ خَمۡرٖ لَّذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ عَسَلٖ مُّصَفّٗىۖ وَلَهُمۡ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [محمد: ١٥]، ﴿مِن كُلِّ فَٰكِهَةٖ زَوۡجَانِ﴾ [الرحمٰن: ٥٢]، ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٞ﴾ [الحاقة: ٢٣]، يتناولها المؤمنُ بكلِّ سهولة، قائماً وقاعداً كلما أخذَ منها شيئاً خَلفَه آخرُ، ﴿لَّا مَقۡطُوعَةٖ وَلَا مَمۡنُوعَةٖ﴾ [الواقعة: ٣٣]، ﴿يَدۡعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ﴾ [الدخان: ٥٥]، آمنينَ من الموت، ومن الهَرَم ومن المَرَض ومن انقطاع تلك الفاكهة أو نَقْصِها، آمنينَ من كلِّ خوفٍ ﴿فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [البقرة: ٣٨]، ﴿كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا قَالُواْ

﴿هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا﴾ [البقرة: ٢٥]، في اللون والهيئة، مختلفاً في الطعمِ والمذاق.

﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: ٦٢]، ﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ۝٢١ وَحُورٌ عِينٌ ۝٢٢ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ﴾ [الواقعة: ٢١-٢٣]، قاصراتُ الطرف، فلا ينظرن إلىٰ غير أزواجهن، ولا يتطلعُ أزواجُهُنَّ إلىٰ غيرهِنَّ، أنشأهُنَّ اللهُ إنشاءً، فجعلهن أبكاراً، كلما جامعَها عادت بِكْراً عُرُباً. والعروبُ: هي المتوددة إلىٰ زوجها. أتراباً: علىٰ سنٍّ واحدة، ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾ [الرحمٰن: ٧٤] ﴿هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ۝٥٦ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ﴾ [يسۤ: ٥٦-٥٧]، ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ۝١٧ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ۝١٨ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ﴾ [الواقعة: ١٧-١٩]، دارٌ مُطَهَّرةٌ من كلِّ خَبَثٍ وقَذَرٍ، فلا غائطٌ، ولا بولٌ، ولا مُخاطٌ، ولا نتن، وإنما يخرجُ الطعامُ والشرابُ جُشَاءً ورَشْحاً من جُلُودهم كريحِ المسك، يجمع اللهُ فيها الأولادَ إلىٰ آبائهم، وإن كان الأولادُ أقلَّ منهم منزلةً في الجنة، ليتمَّ بذلك نَعيمَهم، ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ۚ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور: ٢١]، قد نَعِمَ كلُّ واحدٍ منهم بما رزقَه اللهُ، فلا يَرىٰ أحداً أكملَ نعيماً منه، خالدين فيها لا يَبْغُونَ عنها حِوَلاً، قد لقَّاهم اللهُ تعالىٰ نُضْرَةً في وجوهِهم وأبدانِهم، وسُروراً في قلوبهم، فجمعَ اللهُ لهم بينَ نعيمِ الظاهرِ والباطنِ، نعيمِ البدنِ ونعيمِ القلبِ، يُنادِي

مُنَادٍ: إنَّ لكم أنْ تَصِحُّوا فلا تَسْقَمُوا أبداً، وإنَّ لكم أنْ تَشِبُّوا فلا تهرَمُوا أبداً، وإنَّ لكم أنْ تَحْيَوا فلا تَمُوتوا أبداً.

سكانُها ﴿ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩]، ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ۝٢٥ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا﴾ [الواقعة: ٢٥-٢٦]، يتحدثون بما أنعمَ الله عليهم من هذا النعيم، وبما مَنّ الله به عليهم فوقاهم عذابَ السموم ﴿وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [يونس: ١٠]، يُلهَمُونَ التسبيحَ كما يُلْهَمُونَ النفَسَ، قد أحلَّ اللهُ عليهم رضوانَه فلا يَسْخطُ عليهم أبداً، وقد منَحهم رؤيةَ وجْهه الكريم، فهم يَرَوْنَه عياناً بأبصارهم، وينظرون إليه كما يشاءُ اللهُ، ولا يجدون نعيماً أكملَ من هذا النعيم، لأنهم ينظرون وَجْهَ مَنْ هُوَ أَحَبُّ شَيْءٍ إليهم، وما منّ عليهم فأوصلَهم إلىٰ ما هم فيه من النعيم المقيم.

عبادَ الله: إن ما وصفنا لكم من نِعَمِ تلك الدارِ لهو حَقُّ اليقين، وإن الوصول إليها لسهلٌ يسيرٌ علىٰ مَنْ يَسَّره اللهُ عليه من العالَمين، وإنها لرخيصة بكلِّ ثمنٍ للموقنين، فهنيئاً للمشترين.

والله لو وُصِفَ للواحدِ منّا بستانٌ، مِنْ أكملِ بساتين الدنيا لبذَلْنا الجُهْدَ، وعانينا المشقةَ في الوصولِ إليه مع أنَّ نعيمَ الدنيا زائلٌ ناقص مُنَغَّصٌ بكلِّ كَدَرٍ، ولكنَّ النفوس فُتِنت بالدنيا فأعرضت عن الآخرة، ورانَ علىٰ القلوب ما كسبت، فأصبحت محجوبةً قاسيةً.

أيها المسلمون: هذه الدارُ التي سمعتم أوصافَها مِفتاحُها: لا إلـهَ إلا اللهُ، وأسنانُه: شرائعُ الإسلام، وغراسُها قولُ: سبحانَ الله، والحمدُ لله، ولا إلـه إلا الله، والله أكبرُ[1]، مَنْ قال واحدةً منها غُرِسَ له بها شجرةٌ في الجنة، ولئن سألتم عن أهلِ هذه الجنات وساكني تلك الغرفات فاستمعوا إلىٰ وصفِهم في مُحْكَمِ الآيات: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١-١١].

اللهمَّ إنا نسألُك أن تجعلَنا من أهلِ هذه الجناتِ وممن وقيتهم السيئات، إنك أنت جوادٌ كريمٌ، رؤوف رحيم.

* * *

(١) أخرجه الترمذي (٣٤٦٢) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

ذكرُ شيءٍ من نعيمِ الجنة

الحمدُ للهِ الذي أعدَّ جناتِ الفردوس لعبادِه المؤمنين نُزُلاً وجعل فيها من أنواع النعيم ما لا عينٌ رأت ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ ولا خطر علىٰ قلب بشرٍ تفضُّلاً منه وكرماً، ونشهدُ أن لا إلـٰه إلا اللهُ وحده لا شريك له ذو الفضل والإنعام، والجلال والإكرام، ونشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه أفضلُ الأنام والداعي إلىٰ دار السلام صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه ما تعاقبت الليالي والأيام وسلّم تسليماً.

أما بعد، أيها المؤمنون: اتقوا الله تعالىٰ ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾[آل عمران: ١٣٣-١٣٦]، سارعوا إلىٰ جنّة النعيم المقيم في جوار الربِّ الرحيم الكريم، سارعوا إلىٰ جنة أعدَّ اللهُ فيها لعباده الصالحين ما لا عينٌ رأت ولا أُذُنٌ سمعَتْ ولا خطر علىٰ قلب بشرٍ، سارعوا إلىٰ جنة عرضُها السمواتُ والأرضُ بين كل مصْراعَيْنِ من مَصَاريعها كما بين مكة وهَجَر،

بناؤُها لبنةٌ من ذهبٍ ولبنةٌ من فضةٍ ومِلاطُها المسكُ وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت، وترابُها الزعفران، للمؤمن فيها خيمةٌ من لؤلؤةٍ واحدةٍ مُجَوَّفةٍ طولُها في السماء ستون ميلاً، أنهارُها أربعةٌ، فأنهارٌ من ماءٍ غير غير آسنٍ يعني غير متغيرٍ ولا قابلٍ للتغير، وأنهارٌ من لبنٍ لم يتغيرْ طعمُه لذيذُ الطعمِ سائغُ الشراب حلوُ المذاق، وأنهارٌ من خمرٍ لذةٍ للشاربين، لا فيها غولٌ ولا هم عنها يُنزَفون، فلا توجَعُ بطونهم ولا تصدعُ رؤوسهم ولا تُذهِبُ عقولهم، وأنهارٌ من عَسَل مصفّى فليس فيه شمعٌ ولا غثاءٌ ولا أوساخ، هذه الأنهارُ تجري في الجنة كما شاء أهلها من غير حفرِ سواقٍ ولا إقامة أخدودٍ، وإنما تجري علىٰ وجهِ أرض الجنة بقدرة الملك العظيم المعبود، فيها من كلٍّ فاكهة زوجان يُؤتَون بالفاكهة فيها مختلفة في الطعوم متشابهةً في الألوان، فواكهُها دائمةٌ لا مقطوعةٌ ولا ممنوعةٌ وقطوفُها دانيةٌ فلا مشقةَ في أخذِها ولا صعوبة، متى اشتهىٰ أحدُهم القطفَ دنا إليه وتدلّىٰ فأخذ منه ما اشتهىٰ وتمنّىٰ، يُسقَوْنَ فيها من رحيقٍ مختومٍ، خِتامه مسكٌ، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون، لا يبولُ أهلُها ولا يتغوطونَ ولا يمتخطون، وإنما طعامُهم جُشاءٌ أو عَرَقٌ كريح المسك يُلهمون التسبيحَ والتكبيرَ كما يلهمون النفسَ، دعواهم فيها سبحانك اللهمَّ وتحيتهم فيها سلامٌ، وآخرُ دعواهم أن الحمدُ لله رب العالمين، من يدخل الجنة ينعم لا يبأسُ ويحيىٰ فلا يموتُ لا تفنىٰ ثيابُهم ولا يَبلى شبابهم ينادَون إن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا

أبداً وإن لكم أن تصِحّوا فلا تمرضوا أبداً، وإن لكم أن تحيَوْا فلا تموتوا أبداً وإن لكم أن تشبُّوا أبداً فلا تهرَموا، أولُ زمرةٍ يدخُلُون الجنة علىٰ صورةِ القمر ليلة البدر، ثم الذين يلونهم علىٰ أشدِّ كوكبٍ دُرِّيٍّ في السماء إضاءةً، أمشاطُهم الذهبُ ورشحُهم المسكُ ومجامرهم الألّوةُ وأزواجهم الحورُ العين أخلاقُهم علىٰ رجلٍ واحدٍ علىٰ صورة أبيهم آدم ستون ذراعاً في السماء، وأدناهم وليس فيهم دَنيٌّ مَنْ يقالُ له أترضىٰ أنْ يكون لك مثلُ مَلِكٍ من مُلُوكِ الدنيا فيقول رضيتُ ربِّ فيُقال: لك ذلك ومثلُه ومثلُه ومثلُه فيقول في الخامسة: رضيتُ ربِّ فيقال: هذا لك وعشرة أمثاله ولك ما اشتهت نفسُك ولذت عينُك.



ذكرُ شيءٍ من نعيمِ الجنة

الحمدُ لله الذي أعدَّ للمؤمنين به، المتبعين لرسوله، جناتِ النعيم ووعدَهم علىٰ ذلك أعلىٰ الدرجاتِ في جوارِ الرحيم الكريم. ونشهدُ أنْ لا إلـه إلا اللهُ وحده لا شريكَ له، الملكُ الربُّ العظيمُ. ونشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه المبعوث بالهُدَىٰ والرحمة والدينِ القويم، والداعي إلىٰ الصراط المستقيم، صراطِ الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه وتابعيهم إلىٰ يوم الدين وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها المؤمنون: اتقوا الله تعالىٰ ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٥]، قال الله تعالىٰ: «أعدَدْتُ لعبادي الصالحين ما لا عينٌ رأتْ ولا أذنٌ سمعت ولا خطر علىٰ قلب بشرٍ واقرؤوا إن شئتم ﴿فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧]»[1] في الجنة شجرةٌ يسير الراكبُ الجواد المضمَّر السريع مئة سنة ما يقطعها.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٤٤)، ومسلم (٢٨٢٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وإن في الجنة لغرفاً يُرَىٰ ظاهرها من باطِنِها وباطنُها من ظاهرها قيل لمن هن؟ قال: لمن أطاب الكلامَ وأطعم الطعامَ وأدام الصيامَ وصلىٰ بالليل والناسُ نيامٌ، للمؤمن فيها خيمةٌ من لؤلؤةٍ واحدةٍ مجوفةٍ طولُها في السماء ستون ميلاً له فيها أهلون يطوف عليهم ولا يرى بعضُهم بعضاً، ﴿فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ﴾ أي غير متغير ﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [محمد: ١٥]، قد طابَ ظلالُها ونعيمُها وذُللتْ قطوفُها وثمارُها يتناولون الثمارَ كيفما كانوا، قياماً وقعوداً، يطوفُ عليهم ولدانٌ مخلدونَ بأكوابٍ وأباريقَ وكأس من معين لا يُصَدَّعون عنها ولا يُنزِفون، لهم فيها أزواجٌ مطهرة هُنَّ الحورُ العينُ كأنهن بَيضٌ مكنون قاصراتُ الطرف علىٰ أزواجهن فلا يطمحنَ إلىٰ غيرهم وقاصراتٌ لطرف أزواجهنّ فلا يميل الأزواجُ إلىٰ غيرهنَّ خيراتٌ حسانٌ خيِّراتُ الأخلاق حسانُ الوجوه عُرُبٌ متحبِّباتٌ إلىٰ أزواجهن، أترابٌ علىٰ سنٍّ واحدة ليست إحداهُنَّ أكبرَ من الأخرىٰ يقلن: نحن الخالدات فلا نموت، ونحن الناعماتُ ونحن المقيماتُ فلا نظعنُ أبداً ونحن الراضياتُ فلا نسخطُ أبداً، طوبى لمنْ كُنَّا له وكان لنا، إذا عبر أهل الجنة وقفوا علىٰ قنطرةٍ بين الجنة والنار فيقتص لبعضِهم من بعض فإذا هُذِّبوا ونُقّوا أُذِنَ لهم في دخول الجنة فأولُ من يدخلُها من الأنبياء نبيُّنا محمد ﷺ وأول مَنْ يدخلها من الأمم أمته ﷺ، أولُ زمرةٍ يدخلونَ الجنةَ يدخلونَ الجنةَ علىٰ صورة القمر

ليلةَ البدر ثم الذين يلونهم علىٰ أشدِّ كوكبٍ دُرِّي في السماء إضاءةً لا يبولون ولا يتغوَّطونَ ولا يتفلون ولا يتمخطون، أمشاطهم الذهب، وعَرَقهم المسكُ، ومجامرُهم الألُوّة وآنيتُهم الذهب وأزواجهم الحورُ العينُ على خلقِ رجل واحدٍ علىٰ صورة أبيهم آدم ستون ذراعاً في السماء، لا اختلاف بينهم ولا تباغض، قلوبُهم قلبُ رجلٍ واحد يُسَبِّحون اللهَ بكرةً وعَشِياً يأكلون فيها ويشربون ولا يبولون ولا يتغوطون، وإنما طعامهم جُشاءٌ كريح المسك، يُلهمونَ التسبيح والتكبيرَ كما يُلهَمُون النفس، إذا دخلوا الجنة نادىٰ منادٍ إن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبداً وإن لكم أن تصِحُّوا فلا تسقَمُوا أبداً، وإن لكم أن تشبُّوا فلا تهرَمُوا أبداً، وإن لكم أن تنعَمُوا فلا تبأسوا أبداً، يناديهم الجبارُ يا أهلَ الجنة فيقولون ربَّنا وسعدَيْك والخيرُ في يديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون وما لنا لا نرضىٰ يا ربنا، وقد أعطيتنا ما لم تعطِ أحداً من خلقك فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك، فيقولون: وأيُّ شيءٍ أفضلُ من ذلك فيقول: أحلُّ عليكم، رضواني فلا أسخطُ عليكم بعده أبداً. هذه هي الدارُ التي يُسارع إليها الموفَّقون ويتنافسُ في الوصول إليها المتنافسون، ويحرمُ منها كلُّ خاسرٍ مغبونٍ.

إخواني والله لموضعُ سوطِ أحدكم في الجنة خيرٌ من الدنيا وما فيها، ووالله إن الأعمال الموصلة إلىٰ هذا ليسيرة سهلةٌ لا مشقة فيها.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾ [الحجر: ٤٥-٤٨]، اللهم إنا نسألك بأسمائك الحُسنىٰ وصفاتك، نسألك بأنّ لك الحمد، وبأنك لا إله إلا أنت الأحدُ الصمدُ الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحدٌ الحيُّ القيومُ المنانُ بديعُ السمٰوات والأرض يا ذا الجلال والإكرام، يا حيُّ يا قيومُ، نسألك أنْ تجعلنا من الفائزين بالجنان المتغمدين بالرحمة والرضوان، الناظرين إلىٰ وجهك الكريم يا رحيم يا رحمٰنُ، إنك سميعٌ عليمٌ قريبٌ مجيب.



ذكرُ شيءٍ من عذابِ النار

الحمدُ لله الذي بحكمته أعدَّ النارَ للكافرين، وجعلها مثوى للظالمين المعتدينَ، ونشهدُ أنْ لا إلـه إلا اللهُ وحدَه لا شريك له، الذي خلقَ للنارِ أهلاً وهم في أصلابِ آبائهم، وخلق للجنة أهلاً وهم في أصلابِ آبائهم، وهو أحكم الحاكمين، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه المصطفىٰ علىٰ الخلق أجمعين، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين، وسلم تسليماً.

أما بعدُ: أيها المؤمنون اتقوا الله تعالىٰ لعكم تفلحون، واتقوا النارَ التي أعدت للكافرين، وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون، اتقوا النار التي لا يصلاها إلا الأشقى، الذي كذَّب وتولّىٰ، كذَّب بما أخبر اللهُ به ورسولُه، وتولىٰ وأعرض عما أمر الله به ورسوله، فهي دارُ أعداءِ الله، هي الدارُ التي تنوَّعَ عذابُها حتىٰ بلغَ منتهاهُ، اتقوا النار فإن قعرَها بعيدٌ وحرَّها شديدٌ أما قعرُها فإنَّ الحجرَ يُلقىٰ فيها فيهوِي فيها سبعين عاماً حتىٰ ينتهي إلىٰ قعرِها، وأما حرُّها فإنها أزيدُ من نارِكم هذه بتسعةٍ وستين جزءاً كلُّ جزءٍ منها مثلُ حرِّ نارِكم هذه، اتقوا النارَ التي وقودُها الناسُ والحجارةُ عليها ملائكةٌ غِلاظٌ شِدادٌ لا يعصون ما أمرهم ويفعلون ما يُؤمرون، طعامُ أهلها الزقومُ وهو طعامٌ شديدُ المرارة، خبيثُ الرائحةِ، كريهُ المنظرِ، طلعُها كأنه رؤوسُ الشياطين، تمتلىء بطونُهم منها فيعطشون

ويستغيثون فيُغاثون بماءٍ كالمُهل وهو الرصاصُ المذابُ، إذا قرّبوها من وجوهِهم أحرقَها وشواها، وإذا أدخِلَ في أجوافِهم أذابَها وقطَّعَ مِعَاها، يتجرَّعون فلا يسيغونَه ويأتيهم الموتُ من كلِّ مكانٍ لشدة ما يجدونه، يُصبُّ من فوق رؤوسهم ليشمل كلَّ أبدانهم فيُصهَرُ به ما في بطونِهم والجلودُ ولهم مقامعُ من حديدٍ، كلما رفعهم لهبُ النار وأرادوا أنْ يخرجوا منها وتمنوا ذلك قُطِع رجاؤُهم ومُناهم، وأُعيدوا فيها وذُوقوا عذابَ الحريق.

يتنوع عليهم العذابُ الشديدُ، فتارةً في نارٍ شديدة الحرارةِ وسعيرٍ وتارةً في برودةٍ شديدةٍ وزمهريرٍ، وأحياناً يشربون ماءً حميماً خبيث الريح شديد الحرارة، وأحياناً يشربون غساقاً، منتن الريح شديد البرودة، أهونهم عذاباً من عليه نعلان وشراكان من نار يغلو منهما دماغه، ما يظن أحداً من أهل النار أشدَّ منه عذاباً، وإنه لأهونهم، إذا جاؤوها فُتحت أبوابُها، واستقبلهم عذابُها، فتَلْفَحُهم لفحةً لا تَدَعُ لهم لحماً علىٰ عظم إلا ألقته علىٰ العرقوب، فحينئذ تحيط بهم الهموم والغموم والكروب، يتمنَّوْنَ الخروجَ منها فلا يخرجون، بل يطلبون الموت ليستريحوا فلا يُجابون ﴿وَنَادَوْا يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّـٰكِثُونَ ۝٧٧ لَقَدْ جِئْنَـٰكُم بِالْحَقِّ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَـٰرِهُونَ﴾ [الزخرف: ٧٧-٧٨]، يقولون ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَـٰلِمُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٧]، فيقول لهم أحكم الحاكمين: ﴿اخْسَـُٔوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٨]، فحينئذ ينقطعُ منهم

الرجاء ويغشاهم البلاءُ، فيطلبون الموت ليستريحوا فلا يجابون ﴿وَنَادَوْاْ يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّـٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَـٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَـٰرِهُونَ﴾ [الزخرف: ٧٧-٧٨]، كلما نضجت جلودُهم بُدِّلوا جلوداً غيرها ليذوقوا العذابَ، وكلما تقطعت أجوافُهم من الجوع أطعِموا زقوماً وضريعاً لا يُسمِنُ ولا يُغني من جوع، وكلما استغاثوا عطشاً أغيثوا بالحميم والغسّاق، وبئسَ الشرابُ.

عبادَ الله إنَّ هذا والله سيكون في عذاب النار بلا شك ولا ارتياب، ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَـٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَـٰهُمْ وَلَـٰكِن كَانُواْ هُمُ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [الزخرف: ٧٤-٧٦].

بارك اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.



عذابُ القبر

الحمدُ لله مستحقِّ الحمدِ وأهلِـه، المجازِي خَلْقَهُ جزاءً دائراً بين عدلِه وفضلِه. ونشهدُ أنْ لا إلـهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريـكَ لـه في مُلكِه وحُكْمِه. ونشهدُ أنّ محمداً عبدُه ورسولُه أفضلُ خلقِه صلّىٰ اللهُ عليـه وعلىٰ آلـه، وأصحابِـه وتابعـي هَدْيِـه، وسلّـم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ واتقوا النارَ التي أُعدَّت للكافرين، وأطيعوا اللهَ والرسولَ، لعلكم ترحمون اتقوا ذلك بامتثالِ أوامرِ اللهِ واجتنابِ نواهيه فإنه لا نجاةَ لكم من النارِ إلا بهذا اتقوا النارَ، فإنها دارُ البوارِ، دارُ البؤسِ، دارُ الشقاء، والعذاب الشديد. دارُ مَنْ لا يُؤمِنُ بالله واليومِ الآخرِ، ساكنُوها شِرارُ خَلْقِ الله، من الشياطين وأتباعِهم. قال اللهُ تعالىٰ: ﴿فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [صٓ: ٨٤-٨٥].

دارُ فرعونَ وهامان، وقارون وأبيِّ بنِ خَلَفٍ، وغيرِهم من طُغاةِ الخَلْقِ وفَجّارِهم. لئنْ سألتُم عن مكانها، فإنها في أسفلِ السافلين، وأبعدِ ما يكونُ عن ربِّ العالمين. طعامُ أهلِها الزقومُ. وهو شجرٌ خبيثٌ مُرُّ الطعم، لا يُسْمِنُ ولا يُغني من جوع. وفي الحديث: عن النبيِّ ﷺ، أنه قال: «اتقوا الله حقَّ تقاته، فلو أنّ قطرةً من الزقوم

قُطِرَتْ في بحارِ الدنيا، لأفسدَتْ علىٰ أهلِ الأرضِ معايِشهم»(١) رواه النسائي، والترمذي، وقال: حسن صحيح.

هذا طعامُهم إذا جاعوا، فإذا أكلوا منها التهبتْ أكبادُهم عَطَشاً ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ﴾ [الكهف: ٢٩]، وهو الرصاصُ المذابُ، يَشْوي وجوهَهم حتىٰ تتساقطَ لحومُها. فإذا شربوه علىٰ كُرهٍ وضرورةٍ قطَّعَ أمعاءَهم، ومزَّقَ جلودَهم.

هذا شرابُهم كالمُهْلِ في حرارته، وكالصديد في نَتَنه وخُبْثه. يُضطَرُّ شاربُه إلىٰ شُرْبه اضطراراً ﴿يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ [إبراهيم: ١٧].

أما لباسُهم، فلباسُ الشرِّ والعار، قُطِّعتْ لهم ثيابٌ من نارٍ، ﴿سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾ [إبراهيم: ٥٠]، فلا يَقيهُم هذا اللباس حرَّ جهنَّمَ، وإنما يَزيدُها اشتعالاً وحرارة. ولا يستطيعون أن يَقُوا به وَهَجَ النارِ وحرَّها عن وجوههم ﴿يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ۝١٩ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ۝٢٠ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ۝٢١ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ [الحج: ١٩-٢٢].

---

(١) أخرجه أحمد ١/ ٣٠٠، والترمذي (٢٥٨٥)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١١٠٧٠)، وابن ماجه (٤٣٢٥) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

عبادَ الله: اتقوا النارَ، فإنَّ حرَّها شديدٌ، قد فُضِّلَتْ علىٰ نارِ الدنيا كلِّها بتسعةٍ وستينَ جزءاً. يَصْلاها المجرمون، فتنضَجُ جلودُهم. قال الله تعالىٰ: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ٥٦].

يرتفعُ بهم اللهبُ حتىٰ يَصِلُوا إلىٰ أعلاها، وكلَّما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدُوا فيها، وقيل لهم: ﴿ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ [سبأ: ٤٢]، عذابُهم فيها دائمٌ، ﴿لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ [الزخرف: ٧٥]، يتكرر عليهم فلا يستريحون، ويسألون الخلاصَ منه ولو ساعة فلا يُجابون، يقولون لخزنة جهنم: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٩]، فتقول الملائكة لهم: ﴿أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَالُوا۟ فَٱدْعُوا۟ وَمَا دُعَٰٓؤُا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾ [غافر: ٥٠]، لأنهم لم يستجيبوا للرسل، حينما دَعوهُم إلىٰ الله تعالىٰ، فكان الجزاءُ من جنس العمل ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ۝١٠٦ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٦-١٠٧]، فيقول الله لهم علىٰ وجه الإهانة والإذلال: ﴿ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٨].

فحينئذ ييأسُونَ من كلِّ خيرٍ ويعلمونَ أنهم فيها مُخلَّدونَ، فيزدادون بُؤساً إلىٰ بُؤسِهم، وحَسْرَةً إلىٰ حَسْرتِهم ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧]، ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۝٦٥ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠﴾ [الأحزاب: ٦٥-٦٦].

عبادَ الله: اتقوا النارَ، فإن قعرَها بعيدٌ، وأخْذَها شديدٌ. قال أبو هريرةَ رضيَ الله عنه: كنا عندَ النبيِّ ﷺ، فسمِعْنا وَجْبَةً أيْ صوتُ شيءٍ وقَعَ، قال النبيُّ ﷺ: «أتدرُونَ ما هذا»؟ قلنا: اللهُ ورسولُه أعلمُ، قال: «حجرٌ أرسله الله في جهنم منذ سبعين خريفاً، أي سنةً، فالآنَ حين انتهىٰ إلىٰ قعرها»[1] رواه مسلمٌ، إذا رأَتْ أهلَها من مكانٍ بعيدٍ، سَمِعُوا لها تَغَيُّظاً وزَفيراً، تتقطَّعُ منه القلوبُ. فإذا أُلْقُوا فيها سَمِعوا لها شَهِيقاً وهِيَ تَفُورُ، تكاد تتمَيَّزُ من الغيظِ أي تكاد تتقطع من شدة الغيظ والغضب علىٰ أهلِها. فهي دارٌ حانقةٌ غَضْبَىٰ علىٰ أهلِها، وهم في جوفها. فما ظنك أن تفعل بهم؟

عبادَ الله: اتقوا النارَ، احذروا أنْ تكونوا من أهلِها، ولقد بيّن اللهُ لكم صفاتِ أهلِ النار، وصفاتِ أهلِ الجنةِ، جملةً وتفصيلاً، ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥]، قال الله تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٣٧-٤١].

اللهم إنا نسأَلُك النجاةَ من النار، والفوزَ بدارِ القرارِ. باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن الكريم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفرُ الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو التوابُ الرحيم.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٤٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

عذابُ النار

الحمدُ لله مستحقِّ الحمدِ وأهلِه، المجازي خلقَه جزاءً دائراً بينَ فضلِه وعدلِه. وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له في مُلكِه وحُكْمِه. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، أفضلُ خلقِه، صلّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلهِ وأصحابِه ومُتَّبِعي هَدْيِه، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ واتقوا النارَ التي أُعِدَّتْ للكافرين، وأطيعوا اللهَ والرسولَ لعلكم تُرْحَمُون. اتقوا النارَ بطاعةِ الله، بامتثالِ أوامرِه، واجتنابِ نواهِيه، فإنه لا نجاةَ لكم من النارِ إلا بهذا. اتقوا النارَ فإنها دارُ البوار، دارُ البؤسِ والشقاءِ، والخزيِ والعارِ، دارُ مَنْ لا يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخر، ساكنوها شِرارُ خَلْقِ اللهِ تعالىٰ من الشياطين وأتباعِهم، قال اللهُ تعالىٰ لإبليس: ﴿فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ۝٨٤ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [صٓ: ٨٤-٨٥]، دارُ فرعونَ، وهامانَ، وقارون، وأُبَيِّ بنِ خَلَفٍ، وغيرهم من طغاة الخَلْق، وفجّارِهم، دار عبدِ الله بنِ أُبَيٍّ وأضرابه مِنْ منافقي هذه الأمةِ وخوَنَتِها.

هؤلاء سكانُها كفارٌ فجرةٌ، وطُغاةٌ ظَلَمَةٌ، ومنافقون خوَنَةٌ. ولئن سألتم عن مكانِها، فإنَّها في أسفَلِ السَّافلين، وأبعدُ ما يكونُ عن ربِّ العالمين. فهي دارُ عقابِ اللهِ فأبعدتْ عن رحمةِ الله وعن دار أولياءِ الله، يُؤتَىٰ بها يوم القيامة لها سبعون ألف زمام، مع كلِّ

زِمَامٍ سَبعونَ ألفَ مَلكٍ يَجُرُّونها. حرُّها شديدٌ، وقَعْرُها بعيدٌ. ثَبَتَ في الحديث الصحيح، عن النبيِّ ﷺ، أنه قال: «نارُكُمْ هذه ما يُوقِدُ بَنُو آدمَ جُزْءٌ واحدٌ من سَبعينَ جُزءاً من نارِ جَهنَّم، قالوا: يا رسولَ الله! إنَّها أي نارُ الدنيا لكافيةٌ، قال: إنَّها فُضِّلَتْ عليها بتسعَةٍ وستينَ جُزْءاً، كُلُّهن مِثْلَ حَرِّها»[1] وعن أبي هريرةَ رَضِيَ الله عنه قال: كُنَّا عِنْدَ النبيِّ ﷺ، فسَمِعْنَا وَجْبَةً، أي صَوْتَ شَيْءٍ سقط، فقال النبيُّ ﷺ: «أتدْرونَ ما هذا؟ قالوا: اللهُ ورسولُه أعلمُ، قال: حَجَرٌ أرسلَهُ اللهُ في جَهَنَّمَ مُنذُ سبعينَ خَريفاً، يعني سبعينَ سنةً، فالآن حين انتهىٰ إلىٰ قَعْرِها» رواه مسلم[2] وفي الصحيحين، عنه ﷺ أنه قال: «يقال لليهود والنصارىٰ (وهم الذين يتَسمَّون الآن بالمسيحيين) يقال لليهود والنصارىٰ: ماذا تبغون؟ فيقولون: عطشنا ربَّنا فاسقِنا. فيُشارُ إليهم: ألا تردون فيُحْشَرُون إلىٰ جهنَّمَ كأنها سَرابٌ يحطم بعضها بعضاً فيتساقطون في النار»[3] قال الله تعالىٰ: ﴿وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ [مريم: ٨٦].

عبادَ الله: ما ظنكم بقومٍ قاموا علىٰ أقدامِهم خَمْسينَ ألف عام، لم يأكلوا فيها أَكْلَةً، ولم يَشْرَبُوا فيها شَرْبَةً، قد تَقطَّعتْ أكبادُهم

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٤٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٤٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) جزء من حديث أخرجه البخاري (٤٥٨١)، ومسلم (١٨٣) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

جوعاً، واحترَقَتْ أجوافُهم عَطَشاً، ثم انصرف بهم إلىٰ النار، وهم يطمعون في الشرابِ فلا يَجِدُونَ إلا النارَ يُلقَوْنَ فيها، ﴿ إِذَآ أُلۡقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقٗا وَهِيَ تَفُورُ ﴾ [الملك: ٧]، قد ملأها الله غَيْظاً وحَنَقاً عليهم، ﴿ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۖ ﴾ [الملك: ٨]، يُلقَوْنَ فيها أفواجاً يقابلون بالتقريع والتوبيخ، ﴿ كُلَّمَآ أُلۡقِيَ فِيهَا فَوۡجٞ سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ ۝٨ قَالُواْ بَلَىٰ قَدۡ جَآءَنَا نَذِيرٞ فَكَذَّبۡنَا وَقُلۡنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ كَبِيرٖ ۝٩ وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١٠ فَٱعۡتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمۡ فَسُحۡقٗا لِّأَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [الملك: ٨-١١].

هذا ما يُقابلُونَ به عِنْدَ دخولِ النارِ توبيخٌ وتقريعٌ، وإهانةٌ وتنديمٌ فتتقطعُ قلوبُهم أَسَفاً، وتذوبُ أكبادُهم كَمَداً وحَزَناً، ولكنْ لا ينفعُهم ذلك، فإذا دخلوها فما أعظمَ عذابَهم! وما أشدَّ عقابَهم! يغشاهم العذابُ من فوقِهم ومن تحت أرجلِهم ﴿ لَهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ ظُلَلٞ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحۡتِهِمۡ ظُلَلٞۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴾ [الزمر: ١٦] طعامُهم الزقوم، وهو شجرٌ خبيثٌ مرُّ الطعمِ نَتِنُ الريح، كَرِيهُ المنظر، يتزَقَّمونَه تزَقُّماً، لكراهيته وقُبحِه، ولكنْ يَلجَؤون إلىٰ ذلك لشدةِ جُوعِهم، فلا يُسمِنُهم ولا يُغْنِي من جُوعٍ، وفي الحديث عن النبيِّ ﷺ قال: «اتقوا اللهَ حقَّ تُقاتِه، فلو أنَّ قطرةً من الزقوم قُطِرَتْ في بحارِ الدنيا لأفسدَتْ علىٰ أهلِ الأرض معيشتَهم»(١). رواه

(١) أخرجه أحمد ١/ ٣٠٠، والترمذي (٢٥٨٥)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١١٠٧٠)، وابن ماجه (٤٣٢٥) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

النسائي والترمذي. وقال: حسن صحيح. فإذا ملأوا بُطُونَهم من هذا الطعامِ الخبيث، الذي لا يُسْمِنُ ولا يُغْنِي من جوع، التهبتْ أكبادُهم عَطَشاً فلا يَهْنَؤُ لهم الشرابُ، وإنهم ليَسْتَغيثونَ وإن يستغيثُوا يُغاثُوا بماءٍ كالمُهْلِ، وهو الرصاصُ المذاب، يَشْوِي الوجوه حتىٰ تتساقطَ لحومها، بئسَ الشرابُ يشربونه علىٰ كُرْهٍ واضطرارٍ، شُرْبَ الهيم وهي الإبلُ العِطاشُ التي لا تُرْوَىٰ من الماء، فإذا سقط في أجوافهم قَطَّعَ أمعاءَهم، هذا شرابُهم كالمُهْلِ في حرارتِه، وكالصديد في نَتَنِهِ وخُبْثِه، قال اللهُ تعالىٰ: ﴿وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ۝١٥ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ۝١٦ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ [إبراهيم: ١٥-١٧].

أما لباسُهم فلباسُ الشرِ والعارِ، قُطِّعَتْ لهم ثيابٌ من نارٍ علىٰ قَدْرِ أبدانِهم، لا تَقِيهم حَرَّ جهنم، ولكنْ تَزيدُها اشتعالاً وحرارةً، سرابيلُهم من قَطِرانٍ وتَغْشَىٰ وجوهَهم النارُ، في عذابٍ مستمرٍ دائمٍ ﴿لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ [الزخرف: ٧٥]، كلما نَضِجتَ جلودُهم بدّلهم اللهُ جلوداً غيرها، ليذوقُوا العذابَ، إنَّ الله كان عزيزاً حكيماً، وكلّما خبث نارُها، زادَها الله سَعيراً ﴿كَلَّآ ۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ۝١٥ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ۝١٦ تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ۝١٧ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ﴾ [المعارج: ١٥-١٨].

يرتفعُ بهم لهيبها إلىٰ أعلاها، فكُلَّما أرادُوا أنْ يَخرُجُوا منها أعيدُوا فيها. وقيلَ لهم ذُوقُوا عذابَ النارِ الذي كنتم به تكذبون

يُنَوِّعُ عليهم العذابَ فلا يستريحون، فيقولون لخزنة جهنم: ادعوا ربكم يخفف عنا يوماً من العذاب، والله لا يطمعون في التخفيف الدائم، ولا في الانقطاع ولو ساعة، وإنما يسألون أنْ يُخففَ عنهم يوماً واحداً من العذاب، ولكن لا تُجيبهم الملائكةُ إلا بالتوبيخ والتهكم، تقولُ لهم: ﴿أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾، أي بالأدلة الواضحات. فيقولون: ﴿بَلَىٰ﴾، فتقول الملائكة: ﴿فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ [غافر: ٥٠]، فلَنْ يستجاب لهم لأنهم لم يستجيبوا للرسل حينَ دَعَوْهُمْ إلىٰ الله وعبادتِه في الدنيا، وحينئذ يَتَمَنَّونَ الموتَ من شدةِ العذاب، فيقولون: يا مالك، وهو خازنُ النار، ليقْضِ علينا ربُّك، أي ليهلكنا ويُمِتْنا، فيقولُ لهم: ﴿إِنَّكُم مَّاكِثُونَ﴾ [الزخرف: ٧٧]، ويقال لهم: ﴿لَقَدْ جِئْنَاكُم بِالْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾ [الزخرف: ٧٨]، ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧] يتوجهون إلىٰ ربِّ العالمين، ذي العظمةِ والجلالِ والعدلِ في الحكمِ والفعال، فيقولون: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٦-١٠٧] فيقول لهم أحكم الحاكمين: ﴿اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٨-١١٠].

عبادَ الله: قال النبيُّ ﷺ: «إنّ أهونَ أهلِ النارِ عذاباً مَنْ له نَعْلانِ وشِراكَانِ من نارٍ يغلي منهما دماغُه، كما يغلِي المِرْجَلُ ـ يعني القِدْرَ ـ ما يرىٰ أنَّ أحداً أشدُّ منه عذاباً، وإنَّه لأهونُهم عذاباً»، وقال ﷺ: «يُؤتَىٰ بأنعَمِ أهلِ الدنيا من أهل النار، فيُصبغُ في النار ـ أي يُغمَسُ فيها ـ ثم يقال: يا ابن آدمَ، هل رأيتَ خيراً قطُّ؟ هل مَرَّ بك نعيمٌ قطُّ؟ فيقول: لا والله يا رب»[1] إنه والله ليَنسىٰ كلَّ نعيمٍ مَرّ به في الدنيا، وقد غُمِسَ في النارِ غَمْسَةً واحدة، فكيف به وهو مُخَلَّدٌ فيها أبداً. يقول الله تعالىٰ: ﴿إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [الجن: ٢٣]، ويقول تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٦٤-٦٨].

اللهم أنجنا من النار، وأدخلنا الجنة دارَ المتقينَ الأبرار، واغفر لنا ولوالدَيْنا وللمسلمين، إنك أنت الغفورُ الرحيم.

* * *

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٠٧) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

حُكم الإيمان بالقضاء والقدر

الحمدُ للهِ الذي أُحاطَ بكلِّ شيءٍ عِلْماً، وهو علىٰ كلِّ شيءٍ قديرٌ، وجعلَ لكلِّ شيء قَدْراً، وأجَلاً مطابقاً لعلمه وحكمتِه وهو الحكيمُ الخبيرُ، ونشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له في الألوهيةِ والخَلْقِ والتدبير، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه البشيرُ النذيرُ، والسراجُ المنيرُ، صلىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آله وأصحابِه والتابعين لهم بإحسانٍ إلىٰ يوم المعاد والمصير، وسلّم تسليماً.

أما بعدُ: اتقوا الله وآمنوا به وآمِنُوا بقضائِه وقَدَرِه، فإنَّ الإيمانَ بالقَدَرِ أحدٌ أركانِ الإيمان، فلن يَتِمَّ الإيمانُ حتىٰ يُؤْمِنَ العبدُ بالقَدَرِ خَيْرِه وشَرِّه، ولا يَتِمُّ الإيمانُ بالقَدَرِ حتىٰ يُؤْمِنَ الإنسانُ بأربعةِ أمور:

الأول: عِلْمُ اللهِ المحيطُ بكلِّ شيءٍ، فإنه سُبحانَه بكلِّ شيءٍ عليمٌ، عليمٌ بالأمور كلها دقيقها وجليلها، وسرها وعلنها، فلا يخفىٰ علىٰ الله شيءٌ في الأرض ولا في السماء.

الأمر الثاني: أنَّ الله كَتَبَ في اللوح المحفوظِ مقاديرَ كلِّ شيءٍ إلىٰ قيام الساعة من قبلِ أنْ يَخْلُقَ السمواتِ والأرضَ بخمسين ألفِ سنةٍ، فإن الله لمّا خلقَ القلمَ قال له: اكتُبْ، قال: ربِّي وماذا أكتبُ، قال: اكْتُبْ ما هو كائنٌ، فكتبَ بعلمِ اللهِ وإذْنِه ما هو كائنٌ

إلىٰ يوم القيامة، فما كُتِبَ علىٰ الإنسانِ لم يَكُنْ ليُخْطِئَهُ وما لم يكتبْ له لم يَكُنْ ليُصيبَه، جَفَّتِ الأقلامُ وطُوِيتِ الصُّحُفُ، قال الله تعالىٰ: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ﴾ [الحديد: ٢٢-٢٣]، فعلىٰ العبدِ إذا جرَتِ الأقدارُ علىٰ ما لا يُحِب أنْ يرضىٰ بقضاءِ الله وقَدَرِه، وأن يَسْتَسِلِم للقضاء المكتوب فإنه لا بُدَّ أنْ يكونَ ويقعَ، فلا رادَّ لقضاءِ الله وقدَرِه، لكنَّ الفَخْرَ كُلَّ الفَخْرِ لمَنْ يُقابِلُ ذلك بالرّضا ويعلمُ أنَّ الأمرَ من الله وإليه، وأنه سبحانه له التدبيرُ المطلقُ في خَلْقِه، فيرضي به رباً ويرضيَ به إلٰهاً، وبذلك يحصلُ له الثواب العاجلُ والآجلُ، فإنَّ مَنْ أُصيبَ بالمصائبِ فصَبر، هَدَىٰ اللهُ قلبَه وشَرَحَ له صَدْرَه وهَوّن عليه المصيبةَ لما يَرْجُو مِنْ ثوابِها عندَ الله، ثم إذا بُعِثَ يومَ القيامة وهو أَحْوَجُ ما يكونُ إلىٰ الأجر والثواب، وجدَ أجْرَ مصيبتِه وصَبْرِه عليها مدخراً له عند الله، وإنما يُوَفَّىٰ الصابرون أجْرَهم بغيرِ حسابٍ، وكما أنَّ الله تعالىٰ كتبَ في اللوحِ المحفوظِ مقاديرَ كلِّ شيءٍ، فكذلك يكتُبُ سبحانَه ويُقَدِّرُ في ليلةِ القَدْرِ ما يكون في السنة كلِّها، كما قال تعالىٰ: ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾ [الدخان: ٤]، وكذلك يَكتُبُ علىٰ الإنسان وهو في بَطْنِ أمهِ ما سيجْرِي عليه كما قال عبدُ الله بنُ مسعودٍ رَضِيَ الله عنه حدثنا رسولُ اللهِ ﷺ وهو الصادق المصدوق فقال: «إن أحدَكم يُجْمَعُ خَلقُه في بَطْنِ أُمِّهِ أربعينَ يوماً

نُطْفَةً، ثم يكونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذلك، ثم يكونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذلك، ثم يُبْعَثُ إليه الملكُ فينفخُ فيه الرُّوحَ، ويُؤْمَرُ بأربَع كلمات: بكتبِ رِزْقِهِ وأجَلِه وعَمَلِه وشقيٌّ أو سعيدٍ فواللهِ الذي لا إله غيرُه إنَّ أحدَكم ليعملُ بعَمَلِ أهلِ الجنةِ حتىٰ ما يكونَ بينَه وبينَها إلا ذراعٌ فيسبقُ عليه الكتابُ فيعملُ بعملِ أهل النار فيدخلُها، وإنَّ أحدكم ليعملُ بعملِ أهلِ النارِ حتىٰ ما يكونَ بينه وبينها إلا ذراعٌ فيسبقُ عليه الكتابُ فيعملُ بعملِ أهلِ الجنةِ فيدخلُها»[1]. وهذا الرجل الذي كان يعملُ بعملِ أهلِ الجنةِ ثم خُتِمَ له بعملِ أهلِ النارِ إنما كان يعملُ بعملِ أهلِ الجنةِ فيما يَبدُوا للناس، ولم تَكُنْ نيته في الإخلاص والقصد نية مستقيمةً، فلذلك عُوقِبَ بسوءِ الخاتمةِ، كما جاء ذلك مُفسَّراً في حديث آخره.

الأمرُ الثالث: أنْ نُؤْمِنَ بمشيئةِ الله النافذةِ وقُدْرَتِه الشاملةِ وأنَّه ما شاءَ اللهُ كانَ وما لم يَشأْ لم يَكُنْ، فمشيئةُ اللهِ فوقَ كلِّ مَشيئةٍ، وقدرتُه فوقَ كلِّ قدرةٍ ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩]، واللهُ غالبٌ علىٰ أمرِه ولكن أكثرَ الناسِ لا يعلمون.

الأمرُ الرابع: أنْ تُؤْمِنَ بأن الله خالقُ كلِّ شيءٍ، ومُدَبِّرُ كلِّ شيءٍ وأنَّ ما في السمٰواتِ والأرضِ من صغيرٍ ولا كبيرٍ ولا حركةٍ ولا سكونٍ إلا بمشيئةِ اللهِ وخَلْقِه، فمِنَ الأشياءِ ما يخلقُه اللهُ بغير سببٍ

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٠٨)، ومسلم (٢٦٤٣) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

معلومٍ لنا، ومنه ما يكونُ سببُه معلوماً لنا، والكلُّ من خَلْق الله وإيجاده، فنسأل الله بأسمائه وصفاتِه أنْ يجعلَنا وإياكم ممن رَضِيَ بالله رباً وبالإسلامِ ديناً وبمحمدٍ ﷺ نبياً، وأن يُقَدِّرَ لنا بفضلِه ما فيه صلاحُنا وسعادتُنا في الدنيا والآخرة إنَّه جوادٌ كريمٌ وصلّىٰ الله وسلّم علىٰ عبدِه ونبيِّه محمدٍ وآلهِ وأصحابه وأتباعهِ إلىٰ يومِ الدين.



حكمُ الإيمان بالقضاءِ والقدر وكيفيته

الحمدُ للهِ الذي خلقَ كلَّ شيءٍ فقدَّرَه تقديراً، وجَرَتِ الأمورُ علىٰ ما شاء حكمةً وتدبيراً، ولله مُلْكُ السمٰواتِ والأرضِ وإليه يُرْجَعُ الأمرُ كلّه، ولنْ تجدَ من دونه ولياً ولا نصيراً، ونشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ، له الملكُ وله الحمدُ وكان اللهُ علىٰ كلِّ شيءٍ قديراً، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه أرسلَه بين يَدَي الساعة بشيراً ونذيراً وداعياً إلىٰ الله بإذنه وسراجاً منيراً، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه وأتباعه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعدُ، **أيها الناسُ**: اتقوا اللهَ تعالىٰ وآمِنُوا به، آمِنُوا بقضائِه وقَدَرِه ومشيئتِه وخَلْقِه، فإنَّ الإيمانَ بالقدر أحدُ أركانِ الإيمانِ لن يَتِمَّ إيمانُ العبدِ حتىٰ يُحققَ الإيمانَ بالقضاءِ والقَدَر.

وللإيمان بالقضاءِ والقدر أركان لا يتمُّ إلا بها:

الركنُ الأولُ: أن تُؤْمِنَ بأن اللهَ بكلِّ شيءٍ عليمٌ وعلىٰ كلِّ شيءٍ شهيدٌ، فما من شيءٍ حادثٍ في السماء والأرض، وما من شيءٍ يَحْدُثُ فيهما مستقبلاً إلا وعندَ اللهِ عِلْمُه لا يَخفَىٰ عليه شيءٌ من دقيقه وجليلِه. قال الله تعالىٰ: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩].

الركنُ الثاني: أن تُؤمِنَ بأن الله كَتَبَ مقاديرَ كلِّ شيءٍ إلىٰ أن تقومَ الساعةُ، فكلُّ شيءٍ يحدثُ في الأرضِ أو في السمٰواتِ فهو مكتوبٌ في اللوحِ المحفوظِ قبلَ أنْ تُخْلَقَ السمٰواتُ والأرضُ بخمسين ألف سنة، وقد أشارَ اللهُ تعالىٰ إلىٰ هذين الركنين بقوله: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: ٧٠]، وفي الحديث: «إن أولَ ما خلق اللهُ القلمُ قال له: اكتُبْ، قال: وماذا أكتبُ، قال: اكتُبْ ما هو كائن. فجرىٰ في تلك الساعة بما هو كائن إلىٰ يوم القيامة»(١).

وفي ليلةِ القدْرِ يُكْتَبُ ما يَجْري في تلك السنة ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان: ٤] وإذا تمَّ للجنين في بَطْنِ أُمِه أربعةُ أشهرٍ بعثَ الله إليه الملكَ فينفخُ فيه الروحَ، ويُؤمَرُ بأربعِ كلماتٍ بكَتْبِ رِزْقِه وأجلِه وعملِه وشقيٌّ أم سعيد(٢).

الركنُ الثالث: من أركان الإيمان بالقضاءِ والقدر: أنْ تؤمنَ بمشيئةِ اللهِ العامةِ وقدرتِه الكاملةِ، وأنَّ ما شاء اللهُ كان وما لم يَشأْ لم يَكُنْ، فكلُّ ما حدَثَ في السمٰوات والأرض من أفعالِ الله أو من أعمالِ الخلق، فإنه بمشيئةِ الله لا يحدُثُ شيءٌ كبيرٌ ولا صغيرٌ ولا

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٠٠)، والترمذي (٢١٥٥)، وأحمد ٣١٧/٥ من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٠٨)، ومسلم (٢٦٤٣) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

عظيمٌ ولا حقيرٌ إلا بمشيئةِ الله وقدَرِه، وتَحْتَ سمعِه وبصرِه، هو الذي عَلِمَ به وكَتَبَه وقَدَّره ويسَّرَ أسبابَه، فمَنْ عَمِلَ صالحاً فبمشيئة الله، ومَنْ عَمِلَ سيئةً فبمشيئةِ الله ﴿ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الأنعام: ٣٩] وكلُّ شيءٍ يعملُه الإنسانُ ويُحدِثُه فإنه بمشيئة اللهِ حتىٰ إصلاحُ طعامِه وشرابِه؛ وبيعُه وشراؤُه؛ وأخذُه وعطاؤُه؛ ونومُه ويقظتُه؛ وجميعُ حركاتِه وسكناتِه كلِّها بمشيئة الله تعالىٰ. وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «كُلُّ شيءٍ بقَدَرٍ حتىٰ العجز والكَيْسُ»(١).

الركنُ الرابع: من أركان الإيمان بالقدر: أنْ تُؤمِنَ بأن اللهَ خالقُ كلِّ شيءٍ ومليكُه ومُقَدِّرُه، ومُسَخِّره لما خلَقَ له، وأنَّ اللهَ خالقُ الأسباب والمسببات وهو الذي رَبَطَ النتائجَ بأسبابِها وجعلها نتيجةً لها، وعلّم عبادَه تلك الأسباب ليتوصَّلُوا بها إلىٰ نتائجِها لتكونَ عبرةً لهم ودليلاً علىٰ نعمةِ الله عليهم بما يسَّرَهُ لهم من الأسباب التي يتمكنون بها من إدراكِ مطلوبِهم علىٰ حَسَبِ ما تقتضيه حكمتُه ورحمتُه، وقد أشار اللهُ تعالىٰ إلىٰ هذا بقوله: ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَءَيْتُمُ

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٥٥) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٥٨-٧٤]، فالأعمالُ التي يُحْدِثُها العبدُ ويقومُ بها ناتجةٌ عن أمرين:

أحدهما: عَزْمُ الإنسان عليها ولولا عزمه لما فعل.

والثاني: قدرته علىٰ العمل بما علَّمه الله تعالىٰ من أسبابه، وبما أعطاه من القوة عليه، ولولا قدرة الإنسان علىٰ العمل ولولا علمه بأسباب إيجادِه وعَزْمُه عليه لما وقعَ منه الفعلَ، ولا شكّ أنَّ الذي عَلَّمَ الإنسانَ وأوجد فيه العزم والقدرة هو الله تعالىٰ فالإنسان وعزمُه وقدرتُه وفعلُه كلُّه في مُلْكِ اللهِ وتحتَ مشيئةِ الله وقدرتِه، ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر: ٤٤].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

الإيمانُ بالقضاءِ والقدر

الحمدُ للهِ الحكيم العليم، القديرِ الرحيم، أحسنَ كلَّ شيءٍ خَلَقَهُ فقدَّره تقديراً، وأحاطَ علمُه بكلِّ شيءٍ صغيراً كان أم كبيراً، ونشهدُ أنْ لا إلـهَ إلا الله وحدَه لا شريكَ له، له المُلكُ وله الحمدُ وكان اللهُ عليماً قديراً، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه الذي بعثه الله بشيراً ونذيراً وداعياً إلىٰ الله بإذنه وسراجاً منيراً، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه والتابعين لهم بإحسانٍ وسلّم تسليماً كثيراً.

أما بعدُ، أيها المؤمنون: اتقوا الله تعالىٰ وآمِنُوا بقضائه وتقديره، واعلموا أنَّ كلَّ ما يحْدُثُ في الأرض أو في السماءِ فإنَّه لا يخفَىٰ علىٰ الله، وأن اللهَ تعالىٰ قد قدّر ذلك قبلَ خَلْقِ السمٰواتِ والأرض، ففي صحيحِ مسلمٍ عن عبد الله بن عَمْرٍو رضي اللهُ عنهما أن النبيَّ ﷺ قال: «**إنَّ اللهَ قدَّر مقاديرَ الخلائق قَبْلَ أنْ يَخْلُقَ السمواتِ والأرضَ بخمسينَ ألفَ سنةٍ، وكان عرشُه علىٰ الماء، ولما خَلَقَ اللهُ القلمَ قال له: اكتب، قال: وما أكتُبُ؟ قال: أُكتُبْ ما هو كائنٌ، فجرىٰ القلمُ بما هو كائِنٌ إلىٰ يوم القيامة**»[1]، قال الله تعالىٰ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ [الحديد: ٢٢]، وقال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٠٠)، والترمذي (٢١٥٥)، وأحمد ٥/٣١٧ من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ [الحج: ٧٠]، وفي الصحيحين من حديث ابنِ مسعُودٍ رضِيَ الله عنه قال: حدثنا رسولُ الله ﷺ وهو الصادقُ المصدوقُ قال: «إنّ أحدَكُم يُجْمَعُ خَلْقُهُ في بَطْنِ أمهِ أربعينَ يوماً نُطْفَةً، ثم يكونُ علقةً مِثلَ ذلك، ثم يكونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذلك، ثم يُرسَلُ إليه المَلَكُ فينفخ فيه الروحَ ويُؤمَرُ بأرْبَعِ كلمات، يَكتُبُ رِزْقَه وأجَلَه وعَمَلَه وشَقِيٌّ أو سعيدٌ، فوَالله الذي لا إلـه غيرُه إنَّ أحدَكم ليعمَلُ بعَمَلِ أهلِ الجنة حتىٰ ما يكونُ بينَه وبينَها إلا ذراعٌ، فيَسبِقُ عليه الكتابُ فيعملُ بعملِ أهلِ النارِ فيدخلُها، وإنَّ أحدَكم ليعملُ بعملِ أهلِ النارِ حتىٰ ما يكونُ بينه وبينَها إلا ذراعٌ، فيسبِقُ عليه الكتابُ فيعملُ بعملِ أهلِ الجنةِ فيدخلها»(١). فهذه الآياتُ والأحاديثُ تدلُّ علىٰ كمالِ الله تعالىٰ وأنه يعلمُ ما يكونُ وما كان، وتدلُّ علىٰ كمالِ حكمتِه وأنه يضَعُ الأشياءَ مواضعَها، وتدلُ علىٰ كمالِ رحمتِه وعنايتِه بخلقِه وأنه لم يترُكْهم هَمَلاً، بل قدَّر لهم التقديرات، وحدّد لهم الحدودَ والأرزاقَ والآجال والأعمالَ وجزاءَها من الشقاءِ والسعادة، وتُوجِبُ للعبدِ الرضىٰ بقضاء الله وتقديره، وأنَّ ما أصابَه فإنه بتقدير ربِّه وخالقِه وسيدِه، وأنه صادرٌ عن علمِه وحكمتِه، وتُوجِبُ للعبدِ سؤالَ اللهِ تعالىٰ دائماً والإلحاحَ عليه وتعليقَ الآمالِ بأن يُيسِّرَ العبدَ لليُسرىٰ

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٠٨)، ومسلم (٢٦٤٣) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

ويُجنِّبه العُسرىٰ، كما أنّ مَنْ آمن بقدَرِ اللهِ وقضائِه حقَّ الإيمانِ فإنه لن يُعْجَبَ بعمله الذي يعمله، بل يرىٰ ذلك من فَضلِ اللهِ وإحسانِه ونعمتِه فيشكرُه عليه، ومَنْ آمن بقضاء الله وقدَره حقَّ الإيمان فإنه إذا رأىٰ نفسَه علىٰ طاعةِ الله سأل الله تعالىٰ أن يُثبِّتَه عليها، وأن لا يُزيغَ قَلْبَه، فإنَّ الإنسانَ قد يعملُ بالطاعةِ فإذا أُعجِبَ بعملِه عُوقِبَ بتخَلِّ الله عنه فحينئذٍ يَهلِكُ بما يردُ علىٰ قلبِه من الشبهاتِ والفتنِ، فليسألِ العبدُ اللهَ تعالىٰ دائماً أنْ لا يُزيغَ قلبَه.

أعوذ بالله من الشيطانَ الرجيم: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ۝٤٩ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ﴾ [القمر: ٤٩-٥٠].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذَنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفورُ الرحيم.



القضاء والقدر

الحمدُ لله الذي خلقَ كلَّ شيءٍ فقدَّره تقديراً ودبَّر عبادَه علىٰ ما تقتضيه إرادته وحكمتُه وكان الله لطيفاً خبيراً، ونشهد أنْ لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له، له الملكُ وله الحمدُ وكان علىٰ كلِّ شيءٍ قديراً، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه أرسله بين يدَي الساعةِ بشيراً ونذيراً وداعياً إلىٰ الله بإذنه وسراجاً منيراً صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه ومَنْ تَبِعهم بإحسان وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد، أيها الناسُ: اتقوا الله تعالىٰ واعلموا أنكم لن تكونوا مؤمنين حتىٰ تُؤمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمنوا بالقدر خيرِه وشره ولن يتم لكم الإيمان بالقدر حتىٰ تؤمنوا بأمور أربعة:

الأمر الأول: أنْ تؤمنوا بأنَّ الله بكلِّ شيءٍ عليمٌ، وأنه تعالىٰ عَلِمَ ما كان وما سيكونُ ما وقع في الماضي وما يقع في المستقبلُ، وأنه يعلمُ حالَ العبدِ حاضرَها وماضيَها ومستقبَلها لا يخفىٰ عليه شيءٌ مما عمله العباد ولا مما يعملون في المستقبل ولا ما جرىٰ عليهم ولا ما يجري عليهم.

الأمر الثاني: أنْ تؤمنوا بأن الله تعالىٰ كتب في اللوح المحفوظ مقادير كلِّ شيءٍ فإنَّ أولَ ما خلقَ اللهُ القلمَ فقال له: اكْتُبْ، قال: ربِّ وماذا أكتب؟ قال: اكتُبْ ما هو كائنٌ إلىٰ يوم القيامة فجرىٰ في

تلك الساعة بما هو كائنٌ إلىٰ يوم القيامةِ وقد قدَّر اللهُ مقاديرَ الخلائقِ قبل أنْ يخلق السمٰواتِ والأرض بخمسين ألف عامٍ، فما قدَّر اللهُ علىٰ العبد لم يكنْ ليُخطئه وما لم يقدر الله علىٰ العبد لم يكنْ ليصيبَه، قال الله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: ٧٠]، وقال النبي ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما: **«يا غلامُ إني أعلمُك كلماتٍ احفظِ الله يحفظْك احفظِ الله تجدْه تجاهَك، إذا سألتَ فاسألِ الله وإذا استعنْتَ فاستعِنْ بالله، واعلمْ أنَّ الأمة لو اجتمعت علىٰ أنْ ينفعوك بشيءٍ لم ينفعوك إلا بشيءٍ قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا علىٰ أن يضروك بشيءٍ لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك»**(١) وفي رواية: **«تعرّف إلىٰ الله في الرخاءِ يعرفْك في الشدة، واعلم أن ما أخطأك، لم يكن ليُصيبَك وما أصابك لم يكن ليُخطئَك واعلم أن النصرَ مع الصبر وأن الفرَجَ مع الكرب وأنَّ مع العسر يُسراً»** وكما أن اللهَ قدّر مقاديرَ الخلائق قبلَ أن يخلقَ السمٰواتِ والأرض بخمسين ألف عام، فإنه تعالىٰ إذا خلق الجنين في بطن أمِه وتكاملَ خلقُه بعث اللهُ إليه الملك بعد تمامه أربعة أشهر، وأمره بأربع كلمات بكتْب رزقه وأجله وعملِه وشقيٍّ وسعيدٍ. والقضاءُ سرٌّ مكتومٌ لا يعلمُ به إلا الله تعالىٰ ومَنْ أطلعه عليه من الملائكة ولذلك لا يمكن

---

(١) أخرجه أحمد ١/٢٩٣ والترمذي (٢٥١٦) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

للمفرط أن يترك الطاعة ويحتج بالقدرِ أو أن يفعلَ المعصيةَ ويحتجَّ بالقدر، فإنه لا علمَ له بما قُدِّر عليه حتىٰ تتم له الحجة ولما قال الصحابةُ للنبيِّ ﷺ ألا نتكلُ علىٰ الكتابِ الأول وندعُ العملَ قال: اعملوا فكلٌّ مُيَسَّر لما خُلقَ له، أما أهلُ السعادةِ فيُيَسَّرُون لعمل أهل السعادة، وأما أهلُ الشقاء فيُيَسَّرونَ لعمل أهل الشقاء.

الأمر الثالث: أنْ تؤمنوا بعموم مشيئة الله وأن جميعَ ما في السمٰوات والأرض فهو بمشيئته لا يقع في ملكه ما لا يشاء فمشيئة العبد تابعةٌ لمشيئةِ الله كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ﴾ [الإنسان: ٣٠].

الأمر الرابع: أنْ تؤمنوا بأن جميعَ ما في الكون العلوي والسفلي فهو خَلْقُ الله لا خالقَ غيرُه وهو ملكُه يتصرفُ فيه كما يشاءُ بحسَب ما تقتضيه حكمتُه البالغةُ فلا معقبَ لحكمه ولا رادَّ لقضائه ولا يُسألُ عما يفعلُ لكمال ملكِه وسلطانِه وحكمتِه فالكلُّ تحت قبضته وقهره وسلطانه.

أيها الناسُ: إنَّ العبدَ لا ينعمُ حقَّ النعيم حتىٰ يؤمنَ بالقدر لأنه حينئذٍ يعرفُ أنَّ كلَّ شيءٍ من ربِّه فيرضي بتدبيره، ويشكرُه علىٰ نعمه ويصبرُ علىٰ البلاء والمصائب ويفزعُ إليه وحده عند الشدائد، وإذا آمن بالقدر عاش عيشةً راضيةً فلا يَحسُدُ أحداً علىٰ نعمه ولا يَشْمَتُ بأحدٍ أصيب ببليةٍ لأنه يعلمُ أنَّ ذلك من الله فيسألُه أن ينعمَ

عليه كما أنعم علىٰ أخيه، ويحمدُه إن عافاه مما ابتُلِي به الآخرُ ويرجو له العافية مما فيه.

أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢
وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ۝٣ إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ ۝٤ فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ
بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ
لِلۡعُسۡرَىٰ ۝١٠ وَمَا يُغۡنِي عَنۡهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ۝١١ إِنَّ عَلَيۡنَا لَلۡهُدَىٰ ۝١٢ وَإِنَّ لَنَا لَلۡأٓخِرَةَ وَٱلۡأُولَىٰ ۝١٣
فَأَنذَرۡتُكُمۡ نَارٗا تَلَظَّىٰ ۝١٤ لَا يَصۡلَىٰهَآ إِلَّا ٱلۡأَشۡقَى ۝١٥ ٱلَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۝١٦ وَسَيُجَنَّبُهَا
ٱلۡأَتۡقَى ۝١٧ ٱلَّذِي يُؤۡتِي مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ۝١٨ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ ۝١٩ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ
وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ۝٢٠ وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ﴾ [الليل: ١-٢١].

بارِكَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذَنْبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفورُ الرحيم.

* * *

القسم الثالث

التفسير

★ الفرع الأول : فضائل القرآن

★ الفرع الثاني : تفسير

الفرع الأول

فضائل القرآن

عظمة القرآن الكريم

الحمدُ للهِ الذي أنزل علىٰ عبده الكتاب، ولم يَجْعَلْ له عِوَجاً، بل جعلَه قَيِّماً هادِياً، لمن أراد أن يتخذَ إلىٰ ربِّه سبيلا، هُدىً للناس وبيناتٍ من الهدىٰ والفُرْقان، الفُرْقان بين الحقِّ والباطلِ، وبين الضارِّ والنافعِ، وبين أولياءِ الرحمٰنِ وأولياءِ الشيطانِ. ونشهدُ أن لا إلهَ إلا الكريمُ المنانُ. ونشهدُ أن محمداً عبدُه المصطفىٰ علىٰ بني الإنسانِ، صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلهِ، وأصحابِه والتابعين لهم بإحسانٍ، وسلَّم تسليماً.

عبادَ اللهِ، أيها المسلمون: إنَّ هذا القرآنَ الذي تقرؤنه هو كلامُ ربِّكم، ربِّ العالمين، تكلَّمَ به حقيقةً وألقاه علىٰ جبريلَ الأمينِ، ثم نزلَ به جبريلُ علىٰ قلبِ النبيِّ ﷺ، ليكونَ من المنذرين، بلسانٍ عربيٍّ مبينٍ، إنه كلامُ العظيمِ الجليلِ، مالكِ السمٰواتِ والأرضِ، الذي بيده أَزِمَّةُ الأمورِ ومقاليدُها، كلامُ ربكم تكلَّمَ به حقيقةً، بحروفِه ومعانِيه. تَفَكَّرُوا في هذا الأمرِ العظيمِ يتبينُ لكم عظمةُ هذا القرآنِ المجيدِ، القرآنِ الكريمِ الذي هو شفاءٌ لما في الصدورِ، وموعظةٌ للمتقين ونورٌ، واتلوه حقَّ تلاوتِه، بأن تُحْسِنوا تلاوةَ لفظِه، وتَعْرِفُوا ما استطعتم من معناه، وتُطَبِّقوا تعاليمَه في جليلِ أمورِكم ودقيقِها، وتُصَدِّقُوا بما أَخْبَرَ به تصديقاً جازماً لا ريبَ فيه، لأنه كلامُ أصْدَقِ القائلين، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢]،

﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧]، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝﴾ [المائدة: ٥٠]، قال النبي ﷺ: «خيرُكم مَنْ تعلَّمَ القرآنَ وعلَّمَه»[١]، «الماهرُ بالقرآنِ مع السَفَرةِ الكِرَامِ البرَرةِ، والذي يقرأُ القرآنَ ويتعتع فيه، وهو عليه شاقٌّ له أجران»[٢]، «مَثَلُ المؤمنِ الذي يقرأُ القرآنَ كمَثَلِ الأُترُجَّةِ ريحُها طيِّب وطعمها طيِّب»[٣]، «اقرؤوا القرآنَ، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه»[٤]، وأخبرَ أن أعظمَ سورةٍ في كتابه: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾[٥]، «اقرؤوا الزهراوين البقرةَ وآلَ عمرانَ، فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان تُحَاجانِ عن أصحابِهما يوم القيامة، اقرؤوا سورةَ البقرةِ فإن أخذَها بركةٌ وتركَها حَسْرةٌ ولا يستطيعُها البَطَلةُ»[٦]، «إنَّ الشيطانَ ينفر من البيتِ الذي تقرأ فيه سورةُ البقرة»[٧] ونزل ملك من السماء فقال للنبيِّ ﷺ: «أَبْشِر بنُورَيْن أُوتِيتَهُما لم يُؤْتَهما نبيٌّ قبلَك: فاتحةِ

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٢٧) من حديث عثمان رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٤٩٣٧)، ومسلم (٧٩٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) أخرجه البخاري (٥٠٥٩)، ومسلم (٧٩٧) من حديث أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه.

(٤) أخرجه مسلم (٨٠٤) من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه.

(٥) أخرجه البخاري (٤٤٧٤) من حديث أبي سعيد بن المعلّىٰ رضي الله عنه.

(٦) أخرجه مسلم (٨٠٤) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه.

(٧) أخرجه مسلم (٧٨٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الكتابِ، وخواتيم سُورةِ البقرةِ. لن تَقرأ بحرفٍ منهما إلا أُعطِيتَه»[١]، «أَيَعْجزُ أَحَدُكم أن يقرأ في ليلةٍ ثُلُثَ القرآنِ، قالوا: وكيف يقرأ ثُلُثَ القرآنِ؟ قال: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ تعدل ثلث القرآن»[٢]، «من قرأ حرفاً من كتابِ اللهِ فله به حسنةٌ، والحسنةُ بعَشْرِ أمثالِها، لا أقول: ألم حرف، ولكنْ ألفٌ حَرْفٌ، ولامٌ حَرْفٌ، ومِيمٌ حَرفٌ»[٣]، «ما اجتمع قومٌ في بيتٍ من بيوتِ اللهِ يتلون كتابَ الله ويتدارسونه بينَهم إلا نزلت عليهم السكينةُ، وغَشِيتْهم الرحمةُ، وحفَّتْهم الملائكةُ، وذكَرَهم اللهُ فيمَنْ عندَه»[٤]، «إنّ سورةً في القرآن ثلاثون آيةً، شَفَعَتْ لِرَجُلٍ حتىٰ غُفِرَ له وهي ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾»[٥].

فاجتهدوا أيها المسلمون، في قراءةِ القرآنِ، واستشعروا أنكم تقرأون كلامَ الرحمٰنِ. فأَحْضِرُوا قلوبَكم عند تلاوتِه، وتدبروه لتنتفعوا بالتلاوة من وجهين: يحصلْ لكم الثوابُ، ويحصلْ لكم العلمُ والمعرفة، وإذا مررتم بآيةِ سجدةٍ فاسجُدُوا، وكبِّروا عندَ

---

(١) أخرجه مسلم (٨٠٦) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه مسلم (٨١١) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.

(٣) أخرجه أحمد ١/ ٢٢٣، والترمذي (٢٩١٠)، والحاكم ١/ ٥٥٤ من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٤) أخرجه مسلم (٢٦٩٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) أخرجه أحمد ٢/ ٢٩٩، وأبو داود (١٤٠٠)، والترمذي (٢٨٩١)، وابن ماجه (٣٧٨٦)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٧١٠)، والحاكم ١/ ٥٦٥ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

السجود، وقولوا: سبحان ربي الأعلىٰ. واسجدوا كل وقت. فليس عن سجدةِ التلاوة نَهْيٌ، لأنها تَبَعٌ للقراءة والقراءة ليس لها وَقْتُ نَهْيٍ وهي أيضاً من الصلوات التي لها سَببٌ.

والأفضل أنْ يقرأ الإنسانُ علىٰ طهارةٍ، ولا يَمَسّ المصحفَ وهو مُحْدِثٌ، ولا يقرأ القرآنَ وهو جُنُبٌ، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ [فاطر: ٢٩-٣٥].

أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافةِ المسلمينَ من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنّه هو الرحيم.

* * *

من فضائل كتاب الله الكريم

إنَّ الحمدَ للهِ نَحْمَدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونعوذُ باللهِ من شُرورِ أنفسِنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا. مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هادِيَ له. وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه. صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه، وأصحابِه ومَنْ تَبِعَهم بإحسان إلىٰ يوم الدين، وسلَّم تسليماً كثيراً.

أما بعدُ، فيا أيُّها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ، واشكروا نعمتَه عليكم، بإنزالِ هذا القرآنِ الكريمِ الذي أنزله اللهُ نوراً تستبصرون به. وعِلْماً تهتدون به ودليلاً تستندون إليه، وتَحْتَجُّون به. كما قال اللهُ تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ [النساء: ١٧٤-١٧٥].

كتابٌ مبارك في تلاوتِه، مباركٌ في منهاجه، مباركٌ في آثاره، صادقٌ في أخبارِه، عادلٌ في أحكامِه. قال الله تعالىٰ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ﴾ [صٓ: ٢٩]. وقال جل ذكره: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥]. وقال: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]. وقال: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٢].

وقال تعالىٰ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝١ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [إبراهيم: ١-٢].

والآياتُ والأحاديثُ في بيانِ عَظَمَةِ هذا القرآنِ، وفَضْلِه وآثارِه الحميدة كثيرةٌ معلومةٌ تدعو المؤمنَ إلىٰ أن يتلوَ كتاب اللهِ، وإلىٰ أن يتدبرَ معانِيَه، وإلىٰ أن يُصَدِّقَ بأخبارِه، وإلىٰ أن يعملَ بأحكامِه. وقد ذكرنا من الآيات ما تَيَسَّرَ.

أما الأحاديثُ: فعن أميرِ المؤمنين عثمانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللهُ عنه: أن النبي ﷺ، قال: «**خَيْرُكم من تعلَّمَ القرآنَ وعلَّمَه**»(١). وعن عائشةَ رَضِيَ اللهُ عنها: أن النبيَّ ﷺ، قال: «**الماهرُ بالقرآنِ مع السَّفَرَةِ الكِرَامِ البرَرَةِ، والذي يقرأ القرآن ويَتَعتعُ فيه وهو عليه شاقٌّ له أجران**»(٢).

وعن أبي موسىٰ الأشعريِّ رَضِيَ اللهُ عنه: أن النبيَّ، قال: «**مَثَلُ المؤمنِ الذي يقرأُ القرآنَ مثل الأُتْرُجة ريحُها طَيِّبٌ وطعمُها طَيِّبٌ، ومَثَلُ المؤمنِ الذي لا يقرأُ القرآنَ، كمَثَلِ التمرةِ لا رِيحَ لها وطعمُها حُلوٌ**»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٢٧) من حديث عثمان رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٤٩٣٧)، ومسلم (٧٩٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) أخرجه البخاري (٥٠٥٩)، ومسلم (٧٩٧) من حديث أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه.

وعن عبدِ الله بْنِ مسعودٍ رَضِيَ اللهُ عنه، أنَّ النبيَّ ﷺ، قال: «مَنْ قرأ حَرْفاً من القرآنِ فله حسنةٌ، والحسنةُ بعَشْرِ أمثالِها، لا أقول: (الٓمٓ) حرفٌ. ولكن ألفٌ حرفٌ، ولامٌ حرفٌ، وميمٌ حرفٌ»(١).

وقال رَضِي اللهُ عنه: «إنَّ هذا القرآنَ مأدبة اللهِ فأقبلوا مأدبته ما استطعتم، إن القرآنَ حبلُ اللهِ المتينُ والنورُ المبينُ، والشفاءُ النافعُ، عصمة لمن تمسكَ به، ونجاة لمن اتبعه، لا يزيغُ فيسُتْعتَبُ، ولا يَعْوَجُّ فيُقَوَّمُ ولا تنقضي عجائبهُ، ولا يَخْلَقُ مِنْ كثرة التردادِ اتلوه فإنَّ اللهَ يأجرُكم علىٰ تلاوتهِ كلَّ حرفٍ عَشْرُ حسنات، أما إني لا أقول: (الٓمٓ) حرف، ولكن ألِفٌ حرفٌ ولامٌ حرفٌ وميمٌ حرفٌ»(٢).

هكذا يقولُ عبدُ اللهِ بْنُ مسعودٍ رَضِيَ اللهُ عنه: ولقد صَدَقَ فإنَّ القرآن مأدبة اللهِ عَزَّ وجل فيها الأوامرُ والنواهِي، فيها الأخبارُ الصادقةُ، فيها القَصَصُ النافعةُ.

إنَّ هذا القرآنَ حبلُ اللهِ المتينُ حبلٌ يُوَصِّلُ إلىٰ اللهِ عَزَّ وجل وإلىٰ دارِ كرامتهِ، إنه النورُ المبينُ في القلب، والنورُ المبينُ في الوجهِ، والنورُ المبينُ في القبرِ، والنورُ المبينُ في القيامةِ ﴿يَوۡمَ تَرَى

(١) أخرجه أحمد ١/ ٢٢٣، والترمذي (٢٩١٠)، والحاكم ١/ ٥٥٤ من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الدارمي (٣٣١٥)، والطبراني في «الكبير» (٨٦٤٦)، والحاكم ١/ ٥٥٥ من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم﴾ [الحديد: ١٢]، إنه الشفاءُ النافعُ، شفاءٌ لأمراض الأبدان. فكم من مريضٍ تُلِيتْ عليه سورةُ الفاتحةِ، فقامَ معَافاً بريئاً من المرَضِ.

وكم من لديغٍ قرئت عليه سورةُ الفاتحِة من اللدغةِ، وقام كأنما نَشُطَ مِنْ عِقَالٍ.

إنَّه عصمةٌ لِمَنْ تمسكَ به، إنه نجاةٌ لمن اتَّبَعه، ولهذا لا تَجِدُ المُسْتَنِدَ إلىٰ كتابِ اللهِ علىٰ وَجْهٍ صحيحٍ، وفَهْمٍ سليمٍ إلا معصوماً من الخطأ، فيما تمسكَ به من كتابِ اللهِ عَزَّ وجل.

إنَّ هذا القرآنَ الكريمَ لا يَخْلَقُ مِنْ كثرةِ التَّرْدَادِ، ولهذا يقرؤُه الإنسانُ، ولو قرأ الإنسانُ كلَّ يوم وليلة في كلِّ ساعةٍ لم يجدْه خَلقاً، بل هو يتجددُ كلما تلاه الإنسانُ بتدبرٍ، فتح اللهُ عليه من معانيه، ما لم يكنْ يَعْرِفُه من قبلُ. وقال النبيُّ ﷺ، لأبي سعيد بن المعلىٰ: **«لأعَلِّمَنَّك أَعْظَمَ سورةٍ في القرآنِ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ يعني الفاتحة هي السبعُ المثاني، والقرآنُ الذي أُوتيتُه»**[١].

وقال النبيُّ ﷺ: **«اقرؤوا الزهراوين: البقرةَ وآلَ عمرانَ، فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غَمَامتان، أو كأنهما فِرْقانِ من طَيْرٍ صوافَّ تُحَاجَّان عن أصحابِهما»**[٢].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٤٧٤) من حديث أبي سعيد بن المعلّىٰ رضي الله عنه.
(٢) أخرجه مسلم (٨٠٤) من حديث أبي إمامة الباهلي رضي الله عنه.

اقرؤوا سورةَ البقرةِ فإن أخذَها بركةٌ وتركَها حَسْرَةٌ، ولا تستطيعُها البَطَلَةُ (يعني السَّحَرَةُ)(١). وقال النبيُّ ﷺ: «البيتُ الذي تُقرأُ فيه سورةُ البقرةِ لا يدخلُه الشيطانُ»(٢).

وصَحَّ عنه ﷺ: «أن من قرأ آيةَ الكرسيِّ في ليلةٍ لم يَزَلْ عليه من اللهِ حافِظٌ، ولا يقْرَبُه شيطانٌ حتىٰ يُصْبِحَ»(٣).

وإنني بهذه المناسبة أودُّ أن أُذَكِّرَ ما ابْتُلِيَ به كثيرٌ من الناس اليوم بالوسواسِ الذي يُصيبُ نفوسَهم وقلوبَهم، حيث يتوهمون أنَّ الجنَّ مَسَّتْهم وليس الأمرُ كذلك، ولكنهم لقلةِ صلتِهم بالقرآنِ، وقلةِ صلتِهم بالأورادِ الواردةِ عن النبيِّ ﷺ، يُصَابُون بهذهِ الوساوسِ، حتىٰ إنك لتكادُ ترىٰ الرجلَ إذا أُصِيبَ بِزَكْمةٍ مُعتادةٍ قال: هذا جِنٌّ، هذه عَيْنٌ، هذا سِحْرٌ، وما أشبه ذلك من التخيلاتِ والأوهامِ الباطلةِ. والإنسانُ إذا توكَّلَ علىٰ اللهِ وأتىٰ بالأورادِ الواردةِ عن النبيِّ ﷺ، كفاهُ اللهُ شرَّ ذلك.

ونَحْنُ لا نُنْكِرُ أنَّ الشيطانَ يَمَسُّ الإنسانَ، وأن الجِنَّ قد يَتَلَبَّسُ بالإنسانِ، ولكننا نُنْكِرُ هذه الأوهامَ الكثيرةَ التي أصابت بعضَ

---

(١) أخرجه مسلم (٨٠٤) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد ٢/٣٧٨، ومسلم (٧٨٠)، والترمذي (٢٨٧٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) جزء من حديث أخرجه البخاري (٢٣١١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الناسِ من وساوس وخَيالاتٍ لا أَصْلَ لها. وإلا فقد قال اللهُ عز وجل: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

فمَسُّ الشيطانِ للإنسانِ أمرٌ واقعٌ، دَلَّ عليه كتابُ اللهِ وسنةُ رسولهِ ﷺ. وشهدَ به الواقع، ولكنَّ الذي يُنْكَرُ هذا الذي أصاب كثيراً من الناس بمجرد ما يُصِيبُ الإنسان كتمة، أو ضِيقُ صَدْرٍ. يقول: هذا مَسٌّ من الجن، أو هذا سحر، أو هذه عين.

وسببُ ذلك واللهُ أعلمُ إعراضُ كثيرٍ من الناسِ عن تلاوةِ القرآنِ وعن الأورادِ الواردةِ عن النبيِّ ﷺ. وقال مَلَكٌ للرسولِ ﷺ: **«أَبْشِرْ بنُورَيْنِ قد أُوتِيتَهما لم يُؤْتَهما نبي قبلَك: فاتحةِ الكتاب وخواتيمِ سورةِ البقرة، لم تقرأ بحرف منهما إلا أُوتِيتَه»**(١).

وعن عقبة ابْنِ عامرٍ رَضِيَ اللهُ عنه: أنَّ النبيَّ ﷺ قال: **«ألم تَرَ آياتٍ أُنزلَتِ الليلةَ لم يُرَ مثلَهن ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾**، وأمر النبيُّ ﷺ، عقبةَ أن يقرأ بهما، ثم قال: **«ما سأل سائلٌ بمثلِهما، ولا استعاذ بمثلِها»**(٢) أي بمثل هذه الآيات التي تضمنتها هاتان السورتان: قل أعوذ برب الفلقِ، وقل أعوذ برب الناس.

---

(١) أخرجه مسلم (٨٠٦) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه مسلم (٨١٤) من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه وقوله: وأمر النبي ﷺ عقبة... إلخ، أخرجه النسائي ٨/ ٢٥٣، وفي الكبرىٰ (٧٨٣٨).

فاتقوا اللهَ عبادَ اللهِ، وأَكْثِرُوا من قراءة القرآنِ وتعاهدوه. كما أمرَكم بذلك النبيُّ ﷺ، حيث قال: «**تعاهدوا القرآنَ فوالذي نفسي بيد لهو أَشَدُّ تَفلُّتاً من الإِبِل في عُقُلِها**»[1].

اغتنموا أيها المسلمونَ، اغتنموا أَجْرَ هذا القرآنِ. اغتنموا منافعَ هذا القرآن، اغتنموا آثارَه الحميدةَ التي تجدونها في قلوبكم، وفي أعمالِكم. اجعلوا لأنفسِكم حِزْباً مُعَيَّناً كلَّ يوم تقرؤونه لا تُخِلُّون به، فإنَّ ذلك يُعِينُكم علىٰ القراءةِ، وإننا لنرىٰ بعضَ الناسِ يتقدمون إلىٰ المساجدِ ويُصَلُّون ما شاءَ اللهُ أن يُصَلُّوا من الصلاةِ. ثم يجلسون ولا نرىٰ منهم إلا القليلَ، يأخذون المصحفَ ويقرأون القرآن.

ولهذا ينبغي لنا أيها المسلمون، أن نُكْثِرُ من قراءةِ القرآنِ، وأن نَتْلُوَ القرآنَ حقَّ تلاوتِه، لفظاً وعملاً. نُصدقُ الأخبارَ، ونعتبرُ بالقصصِ، نتمثلُ الأوامرَ، ننزجرُ عن النواهِي، لننالَ بركتَه، ونسعدَ بآثارِه.

إذا سمعتم اللهَ يقول: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥]. فاعبدوا الله مخلصين له الدين، لا تشركوا بعبادته، لا تعبدوا اللهَ رياءً، ولا سمعةً. اعبدوا الله لتُحَصِّلُوا مرضاتَه، ودارَ كرامتِه.

---

(١) أخرجه مسلم (٧٩١) من حديث أبي موسىٰ رضي الله عنه.

إذا سمعتم اللهَ يقول: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨]. فآمِنُوا باللهِ ورسولِه، واتبعوا رسولَه ﷺ، ولا تبتدعوا في دين الله ما ليس منه، ولا تقولوا علىٰ الله وعلىٰ رسوله ما لا تعلمون. فإن من قال علىٰ الله ما لا يعلم، أو علىٰ رسوله ما لا يعلم، فقد افترىٰ إثماً عظيماً.

إذا سمعتم الله يقول: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣]. فأقيموا الصلاة، وآتوا الزكاة، واركعوا مع الراكعين.

إذا سمعتم اللهَ يقول: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾ إلىٰ قوله: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَـٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٣-١٨٥]. إذا سمعتموه يقول ذلك فصوموا شهرَ رمضانَ إذا شهدتموه.

إذا سمعتم اللهَ يقول: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧]. فحجوا البيت إذا استطعتم إليه سبيلاً.

إذا سمعتم الله يقول: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٨]. فاجتنبوا أكلَ المالِ بالباطل، وإن حَكَمَ لكم القاضي بها وأنتم تعلمون أنه لا حقَّ لكم فيها، فلا تأكلوها، لأن حُكْمَ

الحاكمِ لا يُبيحُ الحرامَ، ولهذا نجد كثيراً من الناس يَدَّعِي ما ليس له، أو يُنْكِرُ ما كان عليه، ثم إذا تخاصموا إلىٰ الحاكم قال: في ذمةِ الحاكمِ: والحاكمُ بَرِيءٌ من ذلك. لأن الحاكمَ إنما يقضي بنحو ما سَمِع، ولكن مَنْ حُكِمَ له بحقٍّ وهو لا يَستحقُّه، فإنه لا يَحِلُّ له ولو كان ذلك بحُكْمِ الحاكمِ. والله تعالىٰ يقول: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٨].

وإذا سمعتموه يقول: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ﴾ [الحجرات: ١١]. فلا تتنابزوا بالألقاب، لا يُعَيِّرْ بعضُكم بعضاً.

إذا سمعتم اللهَ يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ [الحجرات: ١١]. فلا يسخرْ قومٌ من قومٍ، ولا نساءٌ من نساء.

إذا سمعتم اللهَ يقول: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [الحجرات: ١٢]. فاجتنبوا الغِيبةَ وابتعدوا عنها وفِرُّوا منها كما تَفِرُّون من أكلِ لحمِ أخيكم ميتاً. إذا سمعتم اللهَ يقول: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟﴾ [البقرة: ٢٧٥]. فاكتفوا بما أحلَّ اللهُ لكم من البيعِ الحلالِ واجتنبوا الربا.

إذا سمعتم اللهَ يقول: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]، من الأخبارِ ومن القصصِ، ومن الأوامر، ومن النواهي، فإنه أقومُ شيءٍ وأَحْسَنُه وأنفعُه للعباد في المعاشِ والمعادِ. وهكذا

أيها المسلمون بقيةُ أوامرِ القرآنِ ونواهِيه. فلن تتلو القرآن حق تلاوته إلا بإقامةِ ألفاظِه، ومعانِيه، وتصديقِ أخبارِه، واتباعِ أحكامِه علىٰ ما أرادَ اللهُ به، وبينه رسولُ اللهِ ﷺ.

اللهم إننا نسألك في مقامِنا هذا أنْ تجعلَنا ممن يتلون كتابَك حقَّ تلاوته. اللهم اجعلنا ممن يتلون كتابَك حقَّ تلاوتِه. اللهم اجعله قائداً لنا إلىٰ رضوانِك والجنةِ. اللهم اجعلْه أنِيسَنا في الدنيا وفي القبرِ وفي الآخرةِ، يا ذا الجلالِ والإكرامِ، يا حيُّ يا قيومُ. أقول قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم، ولكافةِ المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنّه هو الغفور الرحيم.

* * *

من أوصافِ القرآن الكريم

الحمدُ للهِ أحْمَدُه وأشكرُه، وأتوبُ إليه، وأستغفرُه، يَقْضِي بالحق ويأمرُ بالعدلِ. ونعوذُ باللهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيئاتِ أعمالِنا، من يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَادِيَ له. وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه. صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه، ومَنْ تَبِعَهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ الدين، وسلَّم تسليماً كثيراً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ، واشكروا نعمتَه عليكم أن جعلَكم أمةَ القرآنِ الذي أنزلَه اللهُ تعالىٰ مصدقاً لما بينَ يديهِ من الكتابِ ومُهَيْمِناً عليه. أنزلَه علىٰ محمدٍ ﷺ الذي اصطفاه من رسلِه لِيُبَيِّنَه لأمتِه الذين اصطفاهم من الأُمَمِ، فكتابكم أعظمُ الكتبِ ورسولُكم أفضلُ الرسلِ، ودينُكم أقومُ الأديانِ، وأنتُمْ خيرُ أمةٍ أُخْرِجَتْ للناسِ. فاشكروا هذه النعمةَ، واعْرِفُوا قَدْرَها وقُومُوا بواجبِها.

أيها الناسُ: إنَّ من نعمةِ اللهِ عليكم إنزالَ هذا القرآنِ الكريمِ الذي وصفَه اللهُ تعالىٰ بأوصافٍ عظيمةٍ. فهو كلامُ اللهِ تعالىٰ تكلَّم به وألقاه إلىٰ جِبْرِيلَ الروحِ الأمينِ. فنزل علىٰ قَلْبِ النبيِّ ﷺ، ليكونَ من المنذرين بلسانٍ عربيٍّ مبينٍ. أنزلَه علىٰ النبيِّ ﷺ ليبين للناسِ ما أنزلَ إليهم ولعلهم يتفكرون ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ

وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩]، ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٥-١٠٦]، ﴿۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٧٥-٧٩]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٧-٥٨].

لقد وَصَفَ اللهُ تعالىٰ كتابَه بأوصافٍ عظيمةٍ بالغةٍ، فوصَفَه بأنه كريمٌ وعظيمٌ، ومَجِيدٌ ومُبَارَكٌ، وهُدًىٰ ونُورٌ، وفُرْقَانٌ وذِكْرٌ ومُبِينٌ. تبياناً لكل شيء وموعظةً وشفاءً لما في الصدور، ومُصَدِّقاً لما بينَ يديهِ من الكتب. ومهيمناً عليه. وقال فيه: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨]. وكفىٰ بذلك عظمة! كيف لا وهو كلام الله عزَّ وجل، ولقد تَحَدَّىٰ اللهُ تعالىٰ المكذبين من العربِ وهم زعماءُ الفصاحةِ والبلاغةِ أنْ يأتوا بمثلِ هذا القرآنِ، وبعَشْرِ سُوَرٍ مثلِه، أو بسورةٍ واحدةٍ أو بأقلَّ من ذلك. فليأتوا بحديثٍ مثلِه إن كانوا صادقين. فَعجَزُوا عن ذلك مع قوةِ الداعي إلىٰ المُعَارَضَةِ وبُلُوغِ الغايةِ في الفصاحةِ.

ويُرْوَىٰ عن النبيِّ ﷺ، من حديثِ ابْنِ مسعودٍ رَضِيَ اللهُ عنه ـ والأشبهُ أنه موقوفٌ علىٰ ابْنِ مسعودٍ ـ «إنَّ هذا القرآنَ مأدبةُ اللهِ.

فاقبَلُوا مَأْدُبَتَه ما استطعتم، إنَّ هذا القرآنَ حبلُ اللهِ والنورُ المبينُ والشفاءُ النافعُ، عِصْمَةٌ لِمَنْ تَمسَّكَ به، ونجاةٌ لِمَنْ اتَّبَعَه. لا يَزِيغُ فيُسْتَعْتَبُ، ولا يَعْوَجُّ فيُقَوَّمُ، ولا تَنقَضِي عجائبُه، ولا يَخْلَقُ مِنْ كثْرَةِ التردادِ»(١).

أيها الناسُ: إنَّ هذا القرآنَ مَجْدُ هذه الأمةِ وعزُّها وكرامتُها وسعادتُها في الدنيا والآخرة، مَنْ طَلَبَ المجدَ بغيره خُذِلَ، ومَنْ طَلَبَ العزةَ بغيرِهِ ذَلَّ، ومَنْ طَلَبَ الكرامةَ بدونه أُهِينَ، ومَنْ طَلَبَ السعادَةِ بسواه شَقِيَ. إنَّ هذا لهـو الحـقُّ. واستمعوا إلىٰ قولِ اللهِ عز وجل: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ﴾ [طه: ١٢٣-١٢٧].

ولما كان هذا القرآنُ العظيمُ عِزَّ هذه الأمةِ وكرامتَها وسعادتَها ومجدَها. امْتَدَح اللهُ عز وجل أولئك الذين يتلون تلاوةً لفظيةً بقراءتِه المتضمنةَ لِفَهْمِ معانِيه، وتلاوةً عمليةً بتصديقِ أخبارِه والعملِ بأحكامِه. فقال تعالىٰ: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [البقرة: ١٢١].

---

(١) أخرجه الدارمي (٣٣١٥)، والطبراني في «الكبير» (٨٦٤٦)، والحاكم ١/ ٥٥٥ من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

وقال تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ [فاطر: ٢٩-٣٠].

وأثنىٰ رسولُ اللهِ ﷺ، علىٰ المؤمنِ القارىءِ القرآنَ فقال: «مَثَلُ المؤمنِ الذي يقرأُ القرآنَ مَثَلُ الأُتْرُجَّةِ ريحها طيبٌ وطعمُها طيبٌ، ومَثَلُ المؤمنِ الذي لا يقرأُ القرآنَ كمَثَلِ التمرةِ لا ريحَ لها وطعمُها حلوٌ، ومَثَلُ المنافقِ أو الفاجرِ الذي لا يقرأُ القرآنَ كمَثَلِ الحَنْظَلَةِ ليس لها ريحٌ وطعمُها مرٌّ»[1] وقال النبي ﷺ: «خَيْرُكم مَنْ تعلَّمَ القرآنَ وعلَّمَه»[2]. وقال: «ما اجتمعَ قومٌ في بيتٍ من بيوتِ اللهِ يتلون كتابَ الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينةُ وغشيتهم الرحمةُ وحَفَّتْهم الملائكةُ وذَكَرَهم الله فِيمَنْ عندَه»[3]. وأمر ﷺ بقراءة القرآن وتعاهده، فقال ﷺ: «اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه»[4]. (رواه مسلم). وقال: «وتَعاهَدُوا القرآنَ فوالذي نَفْسُ محمدٍ بيده لهو أَشَدُّ تفلُّتاً من الإبِلِ في عُقُلِها»[5].

(١) أخرجه البخاري (٥٠٥٩)، ومسلم (٧٩٧) من حديث أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٥٠٢٧) من حديث عثمان رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم (٢٦٩٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه مسلم (٨٠٤) من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه.

(٥) أخرجه مسلم (٧٩١) من حديث أبي موسىٰ رضي الله عنه.

فيا أيها المسلمون: اقرؤوا كتابَ اللهِ تعالىٰ، وتعاهدوه واحْتَسِبُوا به الأجرَ من الله، فإن لكم بكل حرفٍ تقرؤونه عَشْرَ حسناتٍ. اقرؤوا واحْرِصُوا علىٰ تقويمِ حروفِه ما استطعتم. فقد قال النبي ﷺ: «الماهرُ بالقرآن مع السَّفَرَةِ الكِرَامِ البَرَرَةِ، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاقٌّ له أجران»(١).

إن بعضَ الناسِ تمضي عليه الأيامُ والشهورُ، ولا يقرأُ من القرآنِ إلا ما يقرؤه في صلاتِه. فلو أنه قرأ من القرآنِ شيئاً آخَرَ لكان أكملَ لأجْرِه لو جعل له كلَّ يومٍ قَدْراً مُعَيَّناً يُعِينُه علىٰ تَعَاهُدِهِ، لَسَهَّلَ عليه قراءةَ القرآنِ وتعاهدَه. وَوجِّهُوا أبناءكم الصغارَ وبناتِكم إلىٰ حِفْظِه. فإنَّ حِفْظَهُ في الصغرِ أضبطُ وأبعدُ عن النسيان. قال ابْنُ عباسٍ رضي اللهُ عنهما: (تُوُفِّيَ رسولُ اللهِ ﷺ، وقد قرأتُ المُحْكَمَ يعني المُفَصَّلَ، وكان حينذاك صغيراً قد ناهزَ الاحتلامَ أو احتلم قريباً)(٢). واستحبَّ عمرُ بنَ الخطابِ رضي الله عنه أن يُلَقَّنَ خَمْسَ آياتٍ يعني من متوسط الآيات).

وإني لفي شَهْرِ رمضانَ، شهرِ القرآنِ أَحُثُّ الشبابَ خصوصاً علىٰ الحِرْصِ علىٰ حِفْظِ ما يستطيعون من كتابِ اللهِ في هذا الشهرِ. لأن لقراءةِ القرآنِ في رمضانَ مَزِيةً علىٰ غيرِه. فلقد كان جِبْرِيلُ

---

(١) أخرجه البخاري (٤٩٣٧)، ومسلم (٧٩٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) أخرجه البخاري (٥٠٣٥) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

يَلْقَىٰ النبيَّ ﷺ، في كل ليلةٍ في شهرِ رمضانَ يَعْرِضُ عليه النبيُّ ﷺ القرآن.

واحْرِصُوا علىٰ فَهْمِ معانِي القرآنِ من كُتُبِ التفسيرِ الموثوقةِ كتفسيرِ ابْنِ كثيرٍ، وتفسيرِ شيخِنا عبدِ الرحمٰن بْنِ سَعْدِي رحمهما الله تعالىٰ وغيرِهما من تفسيرِ أَهْلِ العلمِ الموثوقِ بعقيدتِهم، وعِلْمِهم. وتباحثوا فيما بينَكم عن المعنىٰ، ولا تقولوا في كتابِ الله تعالىٰ ما لا عِلْمَ لكم به، فتَفْتَرُوا علىٰ اللهِ الكذبَ. وقد قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ۝ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النحل: ١١٦-١١٧].

اللهم اجعلْنا من عبادِك الذين يتلون كتابَك حقَّ تلاوتِه. اللهم ارزقْنا به السعادةَ والكرامةَ، والعِزةَ والفلاحَ في الدنيا والآخرة. اللهم اجعلْنا به مؤمنين ومصدقين لأخبارِه، عاملين بأحكامِه، متفقين فيه غَيْرَ مختلفين، مُؤْتَلِفين غيرَ مُتَعادِين ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨]، وصلَّ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

بارك اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولسائر المسلمين فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

من أوصافِ القرآن الكريم

الحمدُ للهِ أحْمَدُه وأشكرُه، وأتوبُ إليه، وأستغفرُه، يَقْضِي بالحقِّ ويأمرُ بالعدلِ. ونعوذُ باللهِ من شرُورِ أنفسِنا ومن سيئاتِ أعمالِنا، من يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَادِيَ له. وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له. وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه. صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه، ومَنْ تَبِعَهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ الدين، وسلَّم تسليماً كثيراً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ، واعلموا أنَّ خَيْرَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ محمدٍ ﷺ، وشَرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ. نَعَم إن خَيْرَ الحديثِ كتابُ اللهِ، ذلك الكتاب الذي أنزله اللهُ تعالىٰ علىٰ أشْرَفِ خَلْقِه، وخاتَمِ أنبيائِه محمدٍ ﷺ. أنزلَه اللهُ تعالىٰ عليه ليُخْرِجَ به الناسَ من الظلماتِ إلىٰ النورِ بإذن ربهم، من ظلماتِ الجهلِ والشركِ والعصيانِ، إلىٰ نورِ العلمِ والتوحيدِ والإيمانِ. إنه كلامُ ربِّ العالمين، ألقاه علىٰ جِبْرِيلَ الأمينِ، فنزلَ به علىٰ قَلْبِ النبيِّ ﷺ، بلسانٍ عربيٍّ مبينٍ، إنه القرآنُ الحكيمُ، مُحْكَمٌ مُتْقَنٌ، لا تَنَاقُضَ في أخبارِه، ولا كَذِبَ ولا جَوْرَ في أحكامِه، ولا لَعِبَ. لا يأتيه الباطلُ بين يديه ولا من خلفه، ومَن حَكَمَ به عَدَلَ.

إنه القرآنُ المباركُ الكريمُ، إنه لَمُبَارَكٌ كريمٌ في ثوابِه وفي تأثيره، وفي آثارِه: مَنْ قَرَأَهُ كان له بكل حرفٍ منه عَشْرُ حسناتٍ، لا أقول: ألم حَرْفٌ، ولكنْ ألِفٌ حَرْفٌ، ولامٌ حَرْفٌ، وميمٌ حَرْفٌ،

فيه الذِكْرَىٰ لِمَنْ كان له قَلْبٌ أو ألقىٰ السمعَ وهو شهيدٌ. ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر: ٢٣].

فتَحَتْ به الأمةُ الإسلاميةُ مشارقَ الأرضِ ومغاربَها، وهزَمَتْ به جُيوشَ كِسْرَىٰ وقَيْصَرٍ، وكان به لها الظهورُ والعزةُ والكرامةُ. إنه القرآنُ العظيمُ في لفظِه ومعناه، عَجزَ البشرُ بل الجنُّ والإنسُ أن يأتوا بمثلِه، ولن يَجدُوا إلىٰ ذلك سبيلاً. ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨]. إنه الآيةُ الكبرىٰ لرسولِ الله ﷺ، كافية لكلِّ مَنْ أراد الحقَّ. كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت: ٥٠-٥١].

إنه القرآنُ الشاملُ الكاملُ فيه تِبْيَانُ كل شيء: إما جُمْلةً وإما تفصيلاً، تَصْرِيحاً أو تَنْبيهاً. كما قال اللهُ تعالىٰ: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]. وكلُّ ما في السنةِ من تفصيلٍ فإن القرآنَ مُرْشِدٌ إليه وحَاكِمٌ به. قال اللهُ تعالىٰ مخاطباً نَبِيَّهُ ﷺ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]. وقال: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ

﴿ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣]، وقال اللهُ تعالىٰ مخاطباً لنا: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ۚ﴾ [الحشر: ٧].

ذُكِرَ أن بعضَ العلماءِ قال له أَحَدُ النصارىٰ، وكان بينَ يديه طعامٌ: إنكم تقولون: إنَّ القرآنَ بيانُ كلِّ شيءٍ، فبيّن كيف يُصْنَعُ هذا الطعام؟ فدعا العالمُ صاحبَ المطعمِ وقال له: كيف صَنَعْتَ هذا الطعامَ؟ فأخبره صاحبُ المطعمِ بذلك. فقال العالمُ: هكذا علَّمَنا القرآنُ فإنَّ اللهَ تعالىٰ يقول: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]. ففي هذه الآيةِ الكريمةِ إرشادٌ إلىٰ طريقِ العلمِ بالمجهولِ، فيكونُ وصولُنا إلىٰ العلمِ به من أهلِه من إرشادِ القرآن.

ومن أَجْلِ عَظَمَةِ القرآنِ وفَضْلِه، جاءت الآياتُ الكريمةُ والأحاديثُ بفَضْلِ قراءتِه والأمرِ به. قال تعالىٰ: ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [العنكبوت: ٤٥]. وقال النبي ﷺ: **«اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه»**(١). وقال: **«تعاهدوا القرآنَ فوالذي نفسُ محمدٍ بيدِه لهو أشد تَفَلُّتاً من الإبلِ في عُقُلِها»**(٢) (رواهما مسلمٌ). وفي الصحيحين عن أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: **«مَثَلُ المؤمنِ الذي يقرأُ القرآن مثل الأُتْرُجَّةِ ريحُها طيبٌ وطعمُها طيبٌ، ومَثَلُ المؤمنِ الذي لا يقرأُ القرآنَ كمَثَلِ التمرةِ**

---

(١) أخرجه مسلم (٨٠٤) من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (٧٩١) من حديث أبي موسىٰ رضي الله عنه.

لا ريحَ لها وطعمها حُلْوٌ، ومَثَلُ المنافقِ الذي يقرأُ القرآنَ كمَثَلِ الرَّيْحَانِه ريحُها طيبٌ وطعمُها مرٌّ، ومَثَلُ المنافقِ الذي لا يقرأُ القرآنَ كمَثَلِ الحَنْظَلَةِ ليس لها ريحٌ وطعمُها مرٌّ»(١). وقال النبي ﷺ: «لا حَسَدَ إلا في اثنتين: رَجُلٍ علّمه اللهُ القرآنَ فهو يتلوه آناءَ الليلِ وآناءَ النهارِ، فسمعه جارٌ له. فقال: ليتني أُوتيتُ مِثْلَ ما أُوتِيَ فلانٌ فعَملتُ مِثْلَ ما يعملُ. ورَجُلٌ آتاهُ اللهُ مالاً فهو يُهْلِكه في الحقِّ. فقال: ليتني أوتيتُ مالَ فلانٍ فعَمِلْتُ مِثْلَ ما يعملُ»(٢). (رواه البخاري).

فاجتهدوا أيها المسلمون في تعلم القرآنِ: ألفاظه ومعانيه ما استطعتم، ثم اعملوا بما علمتم منه. فإنَّ القرآنَ إنما أُنْزِلَ لذلك. قال الله عز وجل: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [صٓ: ٢٩]. وحُثُّوا أولادكم البنينَ والبناتِ علىٰ تعلمِ القرآنِ وحفظِه حتىٰ تقوموا بحسن الرعاية والولاية.

اللهم اجعلنا ممن يتلون كتابَك حقَّ تلاوتِه، ويصدقون بأخبارِه، ويعملون بأحكامِه. اللهم ارفعْ لنا به الدرجاتِ، وكفر عنا به السيئاتِ، واجعله حُجَّةً لنا يا رب العالمين.

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٥٩)، ومسلم (٧٩٧) من حديث أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٧٣)، ومسلم (٨١٥) من حديث ابن مسعود رضي الله عنهما.

نعمةُ الله تعالىٰ بإنزال القرآن الكريم وذكر شيءٍ من أوصافِ القرآن

الحمدُ للهِ الذي أنزلَ علىٰ عبدِه الكتابَ، ولم يَجْعَلْ له عِوَجاً، وتباركَ الذي نَزَّلَ الفرقانَ، ليكونَ للعالمين نذيراً وللمتقين مَنْهَجاً. ونشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له، الذي أبان الحقَّ علىٰ لسانِ نبيِه، وأقام علىٰ ذلك براهينَ وحُجَجاً. ونشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه، أفضلُ الخلقِ خُلُقاً، وأَقْوَمُهُم عملاً صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه، والتابعين لهم بإحسانٍ أبداً، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ، واعْرِفُوا نعمةَ اللهِ عليكم بما أنزله عليكم من الكتابِ والحكمةِ، يَعِظُكم به. فلقد أنزلَ اللهُ عليكم كتاباً عظيماً، هو كلامُ اللهِ حقيقةً ألقاه علىٰ جِبْرِيلَ، فنزلَ به الروحُ الأمينُ علىٰ قلبِ محمدٍ ﷺ، ليكونَ من المنذرين بلسانٍ عربيٍ مبين.

ولقد نَوَّه اللهُ تعالىٰ عن هذا القرآنِ في الكتبِ السالفة النازلةِ علىٰ الأنبياءِ. قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّهُ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الشعراء: ١٩٦-١٩٧]. ولقد وصف اللهُ هذا القرآنَ العظيمَ بأوصافٍ عظيمةٍ تأخذُ بالقلوبِ والأرواحِ، وتدفعُ المؤمنَ إلىٰ الاعتناءِ بهذا القرآنِ، والتمسكِ به في جميعِ الأحوالِ.

وصَفَه اللهُ بأنه هُدىً للمتقين، وهُدىً وبُشْرَىٰ للمؤمنين. وأنه هُدىً للناسِ وبيناتٌ من الهُدَىٰ والفرقانِ. وأنه ذِكْرٌ حكيمٌ. وأنه برهانٌ ونورٌ مبينٌ. وعَظَّمَ اللهُ شأنَه بقوله ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَۚ﴾ [النساء: ١٦٦]. وَصَفَه بأنه مباركٌ، وبأنه بَصَائِرُ من اللهِ. وبأنه هُدىً، ورحمةٌ لقوم يؤمنون، وأنه موعظةٌ وشفاءٌ لما في الصدور. وأنه أنزل علىٰ النبي ﷺ، ليخرج الناس به من الظلمات إلىٰ النور.

ووصَفَه اللهُ تعالىٰ بأنه ذِكْرٌ، وبأنه تِبْيانٌ لكلِّ شيءٍ، فما من شيءٍ من الأمورِ النافعةِ أو الضارةِ إلا بيَّنَهَا إما جُمْلَةً وإما تفصيلاً. وأخبرَ بأنَّ هذا القرآنَ يَهْدي للتي هي أقومُ، وأنه قَيِّم لا عِوَجَ فيه. وأنه فُرقانٌ يفرِّقُ بينَ الحقِّ والباطلِ، وبينَ الهدىٰ والضلالِ. وبأنه تنزيلٌ من حكيمٍ خبير، ومن الرحمٰنِ الرحيم، وبأنه مجيد، وبأنه عظيمٌ، وبأنه كريمٌ.

وأخبرَ اللهُ تعالىٰ عن نتائجه وثمراته، وأن الناسَ ينقسمون فيه. فمن الناس مَنْ انتفعَ بالقرآن، وكان القرآن حُجَّةً له وطريقاً إلىٰ الله وإلىٰ رضوانه. ومن الناس مَنْ كان القرآنُ حُجَّةً عليه، ولم يَزْدَدْ بالقرآنِ إلاّ بعداً وإثماً، فقال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَذۡكِرَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ﴾[الحاقة: ٤٨]، ﴿وَإِنَّهُۥ لَحَسۡرَةٌ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [الحاقة: ٥٠]، وقال تعالىٰ: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارٗا﴾ [الإسراء: ٨٢].

وقال تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ١٢٤ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَتۡهُمۡ رِجۡسًا إِلَىٰ رِجۡسِهِمۡ وَمَاتُواْ وَهُمۡ

كَـٰفِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤-١٢٥]. وقال: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [طه: ١٢٣-١٢٧].

ولقد أدركَ أهلُ البرِّ والتقوىٰ حقيقةَ هذا القرآنِ. وعرَفُوا قَدْرَه، قال الله تعالىٰ: ﴿۞ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُوا۟ خَيْرًا ۗ﴾ [النحل: ٣٠]، أما أهلُ الغفلةِ والإعراضِ فلم تَصِلْ حقيقةُ القرآنِ إلىٰ قلوبهم ولم يَرْفَعُوا بهِ رَأْساً قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۙ قَالُوٓا۟ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [النحل: ٢٤].

عباد الله: إن المؤمنَ إذا تدبر كلامَ اللهِ تعالىٰ، وما وصَفَه اللهُ به من تلك الأوصافِ العظيمةِ، وما يَترَتَّبُ علىٰ تلاوتهِ من الفوائدِ والثمراتِ الطيبةِ في الدنيا والآخرة. فلا بُدَّ أن يُقْبِلَ عليه، وأن يتمسك به وأن يَرَىٰ أن من أكبرِ النِّعَمِ أن يُعِينَه اللهُ علىٰ حفظِه والعملِ به. فإنه الأنيسُ في الوحشةِ، والجليسُ في الوحدةِ، إذا وفقت لحِفْظِ القرآنِ أمكنَك أن تقرأه قائماً، وقاعداً، ومضطجعاً، أمكنك أن تستدلَّ بآياته في أيِّ وقتٍ شِئْتَ، أمكنَك أن تتدبرَ آياتِه وتفهمَ معَانِيَهُ. حِفْظَ القرآنِ نعمةٌ كبرىٰ يَعْرفُها من وَفَّقَهُ اللهُ لِحِفْظِه.

أيها الناسُ: لقد منّ اللهُ تعالىٰ علىٰ هذه البلادِ بِوُلاةٍ يَرْعَوْنَ أمورَها، ويَحْرِصُون علىٰ حِفْظِ دينها، وكتابِ ربِّها، وسنةِ نبيه ﷺ.

فأنشأت وزارةُ المعارفِ مدارسَ لتحفيظِ القرآن في مُدنِ هذه المملكةِ. وفي هذه السنةِ أعلنت إدراةُ الإشرافِ هنا بأَن الحكومةَ عَزمَتْ علىٰ فَتْحِ مدرسةٍ لهذا الغرضِ، إذا توفرَ العددُ الكافِي لِفَتْحِ المدرسةِ. تكون موادُّها العلميةُ كموادِّ المدارس الأخرىٰ، وشهادتُها كشهادةِ المدارسِ الابتدائيةِ الأخرىٰ، من غيرِ تمييزٍ بينهما.

إلا أنَّ مدارسَ تحفيظِ القرآنِ تمتازُ عن المدارسِ الأخرىٰ بكثرةِ حِصَصِ القرآنِ فيها. وأن الطالبَ يتخرجُ منها وقد حَفِظَ كلامَ اللهِ عن ظَهْرِ قَلْبٍ. وتمتازُ أيضاً بما يُعْطَاه الطالبُ تنشيطاً له وتشجيعاً، من مكافأةٍ شهريةٍ قَدْرُها ثلاثون ريالاً. ولا يَفُوتُه شيءٌ من العلومِ النافعةِ في المدارسِ الأخرىٰ، ولا تَنْقُصُ وثيقةُ الشهادةِ التي يُعْطَاها عن المدارسِ الأخرىٰ.

وإنَّ هذه لفرصةٌ عظيمةٌ للأولياءِ وأبنائِهم، يتخرجُ الطالبُ وقد حَفِظَ كلامَ اللهِ ولم يَفُتْهُ شيءٌ من العلومِ، ولا من الشهاداتِ. فيفوزُ بِخَيْرَيِ الدنيا والآخرةِ. قد ساوىٰ أقرانَه في المدارسِ الأخرىٰ وزاد عليهم بحِفْظِ كلامِ ربِّ العالمين، الذي لا يأتيهِ الباطلُ من بَيْنِ يديه، ولا مِنْ خَلْفِه، تنزيلٌ من حكيمٍ حميدٍ.

فسارعوا أيُّها المسلمون إلىٰ هذه الفرصةِ الثمينةِ، تَسْعَدُوا وتَسْعَد أبناؤكم، إن شاء الله تعالىٰ.

بارك اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

فضلُ قراءةِ القرآن الكريم

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف: ١-٥]، ونشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له، أحاط بكلِّ شيءٍ عِلْماً، وأحْصَىٰ كلَّ شيءٍ عَدَداً. ونشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه، صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلهِ، وأصحابِه والتابعين لهم بإحسانٍ، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ، وأَكْثِرُوا من قراءةِ القرآنِ في هذا الشهرِ، يُعْظِمِ الله لكم بذلك الأَجْرَ، ذلك لأن في كلِّ حرفٍ من القرآنِ الكريمِ عَشْرَ حسناتٍ، وقد وردت الأحاديثُ بفَضْلِ تلاوةِ القرآنِ عُمُوماً، وبَعْضِ السورِ خُصُوصّاً. ففي صحيحِ مسلمٍ أن جِبْرِيلَ قال للنبيِّ ﷺ: «أَبْشِرْ بنُورَيْنِ قد أُوتيتَهُما لم يُؤْتَهما نبيٌّ قبلَك: فاتحةِ الكتابِ، وخواتيم سورةِ البقرةِ، لم تَقْرَأْ حَرْفاً منها إلا أُوتيتَه»[1]. وقال: «البيتُ الذي تُقْرَأُ فيه البقرةُ لا يدخلُه الشيطانُ»[2]. رواه

(١) أخرجه مسلم (٨٠٦) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه أحمد ٢/٣٧٨، ومسلم (٧٨٠)، والترمذي (٢٨٧٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

أحمدُ ومسلمٌ. وكان أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ رَضِيَ اللهُ عنه، يقرأُ من الليلِ سورةَ البقرةِ وفَرَسُه مربوطةٌ عندَه، وله ابْنٌ قريبٌ منها، فَجَالَتِ الفَرَسُ، فسكتَ فسَكَنَتْ، فقرأَ فجَالَتِ الفَرَسُ مرةً ثانيةً، فسكتَ فسَكَنَتْ، ثم قرأ فجَالَتِ الفَرَسُ مرةً ثالثةً، فخاف أن تُصيبَ ابْنَه، فانصرفَ ثم رَفَعَ رأسَه إلىٰ السماءِ حتىٰ ما يَرَاها، فإذا مِثْلُ الظُّلَّةِ فيها أمثالُ المصابيحِ، فلما أصبحَ أخبرَ النبيَّ ﷺ بذلك فقال: **«أتَدْرِي ما ذاك»**؟ قال: لا. قال: **«تلك الملائكةُ دنت لصوتِك، ولو قَرأْتَ لأَصْبَحَتْ ينظرُ الناسُ إليها لا تَتَوارَىٰ منهم»**[1].

وأخبر النبي ﷺ: أن سورةَ البقرةِ، وآلَ عمرانَ يُظَلِّلانِ صاحبَهما يومَ القيامةِ، ويُحَاجَّانِ عنه[2]، ونزلت سورةُ الأنعام علىٰ النبيِّ ﷺ بمكةَ ومعها من الملائكةِ ما بين الخَافِقَيْنِ (٧٠٠٠٠) مَلَكٍ، لهم زَجَلٌ بالتسبيح، والأرضُ تَرْتَجُّ بهم، ورسولُه ﷺ، يقول: **«سُبْحَانَ اللهِ العظيمِ، سُبْحَانَ اللهِ العظيم»**[3]. وقال النبيُّ ﷺ: **«إن سورةً من القرآن ثلاثون آية شَفَعَتْ لصاحبِها حتىٰ غُفِرَ له ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾»**[4]،

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠١٨) من حديث أسيد بن حضير رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (٨٠٤) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه الطبراني في الأوسط (٦٤٤٧)، والبيهقي (١٠٠٧)، وانظر تفسير ابن كثير ٢/ ١٢٣.

(٤) أخرجه أحمد ٢/ ٢٩٩، وأبو داود (١٤٠٠)، والترمذي (٢٨٩١)، وابن ماجه (٣٧٨٦)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٧١٠)، والحاكم ١/ ٥٦٥ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وقد ورد أنها تُنجِي من عذاب القبر، وثبت أنه ﷺ قال: «إن ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ تَعدِلُ ثُلُثَ القرآن»[١] وقال له رجل إني أُحِبُّها، فقال: «حُبُّك إياها أَدْخَلَك الجنةَ»[٢]. وقال رجلٌ آخر: إنها صِفَةُ الرحمٰنِ، وأنا أُحِبُّ أنْ أقرأَها، فقال النبيُّ ﷺ: «أخبروه أن اللهَ يُحِبُّه»، وقال ﷺ لِرَجُلٍ من أصحابِه: «ألا أعلمُك سورتين من خيرِ سورتين قرأ بهما الناس: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾»[٣].

فاقرؤوا القرآن بتدبر وتفهُّم، وإذا مررتم بآيةِ رحمةٍ فاسألوا الله من فضلِه، وإذا مررتم بآيةِ وعيدٍ، فتعوذوا باللهِ من عقابِه، وإذا مررتم بآية سجدةٍ فاسجدوا في أيِّ وقت كان، فالسجودُ للتلاوة لا نَهْيَ عنه لأنه تابع للتلاوة، وإذا سجدتم فكبِّروا، وقولوا: سُبْحَانَ ربِّيَ الأعلىٰ في السجودِ، وإذا رفعتم من السجود فلا تكبروا، ولا تسلموا، لأن ذلك لم يرد علىٰ النبيِّ ﷺ، إلا إذا سَجَدَ القارىءُ وهو يصلي، فإنه يكبِّر للسجود وللرفع منه.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن

---

(١) أخرجه مسلم (٨١١) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٧٧٤) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٣) أخرجه أحمد ٤/١٤٤، والنسائي ٨/٢٥٣، وفي «الكبرىٰ» (٧٨٤٣)، وأبو داود (١٤٦٣) من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه.

تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٢٩-٣٠].

اللهم بارك لنا في القرآن العظيم وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم واغفر لنا والوالدينا ولجميع المسلمين وأقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو التواب الرحيم.

* * *

فضلُ قراءةِ القرآن الكريم

الحمدُ للهِ الذي منّ علينا بإنزالِ هذا القرآنِ العظيمِ، وجعل العملَ به هو الوسيلةَ الكبرىٰ إلىٰ حلولِ دارِ النعيمِ، ورتَّبَ علىٰ تلاوتهِ الخيرَ الكثيرَ، والفضلَ العميمَ. وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له، البَر الرحيمُ. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، الموصوفُ بالصفاتِ الكاملةِ الفاضلةِ ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]. كان خلُقه ﷺ هذا القرآن، يمتثلُ لأوامرِه، ويبتعدُ عن نواهِيه. اللهم صلِّ علىٰ محمدٍ وعلىٰ آل محمدٍ وأصحابه، كما صلَّيت علىٰ إبراهيم وعلىٰ آل إبراهيم، وسلِّمْ تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا الله، واعْرِفُوا ما للهِ عليكم من النِّعَمِ في هذا الشهرِ، فإنه موسمُ الخيراتِ، ومَرْتَعُ المُوَفَّقِين المجتهدين في الأعمالِ الصالحاتِ. نَوَّعَ اللهُ فيه القرباتِ، وأَجْزَلَ فيه العطايا والهباتِ، وجعل صيامَه وقيامَه إيماناً واحتساباً، سبباً لتكفير السيئاتِ.

فأكثروا فيه مِنْ فِعْلِ الخيرِ لعلكم تفلحون، وتاجروا فيه مع الله فَلَسَوْفَ تَرْبَحُون، وأكثروا فيه من تلاوةِ القرآنِ بتدبرٍ واعتبارٍ، فإنَّ في كل حرفٍ منه عَشْرَ حسناتٍ، لا أقولُ ألم حَرْفٌ، ولكنْ ألفٌ حَرْفٌ، ولامٌ حرفٌ، ومِيمٌ حَرْفٌ، فتلك ثلاثون حسنةً، قال النبيُّ

ﷺ: «اقرؤوا القرآنَ، فإنه يأتي يومَ القيامة شفيعاً لأصحابه. اقرؤوا الزهراوين: البقرةَ وآلَ عمرانَ، فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غَمَامَتانِ أو غَيَايتانِ، أو كأنهما فِرْقانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ تُحَاجَّان عن صاحبِهما. اقرؤوا سورةَ البقرةِ فإنّ أخذَها بركةٌ وتركَها حَسْرةٌ ولا تستطيعها البَطَلَةُ»[١]. «إن الشيطانَ يَنفِرُ من البيتِ الذي تُقْرأُ فيه سورةُ البقرة»[٢]. «من القرآن سورةٌ ثلاثون آيةً شَفَعتْ لِرَجُلٍ حتىٰ غُفِرَ له» وهي ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ [الملك: ١]، وفي رواية: «تشفعُ لصاحبِها»[٣]. فيا مَنْ منّ اللهُ عليه بحفظِ القرآنِ، اغتنمْ أوقاتَك بدراستِه، لتَفُوزَ بالخيرِ الكثيرِ، ويا أيها العاجزُ عن قراءةِ جميعِه، اقرأ ما تَيسَّرَ منه، وانْوِ بقلبِك أنك لو قَدَرْتَ علىٰ قراءتِه كلِّه لكُنْتَ من الفاعلين. واعلمْ أنَّ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ تَعدِلُ ثُلُثَ القرآنِ، وأن سورةَ ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾ تَعْدِلُ نِصْفَ القرآنِ، وسورةَ ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ تَعْدِل رُبْعَ القرآنِ[٤]. فكرِّرْ هذه السورَ وما تَعْرِفُه من كتاب ربك، وأعلم أنَّ اللهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ المحسنين.

---

(١) أخرجه مسلم (٨٠٤) من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (٧٨٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه أحمد ٢/ ٢٩٩، وأبو داود (١٤٠٠)، والترمذي (٢٨٩١)، وابن ماجه (٣٧٨٦)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٧١٠)، والحاكم ١/ ٥٦٥ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه الترمذي (٢٨٩٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

ويا أيها المشتغلُ عن القرآن بتحصيلِ قُوْتِه. اغتنمْ أوقاتَ فراغِك لدراسةِ القرآنِ، وسيَكْتُبُ اللهُ لك أَجْرَ ما نويتَه إذا عجَزْتَ عنه في وقتُ اشتغالِك.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٢٩-٣٠].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

من فضائلِ تلاوةِ القرآنِ الكريم

الحمدُ للهِ الذي أنزلَ علىٰ عبدِه الكتابَ ولم يَجْعَلَ له عِوَجاً، والحمدُ للهِ الذي بيّن لعبادِه طريقاً إليه ومَنْهَجاً، ونشهدُ أنْ لا إلهَ إلا الله وحدَه لا شريكَ له، إلهٌ تَفَضَّلَ علىٰ عبادِه بالنِّعَمِ جُوْداً وكَرَماً. ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه أفضلُ النبيين هَدْياً وسَنَناً، صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلهِ وأصحابِه ومَنْ تَبِعَهم بإحسانٍ وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ، واحْرِصُوا علىٰ تلاوةِ القرآنِ الكريم، فإنه كلامُ ربِّ العالمين، ذِكْرٌ مباركٌ في تلاوتِه ومعناه، والعملِ به، مَنْ قرأه فله بكلِّ حرفٍ عشْرُ حسناتٍ، ومن تدبَّرَ معناه تيسَّرَ له الوصولُ إليه، ومَنْ عَمِلَ به سَعِدَ في الدنيا والآخرة، اقرؤوا ولو بالتَّهَجِّي ما استطعتُم، فقد قال النبيُّ ﷺ: **«الماهرُ بالقرآنِ مع السَّفَرَةِ الكِرَامِ البررة، والذي يقرأُ القرآنَ ويَتَعْتَعُ فيه وهو عليه شَاقٌّ له أجران»**[1]. وقال عليه الصلاةُ والسلامُ: **«اقرؤوا القرآنَ فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه. اقرؤوا الزهراوين البقرةَ وآلَ عمرانَ، فإنهما تأتيان يوم القيامة، كأنهما غَمَامتان، أو غَيَايتان، أو كأنهما فِرْقانِ من طَيْرٍ صَوَافَّ، تُحَاجَّان**

(١) أخرجه البخاري (٤٩٣٧)، ومسلم (٧٩٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

عن أصحابِهِما. اقرؤوا سورةَ البقرةِ فإن أَخْذَها بركةٌ وتركَها حَسْرَةٌ، ولا تستطيعُها البَطَلَةُ»[١]. وقال النبي ﷺ: «مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آياتٍ من أوَّلِ سورةِ الكهفِ، وفي رواية (من آخِرِها)، عُصِمَ من فِتنةِ الدَّجَّالِ»[٢]، وقال في يسٓ: «لا يَقرؤُها رَجُلٌ يريدُ اللهَ والدارَ الآخرةَ إلا غَفَرَ اللهُ له»[٣]. «اقرؤوها على موتاكم»[٤]، يعني على الذين في سياقِ الموت، وقال: «إن سورةً في القرآن ثلاثون آيةً شفعت لرجُلٍ حتىٰ غُفِرَ له، وهي تبارك الذي بيده الملك»[٥]. وقال: «قل هو الله أحد تعدِلُ ثُلُثَ القرآن»[٦].

فاجتهدوا أيها المسلمون، في تلاوةِ كلامِ ربِّكم، مَنْ عَرَفَه كلَّه فذاك، ومَنْ لم يَعْرِفْهُ فليقرأ ما تَيسَّرَ منه. واحْرِصُوا على حُضُورِ قلوبِكم عند تلاوتِه، وتدبروا مَعَانِيهُ، لتنتفعوا به لَفْظاً ومَعْنىً. والقراءةُ على ظهْرِ قَلْبٍ أفضلُ، وتجوز قراءةُ المُحْدِثِ حَدَثاً

(١) أخرجه مسلم (٨٠٤) من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (٨٠٩) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.

(٣) أخرجه النسائي في «الكبرىٰ» (١٠٩١٤) عن معقل بن يسار رضي الله عنه.

(٤) أخرجه أحمد ٥/٢٦، وأبو داود (٣١٢١) والنسائي في «الكبرىٰ» (١٠٩١٣) من حديث معقل بن يسار رضي الله عنه.

(٥) أخرجه أحمد ٢/٢٩٩، وأبو داود (١٤٠٠)، والترمذي (٢٨٩١)، وابن ماجه (٣٧٨٦)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٧١٠)، والحاكم ١/٥٦٥ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٦) أخرجه مسلم (٨١١) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.

أَصْغَرَ، أما مَنْ عليه جنابةٌ فلا يقرأ القرآنَ حتىٰ يغتسلَ، وكذلك المرأةُ إذا حاضَتْ لا تقرأ القرآنَ، حتىٰ تَطْهُرَ وتغتسلَ.

ويجوزُ أن يقرأ القرآنَ وهو قائمٌ أو قاعدٌ، أو مضطجعٌ، أو ماشٍ، أو واقفٌ. لكن لا يقرأ القرآنَ في الأماكنِ القذرةِ، لأنه يُكَرَّمُ عنها. وإذا أَذَّنَ المؤذنُ وأنت تقرأُ القرآنَ فاقطعِ القراءةَ، وأَجِبِ المؤذنَ. وإذا مرَّ القارىء بالسجدةِ، فإنه يسجدُ في أي وقتٍ كان، سواءٌ كان في الصباحِ أو في السماءِ، أو في الليلِ، فلا نَهْيَ عن سجودِ التلاوةِ، وإذا سجد كبّر للسجودِ، وقال: سبحان ربي الأعلىٰ، ثم دعا، وإذا رفع من السجودِ، فلا يُكَبِّر ولا يُسَلِّم، إلا إذا كان في صلاةٍ، فإنه إذا قام يكبرُ، لأن سجودَ التلاوةِ، إذا كان في صُلْبِ الصلاةِ صارَ له حُكْمُ سجود الصلاةِ، ولأن الواصفين لصلاةِ النبيِّ ﷺ، يقولون: إنه يكبرُ في كلِّ خَفْضٍ ورَفْعٍ، مع أنه كان يقرأُ بسورةٍ فيها سجدةٌ ويسجد ولم يستثنوا.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ۝١ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾ [إبراهيم: ١-٢].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

حلقات تحفيظ القرآن الكريم*

الحمدُ للهِ حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه. وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له، شهادةً نرجو بها النجاةَ يوم نُلاَقِيه. وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه. صلَّىٰ الله عليه وعلىٰ آلِه، وأصحابِه ومَنْ تَبِعَهم بإحسان إلىٰ يوم الدين.

أما بعدُ: فإنه من نعمةِ اللهِ علىٰ هذه البلادِ أن يَسَّرَ اللهُ لها إقامةَ حَلَقَاتٍ في المساجدِ لتعليمِ القرآنِ الكريمِ لأبنائِنا الصغارِ، وهذا من نعمةِ اللهِ سبحانه وتعالىٰ، ومن فَضْلِهِ علىٰ حكومتِنا. ـ وفَّقَها اللهُ لكل خَيْرٍ ـ حيثُ أَمَدَّت هذه الحَلَقَاتِ بشيءٍ من المال يُعينُها علىٰ مُهِمَّتِها عبْرَ جامعةِ الإمامِ محمدِ بْنِ سُعُودِ الإسلاميةِ زادَ اللهُ حكومتَنا، وزاد جامعاتِنا المفيدةَ خيراً وبَرَكةً.

ولقد كان في بلدِنا هذا وللهِ الحمدُ منذ سنواتٍ حَلَقَاتٌ في بعضِ المساجدِ. ونحن نُرَحِّبُ بكل مسجدٍ يُقِيمُ حَلْقَةً علىٰ حَسَبِ النظامِ المدروسِ في مجلسِ جماعةِ تحفيظِ القرآنِ. ولكني أَحُثُّ إخوانَنا هنا علىٰ أن يُشَجِّعوا أبناءهم الصغارَ بالالتحاقِ بهذه الحَلَقَاتِ. لأنها خَيْرٌ وبركةٌ فرَبْطُ الشباب بالقرآنِ خَيْرٌ، ورَبْطُ الشبابِ بالمساجدِ خَيْرٌ، وحِفْظُ القرآنِ خَيْرٌ. والولدُ إذا حَفِظَ القرآنَ، فإنه أقربُ بصلاحِه وفلاحِه.

---

* هذه هي الخطبة الثانية.

وإذا كان صالحاً كان قُرَّةَ عَيْنٍ لأبيه في الدنيا والآخرةِ. لقولِ النبيِّ ﷺ: «**إذا مات الإنسانُ انقطعَ عملُه، إلا من ثلاث: صدقةٍ جاريةٍ، أو علمٍ ينتفعُ به، أو ولدٍ صالحٍ يدعو له**»(١)، لم يقل ﷺ: (أو ولدٍ) بل قال: (أو ولدٍ صالحٍ يدعو له). لأن الولدَ الصالحَ أقربُ إلىٰ ذِكْرِ والدِه بعدَ موتِه. ولأن الولدَ الصالحَ أقربُ إجابةً من دعاء الولد غير الصالح.

ومن أسبابِ وطرقِ الفلاحِ، أن يتعلمَ الولدُ القرآنَ فينتفعَ به. لهذا أَحُثُّكم أيها الإخوةُ علىٰ تشجيعِ أبنائِكم علىٰ الالتحاقِ بهذه الحَلَقَاتِ. وإن أولادَكم في الوقتِ الذي كُوِّنَ فيه إقامةُ هذه الحلقاتِ ليس لهم دراسةٌ نظاميةٌ، فهم بين أمرين:

إما أن يُضَيِّعُوا أوقاتَهم فيما لا ينفعُ لا في الدنيا، ولا في الآخرة. وإما أن يُضَيِّعُوا أوقاتَهم بما يَضُرُّ في الدنيا أو في الآخرة.

وإذا كان لَدَيْكم الآن ثلاثة مناهجَ، أو ثلاثُ طُرُقٍ: طريقُ خَيْرٍ، وطريقُ شَرٍّ، وطريقٌ لا خَيْرَ فيه ولا شَرَّ. فأيُّ الطُّرُقِ تريدونها؟ إنَّ كلَّ عاقلٍ لا يُريدُ إلا طريقَ الخيرِ لأولادِه الذين هم جَوْهَرةٌ، والذين هم بِضْعَةٌ منه، لذلك نَحُثُّكم حَثّاً عظيماً علىٰ أن تُشَجِّعُوا أولادَكم وتُدْخِلُوهم في هذه الحَلَقَاتِ، وأنتم فَكِّرُوا في الأمرِ إذا تركتموهم

---

(١) أخرجه أحمد ٢/ ٣٧٢، ومسلم (١٦٣١)، وأبو داود (٢٨٨٠)، والترمذي (١٣٧٦)، وابن ماجه (٢٤٢)، والنسائي ٦/ ٢٥١ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

أَيْنَ يكونون؟ منهم مَنْ يكونُ في وادٍ بَيْنَهم، ومنهم من يكون في الأسواق يلعبون هذه الكرة يضيقون علىٰ المارة، وربما يضيقون علىٰ السيارات، وربما تحصل حوادث بسبب ذلك. حيث إنَّ بعضَ الصِّبيانِ إذا ذهبت الكرةُ إلىٰ وَسْطِ الشارعِ، ذهب يَرْكُضُ وراءها وسار مُعَرِّضاً نفسَه للخَطَرِ.

إذاً انتبهوا لهذه الأمورِ، وارعوا أولادَكم حقَّ الرعايةِ، فإنكم مسؤولون عن ذلك كما أخبرَ بهذا نبيُّ اللهِ ﷺ. قال النبيُّ ﷺ: «**الرجلُ راعٍ في أهلِه ومسؤولٌ عن رعيتِه**»(١).

واعلموا أيها الإخوة أنَّ خَيْرَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ محمدٍ ﷺ. وشرَّ الأمورمحدثاتها وكلَّ مُحْدَثَةٍ في الدين بِدْعةٌ، وكُلَّ بِدْعةٍ ضلالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النار. فعليكم بالجماعةِ، فإن يَدَ اللهِ علىٰ الجماعةِ، ومَنْ شَذَّ شَذَّ في النارِ.

اللهم ارزقْنا الاجتماعَ علىٰ دينِك. اللهم اجعلْنا متعاونين علىٰ البر والتقوىٰ، آمرين بالمعروفِ، ناهينَ عن المنكر، داعين إلىٰ الخير، مقيمين بما أمرتنا به، منتهين عما نهيتَنا عنه، يا ذا الجلالِ والإكرامِ، يا حيُّ يا قيومُ. واكثروا أيها المسلمون من الصلاةِ والسلامِ علىٰ نبيّكم ﷺ. فإنَّ حقَّه عليكم أعْظَمُ من حقوقِ الوالدينِ،

---

(١) قطعة من حديث أخرجه البخاري (٨٩٣)، ومسلم (١٨٢٩) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

بل يَجِبُ أن تُقَدِّمُوا مَحَبَّتَهُ علىٰ مَحَبَّةِ النفسِ، والولدِ، والناسِ أجمعين.

إنَّ كلَّ خَيْرٍ أدركتموه في الدنيا وفي الآخرة، فعلىٰ يَدِ النبيِّ ﷺ، إنه الذي هَدَاكُم اللهُ به إلىٰ الصراطِ المستقيمِ، إن له عليكم حَقّاً عظيماً، أكثروا من الصلاةِ والسلامِ عليه يُعْظِمِ اللهُ لكم بها أَجْراً. فإن مَنْ صَلَّىٰ عليه مرةً واحدةً صلَّىٰ اللهُ عليه بها عَشْراً. اللهم صلِّ وسلِّمْ علىٰ عَبْدِك ورسولِك محمدٍ. اللهم ارزقْنا محبتَه واتباعَه ظاهراً وباطناً. اللهم تَوَفَّنا علىٰ ملتِه. اللهم احْشُرْنا في زُمْرَتِه. اللهم اسْقِنَا من حَوْضِه. اللهم أَدْخِلْنا في شفاعتِه.

اللهم اجمعْنا به في جناتِ النعيمِ مع الذين أنعمتَ عليهم من النبيين والصديقين، والشهداءِ والصالحين. اللهم ارضَ عن الخلفاءِ الراشدين، وسائرِ الصحابة أجمعين. والمتبعين لهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدين. اللهم أَصْلِحْ ولاة أمور المسلمين. اللهم أَصْلِحْ ولاة أمور المسلمين. اللهم أصلح ولاة أمور المسلمين. وأَصْلِحْ لهم البطانةَ وأَعِنْهم علىٰ تَحَمُّلِ الأمانةِ وأدائِها يا ربَّ العالمين. ربَّنا اغفرْ لنا ولإخوانِنا الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعلْ في قلوبِنا غِلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوفٌ رحيمٌ.

أيها الإخـوة لقد تَأَخَّرَ المطرُ عن أَوَانِه، وذلك من حكمةِ اللهِ عز وجل. ولا شكَّ أنَّ اللهَ حكيمٌ فيما أَعْطَىٰ، حكيمٌ فيما مَنَعَ. له الحُكْمُ وإليه تُرْجَعُون، ولكنَّ اللهَ يقول: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا

وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٦].

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾. بالأمطارِ وغيرِها ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ بالنباتِ وغيرِه. ﴿وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾. ولهذا نرىٰ الذين يكذبون يتحيليون، ويَخْدَعُون. نَرَىٰ أنهم أُصِيبوا بمصيبةٍ عظيمةٍ. وأقولها مع الأسفِ الشديدِ: هذا القمحُ العظيمُ الذي في أيدي أصحابِه. ولم يتيسر له الخروجُ من أيديهم سَبَبُهُ، واللهُ أعلم - بل من أسبابه كَذِبُ بَعْضِ المزارعين الذين يَبِيعونَ أسماءهم لمَنْ لم يزرعْ، والذين يشترون قَمْحاً لِيُضِيفُوه إلىٰ قَمْحِهم، حتىٰ يتيسرَ دخولُه في الصوامع.

وأنا أقول: لو أنَّ الناسَ اتقوا اللهَ عَزَّ وجل، وقاموا بالصدقِ والبيانِ، ولم يُخَادِعُوا ولم يَكْذِبُوا لتَيَسَّرَتْ لهم الأمورُ، لأن اللهَ يقول: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢-٣].

فأدعوا هؤلاء الإخوةِ الذين أرداهم الشيطانُ وكَذَبُوا وخَدَعُوا، أَدْعُوهم إلىٰ التوبةِ إلىٰ الله. لعل اللهَ تعالىٰ أن يُيَسِّرَ لهم الأمورَ، فإذا تابوا ورجعوا فإن اللهَ تعالىٰ يتوبُ علىٰ مَنْ تابَ. وأدعو نفسِي وإياكم إلىٰ الاستغفارِ والتوبةِ والرجوعِ إلىٰ اللهِ عز وجل بالقيامِ بأوامرِه، وتَرْكِ نواهِيه، وأداءِ مظالمِ الخَلْقِ لعل اللهَ تعالىٰ أن يغفرَ لنا ويرحمَنا.

اللهم إنا نستغفرُك إنك كنت غفاراً فأَرْسِلِ السَّماءَ علينا مِدْرَاراً. اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، اللهُمَّ اسْقِنا الغيثَ والرحمةَ، اللهم اسْقِنا الغيثَ والرحمةَ، اللهم اسْقِنا الغيثَ والرحمةَ. ولا تجعلْنا من القانطين. اللهم اسْقِنا غَيْثاً مُغِيثاً هَنِيئاً مَرِيئاً، غَدَقاً مُجَلِّلاً. اللهم اسقنا غَيْثاً تحيي به البلادَ، وتَرْحَمُ به العبادَ، وتجعلُه بلاغاً للحاضرِ والبادِ. اللهم لا يأتي بالخيرِ إلا أنت، ولا يَصْرِفُ الشرَّ إلا أنت. اللهم ائتنا بالخيرِ، اللهم ائتنا بالخير، اللهم ائتنا بالخير يا ربَّ العالمين.

اللهم لا حولَ لنا ولا قوةَ إلا بك، أنت الغنيُّ ونحن الفقراءُ. اللهم أنت الغنيُّ ونحن الفقراءُ. اللهم أنت الغنيُّ ونحن الفقراءُ. اللهم اسقنا الغيثَ ولا تجعلنا من القانطين. اللهم اسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين. اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، اللهم أغثنا. اللهم صلِّ وسلِّم علىٰ عبدِك ورسولِك محمدٍ، وعلىٰ آلِه وأصحابِه أجمعين.

بارك اللهُ لي ولكم في القرآنِ الكريمِ، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقول قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم فاستغفروه إنه هو التوابُ الرحيمُ.

* * *

الحثُّ علىٰ التمسكِ بكتابِ الله تعالىٰ والتحذير من مخالفته

الحمدُ للهِ الذي أنزل علىٰ عبده الكتاب ولم يجعل له عِوجاً، أنزله قيِّماً يهدي للتي هي أقوم، ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسناً، ماكثين فيه أبداً ويُنذر به قوماً لُداً خَصِمين حججاً، وأشهد أن لا ألهَ إلا الله وحده لا شريك له شهادة يَنالُ بها مخلصُها من كلِّ هم فرجاً ومن كل ضيق مخرجاً، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أقومُ الناس في عبادة ربِّه وأسدّهم منهجاً ﷺ وعلىٰ آله وأصحابه ومن بهداهم اهتدىٰ ونجا، وسلم تسليماً.

أما بعدُ: فقد قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٧-٥٨].

أيها الناسُ: إن هذه الموعظةَ التي جاءتكم من ربِّكم هي كتابُ اللهِ، وما تضمنَّه من أخبارِ صادقةٍ نافعةٍ، وأحكامٍ عادلةٍ، مصلحةً للخَلْقِ ليس في دينهم فحسب، ولكن في دينِهم ودُنياهم. إنه موعظةٌ يتعظُ بها العبدُ فيستقيمُ علىٰ أمْرِ اللهِ ويسيرُ علىٰ نَهْجهِ وشريعته. إنه شِفَاءٌ لما في الصدورِ وهي القلوبُ، شِفَاءٌ لها من مَرَضِ الشكِّ والجُحُودِ والاستكبارِ عن الحقِّ أو علىٰ الخَلْقِ. إنه شِفَاءٌ لما في

الصدور من الرياءِ والنفاقِ، والحَسَدِ والغِلِّ، والحِقْدِ والبغضاءِ، والعداوة للمؤمنين. إنه شِفَاءٌ لما في الصدور من الهَمِّ والغم والقَلَقِ، فلا عيشَ أطيبُ من عيشِ المتعظين بهذا القرآنِ، المهتدين به، ولا نعيمَ أتمُّ من نعيمِهم. ولهذا قال بعضُ السلفِ: لو يعلمُ الملوكُ وأبناءُ الملوكِ ما نحن فيه لَجَالَدُونَا عليه بالسيوفِ، يَعْنُونَ ما فيهم من شَرْحِ الصدورِ بالإيمانِ باللهِ والسرورِ بطاعتِه وعبادتِه.

إن هذا القرآنَ هُدىً ومنارٌ للسالكين، يخرجون به من الظلماتِ إلىٰ النور، ويهتدون به إلىٰ خالقِهم وإلىٰ دارِ كرامتِه، فهو هَدْيُ عِلْمٍ وتوفيقٍ ورحمة، لكنْ للمؤمنين به، أما المكذبون به والمستكبرون عنه، فلا يزيدُهم إلا عَمىً وخَسَاراً. ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٤]، ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ [الإسراء: ٨٢].

أيها الناس: قد تتساءلون كيف يكونُ الكلامُ الواحدُ، لقومٍ هُدىً وشفاءً ورحمةً، ولقومٍ آخرين ضَلاَلاً وعَمىً وخَسَارةً؟ والجواب علىٰ ذلك أن هذا هو ما نَطَقَ به القرآنُ، وهو حَقٌّ وها نحن نَرَىٰ في الأمورِ الحسيةِ ما يشهدُ لذلك. نرىٰ بعضَ الطعام يكونُ لشخصٍ غِذَاءً يزدادُ به جِسْمُه صِحَّةً ونُمُواً، ويكونُ لشخصٍ آخرَ داءً يزدادُ به جِسْمُه مَرَضاً وضَعْفاً، فهكذا الأمورُ المعنويةُ، فالقرآنُ إذا قرأه المؤمنُ ازدادَ به إيماناً لتصديقِه بأخبارِه، واعتبارِه

بقَصَصِه، وتطبيقِه لأحكامِه، امتثالاً لأَمْرِ اللهِ، واجتناباً لِنَهْيِه، فيزدادُ بذلك عِلْماً وهُدىً وصَلاَحاً، وإذا قرأه ضعيفُ الإيمانِ ومَنْ في قلبه مَرَضٌ ازدادَ رِجْساً إلىٰ رِجْسِهِ، لتَشَكُّكِهِ في صِحَّةِ أخبارِه، أو غفلتِه عن الاعتبار بقَصَصِه، فيمرُّ بها كأنها قَصَصٌ عابرةٌ، وأساطيرُ أممٍ غابرةٍ لا توقظ له ضميراً، ولا تُحَرِّكُ له إرادةً، أو استكبارِه عن تطبيقِ أحكامِه وتهاونِه بها فلا يَمْتَثِلُ أوامرَه، ولا يجتنبُ نَوَاهِيَهُ تقديماً لِهَوَاهُ علىٰ طاعةِ مَوْلاَهُ، فيكونُ القرآنُ خسارةً له، لأن الحقَّ بَانَ له فَخَالفَه فكان بذلك خَاسِراً.

أيها الناس: يقولُ اللهُ تعالىٰ في الآيةِ الأولىٰ مما سُقْنَاه: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨]. إن ما يَحْصُلُ للعبدِ من فَضْلِ اللهِ ورحمتِه بهذا القرآنِ العظيمِ من الهُدَىٰ والرحمةِ، والموعظةِ وشفاءِ ما في الصدور، لَهُوَ الجديرُ بأن يَفْرَحَ به العبدُ، لأنه سعادةُ دنياه وآخِرَتِه، ليس من الجدير بالعبدِ أن يَفْرَحَ بحُطَامِ من الدنيا يُحَصِّلُه علىٰ حِسَابِ عَمَلِ الأخرةِ. فليس المالُ مُخَلَّداً لأصحابه، ولا أصحابُه بمخلدين له، أما ما يحْصُلُ من فَضْلِ اللهِ ورحمتِهِ بهذا القرآنِ الكريم، فهو الخالدُ الباقِي لأصحابِه، وهو خيرٌ مما يجمعون من الدنيا كلِّها، لان غايتَه الوصول إلىٰ الجنة. وقد قال النبيُّ ﷺ: «لَمَوْضِعُ سَوْطِ أَحَدِكم في الجنةِ خَيْرٌ من الدنيا وما فيها»[1]، ليس الدنيا التي عِشْتَ فيها فقط، ولكنها

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٥٠) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه.

الدنيا من أولِها إلىٰ آخرِها، مَوْضِعُ سَوْطٍ في الجنةِ خَيْرٌ من الدنيا وما فيها، لأن الدنيا وما فيها متاعٌ زائلٌ كحُلْمِ نائمٍ، أما ما في الجنة فباقٍ لا يزولُ. ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝١٦ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [الأعلىٰ: ١٦-١٧].

أيها الناس: إن كثيراً منكم يسمعون ما يُتْلَىٰ من كتابِ اللهِ تعالىٰ وما يُؤْثَرُ من سنةِ رسولِه ﷺ من الأخبارِ الصادقةِ والأحكامِ العادلةِ، يسمعون ذلك من الخطباءِ والوعاظِ في المساجدِ وغيرِها، ولكنهم للأسفِ الشديدِ لا يزدادون بذلك إيماناً ولا قبولاً للحقِّ، ولا انقياداً لطاعةِ اللهِ وربما يُصَرِّحون بأنهم لا يفعلون ما به يؤمرون، ولا يتركون ما عنه يُزْجَرُون، فَيُصِرُّونَ علىٰ الإثمِ وهم يعلمون.

فسبحانَ اللهِ! سبحانَ اللهِ! أهذه حالُ مَنْ يزعُمُ أنه مؤمنٌ باللهِ واليوم الآخر موقنٌ بالثوابِ والعقابِ؟ بل أهذه حالُ مسلمٍ، والإسلامُ هو الاستسلامُ للهِ ظاهراً وباطناً والانقيادُ لطاعتِه؟ أفيريدُ هؤلاءِ أن تكونَ أحكامُ اللهِ وشرائِعُه تابعةً لأغراضِهم وما يَشْتَهُون؟ أم يريدون أن يكونوا ممن قالوا: سَمِعْنا وهم لا يسمعون، فـ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ۝٢٢ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنفال: ٢٢-٢٣]، أفيرضىٰ هؤلاء أن يُشَابِهُوا مَنْ قال اللهُ فيهم: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ [النساء: ٤٦]، وأن يخرجوا عن طريقِ المؤمنين الذين قالوا سَمِعْنا وأطعْنا غفرانَك ربَّنا

وإليك المصير؟ أفلا يتعظُ هؤلاءِ بقول اللهِ تعالىٰ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الحديد: ١٦].

أيها الناس: كثيرٌ منكم يسمعون أوامرَ اللهِ ورسولِه في الصلاةِ وما يتعلقُ بها، وفي الزكاةِ، وفي الصيامِ، وفي الحجِّ، وفي برِّ الوالدين، وفي صلةِ الأرحامِ (الأقارب)، وفي حُسْنِ الجوارِ، وفي العَدْلِ في معاملة الناسِ، وفي الأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عن المنكرِ، يسمعون أوامرَ اللهِ تعالىٰ في ذلك كلِّه، ويسمعون التوجيهاتِ الشرعيةَ في البيعِ والإجارة، والنكاحِ والطلاقِ والخصوماتِ وغيرِها. ويتجاهلون كلَّ ما يسمعون من تلك الأوامرِ وهذه التوجيهاتِ، ويَسِيرُونَ علىٰ ما تمليه عليه أهواؤُهم، فيكونون في ذلك مِمَّنِ اتخذَ إلهَه هَوَاهُ. وكثيرٌ منكم يسمعون نواهِيَ اللهِ ورسولِه عن التهاونِ بشأنِ الصلاةِ والزكاةِ والصيامِ والحجِّ، ويسمعون نَهْيَ اللهِ ورسوله عن عقوقِ الوالدين وقطيعةِ الأرحامِ، وإساءةِ الجِوَارِ، وعن الجَوْرِ في معاملةِ الناسِ بالكذبِ والغِشِّ وغيرِها، وعن تركِ الأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عن المنكرِ، وعن الربا والتَّحَيُّلِ عليه وعن الْمَيْسِرِ والمكاسبِ المحرمةِ بجميع وسائلِها، يسمعون النَّهْيَ عن ذلك كلِّه، ويتجاهلون ما يسمعون ويتجاسرون علىٰ فعل ما عنه يُزجرون، متناسين بذلك عَظَمَةَ مَنْ عَصَوْهُ وشِدَّة عقابِه، كأنهم لم

يقرؤوا قول الله تعالىٰ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ١٣]، مُغْتَرِّينَ بإمهالِ اللهِ لهم واستدراجِه إياهم بنعمِه. كأنهم لم يسمعوا قولَ النبيِّ ﷺ: «إن اللهَ لَيُمْلِي للظالم حتىٰ إذا أَخَذَه لم يُفْلِتْه»[1] وتلا قوله تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢].

إن هؤلاء الذين يسمعون الحقَّ ويُعرضون عنه محرومون من قوله تعالىٰ: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [طه: ١٢٣]، ولهم نصيب من قوله تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾[طه: ١٢٤- ١٢٦].

فيا أيها الناس، يا عباد الله: اتقوا ربكم، اخْضَعُوا لأوامرِه وإن خالفت أهواءكم، واجْتَنِبُوا نَوَاهِيَهُ وإن وافقت أهواءكم، لا تريدوا أن تجعلوا الحقَّ تابعاً لأهوائكم، بل اجعلوا أهواءكم تَبَعاً للحقِّ وهو ما جاء به رسولُ اللهِ ﷺ، فإن ذلك الخيرُ والبركةُ، والصلاح والرشدُ. ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ٧١]، لو اتبع الحقُّ أهواءَ الناسِ لصارت أمورُهم فَوْضَىٰ، كلُّ واحدٍ يريدُ أن يستقلَّ برأيِه، ويكونَ متبوعاً، ولكن اللهَ تولىٰ بيانَ ذلك في كتابِه

---

(١) أخرجه البخاري (٤٦٨٦)، ومسلم (٢٥٨٣) من حديث أبي موسىٰ رضي الله عنه.

وسنةِ رسولِه ﷺ فقال: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

اللهم اجعلنا ممن اختاروا هُدَاهُم على هواهم، ورضوا بشريعتِك واطمأنوا بها، وانشرحَتْ لها صُدُورُهم فلم يَبْغُوا عنها حِوَلاً، ولم يَرْضُوا بها بديلاً، اللهم أرِنا الحقَّ حقاً، وارزقْنا اتباعَه، وأرِنا الباطلَ باطلاً وارزقْنا اجتنابَه. اللهم حَبِّبْ إلينا الإيمانَ وزيِّنْه في قلوبِنا، وكرِّه إلينا الكفرَ والفسوقَ والعصيانَ، واجعلْنا من الراشدين، اللهم لا تجعلْنا مِمَّنْ زُيِّنَ له سُوءُ عَمَلِه فرآه حَسَناً فأصبحَ من الخاسرين أعمالاً، الضالين طريقاً، واهدنا صراطَك المستقيمَ، صراطَ الذين أنعمتَ عليهم من النبيين والصديقين، والشهداءِ والصالحين، إنك جوادٌ كريمٌ.

* * *

الفرع الثاني

تفسير

من سورة النساء

الحمدُ للهِ أَحْمَدُه وأشكرُه، وأتوبُ إليه، وأستغفرُه، يقضي بالحقِّ ويأمرُ بالعدل. ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا ومن سيئاتِ أعمالِنا، من يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضلِلْ فلا هادِيَ له. وأشهدُ أن لا إلـٰه إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له. وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه. صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه، ومَنْ تَبِعَهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدين، وسلَّم تسليماً كثيراً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا الله تعالىٰ، واعلموا أن اللهَ لم يَخْلُقْكُم عَبَثاً ولن يترُكَكُمْ سُدًى، وإنما خَلَقَكُم لحكمةٍ بالغةٍ وشَرَعَ لكم شرائعَ كاملةً، ليبلوكم أيُّكم أحسَنُ عَملاً، خلقكم وستَرْجِعُون إليه وشرع لكم الدينَ وستحاسبون عليه. فاستعدوا للقاءِ ربِّكم وأعِدُّوا الجوابَ عما سيسألُكم. يقول الله تعالىٰ: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٦ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ۝٧ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٨ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: ٦-٩].

أيها الناس: إن لربِّكم عليكم حقاً، وإن لأنفسكم عليكم حقاً، وإن للخلق عليكم حقاً، فأعطوا كلَّ ذي حَقٍّ حَقَّه، حتىٰ تخرُجُوا من الدنيا وقد غَنِمْتُمْ الدنيا والآخرة، ولا تُفرِّطوا في هذه الحقوق فتخسروا الدنيا والآخرة.

أيها الناس: لقد ذكَر اللهُ حقوقَ عبادِه في كثير من آيات القرآن الكريم، وإن من أجمعِ الآيات في ذلك قوله تعالىٰ: ﴿ ۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًۭٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًۭا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًۭا فَخُورًا ﴾ [النساء: ٣٦].

فذكَرَ اللهُ تعالىٰ في هذه الآيةِ الكريمةِ حقوقاً عشرةً ابتدأها اللهُ تعالىٰ بحقه المتضمنِ لحقوقِ رُسُلِه، وهو أعظمُ الحقوقِ عليك، لأن الله تعالىٰ هو الذي خلقَك فسوَّاك، وأمدَّك بالرزق وربّاك، وسخَّرَ كلَّ شيءٍ لمنفعتِك ومصلحتِك ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًۭا مِّنْهُ ۚ ﴾ [الجاثية: ١٣] ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍۢ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ﴾ [النحل: ٥٣]، وإن حقه عليك، وخوفاً من عقابه، لا تُقدِّمْ علىٰ عبادتِه النفسَ ولا الولدَ ولا الأهلَ ولا المال. لأن كلَّ هذا يزولُ وتبقىٰ عبادتُه ﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَـٰقِيَـٰتُ ٱلصَّـٰلِحَـٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًۭا وَخَيْرٌ أَمَلًۭا ﴾ [الكهف: ٤٦].

ولقد فرَّطَ كثيرٌ من الخَلْقِ في عبادةِ الله، فمنهم مَنْ عبدَ الأوثان ومنهم من عبدَ الجاهَ، ومنهم من عبدَ المالَ، كما قال النبي ﷺ: «**تَعِسَ عبدُ الدينار، تَعِسَ عبدُ الدرهمِ، تَعِسَ عبدُ الخميصة، تَعِسَ عبدُ الخَميلة**»(١) ، أفرطَ كثيرٌ من الناس في محبةِ الدنيا فشغلتْه عن

(١) أخرجه البخاري (٢٨٨٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

طاعة الله، وصارت أكبرَ همِّه ومبلغَ علمه. شغلتْ قلبَه عندَ منامِه، وشغلتْ قلبَه عند يقظته، وشغلتْ قلبَه عند أكلِه وشربِه، في ممشاه ومجلسِه، وحتىٰ في عبادتِه وصلاتِه، قلبُه مشغولٌ بها. يسعىٰ لها بكلِّ طريقٍ ويحتالُ لتحصيلها بكلِّ وَجْهٍ.

وهذا الانشغالُ التامُّ سوف يُؤثِّرُ علىٰ عبادةِ الله، ويصرفُ القلبَ عن الاتجاهِ إليه، ولم يذكرِ اللهُ حقوقَ الرُّسُلِ في هذه الآيةِ لأن حقوقَهم من حقوق الله، حيث أنهم رسُلُه القائمون بإبلاغ وحيِهِ ودينِه إلىٰ الخَلْقِ، وبعد ذلك ذَكَرَ اللهُ حقوقَ الوالدين، لأن حقَّهما عليك أعظمُ حقوقِ القرابة. لأن لهما عليك من الفضل والإحسان ما ليس لغيرهما من القيام بالمؤونة والتربية والتعبِ الجسميِّ والفكريِّ من أجلِ راحتِك. كما قال تعالىٰ: ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٤].

إنهما يسهران لتنام، ويتعبان لتستريح، ويجوعان لتشبعَ، ولن يَعْرِفَ قَدْرَ الوالدين إلا مَنْ رُزِقَ الأولاد. جاء رجل إلىٰ النبي ﷺ، فقال: يا رسولَ الله إني أشْتهي الجهادَ ولا أقْدِرُ عليه. قال: «هل بَقِيَ من والديك أحدٌ؟» قال: أمِّي. قال: «قابِلِ اللهَ في بِرِّها، فإذا فعلت ذلك فأنت حاجٌّ ومعتمرٌ ومجاهدٌ»[1]. وجاءه آخر يستشيرُه

---

(١) أخرجه أبو يعلىٰ (٢٧٦٠)، والطبراني في «الأوسط» (٢٩١٥)، وفي «الصغير» (٢١٨)، والبيهقي في «الشعب» (٧٨٣٥) من حديث أنس رضي الله عنه، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٨/ ١٣٨: وإسناده جيد.

في الجهاد فقال النبي ﷺ: «ألك والدان؟» قال: نَعَمْ. قال: «الزمهما فإنَّ الجنّةَ تحتَ أرجُلِهما»[١].

وكما يكون بِرُّ الوالدين في الحياة يكونُ أيضاً بعد الممات. فقد جاء رجلٌ إلىٰ النبيِّ ﷺ، فقال: يا رسولَ الله هل بَقيَ من بِرِّ أبَوَيَّ شيءٌ أبرُّهُما به بعدَ موتِهما؟ قال: «نعم، الصلاةُ عليهما، والاستغفارُ لهما، وإنفاذُ عهدِهما مِنْ بعدِهما، وصلةُ الرَّحِمِ التي لا تُوصَلُ إلا بهما، وإكرامُ صديقِهما»[٢]. وبعدَ حقوقِ الوالدين، حقوقُ الأقاربِ من جهةِ الأب، أو من جهةِ الأم. قال النبي ﷺ: «مَنْ كان يُؤْمِنُ باللهِ واليومِ الآخرِ فلْيَصِلْ رَحِمَه»[٣]، وقال ﷺ: «ليس الواصلُ بالمكافىء، ولكنَّ الواصلَ الذي إذا قَطَعَت رَحِمُه وصَلَها»[٤].

ومن الحقوق حقوقُ اليتامىٰ: وهم الذين مات آباؤهم قبل بلوغِهم فانكسرت قلوبُهم بفَقْدِ القائمِ عليهم، الموجِّه لهم. فكان من محاسنِ الإسلامِ الأمرُ بالإحسانِ إليهم بالقولِ والفعلِ، حتىٰ

(١) أخرجه الطبراني (٢٢٠٢)، وعزاه الهيثمي في «المجمع» له وقال: وإسناده جيد.

(٢) أخرجه أحمد ٣/ ٤٩٧، والبخاري في «الأدب المفرد» (٣٥)، وأبو داود (٥١٤٢)، وابن ماجه (٣٦٦٤) من حديث أبي أُسَيد الساعدي رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٦١٣٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري (٥٩٩١) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

يَجْبُرَ ما بهم من النقص. حتىٰ قال النبيُّ ﷺ: «أنا وكافلُ اليتيمِ في الجنّةِ هكذا» وأشار بإصْبَعِه السبابةِ والوُسطَىٰ[1].

ومن الحقوق حقوقُ المساكين: وهم الفقراءُ الذين أسكنهم الفقرُ. وكلما كان المسكينُ أشدَّ حاجةً وأقوىٰ تَعَفُّفاً، كان الإحسانُ إليه أفضلَ وأولىٰ. والساعي علىٰ الأرامل والمساكينِ كالمجاهدِ في سبيل الله.

ومن الحقوق الواجب مراعاتُها: حقوقُ الجارِ، فإن كان قريباً فله حَقَّان: حقُّ الجوارِ وحقُّ القرابة وإن كان لا قرابةَ بينك وبينَه فله حقٌّ واحدٌ حقُّ الجوار. ولذلك قال تعالىٰ: ﴿وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ﴾ [النساء: ٣٦]، وقد عظَّمَت السنةُ حقَّ الجارِ، حتىٰ قال النبيُّ ﷺ: «من كان يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخرِ فلْيُكرِمْ جارَه»[2]، وقال ﷺ: «واللهِ لا يُؤمنُ، واللهِ لا يُؤمنُ، واللهِ لا يؤمنُ» قيل: يا رسولَ الله لقد خابَ وخَسِرَ، من هذا؟ قال: «مَنْ لا يأمَنُ جارُه بوائقَه» قالوا: وما بوائقُه؟ قال: «شرُّه»[3]. وقال ﷺ: «ما زال جِبْريلُ يُوصيني بالجارِ حتىٰ ظننت أنه سيُوَرِّثُه»[4].

---

(١) أخرجه البخاري (٥٣٠٤) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه البخاري (٦٠١٩)، ومسلم (٤٨) من حديث أبي شريح الخزاعي رضي الله عنه، وفي الباب عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٦٠١٦)، وبنحوه مسلم (٤٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري (٦٠١٤)، ومسلم (٢٦٢٤) من حديث عائشة رضي الله عنها.

ومن الحقوق حقوقُ الصاحبِ بالجَنْبِ: وهو الزوجُ، فعلىٰ كل واحدٍ من الزوجين أن يقومَ بمراعاةِ حقوقِ الآخَرِ ويُحْسِنَ عشرتَه.

ومن الحقوق الواجب مراعاتُها حقُّ ابنِ السبيل: وهو المسافرُ المحتاج، فإن المسافرَ غريبٌ بعيدٌ عن أهلِه غيرُ معروفٍ بينَ الناسِ فحاجتُه للمساعدة أعظمُ مِنْ غيرِه.

ومن الحقوق: حقوقُ المملوكين من آدميين وغيرهم، فالواجبُ علىٰ المؤمن مراعاةُ هذه الحقوقِ التي أمرَ الله بها، ليكونَ بذلك قائماً بطاعةِ الله، محسناً إلىٰ عبادِ الله.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكرِ الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفرُ الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

من سورة (قٓ)

الحمدُ لله أحمَدُه وأشكرُه، وأتوبُ إليه وأستغفرُه، يقضي بالحقِّ ويأمر بالعدلِ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا ومن سيئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ له. وأشهد أن لا إلهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له، وأشهد أن محمد عبدُه ورسولُه. صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آله وأصحابه، ومَنْ تَبِعَهم بإحسان إلىٰ يوم الدين، وسلَّم تسليماً كثيراً.

أما بعدُ: أيها الناسُ، اتقوا اللهَ تعالىٰ، وتعلموا كتابَ اللهِ تعالىٰ وتدبروا آياتِه واتعظوا بمواعظِه. فإنه لذلك أنزل، قال اللهُ تعالىٰ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩]، ولقد كان نبيُّنا وإمامُنا وأسوتُنا محمدٌ ﷺ يَعِظُ الناسَ بهذا القرآن العظيم، لأنه لا شيءَ أشفىٰ لمرضِ القلوب، ولا شيءَ أقوَمُ للعبادِ في أمور دينِهم ودنياهم منه. قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٩]، وقال تعالىٰ: ﴿قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف: ٢-٥].

وفي صحيح مسلم: عن أمِّ هشام بنتِ حارثةَ بنِ النعمانِ قالت: لقد كان تَنُّورُنا وتَنُّورُ رسولِ الله ﷺ واحداً سنتين أو سنةً وبعضَ سنةٍ، وما أخذْتُ ﴿قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ﴾ [ق: ١]، إلا عن لسانِ رسولِ الله ﷺ، يقرؤها كلَّ يوم جمعةٍ على المنبر إذا خَطَبَ الناسَ[١] ولقد اختار النبيُّ ﷺ هذه السورةَ - والله أعلم - لما فيها من الموعظة الكبرىٰ التي قال اللهُ عنها: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٞ﴾ [ق: ٣٧].

ابتدأ الله تعالىٰ هذه السورةَ بأحدِ الحروفِ الهجائية لبيانِ عظمةِ القرآنِ وإعجازه، مع أنه من الحروف التي يتَركَّبُ منها كلامُ الناس. ولهذا لا تَجِدُ سورةً من القرآن ابْتُدِئَتْ بالحروفِ الهجائيةِ إلا ويتلو هذه الحروفَ ذِكْرُ القرآن، أو ذِكْرُ ما لا يُدْرَكُ إلا بالوحيِ أو نحو ذلك مما يتعلق بالقرآن.

ثم أنكرَ اللهُ تعالىٰ علىٰ أولئك المكذبين بالبعثِ المستبعدين له، وبيَّن أنهم إنما كذبوا بما هو الحق، وأنهم في أمْرٍ مريج مُختلِطٍ التبَسَتْ عليهم الحقائقُ حين كذَّبُوا بالحق أو تقهقروا في قبوله، ومن كان هكذا فإن الحقائقَ ستلتبسُ عليه وسيظل حيراناً هائماً، قال الله تعالىٰ: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفۡـِٔدَتَهُمۡ وَأَبۡصَٰرَهُمۡ كَمَا لَمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَنَذَرُهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ﴾ [الأنعام: ١١٠].

---

(١) أخرجه مسلم (٨٧٣) من حديث أم هشام رضي الله عنها.

فاتقوا الله أيها المسلمون، ولا ترددوا في قبول الحق ولا تُباطؤوا عن العمل به فتلتبسَ عليكم الأمورُ وتَضِلُّوا، ولا تعرِفُوا الحقَّ من الباطل، ولا الصالحَ من الفاسد، بل ربما زُيِّنَ للإنسانِ سوءُ عمله فرآه حسناً.

ثم نبه اللهُ تعالىٰ سبحانه هؤلاء المكذبين بالبعث إلىٰ آيةٍ مشهودةٍ يشاهدونها في بادِيتهم وحاضرِتهم، تدل دلالةً صريحةً علىٰ إمكانِ البعث، وأنه ليس بمستحيلٍ علىٰ قدرةِ اللهِ تعالىٰ، وهو الذي يقول للشيء (كن) فيكون. فقال تعالىٰ: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝٦ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٧ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ [ق: ٦-٨].

ففي بناءِ السماء وتزيينِها بالنجومِ وسلامتِها من العيوبِ والفُطُور. وفي مَدِّ الأرضِ وإلقاءِ الرواسي وهي الجبالُ الراسيةُ لئلا تَميدَ الأرضُ بأهلِها وتزيينِها بأصنافِ النباتِ ما يكونُ فيه التبصرةُ والتذكرة لكلِّ عبدٍ ذي إنابةٍ إلىٰ الله وبُعْدٍ عن الهوىٰ. إن هذه الآياتِ العظيمةَ في السماءِ والأرضِ لدليلٌ واضحٌ علىٰ كمالِ قدرةِ اللهِ علىٰ إعادةِ الموتىٰ وبعثِهم، لأن خلقَ السمٰواتِ والأرض أكبرُ من خَلْقِ الناس. ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الروم: ٢٧].

ثم ذكر اللهُ تعالىٰ لقدرته علىٰ إحياء الموتىٰ آيةً مشهودةً أخرىٰ، أقربَ صلةً، وهو ما يشاهدُه الناسُ في حاضرتِهم وباديتِهم من

إحياءِ الأرض بعدَ موتِها حين يَنزلُ عليها المطرُ وهي هامدةٌ خاشعةٌ، فتصبحُ مُخْضَرَّةً من كلِّ نباتٍ، فقال: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ﴾ [قٓ: ٩-١١].

إن القادرَ علىٰ إحياءِ الأرضِ بعدَ موتِها قادرٌ علىٰ نظيرِ ذلك بالقياس الجليِّ الواضح كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فصلت: ٣٩].

أيها المسلمون: إن حكمةَ الله البالغةَ ورحمتَه الواسعةَ لتقتضيان إحياءَ الموتىٰ للمجازاة علىٰ أعمالهم، وإنه لولا ذلك لكان الخَلْقُ عبثاً لا فائدةَ منه، وإنه لولا ذلك لفاتَتْ رحمةُ الله تعالىٰ في الآخرة، حيث لم يكتسبْ العالَمُ شيئاً قال الله تعالىٰ: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥].

ثم ذكرَ الله تعالىٰ في سورة (قٓ) أحوالَ المكذبين السابقين وما آل إليه أمرُهم تسليةً لرسولِ الله ﷺ، وتحذيراً لمَنْ كذَّبه، حيث قال: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ ۚ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ﴾ [قٓ: ١٢-١٤] فهل نجا هؤلاء المكذبون لرُسُلِهم من العقوبة؟

كَلَّا، بل حَقَّ عليهم وعيدُ الله تعالىٰ بالهلاك، وهكذا المكذبون لرسولِ الله محمدٍ ﷺ سيَحِقُّ عليهم وَعْدُ الله. ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ

بِنَآ إِلَّآ إِحۡدَى ٱلۡحُسۡنَيَيۡنِۖ وَنَحۡنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمۡ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٖ مِّنۡ عِندِهِۦٓ أَوۡ بِأَيۡدِينَاۖ﴾ [التوبة: ٥٢]، ﴿أَكُفَّارُكُمۡ خَيۡرٞ مِّنۡ أُوْلَٰٓئِكُمۡ أَمۡ لَكُم بَرَآءَةٞ فِي ٱلزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمۡ يَقُولُونَ نَحۡنُ جَمِيعٞ مُّنتَصِرٞ ﴿٤٤﴾ سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوۡعِدُهُمۡ وَٱلسَّاعَةُ أَدۡهَىٰ وَأَمَرُّ﴾ [القمر: ٤٣-٤٦].

ثم ذَكَر اللهُ تعالىٰ دليلاً علىٰ قدرته علىٰ إحياءِ الموتىٰ، فقال منكراً علىٰ هؤلاء المكذبين: ﴿أَفَعَيِينَا بِٱلۡخَلۡقِ ٱلۡأَوَّلِۚ﴾ [ق: ١٥]، يعني هل عَجَزْنا عن الخلقِ أولَ مرةٍ حتىٰ نَعْجِزَ عنه في الإعادة، ومن المعلوم أنهم لا ينكرون قدرةَ الله علىٰ الخَلْقِ الأول، ولكنهم كانوا في لَبْسٍ حين لَبَّسَ عليهم الشيطانُ في قدرةِ اللهِ تعالىٰ علىٰ إعادةِ الخَلْقِ ومنْ لم يجعلِ اللهُ له نُوراً فما له من نُورٍ.

وهنا ينتهي بنا الحديث هذه الجمعة عما في هذه السورة، سورة (قٓ) من المواعظ العظيمة والتذكرة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

فتدبَّروا عبادَ الله كتابَ الله، واتعظوا بما فيه من المواعظِ. فقد قال ربكم جلَّ وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٧-٥٨].

اللهم انفعْنا بالقرآن الكريم، واهدنا به الصراطَ المستقيمَ واجعلْه حُجَّةً لنا لا علينا يا ربَّ العالمين. اللهم ارفعْ لنا به الدرجاتِ وأنقذْنا

به من الهَلَكات وأسْكِنَّا به الجنات يا ذا الجلالِ والإكرام، يا حيُّ يا قيوم. اللهم صلِّ علىٰ محمد، وعلىٰ آل محمد، كما صليت علىٰ إبراهيمَ وعلىٰ آلِ إبراهيمَ إنك حميدٌ مجيدٌ، اللهم بارك علىٰ محمدٍ وعلىٰ آل محمد كما باركت علىٰ إبراهيم وعلىٰ آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكرِ الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفرُ الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.



من سورة (قٓ)

الحمدُ لله الذي أنزل علىٰ عبدِه الكتاب ولم يجعل له عِوجاً، أنزله هدىً للمتقين وعِبرةً للمتعظين فأحيا به القلوبَ وأصلح به الأعمالَ وذكَّر به من الغفلة، وأشهد أن لا إلـٰه إلا الله، وحدَه لا شريك له، وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه. صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه، ومن تبعهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدين، وسلّم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فلقد كان رسولُ الله ﷺ يَعِظُ الناسَ بهذا القرآنِ الذي جعله اللهُ تعالىٰ نوراً وهدايةً. فلا شيءَ أشْفَىٰ لمرضِ القلوبِ من القرآنِ، ولا شيءَ أقومُ للأحوالِ من القرآن ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]، لقد كان النبيُّ ﷺ، يخطبُ الناسَ بسورة ﴿قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ﴾ [ق: ١]، لأنها سورةٌ عظيمةٌ ذُكِرَ فيها المبدأُ والمعادُ. مبدأُ الإنسانِ منذ خلَقَه اللهُ وذِكْرُ أحواله، وأعماله، وغايته.

ابتدأ اللهُ هذه السورةَ بالإنكار علىٰ المكذبين الذين كذبوا رسولَه محمداً ﷺ، وأنكروا ما جاء به من البعثِ والحساب وقالوا: ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ﴾ [ق: ٣]، فبين الله تعالىٰ أنهم حينما كذبوا بالحقِّ لما جاءهم اختلطَ عليهم الأمرُ، والتبسَتْ عليهم الحقائقُ ﴿فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾ [ق: ٥] وهكذا كلُّ من كذب بالحقّ، لا بُدَّ أن

تلتبسَ عليه الحقائقُ وتختلطَ عليه الأمور. فلا يعرفُ الحقَّ من الباطل، ولا الصالحَ من الفاسد.

ولقد نبَّه اللهُ هؤلاء المكذبين بالبعثِ علىٰ قدرتِه علىٰ ذلك، بما يشاهدونه من هذه المخلوقاتِ العظيمةِ الدالةِ علىٰ قدرته الباقية ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝٦ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٧ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ [ق: ٦-٨]، ففي مدِّ الأرضِ وبناءِ السماء، وتزيينِ الأرض بالنباتِ البهيجِ، وتزيينِ السماء بالنجوم المنيرة. في هذا كلِّه تبصرةٌ وذِكْرَىٰ يتبصرُ بعقلِه ويتذكرُ بفكرِه تمامَ قدرةِ الله تعالىٰ وحكمتِه.

ونبَّه سبحانه علىٰ قدرتِه علىٰ البعثِ بما يشاهدُه الناسُ من إنزالِ المطر من السماء، وإخراج النباتِ به من البساتين، والحبوب ﴿وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ۝١٠ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ﴾ [ق: ١٠-١١]، ثم حذَّر الله هؤلاء المكذبين مما فعله بالمكذبين السابقين الذين حقَّ عليهم وعيدُ الله بعذابِه ونكَالِه بهم، وقرَّرَ اللهُ سبحانه قدرتَه علىٰ إعادةِ الخلقِ مرةً ثانيةً بقدرتِه علىٰ الخلقِ الأول. فتقرر بهذا قدرتُه تعالىٰ علىٰ إعادة البعث بالأدلة العقلية والحسية.

ثم بينّ الله في هذه السورة حال الإنسانِ من أولِ خَلْقِه، وعِلْمُ الله سبحانه بتلك الحالِ وقُربُه منه، وأن سبحانه يعلمُ ما توسوسُ به

نفسُ الإنسان فضلاً عما يعمله ويظهره ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦].

وبيّن اللهُ تعالىٰ أن مع كلِّ إنسانٍ مَلَكين يتلقيان ما يعمله من قولٍ أو فعلٍ ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ۝١٧ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٧-١٨]، رقيبٌ حاضرٌ يكتبُ كُلَّ ما يلفظ به وكُلَّ ما يفعله.

ونهايةُ هذا الإنسانِ فراقُ دارِ العملِ إلىٰ دارِ الجزاء، فراقُ الدنيا إلىٰ الآخرة ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ﴾ [ق: ١٩]، إنها سكرةُ فراقِ الأهل، إنها سكرةُ فراقِ المال، إنها سكرةُ فراقِ الدار، الدارُ التي ألِفَها منذ خروجِه من بطن أمه، إنها سكرةُ فِراقِ العمل الذي كان يُؤمِّلُه ويتمناه، لا أقولُ العملُ من أجل الدنيا التي هو حينذاك مُودِّع لها، ولكنه العملُ من أجل الآخرة التي هو حينذاك مستقبلٌ لها ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ۝٩٩ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ٩٩-١٠٠].

إنها سكرةُ الموتِ بالحقِّ، لا سكرةَ الهوىٰ، ولا سكرةَ الخمرِ واللذة ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [ق: ١٩]، وتهرَبُ، ولكن لا مَفرَّ من الموت ولا مهرَبَ ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ﴾ [الجمعة: ٨]، من أمامكم، وهل يمكن أن تفِرَّ مما هو مُلاقٍ لك؟

ثم يبينُ الله تعالىٰ في هذه السورة حالَ يومَ القيامة، يومَ الحساب والجزاء ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ۝٢٠ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ

وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾ [قٓ: ٢٠-٢٢] في الدنيا نسيت يوم القيامة وغفلت عنه حتىٰ فاجأك ﴿فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [قٓ: ٢٢]، وفي ذلك اليوم تحضر الأعمال ويجازى العامل، ويُلقىٰ في جهنم ﴿كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ﴾ [قٓ: ٢٤-٢٦] وفي ذلك اليوم تُقرَّبُ الجنةُ للمتقين غيرَ بعيدٍ، يسكنُها كلُّ مَنْ خَشِي الرحمٰن بالغيب وجاء بقلبٍ مُنيب.

فيا عبادَ الله: اتقوا الله تعالىٰ، واعملوا لذلك اليوم، واستعدوا له، فإنه اليومُ الذي يَحِقُّ لكلِّ عاقلٍ أن يعْمَلَ له، ولكل حازمٍ أن يستعدَّ له.

وفقني اللهُ وإياكم لاغتنام الأوقاتِ، والسعي في الأعمالِ الصالحات، واجتنابِ الخطايا والسيئات، إنه قريبٌ مجيبُ الدعوات.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكرِ الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفرُ الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

من سورة الطور

الحمدُ لله الذي أنزل علىٰ عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً، بل جعله قيماً يهدي للتي هي أقوم ﴿لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۝٢ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا﴾ [الكهف: ٢-٣].

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحدَه لا شريك له ما اتخذ صاحبةً ولا ولداً، وأشهد أنّ محمداً عبدُه ورسولُه الذي زاده الله هُدىٰ، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه، والتابعين لهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ الدين، وسلّم تسليماً كثيراً.

أما بعد، أيها الناسُ: اتقوا الله تعالىٰ، وتَبَصَّروا فيما جَرَىٰ للأنبياء من أُمَمِهم المكذّبين وملأ قومِهم الظالمين، حيث كَذَّبُوا رُسُلَهم وعابُوهم. ورَمَوْهم بكلِّ باطلٍ واستنقصوهم، قالوا لأنبيائهم: إنهم سَحَرةٌ، وقالوا إنهم مَجَانينُ، ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ۝٥٢ أَتَوَاصَوْا۟ بِهِۦ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ [الذاريات: ٥٢-٥٣]، وكذلك المكذبون لرسول الله ﷺ، وصَفُوهُ بكلِّ قولٍ قبيحٍ هم أحقّ به منه، فقالوا عما جاء به من القرآن: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾ [المدثر: ٢٤]، ﴿وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ [الفرقان: ٨]، ولكنَّ اللهَ سبحانه يُدافِعُ عنه ويؤيدُه، وينصرُه ويجعلُ العاقبةَ له.

وفي سورة الطور من الدفاع عنه وتأييده ما يدلُّ علىٰ كمال عناية الله به ونصرِه له، لقد قالوا عن النبيِّ ﷺ: إنه كاهنٌ ومجنونٌ ليحُولُوا بينَه وبينَ القيامِ بدعوته، ويُفتِّرُوا من همته وعزيمته ويُنَفِّرُوا الناسَ عنه وعن شريعتِه. فقال الله عز وجل: ﴿فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾ [الطور: ٢٩]، نَعَمْ، ما هو بما أنْعَمَ اللهُ به عليه من النبوةِ كاهناً ولا مجنوناً، بل هو نبيٌّ صادقٌ، أكملُ الناسِ عَقْلاً وأحْسَنُهم تَصرُّفاً.

وقالوا عن النبيِّ ﷺ: إنه شاعرٌ ننتظرُ به الموتَ والهلاك، كما مات مَنْ قبلَه من الشعراء، فقال الله لنبيه: ﴿قُلْ تَرَبَّصُواْ فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ﴾ [الطور: ٣١]، انتظروا فليس رَيْبُ المنونِ خاصّاً بي دونكم، فأنا مُتَربِّصٌ بكم الهلاكَ، وإن الهلاكَ إليهم أسرَعُ. ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ [الطور: ٣٢]، هل عقولُهم تُملِي عليهم مثلَ هذا القولِ الفاسدِ؟ لا؛ لأن كُلَّ عاقلٍ يَعْرِفُ أن القرآنَ ليس بشعرٍ، وأن الهلاكَ لا يختصُّ به.

ولكنهم قومٌ طاغون معتدون، ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ﴾ [الطور: ٣٣]، أي تقوَّلَ القرآنَ وجاء به مِنْ عندِه وكَذَبَه علىٰ الله. قال تعالىٰ رداً عليهم ببيان حالهم ثم تحديهم: ﴿بَل لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [الطور: ٣٣]، فهم يعلمون أن رسولَ الله ﷺ، لم يتقوَّلْ هذا القرآن، ولا يمكن أن يتقوَّلَه، لأنه قولُ الخالق، ولا يمكن للمخلوق أن يأتيَ بمثله، ولكنَّ الحاملَ لهم علىٰ هذه الدعوةِ الباطلةِ كفرُهم وجحودهم.

ثم تحداهم اللهُ تعالىٰ إن كانوا صادقين فقال: ﴿فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ﴾ [الطور: ٣٤]، أي مثلِ القرآنِ في البلاغةِ والهدايةِ والعلومِ النافعة، والأعمال الصالحة، والعقائد الصحيحة والأخلاقِ الفاضلة، ولقد عَجَزُوا عن ذلك مع أنهم أمراءُ البيان وملوكُ الفصاحة.

ولما تحداهم اللهُ تعالىٰ وأظهرَ عَجْزَهم عن القَدْحِ في آيته الشرعية (القرآن) تحداهم سبحانه بالآية الكونية فقال: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَـٰلِقُونَ﴾ [الطور: ٣٥]، يعني هل خُلِقُوا من غيرِ خالقٍ؟ هل خُلِقُوا صُدْفةً بدونِ سببٍ؟ أمرٌ لا يمكنُ، لأن كُلَّ مخلوقٍ فله خالقٌ، وكُلَّ حادثٍ فله مُحْدِثٌ. وإذا كان لا بُدَّ من خالقٍ لهم فهل هم الذين خَلَقُوا أنفسَهم؟ أمرٌ لا يمكنُ أيضاً، ولا يُمكِنُ لأيِّ شخصٍ أن يَدَّعي أنه خَلَقَ نفسَه. كيف وهو قبلَ أن يوجدَ معدومٌ ولا يمكنُ لأحدٍ أن يَدَّعِيَ أنه خَلَقَ غيرَه. أيضاً لا يمكن لأحدٍ أن يَدَّعِيَ أنه يُطَوِّرُ الجنينَ في بطنِ أمه، نطفةً ثم علقةً، ثم مضغةً ثم إنساناً حياً نُفِخَت فيه الروحُ وإذا ثبت أنهم لم يَحْدُثُوا صُدفةً ولم يَخْلُقُوا أنفسَهم تَعيَّنَ أن خالقَهم هو الله عز وجل، كما أقروا بذلك. ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [الزخرف: ٨٧]، ثم انتقل الله من تحديهم فيما يتعلق بخلق أنفسهم إلىٰ ما يتعلق بخلقٍ أعظم وأكبر، فقال: ﴿أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [الطور: ٣٦]، لا، لم يخلُقُوا السمٰوات والأرض، ولا يمكن أن

يَدَّعُوا ذلك، بل هم يُقِرُّون بأن الذي خَلقَهم وخَلَقَ السمٰواتِ والأرضَ هو الله عزّ وجل، فلماذا لا يُصَدِّقُون رسول الله ﷺ، الذي جاء بالوحي وأُيِّدَ بالآياتِ البينات؟ ﴿بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾ [الطور: ٣٦]، بل هم في أمرٍ مريجٍ مضطربٍ وشكٍّ وريبٍ.

ثم قال تعالىٰ في سياقِ تحدي هؤلاء المكذبين. ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ﴾ [الطور: ٣٧] يمنَعونَها عمَّنْ يشاؤون ويُعطُونها مَنْ يشاؤون. فيَدَّعُون أنهم لم يُعْطُوك النبوةَ وأنك كاذبٌ فيها. لا، ليس عندَهم خزائنُ الله، وإنما خزائنُ الله عندَه، وفضلُ الله يؤتيه مَنْ يشاء. ﴿أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ﴾ [الطور: ٣٧]، هل لهم السيطرة والسلطان والملك فيحجرون علىٰ الناس في تصرفهم؟ لا، ليست لهم السيطرة، ولا السلطان، ولا الملك. فنفىٰ الله عنهم السلطتين سلطةَ البذلِ والعطاء، وسلطةَ السيطرةِ والقوةِ، إذن فهم لا يستطيعون أن يمنعوا فَضْلَ الله، أو يُعطُوه غيرَ مَن أراد الله. قال جُبَيْرُ بنُ مُطعمٍ رضي الله عنه: سمعت رسولَ الله ﷺ، يقرأ في المغرب بالطور. فلما بلغ هذه الآيات كاد قلبي أن يطيرَ، وكان سماعُه لذلك من أكبرِ ما حملَه علىٰ الإسلام فأسلم رضي الله عنه.

﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾ [الطور: ٣٨]، أخبار السماء فيسمعوا أنك علىٰ الوصف الذي ذكروه من الكهانة والجنون والسحر، والشعر والكذب. لا ليس لهم سُلّم يستمعون فيه، فإن كابروا وادعوا ذلك فبالبينة علىٰ المدعىٰ، ﴿فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾

[الطور: ٣٨]، حجة ظاهرة علىٰ دعواه ولن يستطيعوا ذلك أبداً. وكان هؤلاء المكذبون للرسل العائبون له بم هم أحق به من العيب قد عابوا الله من قبل، فسموا الملائكةَ بنات الله، فليس بغريبٍ عليهم إذا عابوا الله أن يعيبوا رسولَه. وهذه ـ والله أعلم ـ هي المناسبةُ في ذكر هذه الآية ﴿أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ﴾ [الطور: ٣٩]، في سياق عَيْبهم لرسول الله ﷺ.

وبعد أن أبطل الله في هذه الآيات الكريمة ما ادعاه المكذبون به وأتباعهم ﴿فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ﴾ [الطور: ٤٠]، فيريدون أن يتخلصوا مما طلبتَ بالتكذيب. لا بل رسولُ الله ﷺ هو الذي يعطيهم ويتألفهم علىٰ الإسلام ﴿أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الطور: ٤١]، ما عَلِمُوا من الغيبِ فيَرَوْنَ رسالتك معارِضَةً لما عندَهم فينكرونها خوفاً من إبطال ما عملوا من العيب وكذبوه. لا ليس عندهم علم من الغيب ولا كتابة، فهم أمةٌ جاهلة، فكان مقتضىٰ العقل وحُسن التصرف أن يفرحوا بما جاء به رسول الله ﷺ، لأنه يزكيهم ويعلِّمهم الكتاب والحكمة.

﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا﴾ [الطور: ٤٢]، وهذا هو الواقع؛ فإنهم لا يريدون مما وصفوا به رسولَ الله ﷺ إلا الكيدَ به، وبدينه والقضاء عليه، ولكن يأبىٰ الله إلا أن يتم نوره ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ من أجل كذبهم وجحودهم ﴿هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ﴾ [الطور: ٤٢]، وحدهم المقضي عليهم بالذلِّ والهلاك.

ولما كان ما جاء به الرسولُ ﷺ كلُّه دعوة إلىٰ توحيدِ اللهِ وربوبيتِه وألوهيتِه وأسمائِه وصفاته، قال الله في ختام هذا الدفاعِ عن رسوله: ﴿أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ يلجأون إليه ويعبدونه من دون الله حتىٰ يَحِيدُوا عن طريق الرسول ﷺ؟ لا، ليس لهم إلهٌ سِوَىٰ الله وما اتخذوه من الأوثان آلهة، فليست آلهةً حقيقيةً لأنها ناقصةٌ معيبةٌ ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الطور: ٤٣]، أن يكون مثل أصنامهم وأوثانهم.

ولما بين الله أنَّ هؤلاء المكذبين ينكرون الآياتِ الشرعية، ويكذبوها بيّن أنهم ينكرون الآيات الكونية أيضاً، فقال: ﴿وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا﴾ [الطور: ٤٤]، فهو أمرٌ عاديٌّ لانخافُ منه، ولا نُبالي به، وهذا غايةُ ما يكون من العناد والطغيان.

أجارنا الله وإياكم من النار، وجنَّبنا طريقِ المنافقين والكفار، وهدانا صراطه المستقيم، آمين.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

❊ ❊ ❊

من سورةِ الواقعة

الحمدُ لله الذي أنزل علىٰ عبدِه الكتابَ عبرةً للمعتبرين وموعظةً للمتقين، ونبراساً منيراً للمهتدين، فكان شفاءً لما في الصدور ومصلحاً لجميع الأمور، وأشهد أن لا إلـٰه إلا الله، وحدَه لا شريك له، الملكُ الحقُّ المبين وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه المصطفىٰ علىٰ جميع البنيين صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه، ومن تبعهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدين، وسلّم تسليماً كثيراً.

أما بعد، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ، وتدبَّروا كتابَ ربِّكم الذي أنزله اللهُ رحمةً بكم، وموعظةً لكم، وإصلاحاً لدينِكم ودنياكم، ولا تُعرضوا عنه فتبوؤوا بالخسارةِ وقسوةِ القلوب، والبُعدِ عن خشيةِ علامِ الغيوب. إنّ القرآنَ موعظةٌ من ربكم، وشفاءٌ لما في صدوركم، ولا شيءَ أبلغُ موعظةً منه لمَنْ تدبرَ القرآنَ وتفكرَ معناه. لقد كان رسولُ الله ﷺ، يخطبُ به في الجمعةِ كثيراً، قالت أمُّ هشامٍ رضي الله عنها: ما أَخَذْتُ (قٓ) إلا عن لسان رسولِ الله ﷺ، يقرؤها كلَّ جمعةٍ علىٰ المنبر إذا خطب الناس.

أيها المسلمون: وإن من أعظمِ المواعظِ ما جاء في سورةِ الواقعة، تلك السورةُ العظيمةُ التي تحدثَتْ عن أهوالِ الناسِ يومَ القيامة، وحالتهم عند مفارقة الدنيا.

ابتدأ اللهُ هذه السورةَ بجملةٍ شرطيةٍ عن وقوعِ الساعة، حُذِفَ جوابُها ليذهبَ الذهنُ في تقديره كلَّ مذهبٍ، ويسلك في تفخيمه كلَّ طريق. يقول اللهُ عز وجل: ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾ [الواقعة: ١]، وهي يومُ القيامةِ يعني إذا وقعت رأيت أهوالاً عظيمةً وأحوالاً متباينةً ﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا﴾ [الواقعة: ٤] عظيماً ﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ﴾ [الواقعة: ٥] ففُتِّتَتْ تفتيتاً دقيقاً ﴿فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ۝٦﴾ [الواقعة: ٦]، بعد أن كانت جِبالاً متماسكةً صلبةً، وفي هذا اليوم ينقسمُ الناسُ إلىٰ ثلاثة أصنافٍ: سابقون، وأصحابُ ميمنةٍ، وأصحابُ مشأمةٍ.

فالسابقون في هذه الدنيا إلىٰ الطاعات هم السابقون يومَ القيامة إلىٰ الكرامة والجنات، وهم المقربون إلىٰ فاطرِ الأرضِ والسمٰواتِ في دارٍ لا يفنىٰ نعيمُها، ولا يَبْلَىٰ جَديدُها، ولا يتكدَّرُ صَفْوُها، نعيمُها دائمٌ، وسرورُها قائمٌ ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ۝١٥ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَـٰبِلِينَ ۝١٦ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ۝١٧ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ۝١٨ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ﴾ [الواقعة: ١٥-١٩]، هذا شرابُهم، أما طعامُهم ففاكهةٌ مما يتخيرون، ولحمُ طيرٍ مما يشتهون، وأما نساؤهم فَحُورٌ ذو بياضٍ حَسَنٍ صافٍ، عينٌ حسناتُ العيون مَنظراً كأمثالِ اللؤلؤِ المكنون، في صدفَةٍ في غاية الصفاء.

وأما مجتمعُهم فمجتمعٌ كاملٌ ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧]، لا يسمعون فيها لغواً من القول، وهو ما لا فائدةَ فيه، ولا تأثيماً، كلاماً يأثمون به. بل كلامُهم ذِكرٌ

لله وتسبيحٌ له، وتَحدُّثٌ بينَهم بما أنعمَ اللهُ عليهم في الدنيا ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾ [الزمر: ٧٤]، ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ۝٣٤ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ [فاطر: ٣٤-٣٥]، هؤلاء هم السابقون إلىٰ طاعة ربِّهم. يقومون بالواجباتِ والمستحبات، ويتركون المحرمات والمكروهات، فكان نعيمُهم أكملَ نعيمٍ، وأحوالُهم أكملَ الأحوال.

أما الصنفُ الثاني: فهم أصحابُ اليمين، وهم من أهل الجنة، ولكنهم أقلُّ حالاً من السابقين ﴿فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ﴾ [الواقعة: ٢٨] شوكُه، فليس فيه شوكٌ ﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ﴾ [الواقعة: ٢٩]، من الثمرِ من أسفله إلىٰ أعلاه. وهذا السِّدْرُ والطَّلْحُ ليس مشابهاً لما في الدنيا، الاسمُ هو الاسم، ولكنّ الحقيقةَ غيرُ الحقيقة. قال اللهُ تعالىٰ في الحديث القدسي: «**أعددتُ لعباديَ الصالحين ما لا عينٌ رأتْ ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ، ولا خَطَرَ علىٰ قَلْبِ بَشَرٍ**»(١) ولأصحابِ اليمين نعيمٌ دائمٌ في فاكهةٍ كثيرة، لا مقطوعة ولا ممنوعة، يعني لا تنقطعُ في وقتٍ من الأوقات، كما تنقطعُ فواكهُ الدنيا، ولا ممنوعةٍ عن مُبتَغِيها كما تُمنع فواكه الدنيا. أما جلوسُهم ففي فُرشٍ مرفوعة،

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٤٤)، ومسلم (٢٨٢٤) حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وأما نساؤُهم فقد أنشأ اللهُ الحُورَ منهن إنشاءً بدون ولادة وأنشأ نساءَ الدنيا من أهلِ الدنيا، إنشاءً جديداً، فجعلَهن أبكاراً، لا يَرْجِعْن ثيِّباتٍ أبداً، كلما عاد إليها زوجها وجدَها بِكْراً. ومِنْ تمامِ النعيم أن جعلَهنَّ اللهُ عُرُباً يتحَبَّبْنَ إلىٰ أزاجهن بالتلطُّف والمداراة، أتراباً علىٰ سنٍّ واحدةٍ حتىٰ لا تفخَرَ واحدةٌ علىٰ الأخرىٰ، أو ترىٰ نفسَها دون الثانية.

أما الصنفُ الثالثُ: فهم أصحابُ الشمال، فلا تَسْأل عن حالِهم، إنها حال البُؤْسِ والشقاءِ والعَنَاء، في سَمُوم. (هواءٌ حارٌ) من النار، يلفَحُ وجوهَهم ويدخلُ في مسامٍّ جُلُودهم. وليس عندَهم ما يُبَرِّدُ هذا السمومَ، سوىٰ ماءٍ حميمٍ شديدِ الحرارة، ﴿يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ۝١٩ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ﴾ [الحج: ١٩-٢٠]، كما أنهم ليس لهم ما يَحْجُبُ هذا السموم سوىٰ ظلٍّ من يَحْموم، واليحمومُ: هو الدخانُ الأسودُ الحالك ﴿لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ﴾ [الواقعة: ٤٤]، ليس فيه وقايةٌ ولا نفعٌ. فهذا مكانُهم وموضِعُ إقامتهم وشرابُهم.

فإن الله يقول: ﴿إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ۝٥١ لَءَاكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ﴾ [الواقعة: ٥١-٥٢] وهو شجرٌ خبيثُ الطعم قبيحُ المنظر، مُنتِنُ الريح ليس فيه ما يُحَبِّبُ الأكلَ منه. ولذلك يَتَزَقَّمُونه تزقُّماً فيبتلعونه بشدةٍ ومشقةٍ، فيملئون بطونهم منه. وحينئذٍ يحترقون عطشاً فيستغيثون، فيُغاثون بماءٍ كالمُهل يشوي الوجوهَ إذا دنا منها، ويقطع أمعاءَهم

إذا حلَّ فيها ﴿وَسُقُوا مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾ [محمد: ١٥]، وإنهم ليشربون هذا الماء الحميمَ شُرْبَ إلهيم، وهي الإبلُ المصابةُ بهُيام الماء، فهي تشربُ ولا تُروىٰ أبداً ﴿هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ [الواقعة: ٥٦].

أما في آخر السورة: فقسَّمَ اللهُ فيها الناسَ عند حضورِ الأجلِ وانقطاع الأمل، وتلاشِي الحِيل والرحيل من دار العمل. قسَّم اللهُ الناسَ إلىٰ ثلاثة أقسام: فقال تعالىٰ: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٨٨-٩٦].

اللهم إنا نسألك أن تجعلَنا من السابقين المقربين، ومن التالين لكتابك والمنتفعين به اللهم ارزقْنا الزهادة في الدنيا والرغبة في الآخرة، وآتنا في الدنيا حسنةً، وفي الآخرة حسنةً، وقِنا عذابَ النار.

اللهم صلِّ وسلِّم علىٰ عبدِك ورسولِك محمد، المصطفىٰ المختار، وعلىٰ آله وأصحابه ومَنْ تَبِعَهم بإحسان.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

تفسير سورة العصر

الحمدُ لله الذي مَنّ علىٰ عباده المؤمنين بدينٍ يجمعُ كلمتَهم ويوحِّد صفوفَهم، وأوجبَ عليهم أن يكونوا إخواناً للحقِّ ناصرين، وفي سبيلِ إقامته وإزالةِ ما يحولُ دون تحقيقه متعاونين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له الذي وعدَ بنصرِ الحقِّ وهو أصدقُ القائلين، وأشهدُ أنّ محمداً عبدُه ورسولُه الذي جاهد في الله حقَّ جهاده حتىٰ آتاه اليقين جمعَ اللهُ به بعد الفرقة، وألَّف به بعد الخلاف ونصرَ به بعد الذلة، فصلوات الله وسلامُه عليه وعلىٰ أصحابهِ وأتباعهم إلىٰ يوم الدين.

أما بعدُ: فقد قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ١-٣].

فأقسمَ اللهُ بالعصرِ وهو الدهرُ الذي هو ميدانُ العاملين، ومِضمارُ المتسابقين، الدهر الذي يختلفُ الناسُ في استهلاكه اختلافاً كبيراً. فمنهم مَن يستهلكُه في طاعةِ مولاه وإصلاحِ أمته، وهؤلاء هم الرابحون، ومنهم مَنْ يذهب عليه سبلها ومنهم مَنْ يستهلِكُه في معاصي الله وإفساد أمته. وكلاهما من الخاسرين.

أقسَمَ اللهُ بهذا العصر علىٰ أن كلَّ إنسانٍ من بني آدمَ فهو في خَيبةٍ وخُسْرٍ مهما كَثُرَ مالُه وولدُه، وعَظُمَ قَدْرُه وشرفُه، إلا مَنْ جَمَع هذه الأوصافَ الأربعة:

أحدها: الإيمانُ، ويشملُ كلَّ ما يُقَرِّبُ إلىٰ اللهِ من اعتقادٍ صحيحٍ، وعلمٍ نافعٍ.

الثاني: العملُ الصالح، وهو كلُّ قولٍ أو فِعْلٍ يُقَرِّبُ إلىٰ الله، بأن يكونَ فاعلُه لله مخلصاً، ولمحمدٍ ﷺ مُتَّبِعاً.

الثالث: التواصي بالحقّ: وهو التواصي علىٰ فِعْلِ الخير، والحثُّ والترغيب فيه.

الرابع: التواصي بالصبر، بأن يُوصِي بعضُهم بعضاً بالصبر علىٰ فعل أوامر الله وترك محارم الله وتحمل أقدار الله. والتواصي بالحقِّ والتواصي بالصبر يتضمنان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، اللذين بهما قِوَامُ الأمةِ وصَلاحُها ونَصْرُها، وحُصولُ الشرفِ والفضيلة لها. فلقد جعلَنا اللهُ خيرَ أمةٍ أُخْرِجَتْ للناسِ وبيّن أسبابَ ذلك، فقال: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

فاتقوا الله أيها المسلمون، وحَقِّقُوا هذه الفضيلةَ التي فُضِّلتُمْ بها علىٰ العالمين. فتآمروا بالمعروف، وتَناهُوا عن المنكرِ، واجتمعوا علىٰ ذلك وأصلحوا أنفسَكم وأهلِيكم وجيرانكم، واعلموا أنه ما اجتمع قومٌ علىٰ حقٍّ بنيةٍ خالصةٍ وعملٍ صالحٍ إلا كُلِّلَ اجتماعُهم بالنجاح، وحَصَلُوا علىٰ مقصودِهم. ولن يتخلف النجاحُ عنهم إلا لأحد أمرين: إما نقصٌ في إخلاصهم، بأن يكونَ لأحدهم غرضٌ

غيرُ ما اجتمعوا عليه. وإما لخَلَلٍ في عملهم بأن لم يسلكوا الطرقَ الموصلةَ إلىٰ المقصود علىٰ وجهٍ صحيح.

ولو تأملتم ذلك لوجدتموه ظاهراً في كلِّ عَمَلٍ تقومون به إذا اجتمعتم عليه، وأحسنتم النية، وسلكتم طريقَ الحكمة في الوصول إلىٰ مقصودكم كانت النتيجةُ حصولَ المقصودِ علىٰ الوجهِ المطلوب. بل ربما تكون النتيجةُ علىٰ وجهٍ أفضلَ مما يُتوَقَّعُ. إذن فالواجبُ أن يكونَ المسلمون يداً واحدةً وصفّاً واحداً، وقلباً واحداً فيما فيه خيرُهم وصلاحُهم، واستقامةُ دينِهم ودنياهم. فبذلك يصلون إلىٰ عِزِّهم الذي كتبَ الله لهم ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ﴾ [الحج: ٤٠-٤١]..

فشُدُّوا أيها المسلمون أيديَكم بعضُها ببعض، وكونوا كما وصفَكم نبيُّكم ﷺ، كالبنيان يَشُدُّ بعضُه بعضاً، وشَبَّكَ بينَ أصابعه، خُذُوا علىٰ السفهاء وأطروهم علىٰ الحق أطراً. واعلموا أنكم بذلك لهم راحمون وإليهم محسنون. لأن رحمةَ الخَلْقِ الحقيقيةَ والإحسانَ الحقيقيَّ إليهم هو أن تَمْنَعَهم مما يَضُرُّهم، وأن تُرْشِدَهم إلىٰ ما فيه خيرُهم واستقامةُ دينهم. وباستقامة الدين تستقيمُ الدنيا والدينُ.

واعلموا أنه ما قام أحدٌ بأمرٍ يريدُ به ثوابَ الله وإصلاحَ عبادِ الله، إلا أعطاه اللهُ ما تَمنَّاه عليه من الثواب، سواء حَصَلَ إصلاحُ

الغير أم لم يحصُلْ. إذن فالأجدرُ بنا أن لا نتوانَىٰ وأن لا نكْسَل في العملِ علىٰ ما يُصْلِحُ العبادَ والبلاد. راجين بذلك ثوابَ الله، قاصدين به إصلاح عبادِ الله. لأننا إذا سلكنا ذلك فنحن بحول الله رابحون، ومن عذابِه وعقابِه ناجون إن شاء الله.

وفقنا الله وإياكم للعمل بما فيه صلاحُنا وصلاحُ أمتنا، وجعلنا وإياكم ممَّنْ غَنِمُوا أوقاتُهم واكتسبوها واستهلكوها في طاعةِ الله وعمرُوها، وأعاذنا وإياكم من الخيبة والخُسْران، وجنَّبنا الإثمَ والفسوقَ والعصيان.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.



فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
القسم الأول: العلم والإفتاء	٢١
الخطبة الأولىٰ: فضل العلم	٢٣
الخطبة الثانية: فضل العلم	٢٦
الخطبة الثالثة: فضل العلم	٣٠
الخطبة الرابعة: الحث علىٰ طلب العلم	٣٦
الخطبة الخامسة: الحث علىٰ العلم والعمل به	٤١
الخطبة السادسة: الحث علىٰ طلب العلم	٤٥
الخطبة السابعة: مقام أهل العلم في الناس	٥٠
الخطبة الثامنة: فضيلة أئمة الدين	٥٤
الخطبة التاسعة: تحريم القول علىٰ الله تعالىٰ بلا علم	٥٧
الخطبة العاشرة: تحريم الإفتاء بغير علم	٦٣
الخطبة الحادية عشرة: الاستفتاء	٦٨
الخطبة الثانية عشرة: خطبة بمناسبة بداية الدراسة	٧٢
القسم الثاني: أصول الدين	٧٧
الفرع الأول: أسماء الله تعالىٰ	٧٩
الخطبة الأولىٰ: الحث علىٰ الإيمان بأسماء الله تعالىٰ	٨١
الخطبة الثانية: شرح بعض أسماء الله تعالىٰ الحسنىٰ	٨٥
الخطبة الثالثة: شرح بعض أسماء الله تعالىٰ الحسنىٰ	٨٩
الخطبة الرابعة: شرح بعض أسماء الله تعالىٰ الحسنىٰ	٩٢

الموضوع	الصفحة
الخطبة الخامسة: شرح بعض أسماء الله تعالىٰ الحسنىٰ	٩٦
الخطبة السادسة: شرح بعض أسماء الله تعالىٰ الحسنىٰ	١٠٠
الخطبة السابعة: شرح بعض أسماء الله تعالىٰ الحسنىٰ	١٠٣
الخطبة الثامنة: شرح بعض أسماء الله تعالىٰ الحسنىٰ	١٠٦
الفرع الثاني: آيات الله تعالىٰ	١٠٩
الخطبة الأولىٰ: خلق السمٰوات والأرض	١١١
الخطبة الثانية: فيما سخره الله لبني آدم وأكرمهم به	١١٦
الخطبة الثالثة: شيء من آيات الله الدالة علىٰ قدرته	١٢٠
الخطبة الرابعة: خلق السمٰوات والأرض	١٢٤
الخطبة الخامسة: بيان أن السمٰوات أجرام محسوسة	١٢٧
الخطبة السادسة: خلق السماء	١٣٠
الخطبة السابعة: خلق الإنسان وما علمه الله تعالىٰ له	١٣٥
الخطبة الثامنة: شيء من آيات الله الدالة علىٰ قدرته	١٣٨
الخطبة التاسعة: خلق الشمس والقمر	١٤٣
الخطبة العاشرة: تعاقب الليل والنهار	١٤٧
الخطبة الحادية عشرة: خلق السمٰوات والأرض	١٥٠
الخطبة الثانية عشرة: شيء من آيات الله تعالىٰ	١٥٤
الخطبة الثالثة عشرة: خلق السماء	١٥٩
الخطبة الرابعة عشرة: خلق السمٰوات والأرض	١٦٢
الخطبة الخامسة عشرة: ذكر بعض الآيات الكونية	١٦٥
الخطبة السادسة عشرة: حكمة الله في تقسيم الأرزاق	١٦٩

الموضوع	الصفحة
الخطبة السابعة عشرة: موقف الناس من المستجدات	١٧٢
الخطبة الثامنة عشرة: الدجال ونزول عيسىٰ ابن مريم	١٧٦
الخطبة التاسعة عشرة: ذكر عددٍ من أشراط الساعة	١٧٩
الخطبة العشرون: ذكر يأجوج ومأجوج	١٨٢
الخطبة الحادية والعشرون: آيات الله الكونية	١٨٦
الخطبة الثانية والعشرون: خلق السمٰوات والأرض	١٨٩
الفرع الثالث: كمال الإسلام	١٩٣
الخطبة الأولىٰ: كمال الإسلام	١٩٥
الخطبة الثانية: سهولة الدين وإصلاحه للمجتمع	١٩٩
الخطبة الثالثة: محاسن الإسلام	٢٠٣
الخطبة الرابعة: سهولة الدين وإصلاحه للجتمع	٢٠٧
الخطبة الخامسة: كمال الإسلام ومحاسنه	٢١١
الخطبة السادسة: نعمة الله علىٰ عباده ببعثه الرسول الكريم ﷺ	٢١٥
الخطبة السابعة: نعمة الله تعالىٰ علىٰ عباده بالإسلام	٢٢٢
الخطبة الثامنة: وجوب شكر نعمة الله تعالىٰ بالإسلام	٢٢٧
الخطبة التاسعة: من محاسن الإسلام العدل في التصرفات	٢٣٠
الخطبة العاشرة: يسر الإسلام	٢٣٣
الخطبة الحادية عشرة: سهولة الإسلام وشموله لأنواع العبادات	٢٣٨
الخطبة الثانية عشرة: وجوب شكر نعمة الإسلام بالعمل به	٢٤٢

الموضوع	الصفحة

الخطبة الثالثة عشرة: حماية الإسلام للدين والنفس والعِرض والمال ٢٤٦

الفرع الرابع: الإيمان ٢٥١

الخطبة الأولىٰ: تحريم الشرك ووسائله ٢٥٣

الخطبة الثانية: تحقيق التوحيد ٢٥٨

الخطبة الثالثة: حقيقة الإيمان وعلاماته ٢٦٢

الخطبة الرابعة: الإيمان والعمل الصالح ٢٦٨

الخطبة الخامسة: التحذير من النفاق وأهله ٢٧١

الخطبة السادسة: التحذير من أعداء الإسلام ٢٧٧

الخطبة السابعة: الحثّ علىٰ الإحسان ٢٨٣

الخطبة الثامنة: التوكل علىٰ الله ٢٨٦

الخطبة التاسعة: الإيمان بالكتب والرسل ٢٩٢

الخطبة العاشرة: الحياة الحقيقية حياة الآخرة ٢٩٥

الخطبة الحادية عشرة: ذكر الموت ٢٩٨

الخطبة الثانية عشرة: ذكر شيء من أوصاف اليوم الآخر .. ٣٠٣

الخطبة الثالثة عشرة: ذكر شيء من أوصاف اليوم الآخر .. ٣٠٧

الخطبة الرابعة عشرة: الاستعداد ليوم الرحيل ٣١٠

الخطبة الخامسة عشرة: ذكر بعض الأمور التي تقع يوم القيامة ٣١٣

الخطبة السادسة عشرة: بعض أهوال يوم القيامة ٣١٦

الخطبة السابعة عشرة: شيء من أحوال الناس يوم القيامة ٣٢١

الموضوع	الصفحة

الخطبة الثامنة عشرة: أحوال الناس يوم القيامة ٣٢٤
الخطبة التاسعة عشرة: أحوال بني آدم ٣٢٨
الخطبة العشرون: حال المؤمن وحال الكافر ٣٣٣
الخطبة الحادية والعشرون: حال الإنسان بعد الموت ٣٣٧
الخطبة الثانية والعشرون: ذكر شيء من نعيم الجنة ٣٤٣
الخطبة الثالثة والعشرون: ذكر شيء من نعيم الجنة ٣٤٦
الخطبة الرابعة والعشرون: ذكر شيء من نعيم الجنة ٣٥١
الخطبة الخامسة والعشرون: شيء من نعيم الجنة ٣٥٦
الخطبة السادسة والعشرون: ذكر شيء من نعيم الجنة ٣٦١
الخطبة السابعة والعشرون: ذكر شيء من نعيم الجنة ٣٦٦
الخطبة الثامنة والعشرون: ذكر شيء من نعيم الجنة ٣٦٩
الخطبة التاسعة والعشرون: ذكر شيء من عذاب النار ٣٧٣
الخطبة الثلاثون: عذاب القبر ٣٧٦
الخطبة الحادية والثلاثون: عذاب النار ٣٨٠
الخطبة الثانية والثلاثون: حكم الإيمان بالقضاء والقدر .. ٤٨٦
الخطبة الثالثة والثلاثون: حكم الإيمان بالقضاء والقدر
وكيفيته ٣٩٠
الخطبة الرابعة والثلاثون: الإيمان بالقضاء والقدر ٣٩٤
الخطبة الخامسة والثلاثون: القضاء والقدر ٣٩٧

القسم الثالث: التفسير ٤٠١
الفرع الأول: فضائل القرآن ٤٠٣
الخطبة الأولىٰ: عظمة القرآن الكريم ٤٠٥

الموضوع	الصفحة

الخطبة الثانيــة: من فضائل كتاب الله الكريم ٤٠٩

الخطبة الثالثــة: من أوصاف القرآن الكريم ٤١٩

الخطبة الرابعــة: من أوصاف القرآن الكريم ٤٢٥

الخطبة الخامسة: نعمة الله تعالىٰ بإنزال القرآن الكريم وذكر شيء من أوصاف القرآن ٤٢٩

الخطبة السادسة: فضل قراءة القرآن الكريم ٤٣٣

الخطبة السابعـة: فضل قراءة القرآن الكريم ٤٣٧

الخطبة الثامنــة: من فضائل تلاوة القرآن الكريم ٤٤٠

الخطبة التاسعـة: حلقات تحفيظ القرآن الكريم ٤٤٣

الخطبة العاشـرة: الحث علىٰ التمسك بكتاب الله تعالىٰ والتحذير من مخالفته ٤٤٩

الفرع الثاني: تفسير ٤٥٧

الخطبة الأولــىٰ: من سورة النساء ٤٥٩

الخطبة الثانيــة: من سورة (قٓ) ٤٦٥

الخطبة الثالثــة: من سورة (قٓ) ٤٧١

الخطبة الرابعــة: من سورة الطور ٤٧٥

الخطبة الخامسة: من سورة الواقعة ٤٨١

الخطبة السادسة: تفسير سورة العصر ٤٨٦